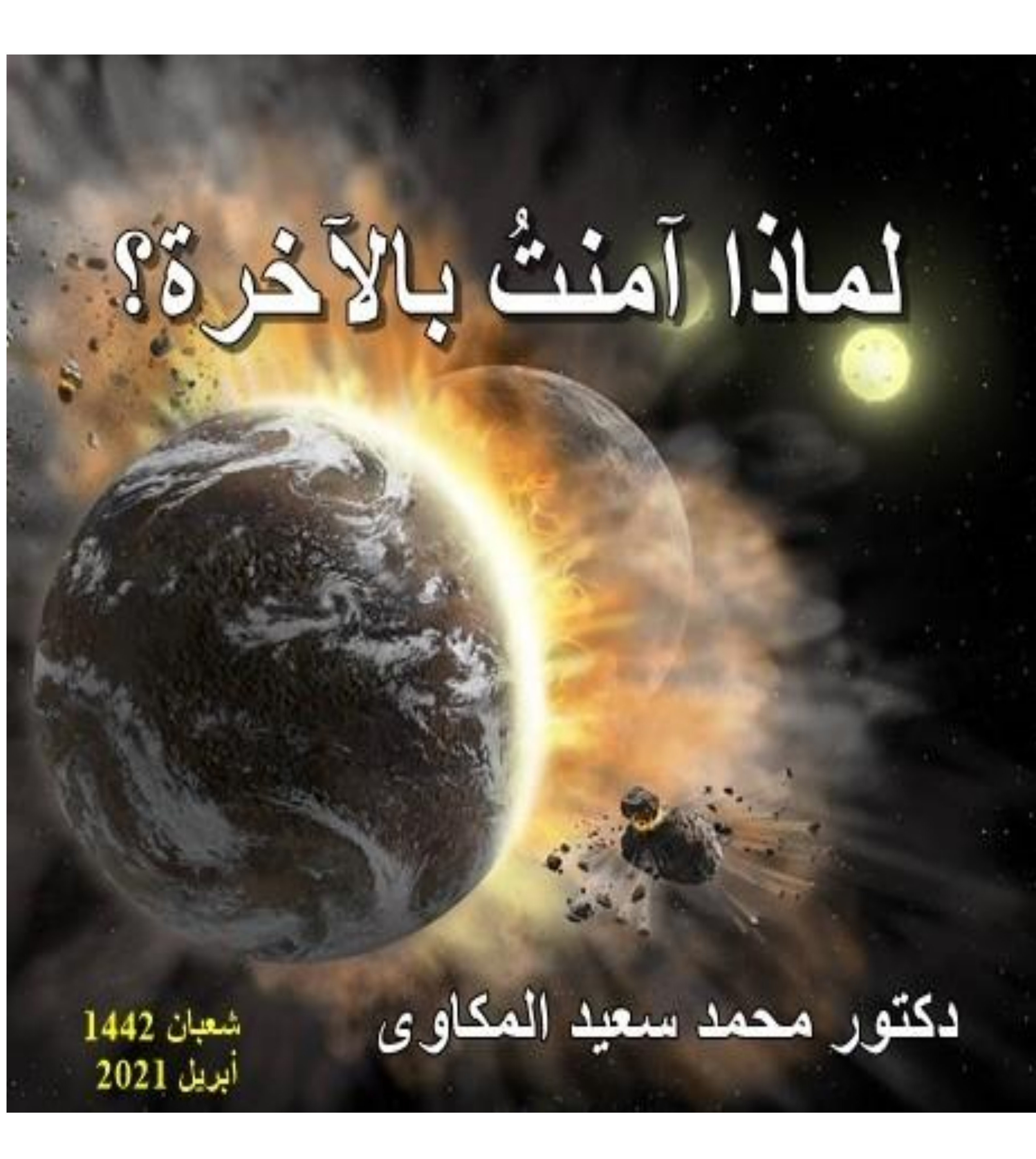

لماذا آمنتُ بالآخرة؟
دكتور محمد سعيد المكاوى
شعبان 1442
أبريل 2021



لماذا آمنتُ بالآخرة؟



دكتور/ محمد سعيد المكاوى

الناشر: منصة أمازون للكتب الرقمية

رقم أمازون: ASIN: B0957DJ4RV

2021م - 1442 هجرية

الفهرس

كتاب فاشل

هذا الكتاب محكوم عليه بالفشل. إن فهمت الفشل بمعناه المتداول حاليا على أنه الإخفاق ، فالكتاب فاشل ، وإن فهمت الفشل بمعناه اللغوى الأصلى على أنه الجبن فالكتاب أيضا فاشل. هذه هى الحقيقة التى أعترف بها.

إننى أشعر بهول يوم القيامة ، وعظمته ، وروعته. وكلما قرأت القرآن ، وأمسكت بالقلم محاولا أن أكتب عما يجيش به صدرى غمرتنى أمواجه ، وأفقدتنى توازنى ، لتطيح بى بعيدا عن الفكرة التى كدت أتعلق بها ، فأفترش الأرض فى خيبة متحسرا على ما ضاع منى ، وأشعر بإرهاق الذهن، ويتملكنى إحساس بالعجز ، وكأننى مريض طلبوا منه أن ينقل جبلا من مكانه ، فأنى له بالنجاح؟! قاومت اليأس ، وكررت التجربة مرة بعد أخرى ، فنجحت قليلا ، وأخفقت كثيرا ، وفى النهاية خرج هذا الكتاب الهزيل الذى بين أيديكم. إنه فعلا هزيل ، وكل كتاب عن يوم القيامة محكوم عليه بنفس المصير ، فالآخرة أعظم من أن يحيط بها إنسان مهما بلغ اطلاعه ، ومهما كان عمق فكره. الإنسان مخلوق تافه ، ضعيف الحواس ، محدود القدرات ، أما الآخرة فأكثرها غيب ، وما وصلنا من أخبارها فى القرآن – على كثرته– مجرد جزء صغير من الواقع المذهل الذى سنجربه بأنفسنا فى يوم قريب.

وفضلا عن هذا العجز الوجودى عن الإدراك ، فقد نما لدىَّ يقين بأن مشاهد القيامة التى وردت فى القرآن يستحيل تناولها فى كتاب واحد ، فالقيامة تقع فى قلب القرآن ، وتنتشر فى كل أرجائه، وتمتزج بكل أفكاره ، حتى لتكاد تشعر أن الآخرة هى الإسلام ، والإسلام هو الآخرة. كما أن أسلوب القرآن عميق بشكل مرعب ، والإحاطة بكل جوانب الآخرة يحتم على المرء أن يتوقف أمام كل "كلمة" وردت فى "كل" آية. نعم ، أقصد حرفيا "كل" كلمة ، فكل كلمة فى القرآن تمثل حكاية خاصة ولغزا مستقلا ، وأقصى ما يمكن لمفسر عبقرى أن يفعله هو أن يكتشف أسرار بعض هذه الكلمات ، وتبقى الحاجة ماسة لفرق بحث محترفة ومتفرغة ، بدلا من الجهود الفردية ذات الجدوى القليلة. ويضاف إلى ذلك أن كثيرا من أسرار اللغة العربية لا تزال خافية ، وسيحمل لنا المستقبل بإذن الله اكتشافات جديدة ، تنير كثيرا مما غمض من ألفاظ القرآن.

إن أى كلام نقوله على الآخرة يقترب منها دون أن يمسها ، لكن ما سيحدث على أرض الواقع يفوق كل خيال ، ويتجاوز كل تصور. ومهما حاولتَ أن تتخيل شكل الله وهيئة الملائكة وحلاوة الجنة وبشاعة النار وطبيعة الزمان فلن تفلح ، وستبقى الآخرة لغزا ما دامت الحياة. وكما هو متوقع ، فقد فرغت من الكتاب ، فأحسست بأننى ما أنجزت شيئا ، وأن ما يضمه صدرى أكثر مما سطره قلمى ، وأن من أراد أن يوفى الكتابة عن الآخرة حقها فعليه أن يحيا فى الآخرة نفسها.

ولقد راودتنى منذ عشرين عاما رغبة ملحة فى تأليف قصة عن يوم القيامة ، تكون فكرتها الأساسية المفاجآت الكبرى التى سيشهدها الناس فى ذلك اليوم. ولكن منعنى عن ذلك إدراكى أن مثل هذا العمل يحتاج إلى أديب شديد البراعة ، وما أنا من أهل الأدب ، وأسلوبى إن علا تارة هبط تارة أخرى. ومرت السنوات ، فهبت على بلاد المسلمين زوبعة الإلحاد التى أسقطت فى طريقها الكثيرين ، فلم يعد أمامى من خيار إلا أن أنزل إلى أرض المعركة ، فأشترك مع إخوانى المؤمنين فى رد هذه الهجمة التى تتواضع أمامها ضربات هولاكو وحرائق نيرون. وكان علىَّ أن أعترف بعجزى، وأكتفى بتناول جانب واحد فقط من الجوانب المتعددة للآخرة ، ألا وهو الجانب العقائدى والفلسفى الذى يقع فى القلب من المعركة الطاحنة التى تدور رحاها بلا هوادة بين الإسلام والإلحاد الذى يحظى بدعم القوى العظمى واليهودية العالمية.

وعلى ذلك سيخلو هذا الكتاب من موضوعات مثل علامات الساعة ، وربما يكون هذا موضوع بحث مستقل.

أدعو المولى عز وجل أن يساهم هذا الكتاب فى إبراز جوانب من الآخرة ، عَمَت عنها بصائر المغرضين الذين شغلهم الغرور عن التأمل ، فجاء هجومهم على الإسلام نمطيا وسطحيا ، وموجبا للسخرية. وسيرى القارىء بعون الله تعالى أن الإسلام هو الأقوى والأعلى ، وأن كل ما عداه سخف وهراء. نسأل الله تعالى أن يغفر لنا ولجميع المسلمين ، وأن يحشرنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا. أتركَكم الآن مع الكتاب. والله ولى التوفيق.

دكتور/ محمد سعيد المكاوى

; mekkawy5@gmail.commekkawy55@gmail.com

مصر – 5 أبريل – 2021م – 23 شعبان 1442 هجرية

قبيل النهاية

فى وسط إحدى العواصم الكبرى وقف رئيس دولة "ليبراتيا" – القوة العظمى الأولى فى العالم– خطيبا وسط الجماهير الحاشدة التى جاءت من كل أنحاء الكرة الأرضية لتشهد الاحتفال الضخم بإعادة الشباب لآخر سيدة مسنة فى العالم. هتف الرئيس فى هستيريا: "النصر للعلم. النصر للعلم. النصر للعلم" ، ورددت الجماهير الهتاف وراءه لمدة خمس دقائق دون توقف. وبعد أن هدأ الضجيج بعض الشيء عاود الرئيس الكلام قائلا: "يسعدنى.. يسعدنى.. يسعدنى أن أقف بينكم فى هذا اليوم التاريخى كى نحتفل رسميا بموت الله". قاطعته الجماهير لتهتف فى نشوة: "الله مات ، مات ، مات ، مات".

حيا الرئيس الجماهير ، وأخلى مكانه للعالم الشهير صاحب براءة اختراع دواء "إعادة الشباب" الذى تكلم فى ثقة وقوة قائلا: " إن انتصار العلم على الشيخوخة هو انتصار على الله ، وتراجع شبح الموت يحتم تراجع فكرة الإله. ما حاجتنا اليوم لإله نستند إليه فى الهِرم بعد أن انقرضت الشيخوخة من العالم كالديناصورات؟ ما حاجتنا لإله يشفينا ، وقد اخترعنا أدوية لكل الأمراض؟ ما حاجتنا لإله يطعمنا بعد أن زرعنا كل صحارى العالم وحولناها إلى جنان؟ ما حاجتنا لإله يسقينا بعد أن صرنا قادرين على معالجة ماء البحر والصرف الصحى وإنزال المطر الصناعى؟ ما حاجتنا لإله يضمن لنا المستقبل بعد أن أصبحنا قادرين على التواصل مع سكان الكواكب الأخرى الذين يسدون لنا أى نقص عابر فى مواردنا على الأرض؟ لقد ولى ذلك العصر الذى كنا نرفع فيه أكفنا إلى السماء طالبين العون من الله. لقد بلغت البشرية سن الرشد ، وباتت قادرة على أن تحقق السعادة لنفسها دون حاجة للجوء إلى الخرافات".

صفقت الجماهير بشدة ، وهتفت ، ثم انتقلت الكلمة للأمين العام للأمم المتحدة الذى قال: "مرحبا بكم فى هذا اليوم المشهود الذى سقط فيه الإله بالضربة القاضية. ويشرفنى أن يكون بجوارى اليوم زعماء الكواكب الستة الشقيقة، الذين لبوا الدعوة لحضور هذا الحفل المهيب. ومن هذا المنبر أزف إليكم البشرى: لقد أعددنا قانونا دوليا يجرم الإيمان بالله ، ويعتبر الدعوة إلى الله عملا عدائيا ضد الحضارة الكونية".

ثم أمسك مقدم الحفل بمكبر الصوت ، وصاح بأعلى صوته: "والآن ارقصوا وغنوا مع أول فقرة تقدمها فرقة الحرية العالمية التى تضم أكبر فنانى العالم. ليرقص كل الحاضرين ، فلا فرق اليوم بين شيخ فى المائة وشاب فى العشرين ؛ الحياة تفتح ذراعيها للجميع".

على الفور خلع الجميع ملابسهم ، وقضوا الليلة كلها فى عربدة وفجور. ولما أوشك النهار على الطلوع أمسك المقدم بمكبر الصوت ، وقال: "والآن نختتم هذا الحفل المشهود بترديد جماعى لهتاف "مات الله. عاش الإنسان". وأدعوكم أن تبقوا جميعا فى أماكنكم كى نشهد سويا لحظة شروق الشمس ، إيذانا ببدء عهد جديد ، يتبدد فيه ظلام الأديان ، وتغمرنا فيه شمس الحرية والعلم والإنسانية".

على الفور هتفت الجماهير على قلب رجل واحد: "مات الله. عاش الإنسان". أخذ الصو يرتفع ، ويشق عنان السماء ، وكلما اقتربت لحظة الشروق زادت الهستريا ، وعلت الأصوات أكثر وأكثر. ثم ظهرت ساعة كبيرة على الشاشة معلنة بدء العد التنازلى لشروق الشمس ، فأخذ الجميع يرددون فى نفَس واحد: "عشرة ، تسعة... ثلاثة ، اثنان ، واحد ، صفر ، هيييييه".

مضت ثوان معدوة ، وفجأة دوى صراخ ملأ المكان بالذعر ، وشاهد الحاضرون مقدم الحفل وهو يشير فى رعب ناحية الأفق ، قائلا: " انظروا! كارثة! الشمس تشرق من جهة الغرب!". قاطعه أحد كبار المدعوين قائلا: "هل جننت؟ هل لعبت الخمر برأسك؟"

أخذ الحاضرون يحدقون فى السماء ، فوجودوا الشمس تطلع فعلا من الغرب. خيم صمت رهيب على المكان ، لم يقطعه إلا صوت يصرخ: "ويل لكم! لقد قامت الساعة". رد آخر: "الساعة؟ أى ساعة؟ ألم نعلن وفاة الله منذ قليل؟ ماذا دهاكم؟"

وفجأة اهتزت الأرض من تحت الأقدام ، فترنحت الجماهير ، وانقلبت المناضد ، وسقطت الكئوس ، وسُكبت الخمور ، ودبت الفوضى ، وأخذ كل واحد يجرى بلا هدف. لكن الزلزال طال، بل ظل يشتد ، فانهارت ناطحات السحاب ، وبدأ سماع دوى انفجارات رهيبة فى السماء. خرج كل سكان العالم إلى الشوارع خوفا من انهيار المبانى على الرءوس ، لكن المنظر فى الشوارع كان أكثر رعبا: لقد انشقت السماء ، وتناثرت الكواكب ، وتحرك القمر ليسقط على الشمس. ثم

شوهدت الجبال وهى تتطاير فى الهواء كما لو كانت خياما خفيفة اقتلعتها الرياح ، ثم تبددت ذرات الجبال فى الجو ، فكانت هباء منبثا. ولجأ بعض الناس إلى الشواطىء بعيدا عن الخطر ، فوجدوا البحار قد اشتعلت ، وصارت جحيما ملتهبا. ولجأ آخرون إلى المزارع والمناطق الخالية من المبانى ، فوجدوا البراكين تنفجر فى كل مكان ، ثم انشقت الأرض من تحت الأقدام ، فخاف الناس من أن تبتلعهم فى جوفها ، لكنهم فوجئوا بآلاف مؤلفة من البشر العراة ، يخرجون أحياء من باطن الأرض ، ويجرون مثلهم فى هلع ، وكلهم يقول: "إنها الساعة". ورغم هول الضربات وشدة الآلام إلا أن أحدا لم يكن يموت حتى لو سقط على رأسه بيت ، أو أمسكت بملابسه النيران. كان الكل يصرخ ويتوجع ، ويتمنى مفارقة الحياة ، لكن هيهات! لقد كانوا منذ دقائق يحتفلون بموت الله ، فأصبحوا الآن هم الذين يتمنون الموت ، ولا يجدونه. لم يعد أحد يفكر إلا فى نفسه ، فلا غنى يبحث عن خزائنه ، ولا أم تبحث عن طفلها ، ولا مرضعة تحمل وليدها.

استمر الرعب بشكل متواصل لساعات طويلة حتى خارت القوى ، وفقد الناس عقولهم ، وصار الكل يهذى كما لو كان قد شرب حتى الثمالة. وفجأة دوى صوت بوق رهيب ، أعلى من كل الانفجارات الموجودة ، فسقط الجميع مغشيا عليهم ، وظلوا فى غيبوبة إلى أن أفاقوا على صوت بوق ثان ، ليجدوا أنفسهم على أرض غير الأرض ، وسماء غير السماء. ثم انشقت السماء ، وظهر سحاب كثيف ، ومن ورائه مخلوقات نورانية ضخمة غريبة ، عرفها المؤمنون على الفور ، وأيقنوا أنها الملائكة. اقتربت الملائكة شيئا فشيئا فى أعداد غفيرة ، وأحس الجميع بأن حدثا جللا يوشك أن يقع. يا له من مشهد! إنه إلله ، قادم على عرش تحمله ملائكة ثمانية. وأشرقت الأرض بنور ربها ، ووضع الكتاب ، وجىء بالنبيين والشهداء ، وبدأت أكبر محاكمة فى التاريخ. يا الله. يا الله. يا الله. إنها البداية الحقيقية ، ولم تكن الحياة الدنيا إلا مقدمة هزيلة لكتاب من آلاف المجلدات. لقد انكشفت الدنيا على حقيقتها بعد أن غرَّت الجميع إلا قلة من عباد الله المخلصين.

اللهم نجنا من هذا اليوم الرهيب. اللهم اعف عنا ، واغفر لنا ، وارحمنا ، واجعلنا من عبادك الذين تتلقاهم الملائكة قائلة: (هذا يومكم الذى كنتم توعدون).

لماذا ينتهى الكون بكارثة؟

كان من الممكن أن تنتهى الحياة على الأرض بنفخة فى الصور ، يموت معها كل البشر فى لحظة واحدة ، ثم يستيقظون ، ليجدوا أنفسهم أمام الله ، وفى انتظارهم الحساب النهائى. لكن المشهد الختامى للدنيا سيكون مروعا: سينهار نظام الكون فجأة ، ويلحق الدمار بكل شىء ، فتهتز الأرض ، وتنشق السماء ، وتتساقط النجوم ، وتتناثر الكواكب ، وتظلم الشمس ، وتُنسف الجبال، وتشتعل البحار. فلماذا اختار الله تعالى هذه النهاية المفجعة؟

لما دخل الرسول عليه الصلاة والسلام مكة فاتحا انطلق إلى الكعبة ، ودمر كل ما حولها من أصنام. **وبالمثل سيدمر الله تعالى يوم القيامة أكبر صنم عرفته البشرية ، ألا وهو الدنيا**. لقد وصف القرآن هوى الدنيا وشهواتها بالإله الذى يستسلم له البعض استسلاما أعمى: {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا} [الفرقان: 43]. **الدنيا هى الصنم الذى عبده البشر قاطبة**. وحتى من أعلنوا كفرهم بهذا الصنم اضطروا للسجود إليه مرة أو أكثر. من منا لم يسجد يوما للمال؟ من منا لم يسجد لأحلامه؟ من منا لم يسجد لأبنائه؟ من منا لم يسجد لزوجه؟ من منا لم يسجد للشهرة؟ من منا لم يسجد للدولة؟ كلنا وثنيون ، ولكن بدرجات متفاوتة ، ولهذا كان من الضرورى أن يحطم الله عز وجل هذا الصنم ، ويحوله إلى أشلاء بين غمضة عين وانتباهها، وهذا يذكرنا بما فعله نبى الله موسى عليه السلام حين حرق العجل الذى عبده بنو إسرائيل ، وبدد ما بقى منه من تراب فى البحر أمام أعينهم حتى يقتنعوا تماما أن العجل لا يمكن أن يكون إلها: {وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا } [طه: 97].

ثم **إن مشاهدة الخسارة بالعين أقسى على النفس من مجرد السماع بها** ؛ فكل يوم نقرأ عن نبأ انقلاب سيارة أو انهيار مبنى أو غرق سفينة ، لكننا لا نعير هذه الأخبار اهتماما كبيرا ، أما من شاهد السيارة بعينيه ، وهى تطيح بأحد المارة ، وتهشم رأسه فسيبقى المشهد ماثلا فى مخيلته إلى الأبد. وإذا أرادت الدولة أن تجعل أحد المجرمين عبرة فإنها تعدمه فى ميدان عام ، وليس فى غرفة مغلقة. وبالمثل لو مات الناس فى بداية يوم القيامة ثم أحياهم الله ، وأخبرهم أن الدنيا قد

دمرت ، فلن يتأثروا بذلك الخبر مقارنة بما لو رأوا المشهد بأعينهم ، فتمتلىء قلوب الكفار والمجرمين ذعرا وفزعا.

وفضلا عن ذلك **فخراب الدنيا يمزق القلوب**. ومن الممكن لثرى أن ينتحر إن خسر جزءا من ثروته ، فما بالك إذا رأى كل شىء يضيع يوم القيامة: الأموال والقصور والسيارات والأولاد والزوجة والأبوين والإخوة والأصدقاء والمشروعات؟ لقد رأينا رجالا يبكون كالأطفال لأن بيوتهم هدمت ، وسمعنا عن أم ماتت حزنا على ابنها ، وطالب ألقى بنفسه فى النيل لأنه أخفق فى الامتحان ، فما بالك بمن ضاع منه فجأة كل غال أمام عينيه؟

لقد كان من الضرورى أن يشعر الناس بأن ثقتهم فى الدنيا أكبر خطأ ارتكبوه فى حياتهم. كان لا بد أن يفيقوا من سكرتهم ، بعد أن ضاع كل شىء ، ولم يبق إلا وجه الله: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن: 26، 27]. لقد ذهب كل ما تعلقت به القلوب ، ولم تعد هناك قيمة للشهرة ، ولا العلم ، ولا المنصب ، ولا السلطة ، ولا الشركات ، ولا العقارات ، ولا الأسهم ، ولا السندات. كل هذا تبخر ، ولم يبق إلا العمل الصالح ، فالتقوى هى العملة الوحيدة القابلة للتدوال فى اليوم الآخر.

إن إقامة نظام جديد يجب أن يتم على أنقاض النظام القديم ، ولهذا كان دمار الدنيا شرطا لقيام الحياة الحقيقية الدائمة فى الآخرة. وصدق المولى عز وجل حين قال: {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت: 64].

وإضافة إلى ذلك كان لا بد من تدمير الكون حتى يعرف الجميع أنه لا إله إلا الله ، فلو كان للدنيا خالق غير الله لما توانى عن التدخل لمنع الله من تخريب كون لا يملكه. وبما أن أحدا لم يقف فى وجه الله فى هذا اليوم ، فهذا دليل عملى على غياب كل ند لله الواحد القهار: {لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} [غافر: 16].

كما أن دمارا هائلا يطيح بالشمس والنجوم والجبال وكل ما فى الكون يعد دليلا دامغا على القدرة المطلقة لله. إن من الصعب فى كثير من الأحيان على دول ذات إمكانات هائلة أن تطفىء حراق الغابات ، فمن ذا الذى يقدر على إطفاء نار الشمس المستعرة غير إله جبار؟ إن

يوم القيامة يمثل **مظاهرة كونية لاستعراض القوة الإلهية** بعد أن ظل الله تعالى حليما إزاء كل ما يصدر عن البشر من كفر وشرك وتشبيه وسخرية وظلم. ولا نبالغ إذا قلنا أن أكبر ظلم اقترفته البشرية كان بحق الله. وطبعا الله تعالى لا يضيره ظلم الناس، لكنه عز وجل يكره الظلم ، ويحرص على هزيمة الظالم حتى لو لم يصبه ضره. إن يوم القيامة هو الرد الطبيعى على كفر الكافرين عبر التاريخ. إن الملحدين مافتئوا يتساءلون: "أين الله؟ لماذا لا يرينا نفسه؟ لماذا لا يظهر لنا قوته؟ لماذا لا ينتقم منا؟ لماذا يترك المؤمنين به؟" فماذا تتوقعون من الله؟ إن يوم القيامة هو الرد العملى على هذه الوقاحة.

وقد أبدع القرآن فى التعبير عن انفراد الله عز وجل بالقوة المطلقة فى يوم القيامة حين قال: **{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}** [الزمر: 67].

يا لها من آية رهيبة تعبر ببلاغة منقطعة النظير عن **أقوى صفعة يمكن أن يتلقاها أولئك الذين استهانوا فى الدنيا بقوة الله** ، وهم لا يعلمون أن الله يعد لهم عدا.

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

هل اقتربت النهاية؟

أكد القرآن فى أكثر من آية أن الساعة قد اقتربت ، كما فى قوله تعالى: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ} [الأنبياء: 1] ، وقوله: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} [القمر: 1]. ويطلق القرآن لقب (الآزفة) على يوم القيامة ، وهو لقب يدل على أن موعدها قد اقترب ، فالكلمة مأخوذه من فعل (أَزِفَ) بمعنى (قَرُبَ) ، قال تعالى: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ} [غافر: 18] ، وقال: {أَزِفَتِ الْآزِفَةُ} [النجم: 57]. وكلام القرآن عن اقتراب القيامة يعنى أن أى نظرية علمية عن نهاية الكون لا تهم المسلم ، فالقيامة ستحدث قبل كل التكهنات العلمية.

وإن سأل سائل: كيف يقول الله أن الساعة قد اقتربت ، وقد مر على البشرية 1400 سنة بعد نزول القرآن دون أن تقوم القيامة؟ هل 1400 عام فترة قصيرة؟

ونحن نجيب: نعم 1400 عام فترة قصيرة بالنسبة لعمر الكون ، وبالنسبة لعمر الإنسان على الأرض. إن الكون نشأ منذ حوالى 13.8 بليون عام ، وإن قامت القيامة بعد نزول القرآن بألفين أو ثلاثة آلاف عام مثلا فستظل الفترة التى تفصل بين نزول القرآن وقيام الساعة أقل كثيرا جدا من الفترة التى تفصل بين نشأة الكون ونزول القرآن ، أى أن **القرآن أقرب بكثير للساعة منه للحظة نشوء الكون ، وهذا قرب نسبى ، لا قرب مطلق.**

إن السجين الذى قضى فى محبسه 24 عاما ونصف يشعر بانشراح القلب لأنه لم يبق على خروجه إلا ستة أشهر فقط رغم أن ستة أشهر تبدو كقرن من الزمان بالنسبة لمريض يعانى من آلام السرطان. وإذا سافرت يوما فى رحلة من القاهرة حتى أسوان فسيكون عليك أن تقطع مسافة قدرها 1200 كيلومتر ، فإن أخبرك السائق أنه قد بقى على الوصول 80 كيلومتر فستفرح لأنك شارفت على الوصول ، مع أن المسافة المتبقية هى نفس المسافة التى يقطعها شخص يسافر من المنوفية للقاهرة ، ويشعر أنها طويلة جدا. **إذن قرب الساعة الذى يتحدث عنه القرآن هو قرب نسبى مقارنة بعمر الكون.**

وحتى إن أخذت فى الاعتبار عمر الإنسان على الأرض فستجد أن الساعة قد اقتربت. إن عمر الإنسان على ما يبدو يرجع إلى 3.3 مليون عام ، وهو عمر أقدم أدوات مصنوعة من الحجر تم اكتشافها حتى الآن (مطرقة وسندان وأدوات قاطعة بدائية) بالقرب من بحيرة توركانا فى كينيا[1]. ووجود هذه الآلات يعنى أنها من صنع كائنات تتمتع بالذكاء ، وبالتالى كانت جديرة بتلقى الوحى والتكاليف من الله[2]. وما يهمنا هو أن الساعة إن قامت بعد ألفين أو ثلاثة آلاف عام من نزول القرآن فستظل هذه فترة قصيرة جدا مقارنة بعمر الإنسان الذى ظهر قبل 3 بليون عام ، وسيصدق كلام القرآن عن اقتراب القيامة.

****

وأكلمكم الآن عن انطباعى الشخصى حول واحدة من أروع آيات القرآن: آية تملكت عقلى ، وسيطرت على مشاعرى منذ عشرات السنين ، حتى أصبحت بالنسبة لى كالعدسة التى لا أنظر إلا من خلالها إلى العصر الحديث بكل ما حقق من إنجازات ومعجزات. يقول المولى عز وجل:

{إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [يونس: 24]

(فاختلط به نبات الأرض): فاختلط الزرع بالمطر ، أى شرب الزرع من المطر. (مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ): مِنَ الْحُبُوبِ وَالثِّمَارِ وَالْبُقُولِ. (وَالْأَنْعامُ): ما تأكله الإبل والبقر والغنم مِنَ الْكَلَإِ وَالتِّبْنِ وَالشَّعِيرِ. (زُخْرُفَها): حُسْنَهَا وَزِينَتَهَا. وَالزُّخْرُفُ كَمَالُ حُسْنِ الشَّيْءِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلذَّهَبِ: زُخْرُفٌ. (ازَّيَّنَتْ): تزينت ، أى أن الأرض تشبه العروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون، فاكتستها وتزينت بغيرها من ألوان الزينة. (قادِرُونَ عَلَيْها): قادرون على حصاد ثمارها والانتفاع بغَلتها. (أَتاها أَمْرُنا): ضرب الله زرعها ببعض الكوارث أو العاهات. (حَصِيداً): الْحَصِيدُ أو المحصود هو الزرع المقطوع. وحَصَد الزرع كالقمح والشعير يعنى قطعه من منابته بالمِنْجَل. ووصف الأرض بالحصيد من قبيل المجال المرسل لأن الأرض هى محل

---

[1]) **Homo sapiens.** By Ian Tattersall. Encyclopædia Britannica. Published: November 12, 2020. https://www.britannica.com/topic/Homo-sapiens; Access date: January 09, 2021.

[2]) لا يعرف العلماء بالضبط ما المخلوق الذى صنع تلك الآلات ، لكنهم يقولون أنها ربما كانت من نوع لم يكتشف بعد من جنس البشر Homo أو من جنس الأوسترالوبيثيكس Australopithecus. وجنس أوسترالوبيثيكس يشبه الإنسان الحديث فى أنه منتصب القامة ، ويمشى على قدمين ، كما أن أسنان القواطع لديه أصغر من تلك التى تمتلكها القرود ، لكن الأوسترالوبيثيكس يشبه القرود فى أن حجم الجمجمة لديه صغير وأسنانه الجانبية أكبر.

الحصاد. (كَأَنْ لَمْ تَغْنَ): لَمْ تَعْمُرْ، أَيْ لَمْ تَعْمُرْ بِالزَّرْعِ. يُقَالُ: غَنِيَ الْمَكَانُ إِذَا عَمَرَ. وَمِنْهُ الْمَغْنَى لِلْمَكَانِ الْمَأْهُولِ. وَضِدَّ أَغْنَى أَقْفَرَ.[3]

إننا نرى أن هذه الآية لم تأخذ حقها بعد. وسنقدم لها الآن ، لا نقول تفسيرا جديدا ، بل التفسير الحقيقى الوحيد.

الآية يا إخوانى تتكلم عن نهاية العالم المفاجئة يوم القيامة. إن أمر الدنيا يشبه مطرا نزل من السماء ، فشرب منه النبات ، فنما وازدهر ، حتى إذا وصل إلى قمة تألقه وذروة حسنه ، وصار كالعروس التى تزينت ، وظن أصحاب الأرض أنهم قادرون على قطف ثمارها ، أتى أمر الله ، فدمر الأرض وأحرقها. وأمْرُ الله قد يكون صاعقة من السماء ، أو آفة تسبب الهلاك المفاجىء للزرع. والدنيا مثل هذه الأرض: سيأتيها أمر الله ، فيدمرها فجأة وهى فى قمة رونقها وقوتها وعلى غير توقع من أهلها.

والآن وجه بصرك إلى قوله تعالى: (حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا). ضع هذا القول تحت المجهر ، وسلط عليه الضوء ، وحاول أن تطبقه على الحياة الدنيا لأن مشهد نزول المطر وازدهار الزرع ليس مقصودا فى ذاته ، بل جاء فقط لكونه يشبه الدنيا. معنى هذا أن الحياة الدنيا ستزدهر ، وتتجمل وتتزين ، وسيظن أهلها أنهم قادرون عليها. وحين تصل الأرض إلى القمة ستقوم القيامة.

إن هذه الآية تمثل نبوءة مدهشة جاء بها القرآن منذ 1400 سنة. تقول الآية أن يوم القيامة لن يقوم إلا بعد أن تصل البشرية إلى درجة عظيمة من الازدهار والجمال. ولكن وقت نزول القرآن لم تكن الدنيا جميلة بهذا الشكل ، فقد كانت الحياة بسيطة وبدائية وبائسة فى أغلب أنحاء العالم. وحتى فى البلاد الغنية مثل مصر وفارس والشام لم تكن الزينة ظاهرة عامة ، بل كانت مقصورة على الملوك والأمراء والكبراء.

أما الآن فإن ذهبت إلى أى مدينة كبرى فى العالم فستجد أن السير فى شوارعها متعة: إن الطرق نظيفة وممهدة ، والسيارات الفارهة تزيدها جمالا على جمال. وانظر إلى المتاجر ستجد واجهاتها

---

[3]) انظر **تفسير الزمخشرى ، وتفسير القرطبى ، وتفسير التحرير والتنوير ، ومعجم لسان العرب.**

مبهرة ، وبضائعها معروضة بأشكال أخاذة ، وستشاهد فى الغالب صور فتيات فاتنات وتماثيل عارية بهدف لفت انتباه المارة. وأسماء المحال والشركات تكتب بطرق جذابة وخطوط جميلة ، تأسر الأبصار. والحدائق العامة موجودة فى كثير من الأحياء. وأشجار الزينة تجمل الطرق على الجانبين. وانظر كذلك إلى البيوت والقصور والأبراج السكنية ، وأشكالها المعمارية من الخارج. وإن شاهدتها من الداخل لوجدت جدرانها مطلية بألوان جذابة ، وستجد الأثاث الفخم والسيراميك والرخام والسجاد. أما الحمام الذى كان فى الماضى أقذر مكان فى البيت فأصبح اليوم أجمل مكان فيه.

وإن تجولت ليلا فى شوارع إحدى المدن – بل فى شوارع أى قرية صغيرة– لشاهدت الأنوار المبهرة. إن النور لم يعد مجرد وسيلة لإعانة الناس على الرؤية ليلا ، بل أصبح شكلا لا غنى عنه من أشكال الزينة التى يتفنن فى إبداعها الغنى والفقير. انظر كذلك إلى المارة الذين يتجولون فى الشوارع: إن الملابس التى يرتدونها تضفى جمالا عظيما على المشهد العام. وكثير من الناس يقفون فى الطرقات لا لشىء إلا لمشاهدة ما يرتديه الآخرون. أما عن ملابس النساء ، فحدث ولا حرج ، فالعالم كله يتنافس على ابتكار الطرز الأنيقة التى تزيد المرأة حسنا وفتنة ، وكل يوم تظهر تصميمات مبتكرة ، حتى أن إحدى النساء لاحظت أن من النادر اليوم رؤية امرأتين ترتديان ثوبا متشابها. وانظر إلى المرأة نفسها بصرف النظر عن ملابسها: إن مستحضرات التجميل بلغت من التقدم حدا جعل أغلب النساء جميلات حتى من ولدن فى الأصل قبيحات ، كما جاءت جراحات التجميل لتزيد النساء جمالا ، وتجعل العجوز ذات الستين عاما تبدو كما لو كانت فى الثلاثين. وحتى الرجال أصبحوا هدفا لجراحات التجميل ، وعمليات زراعة الشعر. وفوق ذلك هناك وسائل الزينة الأخرى كالعطور ومزيلات العرق والصابون والشامبو والكريمات والزيوت. كما تدَخل الجراحون لتصغير حجم المعدة ، فقضوا على مشكلة البدانة ، وجعلوا النساء والرجال أكثر رشاقة. وأشهر الأطباء حاليا هم أطباء الأمراض الجلدية وجراحو التجميل. ومراكز التخسيس تكاد تنفجر من كثرة المترددين عليها.

إننى **لا أبالغ إذا قلت أن حضارتنا الحديثة هى حضارة الجمال** ، وعصرنا هو عصر الزينة والألوان. وأكثر من يدرك هذا رجل مثلى عاش فى عصرين ؛ فمنذ أربعين عاما كانت قريتنا

مظلمة ، فقد كانت أكثر بيوتها تخلو من التيار الكهربى. وكانت الكهرباء تنقطع أغلب ساعات اليوم ، وحين تأتى الكهرباء تكون ضعيفة وإضاءتها خافتة ، فكان علينا أن نذاكر تحت ضوء مصباح ضعيف بوقود من الجاز (الكيروسين). وكان كل الناس ينامون عقب صلاة العشاء مباشرة. وكان بالقرية كلها ثلاثة متاجر صغيرة فقط. وكان الطريق الزراعى غير ممهد. وكل البيوت كانت مصنوعة من الطوب اللبن (الطينى) باستثناء خمسة بيوت كانت مبنية بالطوب الأحمر. وكان واحد فقط من البيوت حوائطه مدهونة بالزيت ، أما بقية المنازل فكانت حوائطها مدهونة بالطين وأسقفها مصنوعة من الخشب والبوص. وقليل من البيوت كان يطلى بالجير (الذى يتساقط من على الحوائط بعد أشهر قليلة) ، وذلك فقط فى حالة زواج أحد الأبناء أو عودة شخص من أداء فريضة الحج. وكانت ملابس النساء ذات نمط واحد ، لا يتغير أبدا من سنة لأخرى. ولم تكن النساء تعرف من أدوات التجميل إلا الكحل والحناء اللذين يستخدمان فى المناسبات والأفراح فقط. ولم يكن أحد يعرف الشامبوهات ، بل إن النساء كن يصففن شعرهن بالجاز !

ومن الظواهر التى لاحظتها أيضا **الازدهار الكبير للألوان.** فى الماضى لم تكن الألوان بهذا التنوع الهائل. ويمكنك أن تقارن مثلا الكتب القديمة بالكتب الحديثة ، فالكتب القديمة كان تكتب بخطوط غير جميلة. وكانت أوراقها رديئة ، وأغلفتها خالية من الألوان والزخرفة والرسوم. وحين يقع بصرك الآن على كتاب قديم تشعر بالكآبة إذا ما قارنته بالإخراج الفنى البديع لكتب اليوم. وأتذكر أن الصور فى التفاز قديما كانت باللون الأبيض والأسود ، فلما ظهر التلفاز الملون كان بالنسبة لنا طفرة كبيرة. وكانت الصحف والمجلات كلها بالأبيض والأسود ، وفى أحد الأيام ظهرت صورة واحدة بالألوان على الصفحة الأولى لجريدة الأهرام المصرية ، فكان شكلها جذابا للغاية ، وكان هذا سبقا صحفيا ، جعلنى أزداد حرصا على شراء الأهرام بانتظام بعد أن أصبحت أجمل من كل الصحف. ولما جلست لأول مرة أمام شبكة الإنترنت منذ عشرين عاما تقريبا كى أتصفح بعض المواقع الدينية أصابنى الذهول بسبب الألوان الجذابة التى لم يتعود عليها أحد من جيلى ، لدرجة أننى لما عدت للبيت ، ونمت بعد الظهيرة استيقظت ، وشكل الألوان لا يفارق خيالى.

أعرف أن البعض قد لا يشعر بأهمية كلامى ، وذلك لأن الجيل الجديد اعتاد على الجمال والزينة، لكن لو عاد أجدادنا إلى الحياة ورأوا حلاوة الدنيا لظنوا أنهم فى عالم ألف ليلة وليلة.

إن كل ما سبق يمثل تحققا مذهلا لنبوءة الآية السابقة التى أخبرتنا أن الدنيا ستصل قبل يوم القيامة إلى القمة فى الجمال والزخرف. لكن هذا يجعلنا نفهم فى نفس الوقت أن يوم القيامة قد اقترب.

لكن إذا كان القرآن قد أخبرنا أن القيامة ستقوم فى اللحظة التى يشعر فيها أهل الأرض بأنهم قادرون عليها ، فهل تحقق ذلك الآن؟ هل صرنا قادرين حقا على الدنيا؟

الإجابة هى: إلى حد كبير.

لقد أصبح الإنسان المعاصر يتحكم فى حرارة الجو والماء والطعام من خلال التكييف والمدفأة والسخان والثلاجة. أصبحنا نتغلب على ضيق الأرض من خلال بناء العمارات الشاهقة. أصبحنا نتحكم فى الزمن من خلال السيارات والطائرات التى طوت المسافات الشاسعة بين البلدان. أصبحنا قادرين على مشاهدة أصدقائنا الموجودين فى بلاد بعيدة من خلال شبكة الإنترنت. كما تغلبنا على الظلام بالكهرباء ، وتغلبنا على الجفاف بتحلية ماء البحر ، بل أصبح من الممكن تحلية مياه الصرف الصحى. أصبحنا نأكل فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف بمساعدة الصوب الزراعية والثلاجات ، وقد كانت هذه فى الماضى معجزة تنسب لمريم العذراء. كما تغلبنا على الفيضانات بالسدود ، وسخرنا السدود لتوليد الكهرباء. وأصبحنا نتغلب على الأمطار الغزيرة التى كانت تغرق الشوارع من خلال البالوعات. وبنينا أبراجا سكنية قادرة على الصمود فى وجه الزلازل. أصبحنا قادرين على الهروب من أسر جاذبية الأرض ، والوصول إلى القمر والمريخ. أصبحنا قادرين على الغوص فى أعماق المحيطات من خلال الغواصات. أصبحنا قادرين على الرؤية بميكروسكوبات وتلسكوبات تفوق قدرتها قوة إبصار العين بآلاف المرات.

أما عن إنجازات الطب فهناك الأساطير. لقد انتصر الأطباء فى معارك حاسمة ضد آلاف الأمراض الخطيرة كالنزلات المعوية والالتهابات الرئوية والطاعون والكوليرا والجدرى والدرن

والإيدز وبعض أنواع السرطان. أصبحنا نعالج التشوهات الخلقية ، وقصر القامة ، ونمنع بعض أنواع التخلف العقلى. أصبحنا نعالج الالتهاب السحائى وأمراض الشريان التاجى وجلطات المخ. أصبحنا نعالج العقم والضعف الجنسى. أصبحنا نحول الذكر لأنثى والأنثى لذكر. أصبحنا قادرين على اكتشاف أمراض الجنين ، وهو فى بطن أمه ، بل أصبحنا نعالجه قبل أن يولد من خلال العقاقير والجراحات. وقد أدت ثورات الطب إلى انخفاض مذهل فى معدلات الوفاة.

يا له من تقدم مدهش! لكن لا يزال أمامنا الكثير ، فالزلازل والبراكين والأعاصير والفيضانات تلحق بالناس خسائر فادحة. لا زلنا عاجزين عن مواجهة كثير من الآفات التى تضرب الزروع. لا زلنا عاجزين عن علاج كثير من الأمراض التى تفتك بملايين البشر كل عام. ما زلنا عاجزين عن قتل كثير من أنواع البكتريا الضارة ، ومنعها من مقاومة المضادات الحيوية. لا زلنا عاجزين عن رد المخ إلى حالته الطبيعية بعد إصابته بنزيف أو ورم. لا زلنا عاجزين عن امتلاك علاج مرضى لأغلب أمراض التمثيل الغذائى والروماتيزم والمتلازمات الوراثية.

ورغم جثامة المهام التى تنتظر الإنسان إلا أن التقنيات الحديثة طوت الزمن ، وأتوقع أن تتضاعف قدرة الإنسان على التحكم فى الطبيعة بشكل خرافى فى سنوات قليلة لأن التقنيات تزداد تقدما بشكل لا يصدق. وفى تقديرى الشخصى أننا سنصل إلى مرحلة القدرة على الأرض كما يتكلم عنها القرآن فى خلال 200 إلى 400 سنة ، وربما أقل ، والله تعالى أعلم.

ربما نصبح قادرين على تخليص النساء من متاعب الحمل والولادة من خلال وضع البويضة المخصبة فى بيئة صناعية تغذى الجنين إلى أن يكتمل نموه. ربما يخترع العلماء أدوية لمضاعفة قوة ذاكرة الإنسان وذكائه بمقدار عشرات المرات. ربما يخترعون مواد كيميائية تجعل عظام الإنسان المكسورة تلتئم فى الحال ، ومواد أخرى تعمل على إيقاف النزيف والتئام الجروح فورا ، فتشاهد مثلا سيارة تنقلب بموظفى إحدى الشركات، فتحملهم سيارة الإسعاف للطبيب ، فيجرى لهم عمليات بسيطة لا تستغرق بضع دقائق ، ليخرجوا بعدها من عنده بسرعة كى يلحقوا مواعيد بدء العمل. وربما يخترعون أدوية لعلاج الأمراض النفسية بطرق أكثر فعالية وبدون آثار جانبية ، فتتخلص البشرية من التوتر والأرق والاكتئاب والقلق. ربما يمتلك كل إنسان طائرة شخصية صغيرة ، ينتقل بها من حى إلى حى ، ومن بلد إلى بلد ، فينتهى إلى الأبد زحام

المرور فى الشوارع. وربما يخترعون إنسانا آليا (روبوت) قادرا على القتال بكفاءة فى المعارك على الأرض ، فتستغنى الجيوش تماما عن الجنود. وربما يتطور عمل الإنسان الآلى ، فيقوم بكل مهام ربة البيت ، فتجده مثلا يمتلك برنامجا يمَكنه من صنع كل الأكلات من كل بلاد العالم دون معونة من أحد. وتجد الروبوت يتولى مهمة تنظيف الأطفال ، وإطعامهم ، ولعب الكرة معهم ، وحكاية القصص لهم ، فتعود المرأة من عملها ، فلا يكون أمامها إلا الراحة. وربما أمكن للعلماء اكتشاف الجينات المسئولة عن الشيخوخة ، وتعديل طريقة عملها بحيث يمتد عمر الإنسان إلى 400 أو 500 سنة ، فتجد الراقصة ذات المائتى عام تُسأل فى أحد البرامج عن سبب تأخرها فى الزواج ، فتقول: "أنا لا زلت فى عز شبابى ، ولم أجد بعد رجلا أقتنع به كزوج!"

ولكن هل سيصل الإنسان إلى مرحلة التحكم الكامل فى الطبيعة؟

الإجابة القاطعة هى: لا. وكلمة (ظن) فى قوله تعالى: (وظن أهلها أنهم قادرون عليها) يفيد أن الناس لن يقدروا على الأرض ، ولكنهم سيتوهمون ذلك. إن الإنسان لو تحكم فى الطبيعة تماما فسيكون إلها ، وهذا لن يحدث أبدا. الإنسان مثلا لن يتمكن من أن يطفىء الشمس لبعض الوقت بجهاز تحكم عن بعد (ريموت كونترول) ، ولن يتمكن من جعل الأرض تدور حول نفسها بسرعة أبطأ من المعتاد (1000 ميل فى الساعة) بحيث يصبح اليوم أطول من 24 ساعة أو يجعلها تدور فى الاتجاه المعاكس بحيث تشرق الشمس من مغربها[4]. ولن يتمكن الإنسان من زيادة قوة الجاذبية على سطح القمر حتى يتمكن من العيش بثبات على سطحه. ولن يتمكن من إيقاف تمدد الكون وتباعد المجرات. ولن يتمكن من التغلب على الموت. ربما ينجح البشر فى تأجيل الشيخوخة وما يصاحبها من أمراض كالسرطان والجلطات والشريان التاجى ، لكن كيف يمنعون الموت عن إنسان ألقيت عليه قنبلة ، أو انهار فوقه برج سكنى ، أو استنشق غازا ساما وهو وحده داخل البيت ، أو قرر بإرادته التخلص من حياته فى مكان منعزل حتى لا ينقذه أحد؟

[4]) سرعة دوران الأرض حول محورها عند خطأ الاستواء تبلغ 460 متر/ الثانية. وسرعة دوران الأرض حول الشمس تبلغ 30 كيلو متر فى الثانية. وسرعة دوران النظام الشمسى حول مركز مجرة الطريق اللبنى تبلغ 220 كيلو متر فى الثانية. انظر:
How fast is the earth moving? By Rhett Herman. Scientific American. October 26, 1998. https://www.scientificamerican.com/article/how-fast-is-the-earth-mov/; accessed January 13, 2021.

ورغم ذلك سيكون التقدم الذى يحققه الإنسان مذهلا بما يجعله يشعر أنه قادر على التحكم فى الطبيعة فعلا أو أنه يمتلك الأدوات والتقنيات التى ستجعله قادرا على كل شىء إن لم يكن اليوم فغدا ، وإن لم يكن غدا فبعد غد ، وأن المسألة مسألة وقت ليس إلا ، وطالما أن التكنولوجيا تقفز بثقة وثبات ، فكل الأهداف ممكنة ، وكل الأحلام مشروعة ، وما الدنيا فى نظره إلا كزرع نما ونضج ، ولم يعد أمام الزارع إلا قطف الثمار وجنى الأرباح.

سيتصور الإنسان أن الجنة التى كان الدين يعده بها فى السماء قد صنعها بسواعده على الأرض دون حاجة للصلاة والصيام والدعاء. سيظن أن إله السماء قد تقزم ، ولم يعد له فائدة، بل أصبح يمثل عبئا فكريا على عقله الذى نضج بما فيه الكفاية. سيقف الإنسان رافعا رأسه ، ليعلن أنه قد حان الوقت لإزاحة الإله من على عرشه ، وإعلان نبأ وفاته ، وتحويل كل إنسان إلى إله ، فكل واحد قادر على جلب السعادة لنفسه ، ودرء الشقاء عنها ، فأى حاجة بعد ذلك للإله؟ وأى داع للأمل فى جنة السماء؟ هكذا سيتساءل الإنسان فى غرور تتواضع أمامه الجبال. وسيكون الشغل الشاغل للعلماء هو التغلب على العقبة الوحيدة المتبقية ألا وهى الموت ، فلو تحقق الخلود للإنسان فى الدنيا بفعل أحد العقاقير فستكتب النهاية لفكرة الآخرة ، وتنتقل جنة السماء إلى مقرها الجديد على كوكب الأرض، ويتبدد إلى الأبد شبح جهنم الذى كان رجال الدين يهددون به المثقفين ، وستنطلق جنازة حاشدة لتشييع أكبر ميت شهده التاريخ ، ألا وهو الدين. وستكون جنازة غريبة ، فمن يحملون الميت هم أعداؤه لا أصدقاؤه ، بينما يتبعهم فى الخلف القلة المتبقية من المؤمنين الذين أخذوا يشقون الثياب ، ويلطمون الخدود. وربما تصدر بعض الدول قوانين صارمة ، تعتبر الإيمان بالله جريمة ، مثلها مثل العنصرية ، وسيحتدم الجدل ليس حول تجريم الإيمان فى ذاته ، ولكن حول نوع العقوبة المخصصة له ، وهل يكفى السجن أم لا بد من إعدام المؤمن!

فى تلك اللحظة الذى يصل فيها غرور البشر إلى هذه الذروة غير المسبوقة سيصدر القرار الإلهى بتدمير الكون ، فيفيق الإنسان من الأحلام ، ويبرأ من الأوهام ، ويصرخ ، ويجئر ، ويعلن التوبة ، ويشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ولكن هيهات ، فها هى الملائكة تجوب الأرض ، لتقبض على المجرمين ، وتأخذهم عنوة إلى مقر الحساب ، فيقف الجميع فى

ساحة القضاء كصف واحد أمام الإله الواحد الذى يجلس على عرشه وحوله ملائكته فى مشهد مهيب يسوده الصمت ، وكل فرد ينتظر فى جزع قرارا مصيريا يحدد له مستقبله الحقيقى وحياته الأبدية ، و"خشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا" ، ولا يجرؤ أحد على الكلام إلا "من أذن له الرحمن ورضى له قولا".

****

كان هذا هو معنى الآية الذى لا معنى غيره. وعلينا أن نلاحظ أن هذه الآية تختلف عن آية أخرى شبهت الدنيا بالزرع الذى ينمو وينضج ثم يذبل:

{وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا} [الكهف: 45].

هذه الآية الأخيرة تتكلم عن صعود الدنيا وهبوطها السريع بالنسبة لكل إنسان على حدة ، فكل واحد من الناس يبدأ طفلا ، ثم شابا قويا ، ثم تتسلل إليه الشيخوخة ، فيدب الضعف فى جسده وعقله ، ثم يموت ، وهذا يشبه دورة حياة النبات الطبيعية المعروفة. والإنسان إذا استرجع شريط حياته وهو فى سن السبعين لوجد أنه قد مر بسرعة ، وكأنه نبات كالذرة أو القمح الذى ينمو ، وينضج ، ويجف بسرعة فى أشهر معدودة.

أما آية يونس 24 التى سلطنا عليها الضوء فى هذا الفصل فهى تختلف عن ذلك ، حيث أنها لا تتكلم عن النهاية الطبيعية التدريجية للإنسان بالشيخوخة ، بل تتكلم عن النهاية المفاجئة للكون كله يوم القيامة فى لحظة وصول البشرية لحالة جنون العظمة.

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

متى ينتهى الكون؟

لا أحد يعرف متى تقوم القيامة ، لكن العلم يؤكد أن النهاية قادمة.

فى كتاب "الأكوان المتوازية" قدم عالم الفيزياء الشهير "ميشيو كاكو" فصلا مثيرا بعنوان "نهاية كل شيء" ، وفيه تكلم عن المصير الذى ينتظر الكون فى المستقبل ، وذكر عدة كوارث تنتظر البشرية والحضارة ، نوجزها فيما يلى:

كيف تنتهى الحياة على الأرض؟

تناول ميشيو كاكو مستقبل كوكب الأرض ، فذكر أنه فى خلال عشرة آلاف سنة أو أكثر من الآن **ستدخل الكرة الأرضية فى عصر جليدى جديد** ، تغطى فيه الثلوج معظم أرجاء العالم. والسبب فى ذلك هو أن الاختلافات الطفيفة فى دوران الأرض حول محورها ستتراكم بالتدريج ، لتؤدى فى النهاية إلى إزاحة الجليد نحو خطوط عرض أقل ، فتتغطى الأرض بالجليد تماما مثلما حدث منذ عشرة آلاف سنة حين دُفنت أمريكا الشمالية تحت ميل من الجليد. وفى ظل هذه البرودة الشديدة قد تموت الحياة وتتوقف الحضارة ، وتصبح البشرية مشغولة بشيء واحد هو تحقيق الدفء[5].

وفى خلال عدة آلاف أو ملايين من السنين **ستتعرض الأرض لضربات النيازك والمذنبات**. وقد حدث هذا فى الماضى حين اصطدم نيزك قطره عشرة أميال بالأرض ، فأحدث حفرة قطرها 180 ميلا ، وأثار سحابة من الغبار ، حجبت ضوء الشمس ، فتجمدت الأرض من البرودة ، وماتت أغلب النباتات والحيوانات ، وعلى رأسها الديناصورات فى خلال عام واحد. وبناء على المعدلات السابقة لسقوط النيازك يعتقد العلماء أنه يوجد احتمال قدره واحد إلى مائة ألف فى الخمسين سنة القادمة أن يصطدم كويكب بالأرض محدثا دمارا عالميا. وهذا الاحتمال ربما يتزايد إلى ما يقرب من 100% فى خلال عدة ملايين من السنوات القادمة. ويوجد فى الجزء الداخلى من المجموعة الشمسية بالقرب من الأرض حوالى 1000–1500 كويكب قطر كل منها

---

[5]) **Parallel worlds: a journey through creation, higher dimensions, and the future of the cosmos**. By Michio Kako. Page 294. 1st edition, 2005. Published by Doubleday: New York, London, Toronto, Sydney, Auckland.

كيلومتر أو أكثر. ويوجد مليون كويكب قطر كل منها 50 مترا. ومن رحمة الله تعالى أن 42 كويكبا فقط هى التى لها احتمال للاصطدام بكوكب الأرض. وأحد هذه الكويكبات اسمه 1950DA ، الذى يرى العلماء أن هناك احتمالا صغير لأن يضرب الأرض عام 2880م. وإن سقط هذا الكويكب فى المحيط فسينشأ عنه موجة مد عاتية يبلغ ارتفاعها 400 متر ، فتغرق المناطق الساحلية فى أغلب أنحاء العالم.[6]

وهناك خطر آخر ينتظر الإنسان على الأرض ، ألا وهو خطر الموت حرقا: إن الشمس تزداد حرارتها بالتدريج ، فهى الآن أكثر سخونة بمقدار 30% من حالتها وقت الطفولة (بعد نشأتها). وتظهر الدراسات أنه فى خلال 3.5 بليون سنة من الآن ستصبح الشمس أكثر بريقا بمقدار 40% مقارنة بحالها اليوم ، وهذا سيؤدى إلى ارتفاع شديد لدرجة الحرارة على الأرض. وستبدو الشمس ذات حجم أكبر وأكبر حتى تملأ الأفق كله ، وستتبخر مياه المحيطات والأنهار، وتصبح الحياة على الأرض مستحيلة[7].

كيف تموت الشمس؟

يعتقد العلماء أنه فى خلال خمسة بلايين سنة سيفقد لُب الشمس وقوده النووى المكون من الهيدروجين بعد تحوله بالكامل إلى الهيليوم ، فيتوقف الاندماج النووى ، ويتوقف بالتالى إنتاج الحرارة التى كانت من قبل تدفع النجم للتمدد للخارج ، فينكمش اللب تحت تأثير قوة الجاذبية ، ويصبح أكثر كثافة وسخونة ، وتؤدى هذه السخونة إلى حدوث الاندماج النووى بين ذرات الهيدروجين فى غلاف محيط بلب النجم ، فيترتب على ذلك تمدد الطبقات الخارجية للشمس ، فتتضخم الشمس بمقدار مائة مرة ، لتتحول إلى "عملاق أحمر أكثر برودة ، وينكمش لب الشمس، ليُكون فيما بعد ما يُعرف بالقزم الأبيض الذى يماثل حجمه حجم الأرض[8]. والطبقات الخارجية من العملاق الأحمر تُضخ فى الفضاء على شكل غلاف من الغاز والغبار ، يبتلع كوكب الأرض ويحرقه تماما ، بعد أن يكون قد التهم عطارد والزهرة ، وقد يصل إلى مدار كوكب

---

[6]) **Parallel worlds.** Page 294-295.

[7]) **Parallel worlds.** Page 295.

[8]) يحدث الاندماج النووى فى لب الشمس بعد نفاد الهيدروجين ، ولكن هذه المرة بين أنوية الهيليوم لإنتاج ذرات عناصر أثقل مثل الأكسجين والكربون ، ولكن هذا الاندماج النووى يحدث بشكل مؤقت ، ولا ينتج حرارة كبيرة. وبعد نفاد كل الهيليوم تسود قوة الجاذبية مرة أخرى ، فيتكون القزم الأبيض.

المريخ[9،10،11،12،13]. ولكن يقول العلماء أن البشرية لن تكون موجودة فى تلك اللحظة لأن الارتفاع الكبير لحرارة الشمس سيكون قد قضى تماما على الحياة على الأرض.

والشمس ستموت فى النهاية من البرد ، وذلك لأن القزم الأبيض – المتبقى بعد نفاد وقود الشمس– سيبرد بالتدريج فى النهاية ، ويتحول لونه إلى الأحمر الباهت ثم البنى ثم الأسود (القزم الأسود). والقزم الأسود تبلغ كتلته 55% فقط من كتلة الشمس ، وسيبتعد بالتالى مدار الأرض (الخالية من الحياة فى ذلك الوقت) عنه بمقدار 70% ، وستكون الأرض هى الأخرى متجمدة[14].

موت النجوم

فى المستقبل البعيد بعد 10^{39} إلى 10^{15} ثانية من عمر الكون ستفقد كل النجوم وقودها النووى المكون من غاز الهيدروجين ثم الهيليوم ، متحولة إلى أقزام بيضاء أو نجوم نيوترونية أو ثقوب سوداء ، وستخلو السماء من النجوم اللامعة ، ويغرق الكون فى ظلام دامس. وتنخفض درجة حرارة الكون ، ويتجمد أى كوكب لا يزال يدور حول نجمه الميت.

ولن يتبقى بعد موت النجوم إلا ما يعرف بالأقزام الحمراء الصغيرة tiny red dwarf stars التى ستظل تحرق وقودا لتريليونات السنين ، لكن إضاءة هذه الأقزام تكون خافتة وحرارتها قليلية، ولذلك فلكى يستفيد منها سكان أى كوكب فلا بد أن يكون مدار هذا الكوكب شديد القرب منها. وفى النهاية ستموت هذه الأقزام الحمراء الصغيرة بعد مائة تريليون سنة كما مات غيرها من النجوم[15].

---

[9]) **Parallel worlds**. Page 295-296.

[10]) يعرف هذا الغلاف الغازى بالسديم الكوكبى Planetary nebula (وهذه تسمية خاطئة) الذى يستمر لعشرات الآلاف من السنوات قبل أن يتبدد فى الفضاء. وسيقوم القزم الأبيض بإضاءة هذا الغلاف بلون أزرق مائل للخضرة.

[11]) **Satrs**. *NASA science*. https://science.nasa.gov/astrophysics/focus-areas/how-do-stars-form-and-evolve ; accessed September 16, 2020.

[12]) **Sun.** By Kenneth Lang. *Encyclopedia Brittanica*. https://www.britannica.com/place/Sun/Evolution**;** accessed September 16, 2020.

[13]) **When Will the Sun Die**? By JoAnna Wendel. *Space.com*. August 07, 2019. https://www.space.com/14732-sun-burns-star-death.html ; accessed September 16, 2020.

[14]) **Parallel worlds**. Pge 296-297

[15]) **Parallel worlds**. Page 297-298

والأقزام الحمراء هى أكثر أنواع النجوم شيوعا فى الكون. وهى نجوم صغيرة ، تتراوح كتلتها بين 0.08 إلى 0.6 فقط من حجم الشمس ، ويتم فيها الاندماج النووى بين أنوية الهيدروجين ، لكنه ينتج قدرا ضيئلا من الطاقة ، ولذا فهذه النجوم خافتة وباردة. ورغم صغر أحجامها إلا أن أعمارها أطول بكثير من النجوم الكبيرة ، فشمسنا يبلغ العمر الافتراضى لها 10 بليون عام ، بينما يبلغ العمر الافتراضى للأقزام الحمراء الكبيرة عشرات البلايين من السنين ، أما العمر الافتراضى للأقزام الحمراء الصغيرة فيصل إلى تريليونات السنين. ولا يمر القزم الأحمر بمرحلة العملاق الأحمر كما يحدث للنجوم الكبيرة ، وذلك لأن تيارات الحمل تؤدى باستمرار إلى تحرك الهيدروجين من الخارج إلى اللب فى الداخل ، فيستمر الاندماج النووى. وخلافا لذلك تتضخم النجوم الكبيرة مثل الشمس فى نهاية حياتها متحولة إلى عمالقة حمراء ، وذلك لأن تيارات الحمل لا تحدث فيها بشكل كامل ، ولذا فهى تحرق فقط حوالى 10% من الهيدوجين الموجود بها ، والذى يوجد فى اللب أو المركز. وحين ينفد هذا القدر من الهيدروجين تتضخم هذه النجوم بشكل هائل عندما يبدأ الاندماج النووى للهيدروجين فى القشرة المحيطة باللب. أما الأقزام الحمراء فهى أكثر كفاءة لأنها تحرق كل ما تحتوى عليه من الهيدروجين. وحين ينفد الهيدروجين ستصبح أصغر وأكثر سخونة ، وتصير أقزاما زرقاء ، وفى النهاية تلقى نفس مصير النجوم الكبيرة ، أى تتحول إلى أقزام بيضاء[16].

وهكذا سيسود الظلام فى الكون ، ولن يتبقى إلا مصابيح خافتة ، تموت فى النهاية هى الأخرى مهما طال عمرها. ولا يبقى إلا وجه الله.

موت الثقوب السوداء

عندما يصبح عمر الكون بين 10^{40} و 10^{100} ثانية لن يكون هناك مصدر للطاقة فى الكون بعد وفاة كل النجوم إلا التبخر البطىء للطاقة من الثقوب السوداء. وقد تبين للعلماء أن الثقوب السوداء ليست سوداء ، فهى تشع طاقة طفيفة جدا لا يمكن ملاحظتها ، وهذه العملية تعرف بتبخر الثقوب السوداء ، وهى التى تحدد العمر الافتراضى للثقب الأسود ، فثقب أسود صغير فى

[16]) **Red dwarf star**. By Erik Gregersen. Encyclopedia Brittanica. https://www.britannica.com/science/red-dwarf-star ; accessed October 6, 2020

حجم البروتون يمكن أن يشع 10 بلايين وات فى فترة تعادل عمر النظام الشمسى. والثقب الأسود الذى يزن مثل الشمس تقريبا سيتبخر فى خلال 10^{66}عاما. والثقب الأسود الذى يزن مثل مجموعة مجرية سيتبخر فى خلال 10^{117} عاما. وإذا اقترب الثقب الأسود من نهاية عمره فإنه ينفجر فجأة[17].

الحقبة المظلمة للكون

عندما يصبح عمر الكون 10^{101} ثانية لن يكون هناك أى مصدر للطاقة ، وهنا ينجرف الكون نحو الموت الحرارى ، حيث تقترب الحرارة من الصفر المطلق. وعند هذه النقطة ستتوقف الذرات، وتتحلل البروتونات ، تاركة بحرا من الإلكترونات والبوزيترونات والنيوترينو والفوتونات. وسيتألف الكون من نوع جديد من الذرات اسمة بوزيترونيوم Positronium وهو عبارة عن بوزيترونات وإلكترونات يدور كل منهما حول الآخر. لكن حجم الذرة الواحدة من هذا النوع فى عصر الظلام سيكون ملايين المرات مثل حجم الكون المنظور ![18]

نهاية الكون كله طبقا لعلماء الكونيات

وضع العلماء نظريات عدة للتنبؤ بمصير الكون فى المستقبل. وسنقوم الآن بطرح هذه النظريات الرئيسية ، ثم نرى موقف الإسلام منها:

1- التجمد الكبير

منذ حوالى مائة سنة اكتشف العلماء أن الكون يتمدد ، وأن المجرات تتباعد. وفى عام 1969م طرح العالم مارتين ريز فكرة الانسحاق الكبير Big crunch التى تقول أن معدل تمدد الكون سيقل بمرور الزمن ، ثم يتوقف ، ليبدأ الكون فى الانكماش والانهيار على نفسه ، فتتصادم النجوم وتندمج مع بعضها ، بل إنها قد تذوب وتتفكك حتى قبل أن تتصادم ، ليعود الكون كما بدأ فى مفردة أو نقطة شديدة الكثافة[19].

---

[17]) Parallel worlds. Page 298
[18]) Parallel worlds. Page 289-299
[19]) Parallel worlds. Page 291

ولكن منذ عشرين سنة تقريبا فوجىء العلماء أن الكون يتمدد حاليا بمعدل متسارع ، وعزا العلماء ذلك لوجود طاقة غامضة أسموها الطاقة المظلمة التى لها جاذبية طاردة أو مضادة ، وهذه الجاذبية الطاردة تزداد كلما زاد حجم الكون ، فكلما اتسع الكون كلما زادت القوة التى تزيده اتساعا ، فيدخل فى حلقة مفرغة. وقد أدى هذا بالعلماء إلى القول بأن الكون سيموت بتجمد كبير Big freeze ، وليس بانسحاق كبير[20].

وفى مقال مهم عن نهاية الكون فى مجلة "ساينتيفك أمريكان" الشهيرة ورد أن المجرات ستظل تتباعد عنا بسرعة أكبر من سرعة الضوء ، وفى خلال 100 بليون سنة لن يكون بإمكان العلماء على الأرض رصد أى مجرات أو نجوم بعيدة بعد أن جرفها تمدد الفضاء إلى أغوار سحيقة. ولكن ستكون الجاذبية قد أدت قبل ذلك (بعد 20 بليون سنة من الآن) إلى اندماج مجرتنا (مجرة الطريق اللبنى) مع مجرة أندروميدا وعدد من المجرات الصغيرة المحلية لتكوين مجرة واحدة. وسيبدو الكون للعلماء كما لو كان فراغا شاسعا ، لا يوجد فيه إلا مجرة واحدة ، يقع كوكب الأرض على أطرافها ، ويحيط بهذه المجرة فراغ رهيب. وسيتكون الكون المنظور بالنسبة لنا من 36 مجرة فقط! وفى هذا الوقت (بعد 100 بليون سنة) ستكون كل النجوم الكبيرة اللامعة قد فقدت وقودها النووى ، وانطأفت ، ولكن سيكون هناك عدد كبير من النجوم الصغيرة التى لا تزال تضىء فى السماء. وبعد مرور 100 تريليون سنة ستنطفىء كل النجوم المتبقية ، وسيسود الظالم التام الكون باستثناء بعض الثقوب السوداء الباهتة ، كما سينكمش الكون المنظور (المجرة الكبيرة المتبقية حولنا) ليُكون ثقبا أسود ، وسيبدو لسكان الأرض كما لو كان الكون ينتهى بانسحاق كبير محدود[21].

ولكن هل يعنى هذا أن يوم القيامة سيكون بعد مائة تريليون عام ؟

لا ، هذه ليست القيامة لأن الساعة ستقوم بعد وقت قريب كما يؤكد القرآن فى أكثر من موضع. وبعد مائة تريليون عام ستكون الأرض قد احترقت منذ زمن طويل جدا بسبب تمدد الطبقات الخارجية للشمس. وكذلك بعد مائة تريليون سنة ستكون الشمس قد انتهت، وتحولت مجرتنا إلى

[20]) **Parallel worlds**. Page 288.

[21]) **The End of Cosmology**. By Lawrence M. Krauss and Robert J. Scherrer. *Scientific American*. March 2008.

ثقب أسود. وليست هذه هى الساعة التى وردت فى القرآن ، فالقرآن يخبرنا أن الناس سيشهدون أحداث القيامة ، بينما بعد 100 تريليون عام لن يكون هناك إنسان فى الكون المتجمد ، كما أن القرآن يتكلم عن وجود الأرض والشمس والقمر والنجوم يوم القيامة ، وكل هذه لن يكون لها أثر بعد 100 تريليون سنة لأن الكل سيندمج فى ثقب أسود يسحق الجميع.

2- التضخم الخالد Eternal Inflation

من أهم نظريات علم الكونيات نظرية تعرف بالتضخم الكونى Inflation. وقد اقترح العلماء هذه النظرية كتعديل لنظرية الانفجار العظيم التى تقول أن الكون نشأ من نقطة ذات كثافة لا نهائية اسمها المفردة ، التى انفجرت ، فتبعثرت أجزاؤها ، وظلت تتباعد ليتكون منها الكون الحالى. وقد وجد العلماء أن نظرية الانفجار العظيم لا تفسر ما فى الكون من تسطح وتماثل وتجانس فى توزيع المجرات ، ولهذا طرحوا فكرة أن الكون لم يتمدد بشكل تدريجى منتظم ، بل تمدد بشكل متسارع بعد حدوث الانفجار العظيم بوقت قصير جدا يبلغ 10^{-36} ثانية ، وكان حجم الكون المنظور عند بداية التمدد جزءا من كوادريليون من الذرة (الكوادريليون يساوى واحد على يمينه 15 صفرا). وكان هذا التضخم مفاجئا ورهيبا ، إذ وصل حجم الكون فى نهايته إلى 10^{25} ضعفا، وكانت أجزاء الكون تتمدد فى هذه المرحلة بمعدل أكبر من سرعة الضوء. واستمر الكون بعدها يتضخم ، ولكن بمعدل أبطأ حتى اليوم.

وافترض العلماء وجود مجال قياسى[22] اسمه "مجال التضخم" Inflaton field ، هو الذى أدى إلى تضخم الفضاء بهذا الشكل الخرافى. ومجال التضخم هو مجال غريب يتميز بأنه ذو ضغط سالب ، ولذا فإن له جاذبية سالبة طاردة. ولهذا المجال قوة معينة فى كل نقطة من نقاط الفضاء، تحدد القوة التى يمارسها على نفسه وعلى المجالات الأخرى. وأثناء التمدد تكون قوة المجال ثابتة تقريبا فى كل مكان. كما أن لهذا المجال طاقة (تسمى طاقة الوضع) تعتمد على درجة قوته. وهذا المجال عندما يتمدد ويشغل حجما أكبر فإن طاقته تظل ثابتة فى كل مكان يوجد فيه ، وبالتالى تزداد الطاقة الكلية للكون.

---

[22]) Scalar field

وقد استمر ثبات طاقة مجال التضخم لفترة قصيرة جدا بلغت 10^{-30} ثانية ، فأدى ذلك إلى تمدد الكون بشكل هائل ، ليصل حجمه إلى واحد بجواره تريليون سنتيمتر[23]. ومجال التضخم يفقد قوته وطاقته بالتدريج كما لو كان كرة تنزلق على منحدر. ولما وصلت طاقة وضع المجال إلى الحد الأدنى توقف التمدد ، وبدأ المجال يتذبذب حول الحد الأدنى لطاقة الوضع ، فتحولت طاقة الوضع الخاصة بمجال التضخم إلى محيط متجانس من الجسيمات التى تملأ الفضاء إضافة إلى الإشعاع والمادة المظلمة. ويؤدى التضخم إلى إكساب الكون نعومة وتجانسا ، لكن تتبقى درجة ما من العشوائية وعدم الانتظام.[24]

وفيما بعد وجد العالم أندريه ليند أن **التضخم ما إن يبدأ فلن ينتهى ، وسيظل يتكرر إلى الأبد ، وهذه نتيجة مباشرة لفيزياء الكم.** إن مجال التضخم – مثله مثل أى شىء فى عالم الكم– خاضع لعدم اليقين ، وهذا يعنى أن قيمته ستتعرض للتأرجح والتراوح والتذبذب ، فتزداد قليلا هنا، وتنخفض قليلا هناك. وكلما زادت طاقة مجال التضخم زادت تراوحاته. وهكذا ففى البداية يكون مجال التمدد ذا طاقة وضع ثابتة فى كل نقطة من نقاط الفضاء ، وبعد ذلك تحدث التراوحات الكمية ، فينقسم الفضاء إلى مناطق مختلفة ، تؤدى التراوحات الكمية إلى انخفاض طاقة المجال فى بعضها ، واستمرارها مرتفعة فى بعضها الآخر. وهذه التراوحات فى قيمة المجال ستجعل **بعض المناطق النادرة فى الفضاء تواصل التمدد** والتضخم بعد انتهاء الموعد المحدد ، فتظل تنمو ، وتطغى على المناطق الطبيعية المجاورة لها المحتوية على المادة والإشعاع والتى أنهت تمددها فى الوقت الطبيعى. **وهذه الفقاعة ستُكون كونا جديدا داخل الكون الأول الذى نشأت فيه ، وهذا الكون الجديد سيحتوى بدوره على فقاعات جديدة يكون كل منها كونا جديدا. وهكذا ينشأ كون من كون من كون إلى الأبد.** وكل واحد من هذه الأكوان له ثوابت فيزيائية خاصة وقوانين مختلفة عن الكون الذى نشأ منه. والكون الذى نحيا فيه الآن هو مجرد فقاعة من عدد لا نهائى من الفقاعات التى تكونت فى الماضى ، وتلك التى ستتكون فى المستقبل. وبعض هذه

---

[23]) أدى تضخم الكون إلى تمدد مناطق عدم التجانس بمقدار واحد بجواره تريليون سنتيمتر ، فأصبح الكون يبدو لنا متجانسا. كما أن الاتساع الهائل للكون جعل الجزء الذى يبدو لنا منه يظهر مسطحا تماما مثلما نرى الأرض أمام أعيننا مسطحة رغم أنها كروية وذلك بسبب اتساعها الشديد.

[24]) السبب فى ذلك أنه طبقا لفيزياء الكم فإن قوة أى مجال- بما فى ذلك مجال التضخم- لا تبقى ثابتى تماما فى كل نقطة من نقاط الفضاء ، وإنما يحدث لها تراوحات عشوائية ، وهذه التراوحات تؤدى إلى أن ينتهى التمدد فى أوقات تختلف قليلا من منطقة لأخرى ، فيؤدى هذا إلى اختلاف طفيف فى درجات الحرارة فى المناطق المختلفة. وهذه الاختلافات المكانية الطفيفة هى البذور التى ستتسبب فيما بعد فى تكون المجرات والنجوم.

الأكوان ينكمش ويحدث له انسحاق كبير عقب نشأته (عقب انفجاره العظيم) مباشرة، لكن بعض الأكوان الأخرى تواصل التمدد إلى الأبد ، وبعضها يتمدد بالطريقة الصحيحة مثل عالمنا.

وعلى ذلك فطبقا لهذه النظرية (نظرية التضخم العشوائى) فإن **الانفجار العظيم لم يحدث مرة واحدة فقط ، ولكنه يحدث باستمرار فى أماكن مختلفة** ، فتمدد كل نقطة فى الفضاء لتكوين كون جديد هو بمثابة انفجار عظيم. لقد قلب أندريه ليند الصورة ؛ فبدلا من القول أن التمدد جزء من سيناريو الانفجار العظيم ، فإنه قال أن الانفجارات العظيمة جزء من سيناريو التمدد. إن الكون الذى نعيش فيه الآن له بداية ، لكنه ربما يكون قد بدأ من كون سابق، وهذا الكون السابق ربما نشأ من كون أسبق ، وهكذا. إذن كوننا الحالى جزء من كيان أكبر خالد كما تقول هذه النظرية.[25،26]

3- نموذج الكون الملتهب Ekpyrotic scenario

تقول نظرية الكون الملتهب أن الكون لن تكون له نهاية. وهذه النظرية بُنيت على نظرية الوتر التى لم تثبت صحتها بعد. وطبقا لنظرية الكون الملتهب – التى طرحها فريق من العلماء يتضمن بول شتينهاردت ونيل تيروك وآخرون – فإن **الكون الذى نعيش فيه هو عبارة عن غشاء أو "برين" Brane[27] رباعى الأبعاد**[28]مدفون فى **فضاء أكبر** خماسى الأبعاد. **وعلى أحد طرفى هذا الفضاء الأكبر الخماسى الأبعاد يوجد الكون الذى نعيش فيه ، وعلى الطرف الآخر يوجد كون ثان خفى (غشاء آخر) مواز لكوننا** ، ويفصل بين الغشاءين فجوة محدودة[29]. وكلا الغشائين يبدأ خاليا من المادة وباردا ، لكن يوجد بينهما قوة جاذبية.

---

[25]) **The inflation debate**. By Paul Steinhardt. *Scientific American*. April 2011

[26]) **The Self-Reproducing Inflationary Universe**. By Andrei Linde. Scientific American. November 1994.

[27]) كلمة Brane هى اختصار لكلمة Membrane.

[28]) الأبعاد الأربعة هى ثلاثة أبعاد للمكان (الطول والعرض والارتفاع) ، وبعد واحد للزمان. وهذه الأبعاد الأربعة تشكل كيانا واحدا يعرف بالزمكان أو الفضاء-الزمن Space-time

[29]) الكون الذى نعيش فيه له أربعة أبعاد (3 أبعاد للمكان وبعد واحد للزمان). لكن "نظرية إم" المعروفة تتطلب وجود 11 بعدا للفضاء (عشرة أبعاد للمكان وبُعد واحد للزمان). وفى منتصف التسعينات من القرن العشرين اقترح بعض العلماء أنه فى ظل ظروف خاصة يمكن لبعد إضافى (غير أبعادنا الأربعة) أن ينفتح عبر فاصل محدود Finite interval، بينما تبقى ستة أبعاد منحنية وملتوية فى كُرة مجهرية متشعبة لا يمكن رؤيتها تسمى فضاء "كالاباى ياو" .Calabi-Yau space وهذه الكرة صغيرة جدا ، ويستحيل رؤيتها فى خبرتنا اليومية ، ولذا فكوننا يبدو أنه ذو أبعاد أربعة مدفونة فى فضاء خماسى الأبعاد يسمى الكتلة Bulk. وتسمى هذه النظرية خماسية الأبعاد ب Heterotic M-theory التى صاغها العالم أندريه لوكاس. وكوننا يوجد على أحد طرفى الفاصل أو الجزء من الفضاء ذى البعد الإضافى ، بينما يوجد الغشاء الآخر على الطرف الآخر لهذا الفضاء. انظر:
A Brief Introduction to the Ekpyrotic Universe. By Paul J. Steinhard . available at: https://wwwphy.princeton.edu/~steinh/npr/ . accessed October11, 2020.

ونحن لا نرى الغشاء الآخر لأن جسيمات الضوء لا يمكنها الحركة فى الفضاء الذى يفصل بين الغشائين ، فحركتها تبقى مقصورة داخل الغشاء فقط ، لكن **هذين الغشائين يتفاعلان معا** من خلال قوة الجاذبية الضعيفة (من خلال تبادل جسيمات الجرافيتون[30])، **فيتقاربان بالتدريج إلى أن يصطدما. وهذا التصادم يؤدى إلى تباعد الغشاءين ، وعودتهما إلى موضعيهما الأصليين ، ثم تقاربهما مرة أخرى بفعل قوة الجاذبية الضعيفة بعد فترة طويلة جدا ، ثم تصادمهما مرة ثانية ، وهكذا بشكل دورى بلا بداية ولا نهاية.**[31]

وسيؤدى التصادم المروع إلى أن يتكون داخل كل غشاء كرة لهب ضخمة من الطاقة الخالصة، ينشأ منها كون وليد ، ولهذا تسمى هذه النظرية بنظرية الكون الملتهب. ويؤدى التصادم إلى تمدد الفضاء الأكبر الخماسى الأبعاد ، وبالتالى تباعد الغشائين وارتدادهما إلى موضعيهما الأصليين ، وبعد ذلك ستتحول الطاقة التى تتخلل الكون إلى مادة وإشعاع (إلكترونات وكواركات وفوتونات وغيرها) ، ينشأ منها فيما بعد المجرات التى نشاهدها.

وتصادم الغشاءين كما قلنا حدث هائل ، يؤدى إلى إطلاق طاقة رهيبة هى ما كان العلماء يسمونه من قبل بالانفجار العظيم[32]. وأثناء تباعد الغشاءين عن بعضهما فإنهما يتضخمان ، أما حين يقتربان من بعضهما فإنهما ينكمشان ، بحيث ينكمش كل غشاء فى اتجاه عمودى على اتجاه حركته. وبعد تمدد الكون على مدى تريليونات السنين بعد الانفجار العظيم ، تتباعد المجرات عن بعضها بشدة ، وتصبح كثافة المادة فى الكون منخفضة للغاية إذ تبلغ إلكترون واحد لكل كوادريليون سنة ضوئية مكعبة من الفضاء ، فيصبح الكون فعليا خاليا وخاملا ، وتصبح درجة حرارته قريبة من الصفر المطلق.[33،34،35،36، 37،38،39]

30) فى نظرية الوتر يعتبر جسيم الجرافيتون وتر مغلق Closed string ، أى ليس له نهاية ، وبالتالى فهو يستطيع أن يغادر الأغشية ويتحرك بينها.

31) يؤدى تقارب الغشائين فى النهاية إلى انكماش الفضاء الأكبر إلى الصفر ، واختفاء البعد الإضافى الذى يفصل الغشاءين لحظيا. وبعد التصادم يتباعد الغشاءين ، ويعود البعد الإضافى إلى الظهور فى التو.

32) حقا كل غشاء هو عبارة عن فضاء خال من المادة إلا أنه طبقا لنظرية الكم فإن الفضاء الخالى ليس خاليا فى الحقيقة ، إذ أنه يحتوى على جسيمات افتراضية Virtual particles تظهر للوجود ، وتختفى فى كل لحظة ، وهذه الجسيمات فى مجموعها تمثل قدرا هائلا من الطاقة الكامنة ، وطبقا لنظرية النسبية فإن كل طاقة تكافىء كتلة ، وهذا يعنى أن التصادم بين الغشاءين الخاليين سيكون تصادما مروعا ، تتحول فيه طاقة حركة الغشائين إلى طاقة حرارية.

33) **The inflation debate**. By Paul Steinhardt. *Scientific American*. April 2011

34) **A quintessential introduction to dark energy**. By Paul J. Steinhardt. *Phil. Trans. R. Soc. Lond.* A (2003) 361, 2497- 2513

35) **A Cyclic Model of the Universe**. By Paul J. Steinhardt and Neil Turok. *Science;* 24 May 2002:Vol. 296, Issue 5572, pp. 1436-1439. DOI: 10.1126/science.1070462

ونموذج الكون الملتهب هو أحد أشكال ما يعرف بالكون الدورى ، وذلك لأن الكون يمر بدورات متتالية من التمدد والانكماش بلا توقف. وقد كانت نظريات الكون الدورى رائجة فى الثلاثينيات من القرن العشرين ، لكنها كانت تؤدى حتما إلى وجود بداية للكون[40] ، وهذا لم يكن يروق للعلماء!

وما دعا العلماء حديثا للعودة إلى نظرية الكون الدورى فى ثوب جديد هو أنهم لاحظوا أن هناك عيوبا خطيرة فى نظرية التضخم بعد أن وجدوا فى البداية اتفاقا مُهما لها مع المشاهدات التجريبية. لقد طبق العلماء فيزياء الكَم على مجال التضخم بدلا من الفيزياء الكلاسيكية ، فوجدوا أن التضخم سيكون حتما تضخما خالد ، وهذا يؤدى إلى أن كل شيء يمكن أن يحدث فإنه سيحدث بالفعل ، وبعدد لا نهائى من المرات. معنى هذا أن نظرية التضخم ليس لها تنبؤات تجريبية محددة يمكن إثباتها أو نفيها[41].

ولحل تلك المشكلة **افترض بول شتينهاردت ونيل تيروك أن الانفجار العظيم ليس بداية الزمان والكون ، ولكنه مجرد ارتداد أو إعادة تمدد لكون أقدم سبق أن انكمش** ، وتقلص على نفسه ، وتجمع فى نقطة شديدة الكثافة. **وبعد تريليونات السنوات من الآن سيقوم كوننا الحالى بالتقلص والانكماش مرة أخرى فى عملية انسحاق كبير ، يعقبها انفجار عظيم ، وهكذا إلى الأبد.**

ونظرية الكون الدوى أو الملتهب تنفى حدوث تمدد هائل للكون عقب الانفجار العظيم كما فى نظرية التضخم التقليدية ، وتقول خلافا لذلك أنه بعد حوالى 15 بليون عاما من حدوث الانفجار العظيم فى كل دورة تصبح الطاقة المظلمة هى الشكل السائد ، وهذه الطاقة المظلمة تلعب نفس الدور الذى كان يعزى لعملية التضخم ، فرغم أن هذه الطاقة المظلمة تؤدى لتمدد الكون بقدر

---

[36]) **A quintessential introduction to dark energy**. By Paul J. Steinhardt. *Phil. Trans. R. Soc. Lond.* A (2003) 361, 2497-2513. http://doi.org/10.1098/rsta.2003.1290

37) **The Ekpyrotic Universe: Colliding Branes and the Origin of the Hot Big Bang.** By Justin Khoury, Burt A. Ovrut, Paul J. Steinhardt, Neil Turok. Phys.Rev.D64:123522, 2001. arXiv:hep-th/0103239v3; DOI: 10.1103/PhysRevD.64.123522

[38]) **The myth of the beginning of time**. By Gabriele Veneziano. Scientific American. Special edition. Summer, 2018.

[39]) **Before the big bang**. By Michael D. Lemonick. DISCOVER FEBRUARY 2 0 0 4

[40]) كانت هذه النظريات تفترض أن نفس مادة الكون يتم إعادة تدويرها كل مرة ، وبالتالى كان على الإنتروبيا (الفوضى) أن تتزايد مع كل دورة جديدة ، وبالتالى ستصبح كل دورة أطول من سابقتها. وإن رجعت إلى الوراء فى الزمن فإن كل دورة ستصبح أقصر ، وسيكون هناك فى النهاية بداية للكون.

[41]) من الخطأ هنا اللجوء إلى المبدأ الإنسانى لأن كوننا أكثر نعومة وتسطحا من القدر الواجب لنشوء الحياة ، والجزر أو الفقاقيع الأكثر نموذجية (كتلك الأصغر من كوننا) قابلة بشكل متساوى لنشوء الحياة ، ومع ذلك أكثر عددا.

أقل كثيرا جدا مما تفترضه نظرية التضخم التقليدية إلا أن الطاقة المظلمة تجعل الكون يستمر فى التمدد لمدة تريليون سنة ، وهذا يؤدى لحدوث تجانس وتسطح للكون. وعلى ذلك فما نراه فى كوننا الحال من تجانس وتسطح هو نتيجة لعمل الطاقة المظلمة فى دورة سابقة قبل وقوع الانفجار العظيم الحالى ، وليس بعده كما تفترض نظرية التضخم التقليدية. إذن نظرية الكون الدورى أو الملتهب تختلف عن نظرية التضخم التقليدية فى أنها تقول بحدوث تضخم تدريجى ، استمر لفترة طويلة جدا ، أما التضخم التقليدى فقد حدث فجأة ، وخفت فجأة.

ومن سمات الطاقة المظلمة فى نظرية الكون الدورى أنها غير مستقرة ، فهى تتحلل وتضمحل بمرور الوقت ، وبعد تريليون سنة سيتوقف التسارع ، ويتباطأ معدل تمدد الكون حتى يتوقف تماما ، **ويبدأ الكون فى التقلص والانكماش ، ليعود كنقطة واحدة ، يحدث لها انفجار عظيم مرة أخرى. وهكذا فنظرية الكون الدورى تؤكد أن الكون بلا بداية ولا نهاية.**

ورغم الجهد الكبير الذى بذله شتاينهاردت وفريقه فى صياغة نظرية الكون الدورى إلا أنه حذر من الإفراط فى التحمس لها لأنها **تُبنى على أفكار لم يتم إثباتها فى نظرية الوتر**. وبالفعل صدقت مخاوف الرجل ، فقد **اكتشف العلماء مؤخرا موجات الجاذبية** ، وهى عبارة عن تموجات فى نسيج الفضاء نشأت نتيجة التمدد الهائل للكون عقب الانفجار العظيم. **وقد أدى هذا الاكتشاف المهم إلى إثبات خطأ نظرية الكون الدورى** كما يقول العالم المعروف أندرى ليند. **كما اعترف صاحب النظرية بول شتاينهاردت بأن نظريته ستموت إن تأكد اكتشاف موجات الجاذبية**. ولكن لا يزال الأمل يحدو البعض للعثور على دليل تجريبى على هذه النظرية ، ومن هؤلاء العالم روجر بنروز[42]. كما أدى اكتشاف هذه الموجات إلى دحض 90% من نماذج نظرية التضخم الكونى ، وذلك لأنها لا تتنبأ بوجود موجات جاذبية بمستوى قابل للاكتشاف. وخلافا لذلك يمنح الاكتشاف الجديد تأييدا لنظرية التمدد الفوضوى Chaotic inflation التى طرحها أندرى ليند[43].

[42]) **New evidence for cyclic universe claimed by Roger Penrose and colleagues**. Physics world.com; 21 Aug 2018, https://physicsworld.com/a/new-evidence-for-cyclic-universe-claimed-by-roger-penrose-and-colleagues/ ; accessed October 6, 2020

[43]) **Gravitational-wave finding causes 'spring cleaning' in physics.** By Ron Cowen. NATURE /NEWS. 21 March 2014; ***HTTPS://WWW.NATURE.COM/NEWS/GRAVITATIONAL-WAVE-FINDING-CAUSES-SPRING-CLEANING-IN-PHYSICS-1.14910***

ورغم أن نظرية التمدد الفوضوى لاقت تأييدا فى السنوات الأخيرة إلا أن هذا لا يعنى أن النظرية كلها تأكدت ؛ فالأكوان الأخرى التى تتنبأ بها النظرية أمر لا يمكن اختباره تجريبا بشكل مباشر كما يقول العالم المعروف ميشيو كاكو: [مع الأسف فإن إمكانية اختبار نظرية الأكوان المتعددة التى تتضمن عدة أكوان ذات مجموعات مختلفة من القوانين الفيزيائية هى مستحيلة فى الوقت الحاضر ، إذ سيكون على المرء أن يسافر بأكبر من سرعة الضوء كى يصل إلى هذه الأكوان الأخرى. لكن إحدى مزايا نظرية التضخم أنها تصنع تنبؤات يمكن اختبارها عن طبيعة كوننا (يقصد موجات الجاذبية التى تأكد وجودها بعد تأليف الكتاب)].[44]

4- نظرية "ما قبل الانفجار العظيم" Pre-big bang scenario

طرح هذه النظرية العالم جابرييل فينيزيانو الذى ساهم فى تأسيس نظرية الوتر عام 1968م. وتتلخص هذه النظرية فى أن كوننا الحالى نشأ من انفجار فى ثقب أسود. تقول النظرية أن الكون أزلى وخالد ، فلا بداية له فى الماضى ، ولا نهاية له فى المستقبل. لقد كان الكون فى الماضى اللانهائى باردا وخاليا تقريبا ، ويحتوى فقط على غاز من الإشعاع والمادة ، متناثر على مسافات شاسعة بشكل فوضوى ، ثم بدأت الجاذبية فى خلق تجمعات وتكتلات من المادة عبر الكون كله. ولما زادت الكثافة بشدة فى بعض المناطق تحولت إلى ثقوب سوداء. وداخل كل ثقب أسود استمرت المادة فى الانضغاط ، وسقطت نحو المركز ، وزادت كثافتها بفعل الجاذبية إلى أن وصل حجم الثقب الأسود إلى طول بلانك ، وهذا هو أصغر طول تسمح به نظرية الوتر. وهنا قام الثقب الأسود بالارتدادا محدثا الانفجار العظيم الذى نشأ منه كوننا الحال. وبما أن من الممكن لنفس العملية أن تتكرر فى أماكن أخرى عبر الكون فهذا يعنى أن من الممكن وجود أكوان أخرى نشأت من ثقوب سوداء أخرى. وهكذا ألغى سيناريو ما قبل الانفجار العظيم فكرة المفردة.

والحقيقة أن من أهم خصائص الأوتار فى نظرية الوتر أن طولها لا يمكن أن يصغر إلى أن تصبح شبيهة بالنقطة ، فهناك طول معين – يبلغ 10^{-34} – لا يمكن للوتر أن يقصر عنه ، وهذا ثابت جديد من ثوابت الطبيعة. وعلى ذلك فإن رجعنا بالزمن إلى الوراء فسنجد أن الكون

---

44) **Parallel worlds**. Page 101 and 107

كان أصغر فأصغر ، لكنه لم يكن فى يوم من الأيام على هيئة مفردة أو نقطة صغيرة بشكل لا نهائى[45،46].

ونظرية ما قبل الانفجار العظيم تقوم على نظرية–إم M–theory ، وهى جزء من نظرية الوتر ، التى لم تثبت بعد ، ومن الصعب جدا إثبات صحتها تجريبيا.

---

[45]) **The myth of the beginning of time**. By Gabriele Veneziano.

[46]) **Parallel worlds**. Page 224-225.

دعك من نظريات نهاية الكون

وبعد ، فقد كان هذا مصير الكون كما يتوقعه العلماء. لقد **نفى بعضهم من الأصل وجود نهاية للكون ، وأكدوا أنه سيظل باقيا أبد الدهر. لكن البعض الآخر أثبت وجود نهاية** ، إلا أنها تختلف عن يوم القيامة كما ورد ذكره فى القرآن. ولا شك أن السنوات القادمة ستشهد ميلاد نظريات جديدة ، لكن هذا لن يغير شيئا من موقف المسلم.

أذكر أننى لما كنت فى سن الخامسة عشرة قرأت فى مجلة علمية موضوعا عن نشأة الكون ونهايته ، فورد فيه كلام عن نظرية الكون الدورى بشكلها القديم. ولما قرأت هذا الكلام شعرت بالقلق الشديد من أن يثبت العلم يوما أن الكون لن تكون له نهاية ، وأنه سيظل يولد ويموت إلى الأبد. وأحسست أن الإيمان بالآخرة معلق على اكتشافات العلم الحديث. وظل القلق يلازمنى لعدة سنوات إلى أن جاء الهدى من الله ، فوجدت أننى كنت ساذجا. لقد **كنت أتمنى أن يكتشف العلماء أدلة على وجود نهاية للكون ، ولكن لو أتتنى مثل هذه الأدلة لانهار على الفور إيمانى بالإسلام لأن الإسلام يؤكد أنه لا أحد يعرف متى تقوم الساعة** ، وهذا يعنى أن نهاية الكون ستكون مفاجئة ، وستحدث فى وقت لا يتوقعه العلماء. ولو قال لنا العلماء أن الكون سينتهى بعد تريليون سنة مثلا، وصدقنا أن هذا الوقت هو يوم القيامة فسيكون هذا كفر بالدين. إن أى وقت يحدده العلماء لنهاية العالم هو شيء مختلف تماما عن يوم القيامة الذى لا يعلمه إلا الله: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [الأعراف: 187]

إن نهاية الكون التى حدثنا عنها القرآن لن تحدث بهذا التدرج الذى يذكره العلماء ، بل ستقع بغتة، بشكل مفاجىء ، قال تعالى: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [الزخرف: 66] ، وقال: {وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ} [الحج: 55] ، وقال: {قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَاحَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا} [الأنعام: 31].

إن القيامة لن تقوم حين ينفد الوقود النووى من الشمس ، ولن تقوم حين تندمج مجرتنا مع المجرات المجاورة ، ويتحول الجميع إلى ثقب أسود. ولن تقوم القيامة حين تتوقف كل مصادر الطاقة فى الكون ، ويصبح الكون مظلما باردا لا يصلح لأى لون من ألوان الحياة.

كما أكد القرآن فى أكثر من آية أن الساعة قد اقتربت ، كما فى قوله تعالى: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ } [الأنبياء: 1] ، وقوله: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} [القمر: 1]. وكلام القرآن عن اقتراب القيامة يعنى أن أى نظرية للعلماء عن نهاية الكون لا تهم المسلم ، فالقيامة ستحدث قبل كل التكهنات العلمية.

وفضلا عن ذلك فكل النظريات العلمية – كما رأينا– تؤكد أن البشرية ستفنى قبل فترة طويلة جدا من نهاية العالم (بعد نفاد الوقود النووى للشمس ، وربما قبل ذلك بكثير) ، بينما يخبرنا القرآن أن الناس سيكونون أحياء وقت قيام الساعة ، وهذا يدل على أن يوم القيامة شىء مختلف عما يتوقعه العلماء، وأنه أقرب كثيرا مما نظن.

إن وجود **نظريات علمية تقول بخلود الكون أمر لا يضير المسلم فى شىء ، فهذا يشبه رجلا بنى بيتا متينا** كى يتزوج فيه أولاده لما يكبروا ، وكان فى ذهنه أن العمر الافتراضى للبيت مائة سنة على الأقل ، وأنه لا يمكن أن يتشقق أو يسقط قبل هذه الفترة ، ولكن بعد عام واحد فقط حدث زلزال عنيف ، فخر البيت هدا ، وهو فى أوج قوته. **وسنجد بالمثل أن العمر الافتراضى للكون – طبقا لتقديرات العلماء– يصل إلى مائة تريليون عام ، وقد يبقى خالدا ، لكن هذا لا يعنى أن الكون سيظل موجودا حتى هذه اللحظات السحيقة** ، فقد تقع كارثة كبرى فى أى لحظة، تطيح بكل شىء. فقط آمن بأن هناك إلها قادرا على كل شىء ، وبعدها لن يكون من الصعب عليك أن تصدق أن هذا الإله يستطيع تدمير الكون متى شاء.

ويجب علينا أن نعى جيدا أن **قوانين الطبيعة تخبرنا فقط بالعلاقات بين موجودات الطبيعة ، لكنها لا تخبرنا كيف سيسير الكون إن دخلت عليه قوى أخرى لا يعرفها العلماء** (مثل قوة الله وقوة الملائكة). ولا يوجد دليل يحتم علينا أن ننظر إلى الكون على أنه نظام مغلق لا يمكن لقوة خارجية أن تؤثر عليه. **ومن الخطأ الفادح الاعتقاد بأن العلم لا يعترف إلا بما هو مادى ،**

والشواهد على خطأ هذا الاعتقاد كثيرة: على سبيل المثال – لا الحصر– اكتشف العلماء فى السنوات الأخيرة فجأة أن الكواكب والنجوم والمجرات والسدم والإشعاعات التى نعرفها هى مجرد جزء صغير جدا من كوننا الذى يتكون أغلبه من كيان مجهول اسمه "المادة المظلمة" وآخر يسمى "الطاقة المظلمة". ولا أحد من العلماء يعلم شيئا عن طبيعة هذين الكيانين اللذين يختلفان عن الأشياء المعهودة فى الكون ، وهذا دليل دامغ على أن الإنسان لا يعرف كل مكونات الطبيعة والقوى المؤثرة عليها. وهذه القوى المجهولة يمكن أن تتجلى آثارها يوم القيامة ، لتُحدث – بأمر الله– اضطرابا غير متوقع فى نظام الكون. وقد استفضنا فى كتاب "هل معجزات الأنبياء مستحيلة"[47] فى إثبات إمكانية وقوع أحداث خارقة للعادة ، فيمكن الرجوع إليه لندرك أن قيام الساعة أمر هين على الله.

لقد أصيب العلماء بالذهول منذ سنوات قليلة حين فوجئوا أن الكون يتمدد حاليا بمعدل متسارع. وقد كانوا يتوقعون من قبل أن يتباطأ معدل التمدد بالتدريج إلى أن يتوقف ، ثم يبدأ الكون بعدها فى الانكماش ، ويعود إلى نقطة شديدة الكثافة. لقد تغيرت الصورة مؤخرا ، وتبين أن الكون الآن يتمدد بشكل متسارع بفعل سبب مجهول يسميه بعض العلماء الثابت الكونى ، ويسميه آخرون الطاقة المظلمة. **ولعل الله تعالى تعمد أن يجعل الكون يتمدد بمعدل أكبر فى الحقبة التى نعيش فيها الآن على سبيل الخداع الاستراتيجى ، وذلك حتى يزداد الكفار غرورا ، فيظنوا أن نهاية الكون لا تزال شديدة البعد** ، وأنها لن تأتى قبل تريليونات السنين. وستكون الصدمة مروعة حين يفاجأ العلماء يوم القيامة بأن مفعول الطاقة المظلمة قد توقف ، وأن الكون ينكمش وينهار بشكل غريب. إن الجزاء العادل لغرور العلماء أن يزيدهم الله غرورا ، حتى إذا اكتشفوا الحقيقة كانت الصدمة هائلة. والله تعالى يضل من يستحق الضلال ، ويهدى من يستحق الهداية: {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا} [البقرة: 10].

إننا نرى أن نهاية الكون يوم القيامة ستكون على شكل انسحاق كبير ، وهذا ما نفهمه من قوله تعالى: {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ} [الأنبياء: 104]. وطى السماء يشير فى رأى بعض المفسرين المحدثين إلى انكماش

---

47) **"هل معجزات الأنبياء مستحيلة؟"** تأليف دكتور محمد سعيد المكاوى. نشر هذا الكتاب على منصة أمازون كيندل للكتب الرقمية بتاريخ 22 أبريل 2020 ورقم: ASIN: B087G1BFB9

الكون وانهياره على نفسه. وفى آية أخرى يتكلم القرآن عن طى السماء قائلا: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } [الزمر: 67]

وليس فى هذا الرأى تصادم مع المنطق. **إن إله الكون يمتلك من القوة ما يمكنه من إلغاء هذه العوامل المسببة لتمدد الكون ، بل عكسها حتى ينكمش.** وسيكون لدى الله من القوة ما يمنع الكون من التمدد مرة أخرى بعد أن ينكمش. آمن بالله تجد أمر الآخرة فى غاية السهولة. إن الله تعالى هو الذى خلق الطاقة المظلمة التى تسبب تمدد الكون ، ومن خلق هذه القوة الجبارة قادر على أن يخلق قوة أخرى تعارضها ، وتجبر الكون على الانكماش والتقلص ، ليعود كما بدأ. **وإن كنت تندهش من إمكانية امتلاك أحد لقوة قادرة على إجبار هذا الكون الضخم على الإنكماش، فتذكر أن نظرية التضخم أثبتت أن الكون فى بداية عمره قد تعرض لتمدد هائل فى أقل من ثانية.** وليس من العسير على من خلق مجال التضخم Inflaton field الذى فعل كل هذا أن يخلق مجالات آخرى بخصائص مختلفة ، تجعل الكون يتقلص على نفسه وينهار.

إننا نؤكد أنه لا يوجد أى دليل علمى يقول أن الكون لن يتعرض لدمار هائل ، ويكفى أن تعرف أن العلماء يتمسكون بشدة بمصطلح "الكون المنظور" Observable universe، وذلك لأن ما يرونه بتلسكوباتهم هو مجرد جزء محدود من كون مترامى الأطراف ، يتضخم باستمرار. وجهل العلماء بما يجرى فى المناطق النائية من الكون يجعل كل الاحتمالات ممكنة ، وليس ببعيد أن تكون هناك أحداث فيزيائية ضخمة تقع الآن فى أماكن بعيدة من الكون ، لكن تأثيرها لم يصل إلينا بعد.

إن كل علماء الفيزياء يعترفون أن ما يجهلونه عن الكون كثير جدا ، ومن كان هذا حاله فلا يحق له أن يتكلم بثقة نافيا وجود قوة قادرة على تدمير الكون كله. و**من غير المستحيل أن يخلق الله تعالى أنواعا من القوى المجهولة تقوم بمعاكسة تمدد الكون ، وتجبره على الانكماش والانسحاق** بسرعة خرافية تفوق سرعة الضوء أضعافا مضاعفة. وإن سخر أحد الملحدين ، وقال لك: ما هذا القوى الغريبة التى لا نعرف لها مثيلا فى الطبيعة؟ فقل له: ألا تذكر كيف كان مجال التضخم Inflaton field فكرة غريبة حين طرحها العلماء لأول مرة ، ثم تقبلها العلم بعد

ذلك دون أدنى مشكلة؟ أليست الأبعاد الستة الميكروسكوبية للفضاء التى طرحتها "نظرية إم" فكرة غريبة؟ أليس القول بأن كوننا مجرد غشاء موجود داخل فضاء خماسى الأبعاد – كما تقول نظرية الكون الملتهب– أمر قريب من الخيال؟

إن أى دارس للفيزياء الحديثة لا بد أن يدرك أن **الفجوة التى كانت تفصل العلم عن الخيال قد ضاقت وتقلصت أو كادت تختفى** ، وأن المستقبل يحمل لنا من المفاجآت والعجائب الكثير. لقد انتهى العصر الذى كان يمكن للمرء أن يتكلم فيه بثقة عن المستحيل ، فها هو العلم يحمل لنا كل يوم حقائق ما كان لأحد أن يصدقها فى يوم من الأيام. إن إنكار الآخرة استنادا إلى العلم ليس موقفا علميا.

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

خراب الكون ليس مستحيلا

من الأسباب التى تجعل فكرة القيامة ممكنة أن الكون يتسم بالنقص والضعف. الكون خاضع لقوانين ، وهذا يعنى أنه عبد لمن يملك القوة ، فأنت مثلا إن ألقيت بكُرة على حائط فإنها ترتد إليك لأنها خضعت لقانون نيوتن الذى يقول أن لكل فعل رد فعل مضاد له فى الاتجاه ومساو له فى القوة ، فكما أثرت الكرة بقوة على الحائط أثر الحائط بقوة على الكرة وأجبرها على الارتداد. ولم نر من قبل كرة تتشبث بالحائط معلنة التمرد على قوانين نيوتن.

وبالمثل إن أمسكت مغناطيسا ثم قربته من قطعة حديد فإن الحديد سينجذب للمغناطيس طبقا لقوانين الكهرومغناطيسية لماكسويل ، ولم نسمع أبدا عن قطعة حديد تكره المغناطيس وتبتعد عنه لأنها تحب الحرية.

وإن ألقيت بحجر إلى السماء فإن سرعته ستتباطأ بالتدريج ، ثم يأخذ فى السقوط بعد قليل طبقا لقانون الجاذبية. ولا يمكن للحجر أن يقول يوما: "لقد سئمت من كوكب الأرض ، وسأكمل هذه المرة المسير نحو القمر".

ونحن نرى الشمس تطلع كل يوم من المشرق ، وذلك لأن الأرض تدول حول نفسها فى اتجاه ثابت. ولم يحدث يوما أن قررت الأرض الدوران فى الاتجاه المعاكس على سبيل التغيير بحيث تشرق الشمس من مغربها.

وحين نضع الماء فى الثلاجة فإنه يتجمد عند درجة حرارة صفر. ولم يحدث يوما أن تمرد الماء فى أحد البيوت على قوانين الجزيئات ، وقرر أن يتجمد عند درجة حرارة 40.

إن مجرد وجود قوانين فيزيائية وكيميائية يجب أن يترجم على أنه دليل على أن الكون منفعل، وأنه عبد مطيع لكل من امتلك القوة وبادر بالفعل. القوانين عبارة عن قواعد منظمة ومبادىء حاكمة ، والكون يرضخ لها دون اعتراض. الكون لا يتمتع بالكمال فى القوة ، ومهما بلغت قوة بعض أجزائه فمن المقبول عقلا وقوعها تحت تأثير قوى أكبر. إن أجزاء الكون يخضع بعضها لبعض ، وليس ثمة شيء يؤثر ولا يتأثر. وحتى الفضاء الذى يدفع المجرات للتباعد عن بعضها، تجده فى نفس الوقت يتأثر وينحنى بفعل هذه المجرات.

وإذا كان كل جزء من الكون ضعيفا ومحدودا وناقصا ومنفعلا فالكون كله سيكون ضعيفا ومحدودا وناقصا ومنفعلا لأن ناقص+ ناقص+ ناقص= ناقص. وهذا يقربنا بدرجة أكبر من فكرة القيامة ، **فالكون ليس ذلك الموجود الكامل الذى يمكن أن يعترض يوما إن أراد الله تعالى تخريبه.** ولو كان الأمر خلاف ذلك لجاز لنا أن نقول أنه بما أن مكونات الكون لا تخضع لشىء فكذلك الكون كله لا يمكن أن يخضع لقوة أرادت يوما أن تدمره ، وتمحوه من الوجود. نعم **ليس من المستحيل عقلا وجود قوة تدمر الكون كله وتفنيه.** لا يوجد سبب منطقى يمنع ذلك ، **فالشىء الوحيد الذى يستحيل عقلا أن يفنى هو الشىء الكامل القوة.**

حقا ربما ينشأ كيان فى غاية القوة والضخامة من أفراد ناقصين ضعفاء مثل جيش مكون من عشرة ملايين جندى. فإن وقع أحد الجنود يوما أسيرا لدى هذا الجيش العرمرم فسيكون من السهل عليه أن يقاوم جنديا أو اثنين ، لكن ماذا يفعل أمام عشرة ملايين؟ سيبدو له أن من المستحيل قهر هذا الجيش. ومع ذلك فهذا ليس مستحيلا عقلا لأن كل جندى فى ذاته ضعيف وناقص ، وهذا يجعل الجيش فى مجمله ضعيفا وناقصا. وربما يفاجأ الأسير يوما بخلافات تدب بين قادة الجيش ، فتحدث حرب داخلية ، ويتفكك الجيش، وينجو الأسير. وربما تحط على الجيش جرثومة شرسة ، فتصيب أفراده بوباء ، فيموت الملايين منه ، بينما ينجو الأسير لأن لديه مناعة من هذا المرض. وهكذا **فمهما بلغت قوة كيان هائل مكون من أجزاء ضعيفة ومحدودة فسيبقى هذا الكيان مهددا بالفناء.**

وفضلا عن ذلك **فالأشياء بشكل عام فى الكون ليس لها شخصية ولا إرادة ، ولا تبدى مقاومة للقوى التى تؤثر عليها** ، فالشجرة إن ضُربت بالمعول فإنها تسقط دون أن تعترض على الضربات التى تتلقاها. وإن أمسكتَ بكوب مملوء بالماء ، ثم قلبته ، فإن الماء يسقط على الأرض دون أن يصرخ فى وجهك ، ويتهمك بالوقاحة لأنك أقلقت راحته. وهكذا الكون لا يملك الإرادة ولا الشخصية التى تجعله يقاوم القوى التى تؤثر عليه وتبغى تدميره. وهذا دليل آخر على أن القيامة ممكنة.

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

الكل يموت

كل ما فى الكون الطبيعى له نهاية. كل شىء قابل للموت ، وليس هناك شىء خالد.

انظر إلى الإنسان والحيوان والنبات والجراثيم ، ستجد أن الموت مصيرها المحتوم. انظر إلى ما على الأرض من بيوت وقصور وحصون وجبال ، ستجد أنها جميعا قابلة للتدمير بالزلازل والصواريخ والقنابل والمعاول. وإن نجت المبانى من كل هذا ، فستسقط وحدها بمرور الزمن ، أو يعلوها التراب ، وتدفن فى باطن الأرض ، فلا تكتشف إلا بالتنقيب والحفر.

وانظر إلى كوكب الأرض تجد أنه هو الآخر سيموت لأن الشمس ستلتهمه بعد أن تتحول إلى عملاق أحمر بعد عدة بلايين من السنين.

وانظر إلى النجوم تجد أنها ليست خالدة لأنه بعد فترة من الزمن ينفد ما بها من هيدروجين ، فيتوقف الاندماج النووى ، ويخفت ضوئها ، وتتحول إلى عملاق أحمر ، أما لب النجم فيتحول إلى قزم أبيض أو نجم نيوترونى أو ثقب أسود ، وقد ينفجر النجم الضخم فى نهاية حياته بشكل مروع (السوبرنوفا). وشمسنا الآن يبلغ عمرها حوالى 4.5 بليون عام ، ويتوقع لها أن تعيش لحوالى 7 بليون عام أخرى ، ولكنها فى النهاية ستفقد قدرتها على بث الضوء والحرارة ، أى أنها ستخسر هويتها وحيويتها ، وتصبح جثة هامدة ، وتموت كما مات غيرها من النجوم.

وانظر بشكل عام لكل الأجرام السماوية التى نعرفها تجد أنها لا تستطيع أن تقاوم الجاذبية الهائلة للثقب الأسود الذى يشبه حيوانا مفترسا ، يفتح فمه ليبتلع كل ما حوله دون أدنى رحمة.

وحتى الثقب الأسود نفسه – ذلك الوحش المخيف– سيموت ، ولكنه يموت ببطء ، فثقب أسود فى نفس كتلة الشمس سيموت ببطء شديد جدا بعد حوالى 10^{67} عاما على شكل انفجار ، يضخ للفضاء كل المحتويات التى ابتلعها من قبل. وكلما صغر حجم الثقب الأسود كلما زاد إشعاعه وتبخره وقصر عمره ، فمثلا إن تحول برج إيفل لثقب أسود فإنه سيموت فى خلال يوم واحد. وموت الثقوب السوداء يحدث بسبب سقوط الجسيمات التقديرية أو الافتراضية Virtual particles السالبة الموجودة قرب أفق الحدث المحيط بالثقب الأسود. وسقوط هذه الجسيمات

السالبة داخل الثقب الأسود يقلل من كتلته ببطء شديد إلى أن يتبخر ويختفى فى النهاية بشكل كامل.[48،49،50،51]

والجزيئات الصغيرة التى تتكون منها المادة تتعرض للموت ، وذلك أثناء التفاعلات الكيميائية ، التى تؤدى إلى كسر الروابط بين الذرات ، فيفقد الجزىء شخصيته ، ويموت ، ليولد مكانه جزىء من نوع جديد.

والذرات التى تتكون منها الجزيئات تموت هى الأخرى من خلال النشاط الإشعاعى حيث تنطلق بعض الأشعة (أشعة ألفا أو بيتا أو جاما) من أنوية بعض الذرات الثقيلة ، فتتحلل إلى ذرات جديدة كما يحدث حين تتحلل ذرة الأميريسيوم إلى ذرة نيبتونيوم بعد فقد جسيم ألفا. كما سبق أن أوضحنا كيف أن كل الذرات فى الكون ستتبدد ، وتتحلل البروتونات حين يحدث التجمد الكبير للكون بعد عدة تريليونات من السنين. ومن الممكن للعلماء أيضا أن يهشموا ذرات بعض العناصر (كاليورانيوم والبلوتونيوم) فى عملية الانشطار النووى حيث يتم إطلاق نيوترون حر ذى طاقة عالية ، لكى يصطدم بنواة اليورانيوم 235 ، فتتحول إلى نواة يورانيوم 236 ، وهذه النواة غير مستقرة ، فتنشطر إلى نواتين أصغر (الباريوم والكريبتون) ، مع انطلاق أشعة جاما ومزيد من النيوترونات التى تحدث انشطارا لأنوية أخرى ، وهو ما يعرف بالتفاعل المتسلسل ، الذى بنيت عليه فكرة القنبلة النووية.

---

[48]) **Do black holes die?** By Paul Sutter October 03, 2016; space.com. https://www.space.com/34281-do-black-holes-die.html ; accessed on 5 March 2019.

[49]) **تاريخ موجز للزمان**. تأليف ستيفن هوكنج. ترجمة مصطفى إبراهيم فهمى. الفصل السابع: صفحة 93. مكتبة الأسرة- الهيئة المصرية العامة للكتاب. 2001م.

[50]) لمزيد من إيضاح هذه النقطة نقول أن الفراغ ليس فى الحقيقة فراغا ، ولكنه ملىء بجسيمات افتراضية أو تقديرية ، وهذه الجسيمات تظهر فى شكل أزواج ، كل زوج مكون من جسيم وجسيم مضاد ، أحدهما له طاقة سالبة والآخر له طاقة موجبة ، وكل زوج من الجسيمات التقديرية يقفز فجأة للوجود من العدم لفترة زمنية قصيرة جدا ، ثم يصطدم الجسيمين مع بعضهما ليفنى كل منهما الآخر. وقرب أفق الحدث المحيط بالثقب الأسود يمكن للجسيم ذى الطاقة السالبة أن يسقط فى الثقب الأسود ، ويتحول لجسيم حقيقى أو مضاد جسيم ، أما الجسيم ذو الطاقة الموجبة فيصبح حرا بعد انفصال شريكه عنه ، وهنا من المحتمل أن يسقط هو الآخر فى الثقب الأسود ، لكنه بما أن له طاقة موجبة فمن الممكن أن ينطلق فى الفضاء بعيدا عن الثقب الأسود على هيئة جسيم حقيقى غير تقديرى يعرف بإشعاع هوكينج الذى يتكون أساسا من الفوتونات وجسيمات النيوترينو وعدد أقل من كل أنواع الجسيمات الأخرى. وسقوط الجسيمات التقديرية السالبة فى الثقب الأسود يقلل من كتلته ببطء شديد إلى أن يتبخر ويختفى فى النهاية بشكل كامل.

[51]) هناك نظرية حديثة اسمها الارتداد الكمى Quantum bounce تؤكد أن الثقب الأسود يموت منفجرا (متحولا من ثقب أسود إلى ثقب أبيض) بعد بولادته بفترة قصيرة جدا جدا تقدر بأقل من واحد على مائة من الثانية الواحدة ، ولكننا لا نلاحظ هذه الوفاة إلا بعد تريليونات من السنوات وذلك بسبب الجاذبية الرهيبة للثقب الأسود التى تؤدى لتباطوء الزمان. وهذه النظرية تعتمد على إحدى النظريات التى توحد النسبية العامة مع ميكانيكا الكم وتسمى Loop Quantum Gravity أو جاذبية الكم الحلقية ، وهى تفترض أن الزمان- المكان مكون من جسيمات منفصلة تشبه الحلقات loops التى لا يوجد ما هو أصغر منها. وحين ينكمش الثقب الأسود أثناء تكونه تحت تأثير جاذبته الشديدة فإنه يصل لمرحلة لا يمكنه فيها أن يستمر فى الانكماش لأن الحلقات لا تقدر على مزيد من الانضغاط بل تقوم بممارسة ضغط للخارج ، وهو ما يعرف بالارتداد الكمى الذى يؤدى لانفجار الثقب السود. انظر:
Quantum bounce could make black holes explode. By Ron Cowen. Nature.com. 17 July 2014. https://www.nature.com/news/quantum-bounce-could-make-black-holes-explode-1.15573 ; accessed on 3 March 2019.

والإلكترون يموت حين يلتقى ببوزيترون (إلكترون سالب) ، فيفنى الاثنان ، ويتكون كَم من الطاقة (فوتون).

والنيوترون يموت حين يتحلل إلى إلكترون وبروتون ، كما يحدث فى إشعاع بيتا (أشعة بيتا تتكون من الإلكترونات).

والبروتون يموت داخل النجوم النيوترونية حين يصطدم بإلكترون ، فيتحول الاثنان إلى جسيم واحد هو النيوترون.

ويستطيع العلماء تدمير كل من البروتونات والنيوتروات من خلال إحداث تصادم مروع بين نواتى ذرتين (مثل نواة الرصاص ونواة الذهب). وتتم هذه العلمية داخل مُعجلات الجسيمات التى تقوم بتسريع الأنوية إلى سرعات هائلة تقترب من سرعة الضوء ، فإن اصطدمت النواتان تفتت كل ما بهما من بروتونات ونيوترونات ، ونشأ عن هذا الدمار خليط مكون من لبناتهما أو وحدات بنائهما الأساسية ، ألا وهى الكواركات والجلونات ، ويسمى هذا الخليط "بلازما الكوارك–الجلون" Quark–gluon plasma.

والكوارك هو الآخر يفنى إن التقى بكوارك مضاد.

والقاعدة العامة تقول أن كل جسيم يفنى إن التقى بالجسيم المضاد له.

والفوتون يموت إن امتصه أحد الإلكترونات ، فيتحرك الإلكترون إلى مستوى طاقة أعلى بعيدا عن نواة الذرة.

وبشكل عام فقد أثبت آينشتين أن المادة تموت بأن تتحول إلى طاقة ، والطاقة تموت بأن تتحول إلى مادة طبقا للمعادلة الشهيرة: (الطاقة= الكتلة x مربع سرعة الضوء). وتحول الطاقة لمادة يحدث مثلا فى ظاهرة إنتاج الأزواج Pair production ، حيث يتحول أحد الفوتونات بالقرب من نواة الذرة إلى جسيم وجسيم مضاد كالإلكترون وإلكترون مضاد ، أو بروتون وبروتون مضاد ، أو ميون وميون مضاد ، وهكذا.

إن شبح الموت يخيم على كل أرجاء الكون لأنه كيان ضعيف وناقص ومعرض للتلف والفساد والدمار. ولا يوجد شىء فى الطبيعة يقاوم التغير ، وحتى الفضاء الخالى نفسه قابل للانحناء والتشوه بفعل الأجرام السماوية طبقا لنظرية النسبية. كما تؤكد نظرية الكم أن الفراغ أو الفضاء لا يبقى فراغا ، بل تتغير طاقته باستمرار من لحظة لأخرى نتيجة لميلاد جسيمات تقديرية فجأة ، ثم فنائها معا بسرعة. وهكذا فلا ثبات فى الكون ولا خلود ، وهذا يقربنا من الإيمان بأن للكون نهاية.

إن خصائص الكل تُعرف فى الغالب من خصائص أجزائه. إن أوكلت مهمة تكوين فرقة موسيقية لمدرب مصارعة ، فاختار كل عضو من أعضاء الفرقة الموسيقية بناء على بنيته وطوله وقوة عضلاته، فإن المقطوعة الموسيقية التى تعزفها الفرقة ستكون فى النهاية رديئة ، وذلك لأن كل فرد من أفرادها يفتقر لموهبة العزف. ولئن كونت فريقا لكرة القدم من مرضى المستشفيات فإن الفريق سيخسر كل مباراياته لأن كل لاعب فيه لا يقوى على الجرى. وهكذا يمكن فى العادة استنتاج خصائص الكل من معرفة أجزائه وأفراده ، ولذا **فاتصاف الموجودات فى الكون بالفناء دليل قوى على أن نهاية الكون ككل أمر ممكن.**

وقد يقول قائل: "حقا كل شىء فى الكون قابل للموت ، لكن الكون فى مجموعه لا يموت ، وسيبقى خالدا ، مثلما نجد أن كوكب الأرض يموت فيه كل يوم فرد من هنا وفرد من هناك ، لكن الحياة البشرية باقية على الكوكب فى مجموعه ، ولا تنتهى أبدا". ونحن نؤكد أن هذا القول مخادع. حقا نحن نرى البشرية باقية ككل ، إلا أن من الممكن جدا أن يفنى جميع البشر فى لحظة بأن تتحول الشمس مثلا فى شيخوختها إلى عملاق أحمر ، يبتلع كوكب الأرض كله.

وهكذا نستنتج أنه طالما كان كل شىء فى الكون قابلا للفناء ، فهذا يعنى أن فناء الكون كله أمر غير بعيد.

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

هل سيفنى الكون تماما؟

ساءلت نفسى يوما: ألا تبدو فكرة فناء الكون وتحوله إلى عدم مستحيلة لأنها تتعارض مع قانون حفظ الطاقة (بقاء الطاقة) القائل بأن الطاقة لا تفنى ، ولا تنشأ من العدم؟

ونحن نرد على ذلك قائلين: من قال لك أننا نتكلم عن تحول الكون يوم القيامة إلى عدم؟ إن الموت معناه فقد الشيء لتكوينه الطبيعى ووظائفه وشخصيته ، وليس معناه بالضرورة تحوله إلى عدم. إن الإنسان حين يموت فإنه يتحول إلى عظام وتراب ، وليس إلى العدم. وانهيار أحد القصور يعد موتا للقصر رغم أن القصر لم يتحول إلى العدم ، بل صار كومة من الحجارة. واحتراق الشجرة هو موت لها رغم أنها لم تتحول إلى العدم، بل تحولت إلى دخان وفحم. وتمزيق أحد الكتب وبعثرة كل صفحة من صفحاته يعد موتا للكتاب رغم أن الكتاب لم يتحول إلى عدم. وفى كل هذه الحالات نُعرف الموت على أنه فقد الشيء لمكوناته وصفاته الأساسية ووظائفه ، وتحوله لكيان آخر يختلف جوهريا عن الأول. هذا هو تعريف الموت الذى يتفق عليه كل الناس. **أما الموت بمعنى الفناء والتحول إلى العدم فهو أمر لم يره أحد من الناس ، ولا يتحتم على المسلم أن يعتقد به** ، فالقرآن يقول مثلا: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن: 26، 27]. والفناء فى هذه الآية لا يعنى التحول إلى العدم لأن الناس يوم القيامة سيصعقون فقط إذا نفخ فى الصور، ثم يفيقون مرة أخرى بعد النفخة الثانية دون أن تفنى أجسادهم: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} [الزمر: 68]. وكذلك **لم يقل لنا القرآن أن الكون ككل سيتحول يوم القيامة إلى عدم** ، كل ما يقوله القرآن أن الكون سيتحول من شكله الحالى إلى شكل آخر مطوى كما كان حاله عند بدء خلقه: {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ} [الأنبياء: 104]. وطى السماء فى هذه الآية معناه على الأرجح أن الكون سينكمش ، ليحتل حيزا صغيرا كما كان عند الانفجار العظيم ، أى سيحدث انسحاق كبير مبكر، لا تحول إلى العدم.

إننا نرى أن **المسلم يكفيه أن يؤمن بأن الكون سيتعرض لخراب هائل وفوضى عارمة ، ويتحول إلى أنقاض يوم القيامة ، لكن ماذا سيحدث لهذه الأنقاض بعد ذلك؟ لا أحد يعرف ، ولا يهمنا كثيرا أن نعرف.**

هناك احتمال لأن يحول الله تعالى هذه الأنقاض إلى عدم. أما **إن أصر المرء على الاعتقاد بأن قانون بقاء الطاقة سيظا ساريا يوم القيامة فَله ذلك** ، ويمكنه أن يعتقد أن **أنقاض الكون ستبقى أنقاضا كما هى** ، فهذا لا يتصادم مع القرآن. ويمكنه أيضا أن يعتقد أن **الله عز وجل سيصنع من هذه الأنقاض أرضا غير الأرض ، وسماوات غير السماوات** كما فى قوله تعالى: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} [إبراهيم: 48]. ومن هذه الآية الأخيرة نفهم أن انهيار الكون الحالى يوم القيامة لن يعقبه عدم ، بل سيعقبه خلق آخر فى شكل جديد ، وربما كان هذا الكون الجديد مصنوع من أنقاض الكون القديم ، فلا تناقض حينئذ مع قانون بقاء الطاقة لمن أصر على التمسك به.

وهناك احتمال لأن يعيد الله تعالى الكون إلى حالته الروحية الأولى ، فالقرآن يخبرنا أن الكون كان له وجود ذو طبيعة مختلفة قبل شكله الحالى ، وأن الله تعالى خير السماوات والأرض والجبال فاختارت أن تُخلق على هيئة جمادات مسيرة بلا حرية إرادة: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} [الأحزاب: 72]. وهذه الآية الأخيرة تعنى أن الكون الجامد كان له وجود روحى فى الماضى مثله مثل الإنسان ، وربما كان هذا دليلا على أن الكون بعد القيامة لن يتحول إلى عدم ، بل سيعود إلى شكله الأصلى الروحى.

وعلى ذلك فسواء توقف قانون بقاء الطاقة يوم القيامة أو ظل ساريا فهذا لن يضير المسلم لأن الاحتمالين لا يؤديان للاصطدام مع القرآن.

وإننى أدعو الإنسان إلى أن يتحلى ببعض التواضع ، فعقولنا البشرية قاصرة ، وقد فضحت فيزياء الكم والنسبية ضعفها ونقصها. **وإذا كنا لا نفهم كنه الإلكترون أو الفوتون فكيف نصر على فهم كل غيبيات الآخرة؟** هذا بحث لا نملك أدواته ، وهو – فضلا عن ذلك– أتفه من أن

يهتم به الإنسان ، فالمهم فقط أن نؤمن أن هذا الكون العامر المنظم الواسع سيختل نظامه ، وتتهدم أركانه ، ويا لها من نهاية!

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

هل وجود الجنة والنار مستحيل؟

لماذا تكذب أيها الكافر بالآخرة؟ هل لأن عقلك قد حكم باستحالة وجود الجنة والنار؟

الجنة أرض شديدة الاتساع ، إذ يبلغ عرضها عرض السماوات والأرض: {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [الحديد: 21] ، وهى تحتوى على كل ما يتخيله المرء من وسائل الرفاهية والنعيم. وجهنم أيضا مكان واسع به كل صنوف العذاب. وإن آمنا بوجود إله قادر على كل شيء فلن تبقى لدينا صعوبة فى التصديق بوجود الجنة والنار. **إن من خلق كونا ذات مرة فيمكنه أن يخلق كونا آخر مرة ثانية**. والمرة الثانية تكون أسهل من الأولى. وعلم الفيزياء لا ينفى نشوء أكوان أخرى.

وما المشكلة فى خلق متع عجيبة فى الجنة ، تختلف عما نشاهده فى الدنيا؟ **إن خالق الكون لديه من الآليات والابتكارات ما يجعل من اليسير عليه** إيقاف الموت فى الجنة ، وخلق الحور العين ، وخلق أنهار من عسل، وأنهار من لبن ، وصنع خمر لا تضر الجسم. كل هذه مهام بسيطة بالنسبة لإله قدير. الله تعالى لا توقفه قاعدة ، ولا يحده قانون ، فلديه من القوى التى لا نعرفها ما يجعله قادرا على معارضة أى قوى طبيعية تعمل فى إطار القوانين الطبيعية المعروفة، بحيث يبدو لنا أن القانون قد كُسر ، مع أن الناس كانت تظنه غير قابل للتغيير. وقد أوضحنا فى كتابنا "هل معجزات الأنبياء مستحيلة" كيف أن من السهل على الله تعالى أن يصنع كل العجائب والغرائب.

ثم إن أجدادنا لو عادوا اليوم إلى الحياة ، وقاموا برحلة سياحية لأوربا أو أمريكا ، وذاقوا ما بهما من رفاهية لظنوا أنهم فى الجنة. طبعا جنة الله ستكون أعظم من أوربا وأمريكا ، لكن النقطة المهمة أنه **إذا كانت عبقرية البشر قد نجحت فى صنع الجنان على الأرض ، أفلا يقدر إله الكون على خلق الجنة فى الآخرة؟**

ثم **إنك لو ذهبت فى رحلة إلى باطن الشمس ، لوجدت نفسك داخل ما يشبه جهنم** ، فالشمس عبارة عن كرة ضخمة من النيران ، تنشأ من تفاعلات نووية رهيبة ، تفوق فى قوتها أضعاف أضعاف القنابل النووية. لقد قتلت القنبلة النووية عشرات الآلاف فى هيروشيما ونجازاكى ، فما

بالكم بأعداد البشر الذين يمكن أن يحترقوا إن سقطوا فى قلب الشمس خاصة إذا علمت أن قطر الشمس أكبر من قطر الأرض ب 109 مرة ، ووزنها يبلغ حوالى 333 ألف مرة ضعف وزن الأرض؟ إذن الشمس وحدها قادرة على حرق كل سكان الكرة الأرضية ، فما بالك إذا علمت أن الكون يحتوى على تريليونات النجوم التى تشبه الشمس ، وأن الشمس مجرد نجم متوسط الحجم ، وأن هناك نجوما أقطارها أكبر من قطر الشمس بمائة مرة؟[52] إن كل نجم من هذه النجوم يشبة وحده جهنم.

الخلاصة: خلق الجنة والنار أمر هين على الله.

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

52) **How big is the sun?** https://www.space.com/17001-how-big-is-the-sun-size-of-the-sun.html

هل من الممكن إحياء الموتى؟

يتطلب إحياء الموتى إعادة كل من الروح والجسد.

1-إعادة الجسد ممكنة

من أهم الاعتراضات التى وجهها الكفار لفكرة اليوم الآخر استحالة إعادة الحياة للأجساد بعد وفاتها. لقد تساءلوا: إذا مات الجسد ، وتحول إلى جثة منتنة ، ثم عظام نخرة ، ثم كومة رماد تتفرق فى الأرض ، فهل يعود هذا الجسد سليما كما كان؟ وإن عاد الجسد سليما فهل يعود إلى أداء وظائفه مرة أخرى؟

طُرحت هذه الأسئلة على عهد النبى عليه الصلاة والسلام ، فجاء رد القرآن بسيطا ومفحما: **إن من صنع شيئا فهو قادر على إعادة صنعه مرة أخرى ، بل إن الخلق الثانى – حتى بمنطق البشر– أيسر من الخلق الأول** ، لأن الخبرة فى المرة الثانية تكون أكبر. قال تعالى: {وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (49) قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (50) أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [الإسراء: 49، 51]. وقال: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الروم: 27]

حجة القرآن مقنعة للغاية ، ولا يمكن ردها. يكفى فقط أن تؤمن بوجود إله خلق الإنسان ، ولن تجد أى صعوبة بعد ذلك فى الاعتقاد بأن هذا الإله مارس نفس العمل مرة أخرى ، فأعاد خلق الإنسان بعد وفاته. إن جسدك مكون من نفس وروح ، والجسد من صنع الله ، وكذلك الروح ، فما الغريب فى خلق جسد جديد بعد فناء الأول لتعود إليه الروح بعد خروجها؟ آمن بالله ، وسينتهى كل شيء.

منطق "الكيمياء" ومنطق "كن فيكون"

من الحماقة أن يفكر الملحد بمنطق علماء الكيمياء فيقول أن تحول ذرات الصوديوم والبوتاسيوم والكربون والأكسجين والهيدروجين والنيتروجين والفوسفور والحديد –التى تبقت بعد تحلل الجسد الميت– إلى خلايا حية لتكوين جسد جديد يوم القيامة يتطلب ملايين من العمليات الكيميائية

المعقدة بما فى ذلك وجود المحفزات والإنزيمات واستخدام مقادير محددة بشكل دقيق من هذه الذرات ، وهذا شىء يتطلب سنوات طويلة لإعادة إنتاج جسد واحد ، فما بالك بإحياء بلايين البشر يوم القيامة فى وقت واحد؟

ومن حقنا أن نضحك على هذا التفكير التقليدى البالى ، ونقول أن الله تعالى يعمل بمنطق "كن فيكون". الله لا يحتاج إلى محفزات ولا إنزيمات لإجراء العمليات الحيوية. الله تعالى فوق القوانين، وهو الذى خلقها ، ورسمها ، ويمكنه إيقافها أو تعديلها. وإن أصر المرء على التشبث بوجود نفس القوانين يوم القيامة فنحن نقول له أن **فيزياء الكم لا تتعارض مع مبدأ "كن فيكون"**. فيزياء الكم تسمح لأى جسيم بأن يتحرك بأى شكل غريب ويتواجد فى أى مكان غير متوقع فى أى لحظة. **ليس من المستحيل علميا أن تتنتقل ذرات الكالسيوم والصوديوم والكربون والنيتروجين والأكسجين غيرها من شتى بقاع الأرض أو حتى من النجوم ، لتتجمع فى مكان واحد ، بمقادير محددة ، وترابطات معينة كى تُكون جسد إنسان حى يوم القيامة**. وقد تكلمنا بما فيه الكفاية عن هذه النقطة فى كتابنا "هل معجزات الأنبياء مستحيلة". وننقل هنا ما قاله الفيزيائى الشهير ستيفن هوكنج فى كتابه "التصميم العظيم"[53] بخصوص الطبيعة الاحتمالية التى تميز عالم الجسيمات الصغيرة ، والتى تتيح وقوع كافة العجائب:

[تخبرنا فيزياء الكم أنه **لا يمكن أبدا لشىء أن يقع فى نقطة محددة** ، إذ لو حدث ذلك فسيكون عدم اليقين فى الزخم (كمية الحركة) لا نهائيا. **وفى الحقيقة طبقا لفيزياء الكم فإن كل جسيم لديه احتمال ما لأن يوجد فى أى مكان فى الكون. ولذا فحتى إن كانت فرص العثور على أحد الإلكترونات داخل جهاز الشق المزدوج عالية للغاية فسيكون هناك دائما فرصة ما لإمكان العثور عليه بدلا من ذلك على الجانب البعيد للنجم المسمى ألفا سنتورى أو فى فطيرة الراعى فى كافيتيريا مكتبك. وبناء على هذا فإنك إن قذفت بكرة كمية Quantum buckyball ، وتركتها تطير فلن يتيح لك أى قدر من المهارة أو المعرفة أن تقول مسبقا بالضبط أين ستحط**. لكنك إن أعدت التجربة مرات كثيرة فإن المعلومات التى تحصل عليها ستعكس احتمال العثور على الكرة فى

[53]) **The Grand Design**. By Stephen Hawking and Leonard Malodinow. Chapter 4: Alternative histories. Bantam Books. New York. 2010.

مختلف المواضع ، وقد تأكد العلماء التجريبيين أن نتائج تلك التجارب تتفق مع تنبؤات النظرية].

هذه الفقرة الأخيرة من كلام هوكنج تبدو فى غاية الإثارة ، **فهى تؤكد أن كل التصرفات الشديدة الغرابة للجسيمات ممكنة ، ومسموح بها طبقا لنظرية الكم. ومهما بدا الأمر صعبا وبعيد الاحتمال بدرجة كبيرة فإنه لا يزال قابلا للحدوث. وبالله عليكم ما معنى قوله أن جسيما ما يكون موجودا الآن فى المعمل حيث تجرى التجربة وبعد ثانية واحدة يكون موجودا على سطح نجم فى غاية البعد؟ أليست هذه هى المعجزة بعينها؟** أليس بالإمكان أن تؤدى الحركات الغريبة والمجنونة لعدد كبير من الجسيمات فى نفس الوقت إلى حدوث معجزات على مستوى الأشياء الكبيرة؟ وطبعا من الصعب جدا على عدد كبير من الجسيمات أن تتحرك كلها من تلقاء نفسها بتنسيق غير متوقع لتؤدى إلى حدوث معجزة يراها الناس بأعينهم ، فهذه مصادفة لا يحتملها العقل ، لكن وجود مهندس ومخطط (الله عز وجل) سيجعل مثل هذه المعجزات الكبيرة غير عصية على التحقق.

البعث والإنتروبيا

إن أحد أهم أسباب إنكار الكفار للبعث يوم القيامة أنهم يفكرون وكأن الكون خاضع فقط للقوانين الطبيعية دون وجود عقل إلهى مدبر. إن منطقهم يقول: "كيف يعود الجسد البالى إلى الحياة؟ لو جاز لقرص "الأومليت" أن يتحول إلى بيضه سليمة غير مكسورة لجاز للموتى أن يبعثوا ، ولو جاز للكوب الزجاجى المكسور أن تنهض قطعه المتناثرة من على الأرض ، وتلتئم معا لتكون كوبا سليما لجاز للموتى أن يبعثوا". وهذا المنطق هو ما يعرف بالإنتروبيا Entropy أو القانون الثانى للديناميكا الحرارية الذى يقضى بأن الأشياء تميل إلى الانتقال من حالة النظام إلى حالة الفوضى ، وأن الفوضى تتزايد باستمرار أو تبقى ثابتة ، لكنها لا يمكن أن تقل فى النظام المغلق. الكوب الزجاجى السليم يمثل حالة نظام ، أما الكوب المكسور فيمثل حالة الفوضى. وكذلك الغاز المحبوس داخل الأسطوانة يمثل حالة نظام لأنه تجميع لكل جزيئات الغاز فى مكان واحد ، لكن تسرب الغاز يمثل حالة فوضى لأن الجزيئات تتشتت بشكل عشوائى فى كل مكان. ويمكن التعبير عن القانون الثانى للديناميكا الحرارية بالمثل الشعبى القائل: (ما انكسر لا يمكن

أن ينصلح). وحين يطبق الملحدون ذلك القانون على الجسد الميت فإنهم يجدون أن من الغرابة الشديدة أن تتجمع الذرات الموجودة فى التراب مرة أخرى بشكل منظم لتعيد تكوين الجسد الذى مات. وخطأ الملحدين هنا أنهم يفكرون ، وكأن الأشياء توجد وحدها بلا إله. ولو أدخل هؤلاء العقل الإلهى المدبر فى الحسبان لسهل عليهم تصديق البعث لأن هناك موجودا سيتولى مهمة الترتيب والتنسيق وتحويل الفوضى إلى نظام يعيد الجسد كما كان. إن الإلحاد يوهمنا أن البعث يتناقض مع القانون الثانى للديناميكا الحرارية. ونحن نقول: نعم البعث يتناقض مع القانون الثانى للديناميكا الحرارية إن تركت عناصر الجسد المتحلل وشأنها ، وذلك أن العناصر المبعثرة المشتتة لا يمكن أن تنظم نفسها بنفسها ، لكن وجود الإله يغير الصورة تماما لأنه يضطلع بمهمة صنع النظام. إن زجاج السيارة إن انكسر لا يمكن أن يلتئم وحده ، لكنك إن ذهبت لفنى متخصص فقد يستطيع إصلاح الكسر لك ؛ إن وجود الإرادة المدبرة يغير الصورة بشكل جذرى.

وإذا ذهبنا لعلماء الفيزياء لفوجئنا أنهم يقولون أن **التحول من حالة فوضى إلى حالة نظام أمر بعيد جدا ، لكنه على أى حال غير مستحيل ، فالقوانين العلمية لا تحول دون انقلاب الفوضى إلى نظام**. وقد تكلمنا بشىء من التفصيل فى كتابنا "هل معجزات الأنبياء مستحيلة" عن هذه الفكرة. ونعيد هنا الاستشهاد ببعض آراء العلماء. يقول روجر بنروز[54]:

[تخيل كوبا من الماء موضوعا على حافة منضدة. إن دُفع الكوب فمن المحتمل أن يسقط على الأرض ليتهشم بلا شك لقطع كثيرة ، وتتناثر المياه على مساحة كبيرة ، وربما تمتص فى السجادة أو تسقط بين الشقوق فى الأرض. وهنا نجد أن كوب الماء كان يتبع بدقة معادلات الفيزياء ليس إلا. توصيفات نيوتن ستفعل ذلك. إن الذرات فى الكوب الزجاجى وفى الماء يخضع كل منها لقوانين نيوتن. **والآن دعنا نجرى هذه الصورة فى الاتجاه المعاكس: بواسطة انعكاس الزمان فى هذه القوانين فإن من الممكن للمياه بشكل متساوى أن تتدفق خارجة من السجادة ومن الشقوق فى الأرضية لتدخل كوبا منشغلا ببناء نفسه من قطع كثيرة مهشمة ، ثم يقوم الكوب المتجمع بالقفز من الأرض بالضبط لارتفاع المنضدة ، ليستقر متزنا على حافتها ، وكل هذا**

[54]) **The emperor's new mind**. By Roger Penrose. The inexorable increase of entropy: Page 394.

أيضا وفقا لقوانين نيوتن ، تماما مثلما كان الكوب الساقط المتهشم. وربما يتساءل القارئ من أين أتت الطاقة التى رفعت الزجاج من الأرض للمنضدة؟ ليست هذه مشكلة. لا يمكن وجود مشكلة بخصوص الطاقة لأنه فى الموقف الذى يسقط فيه الكوب من المنضدة فإن الطاقة التى يكتسبها من السقوط يجب أن تذهب إلى مكان ما. وفى الحقيقة فإن طاقة الكوب الساقط تتحول لحرارة. والذرات فى شظايا الزجاج وفى الماء وفى السجادة والأرضية ستكون متحركة هنا وهناك بطريقة عشوائية أسرع قليلا مما كانت فى لحظة ارتطام الكوب بالأرض أى أن شظايا الكوب والماء والسجادة والأرضية ستكون فقط أسخن قليلا من ذى قبل. وبواسطة حفظ الطاقة فإن هذه الطاقة الحرارية مساوية بالضبط للطاقة التى فقدها كوب الماء أثناء سقوطه من المنضدة. وعلى ذلك فإن قدرا قليلا من الطاقة الحرارية سيكون كافيا بالضبط لرفع الكوب الزجاجى من الأرض مرة أخرى للمنضدة. ومن المهم أن ندرك أن الطاقة الحرارية يجب أن تُضمن حين نأخذ فى الاعتبار حفظ الطاقة. إن قانون حفظ الطاقة – حين تؤخذ الطاقة الحرارية فى الاعتبار –يسمى القانون الأول للديناميكا الحرارية. والقانون الأول للديناميكا الحرارية– بوصفة استنتاجا من ميكانيكا نيوتن– يعد متماثلا بالنسبة للزمن. **إن القانون الأول لا يقيد الكوب ولا الماء بأي طريقة تحول دون أن تجمع نفسها وتمتلئ بالماء وتقفز للخلف بطريقة معجزة على المنضدة.** والسبب فى أننا لا نرى مثل هذه الأشياء تحدث أن الحركة الحرارية للذرات فى قطع الزجاج والماء والأرضية والسجادة ستكون كلها فوضوية ، ولذلك ستكون أغلب الذرات متحركة فى كل الاتجاهات الخاطئة. وسيكون هناك حاجة لتنسيق دقيق بشكل عبثى فى تحركاتهم من أجل إعادة تجميع الكوب – بكل الماء المسكوب متجمعا مرة أخرى داخله – وقذفه بلطف على المنضدة. إن من قبيل اليقين الفعال أن مثل هذه الحركة المتناسقة لن تكون موجودة**!]**

ومن أعجب ما يمكن أن يقرأ المرء النص التالى للملحد الشهير فيكتور جى. ستينجر الذى يقول فيه أن قوانين الفيزياء لا تحول دون إحياء الميت. فلنقرأ هذا الاعتراف المثير:

[لا شيء فى الفيزياء الأساسية يحول دون انتهاك القانون الثانى للديناميكا الحرارية. لا يوجد مبدأ ميكانيكى يمنع تفريغ الهواء من حجرة حين تفتح الباب ، فيموت كل شخص فى الداخل. **الفيزياء لا تمنع الإنسان من أن ينمو لسن أصغر ، <u>ولا تمنع الميت من أن يقوم حيا</u>!** كل ما يجب أن يحدث من أجل هذه الأحداث المعجزة هو أن تتحرك الجزيئات بالمصادفة فى الاتجاه الصحيح واللحظة الصحيحة. طبعا هذه المعجزات لا يلاحَظ حدوثها إلا فى الخيال لكن **فقط لأنها بعيدة الاحتمال بشكل كبير جدا**. إننا ندخل القانون الثانى لتقنين كل ما تشهد به تجربتنا البشرية من أن الهواء لا يُفرَّغ من الغرفة ، وأن الناس لا تنمو لسن أصغر ، **<u>وأن الموتى لا يقومون. بيد أن هذه الأحداث ليست مستحيلة ، هى فقط بعيدة الاحتمال بدرجة كبيرة]</u>**[55].

وهكذا تجد أنه ليس مستحيلا من وجهة نظر العلم أن تنقلب الأحداث ، وكأننا ندير شريط فيلم سينيمائى للوراء ، **فيتحول التراب والعظام على سبيل المثال إلى جسد حى ، يتنفس ويتحرك.** وكل ما فى الأمر أن هذا شيء بعيد الاحتمال بدرجة كبيرة جدا. وبُعد الاحتمال سببه أن الأشياء إن تُركت لنفسها فإن من النادر أن تتغير تلقائيا إلى حالة أكثر نظاما ، لكن إن تدخلت إرادة ما لتحدث التغيير فسينشأ النظام من الفوضى ؛ فمثلا من الممكن خلط برادة الحديد بالتراب ، ومن الصعب جدا أن ينفصل الاثنان وحدهما ، فتذهب كل ذرة حديد إلى جانب واحد بعينه دون غيره، لكن من السهل جدا أن نفصلهما باستخدام مغناطيس يجذب برادة الحديد.

علوم الأحياء تقربنا من البعث

من بقى فى قلبه شك بعد منطق القرآن البسيط النافذ ، فنحن نحيله لعلوم الأحياء الحديثة ، **فقد أصبح من الممكن للعلماء – بشكل جزئى– محاكاة عملية الخلق ، أفلا يكون الأمر أسهل على الله الذى اخترع الكائنات الحية وأوجدها لأول مرة هى وآليات خلقها؟**

---

[55]) **Intelligent Design: Humans, Cockroaches, and the Laws of Physics**. By Victor J. Stenger. Preprint of a paper submitted to Creation/Evolution. 1997. http://www.talkorigins.org/faqs/cosmo.html
و هذا الكلام يقوله رجل ملحد للرد على فكرة إثبات الألوهية استنادا لوجود قوانين الطبيعة. هذا الرجل أحمق. إنه يقول لنا أن قوانين الكون لا تثبت وجود إله لأنها ليست قوانين بمعنى أنها قابلة لأن تتعطل فى بعض الأحيان. بيد أنه لا يقدم لنا تفسيرا لكون الأحداث فى الكون فى الغالبية العظمى من الحالات تسير وفق نظام معين. إنه يصمت تماما. بفرض أنه لا يوجد انتظام بنسبة مائة فى المائة فى الكون ولكن فقط بنسبة 99.99999999% فما تفسير هذا الانتظام شبه الكامل الذى يخالف قوانين المصادفة؟ لا أقول أن ستينجر ينظر للنصف الفارغ من الكوب ولكنه ينظر إلى "الواحد على بليون" الفارغ من الكوب !

لقد أجريت عملية الاستنتساخ Cloning بالفعل على الحيوانات ، وقد حدث ذلك لأول مرة فى عام 1996م. فى ذلك الوقت تناقلت وسائل الإعلام فى العالم كله نبأ النعجة "دوللى" التى وُلدت دون علاقة جنسية بين الأب والأم. **لقد بات بالإمكان تكوين جنين نعجة ابتداء من خلية واحدة فقط سبق انتزاعها من جسد نعجة أخرى كبيرة** ، فالمعلومات المطلوبة لتحديد أغلب صفات الإنسان والحيوان موجودة داخل الجينات التى توجد نسخة كاملة منها داخل نواة كل خلية من خلايا الجسم. وبنقل هذه النواة لبويضة منزوعة النواة ، ثم زرع البويضة الهجينة داخل أحد الأرحام ، تتحول البويضة إلى جنين جديد يشبه الأم. وهذه التقنية تعرف بتقنية نقل نواة الخلية الجسدية Somatic cell nuclear transfer. ولم ينجح العلماء حتى الآن فى استنساخ الإنسان ، ولكن قد يكون هذا غير بعيد.

وهكذا نجح العلماء فى خلق جسد جديد شديد الشبه بحيوان آخر ، أفيعجز الله تعالى يوم القيامة عن خلق جسد مطابق للجسد الذى مات؟ هذا أهون على الله.

ولكن تبقى العوامل البيئية التى تؤثر على صفات الجسم ، وهذه لا توجد فى النواة ولا فى الجينات. والعوامل البيئية تحدد بعض صفات الإنسان بالتعاون مع الجينات مثل صفة الطول والوزن والذكاء وبعض الأمراض مثل الحساسية والعيوب الخلقية وغيرها. والعوامل البيئية تشمل العقاقير والفيروسات والإشعاعات والأغذية وغيرها. **ومن السهل على الله تعالى محاكاة هذه العوامل البيئية يوم القيامة لأن العلم الحديث يمكنه الآن بالفعل عمل ذلك** ؛ فمثلا صفة مثل الطول تعتمد على مستوى عدة هرمونات منها هرمون النمو والغدة الدرقية ، ومن السهل على الأطباء الآن زيادة نسب هذه الهرمونات فى الجسم أو خفضها من خلال العقاقير المختلفة. أما عن الوزن فمن السهل التلاعب به ، فجراحات السمنة يمكنها تصغير حجم المعدة ، فيقل الوزن. كما يمكن للعلماء التأثير على مراكز الجوع والشبع فى المخ من خلال العقاقير ، أو من خلال إثارة تلك المراكز كهربيا فى حيوانات التجارب ، بما يؤدى لزيادة الشهية أو فقدانها. وشىء من هذا القبيل ليس صعبا على الله تعالى. وبالنسبة للذكاء فأمره أكثر تعقيدا ، لكن من المتوقع فى المستقبل أن يتوصل العلماء إلى فهم الآليات المادية لعمل المخ بدرجة أكثر وضوحا. كما تجرى التجارب لصنع خلايا عصبية قادرة على تعويض خلايا المخ التى تلفت.

لقد جعل العلم الحديث من إعادة خلق الجسد بعد موته أمرا غير بعيد. وخلال خمسين سنة ربما يكون العلماء قادرين على أن يحتفظوا بعدة خلايا من جسد كل طفل مولود فى درجات حرارة منخفضة جدا ، ليعيدوا استخدامها بعد مئات السنين لاستنساخ بعض الناس بعد وفاتهم.

وقد نجح العلماء فى السنوات الأخيرة فى استخدام تقنية الاستنساخ فيما يمكن أن نسميه "إحياء الموتى"!! لقد احتفظوا فى الثلاجات القوية بفأر ميت لأكثر من 15 عاما ، وبعد ذلك أخذوا إحدى خلاياه الجسدية ، واستخرجوا منها النواة ، ونقلوها لبويضة منزوعة النواة ، فتحولت البويضة لجنين فأر مشابه للفأر الميت ، وقد استخدم العلماء كلمة "البعث" Resurrection للتعبير عن هذه التجربة العلمية ، وإن كان هذا ليس بعثا بالمعنى الحرفى[56].

ومن المؤكد أن العلم الحديث سيحمل لنا المزيد من التقنيات التى تجعل من الاستنساخ أمرا ميسورا. **وطبعا الله عز وجل ليس فى حاجة للاحتفاظ ببضعة خلايا لكل إنسان ، ولا لتقنيات الاستنساخ ، ولا لمختبرات علماء الأحياء ، فهو عز وجل يعمل بمبدأ: "كن فيكون"** ، ولكننا فقط نبرهن على أن إعادة خلق الأجساد يوم القيامة ليست مستحيلة ، فما أيسر أن يفعل الله تعالى أمرا يفعله البشر الذين هم خلق من خلق الله. انتهت المشكلة تماما بحمد الله.

جسد واحد فى نفوس متعددة

قد يقال أن مادة الجسد بعد الموت قد تتفرق فى الأرض ، فيمتصها النبات ، ثم يتغذى على هذا النبات إنسان ، فتدخل فى جسده ، فيكون لدينا رجلان يشتركان فى نفس مادة الجسد ، فكيف سيبعث الله تعالى الاثنين يوم القيامة؟ إن الذرات المشتركة بينهما إن ذهبت لأحدهما فستغيب عن الآخر ، وسيكون لدينا حتما جسد كامل ، وجسد ناقص.

ونحن نؤكد أن هذا الاعتراض لا يعتد به لأن الله تعالى ليس فى حاجة لخلق نفس ذرات جسد كل إنسان ، فدور الجسد هو أن يكون أداة تثاب بها النفس أو تُعاقب ، فلكى تتنعم النفس فى الجنة فلا بد لها من جسد يأكل ويشرب ويلعب ، ولكى تعذب النفس فى النار فلا بد لها من

---

56) **Somatic Cell Nuclear Transfer**. By David Stocum. Encyclopaedia Britannica. https://www.britannica.com/science/somatic-cell-nuclear-transfer; accessed March 26, 2021.

جسد يحترق ويشرب الحميم ويأكل الشوك. وهنا لا يهم من أين أتت المادة المكونة للجسم ، فيكفى وجود أى مادة لتكوين خلايا وأنسجة وأعضاء كى تتأثر بالنعيم أو الجحيم بحيث ينتقل هذا التأثر فى النهاية إلى المخ ، فتشعر النفس باللذة أو الألم. **ليس من المهم تغير مادة الجسد طالما أن النفس باقية وثابتة.** وطبعا من المهم أن يكون الجسد الجديد له نفس خصائص الجسد القديم ، وهذا لا يتطلب وجود نفس الذرات ، فالذرات متشابهة ، والإلكترونات متشابهة ، والبروتونات متشابهة من حيث المبدأ. لا يوجد إلكترون من الخشب وإلكترون من البلاستيك ، لا يوجد إلكترون بدين وإلكترون نحيف ، لا يوجد إلكترون طويل وإلكترون قصير ، لا يوجد إلكترون جميل وإلكترون قبيح. كل الاختلافات بين الإلكترونات هى اختلافات فى المواضع والسرعات والدوران (لف لأعلى ولف لأسفل Spin up and spin down) ، أما مادة الإلكترون فواحدة.

وعلى سبيل المثال **لإعادة تكوين يدى فرعون ملك مصر يوم القيامة فإننا نحتاج لذرات الكربون والنيتروجين والأكسجين والفوسفور والهيدروجين وغيرها. وهذه الذرات يمكن الحصول عليها من أى مصدر**: من الهواء أو الماء أو جسد حشرة أو جسد حيوان أو حتى من أحد النجوم ، **فذرة الكربون فى جسد فرعون تشبه تماما ذرة الكربون فى نبات الصبار أو فى الفحم المدفون فى باطن الأرض** ، والمهم كما قلنا أن ترتبط الذرات مع بعضها بنفس الطرق لتكوين نفس الجزيئات بنفس الخصائص.

من أين يأتى الجسد الذى يشهد؟

قد يتساءل المرء: إذا كان الكلام السابق يصدق على الثواب والعقاب فى الآخرة ، **فماذا عن ساعة الحساب أمام الله؟ إن القرآن يخبرنا أن العصاة يوم القيامة ستشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم وجلودهم ، وهذا يتطلب أن يكون كل عضو من أعضاء الجسم يوم القيامة هو نفس العضو الذى كان موجودا فى الدنيا ، فكيف يتسنى ذلك إذا كانت الذرات المكونة لعضو إنسان موجودة فى أعضاء إنسان آخر؟**

الإجابة هى أن الشهادة يوم القيامة لا يشترط أن تتم لمثل هذين الشخصين فى وقت واحد ، بل يمكن عمل ذلك بشكل متتابع لواحد وراء الآخر. ولنفترض أن الله تعالى أراد أن يجعل أحد المجرمين يستمع إلى شهادة لسانه ويده ورجله على جرائمه ، وكان هذا المجرم يشترك مع عشرة أشخاص آخرين فى الذرات المكونة لهذه الأعضاء التى يفترض أن تشهد ، فهنا يمكن لله تعالى بسهولة أن يقوم بنقل الذرات من أجساد الأشخاص الآخرين فى وقت واحد إلى جسد الشخص الذى جاء عليه الدور للحساب ، وفى نفس الوقت يخلق الله تعالى ذرات أخرى جديدة فى أجساد الأشخاص العشرة لتحل محل الذرات التى انتقلت حتى يبقى هؤلاء الأشخاص العشرة على قيد الحياة وعلى نفس أشكالهم المعتادة. ولما ينتهى حساب الشخص المذكور ، ويحين استجواب شخص آخر من الأشخاص العشرة تنتقل الذرات المشتركة إليه ، فتشهد عليه أعضاؤه ، وفى نفس الوقت يحل محل الذرات التى انتقلت ذرات أخرى جديدة حتى يظل كل واحد محتفظا بحياته وشكله. وانتقال الذرات بهذا الشكل المعجز أمر لا يستعصى على الله تعالى ، كما أن فيزياء الكم لا تحول دول انتقال الذرات إلى أى مكان فى الكون بشكل غير متوقع ، وذلك كما أوضحنا من قبل. وأخيرا بعد انتهاء حساب جميع الأشخاص لن يكون هناك فرق إن وضع الله تعالى فى جسد كل واحد من هؤلاء الأشخاص أى نوع من أنواع الذرات لأن أى ذرات تكفى لكى يحس المجرم بالعذاب والنعيم .

كيف يكون شكلك بعد البعث؟

كيف يكون شكل الجسد يوم القيامة؟ هل سيقف الإنسان أمام الله فى صورة طفل أم شاب أم شيخ؟ لا يوجد لدينا نص إسلامى قاطع ، لكن يوجد حديث صحيح يذكر أن أهل الجنة ستكون أعمارهم فى الثالثة والثلاثين من العمر: عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "يبعث أهل الجنة على صورة آدم من ميلاد ثلاث وثلاثين سنة، جردًا مردًا مكحلين، ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة، فيكسون منها لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم"[57]

[57]) أخرجه ابن أبي داود في البعث (ص 64)، والطبراني في الصغير (2/ 140)، وفي الأوسط كما في المجمع (10/ 398)، وأبو نعيم في صفة الجنة (ص 255)، وفي الحلية (3/ 56)، كلهم من طريق عمر بن عبد الواحد، عن الأوزاعي، عن هارون بن رئاب، عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا به. وقال الطبراني: لم يروه عن الأوزاعي إلَّا عمر بن عبد الواحد، تفرّد به محمود بن خالد!! قلت: كَلَّا، فلم يتفرد به محمود بن خالد، فقد تابعه عباس بن الوليد الخلال كما هو عند ابن أبي داود، وهذا إسناد صحيح، رواته ثقات [نقلا عن: **المطَالبُ العَاليَةُ بِزَوَائِدِ المسَانيد الثّمَانِيَةِ** لابن حجر العسقلاني (726/18). دار العاصمة للنشر والتوزيع - دار الغيث للنشر والتوزيع- الطبعة الأولى 1998م-2000م]

ولكن ماذا عن أهل النار؟ لا أعلم نصا ورد بشأنهم. لكن ربما حشرهم الله تعالى على الصورة التى تدينهم ، وتظهر حكم الله فيهم بأنه عادل ، وتجعل الناس تتشفى فيهم ؛ فمثلا رجل مثل جمال عبد الناصر قد يحشر فى الأربعين أو الخمسين ، وهو السن الذى كان فيه زعيما مشهورا لا يتورع عن قتل الأبرياء وتعذيبهم من أجل الانفراد بالسلطة ، ولا يتردد فى محاربة دين الله ونشر الفجور والاستعانة بالبغايا. والراقصة قد تحشر فى سن الخامسة والعشرين حين كانت تفعل الفاحشة كل يوم فى الملاهى الليلية. وبالأمس رأيت فى منامى ممثلة إغراء معروفة بعد أن صارت عجوزا ، فكانت تجلس مع مجموعة من الشباب ، وتتصرف معهم كما لو كانت فتاة فى العشرين من العمر. كان هذا مجرد حلم ، لكنه يعبر عن نموذج موجود فى حياتنا ، وربما كان من العدل أن تُحشر مثل هذه المرأة المتصابية كعجوز فى نفس السن الذى كانت حريصة فيه على الفاحشة دون رادع من المشيب.

وطبعا نحن لا نملى على الله تعالى ما يفعل ، ولكننا فقط نتوقع. وربما يكسبنا الله فى الآخرة قدرة على معرفة وجه كل إنسان بصرف النظر عن عمره ، أو يكتب على صدر كل واحد اسمه. المهم أن يوم القيامة سيكون يوم العدالة والانتقام والتشفى.

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

2-إعادة النفس

الشرط الثانى للبعث هو وجود النفس. والمؤمن يعتقد أن لكل إنسان نفسا ، تبقى بعد الموت ، وهذه النفس سترد إلى جسد يوم القيامة ، ليتكون إنسان كامل مرة أخرى ، ليحاسَب ويجازَى عند الله. ولئن تمكن المرء من إثبات وجود النفس فسيكون هذا برهانا قويا على أن هناك آخرة.

ولكن فى العصر الحديث تعرض وجود النفس لتشكيك كبير من جانب الماديين. لقد أدت بحوث علماء الأعصاب إلى فهم كبير لوظائف المخ ، **وتم العثور على سبب مادى لكثير من الظواهر النفسية.** لقد اكتشف العلماء وجود مراكز فى المخ مسئولة عن الشعور بالغضب والخوف والسعادة والهدوء. كما اكتشفوا أن ظواهر مثل الاكتئاب والقلق والوسواس القهرى والهلاوس والضلالات تنشأ عن خلل فى وظائف خلايا المخ واضطرابات فى الناقلات العصبية. ومن المعروف أن الخمر تؤثر على المخ ، فتغير من درجة الوعى والمزاج لدى الإنسان. وكثير من العقاقير المخدرة تؤدى إلى خلق الشعور بالسعادة والفرح والراحة. كما رصد العلماء حالات كثيرة لمرضى تغيرت شخصياتهم من جراء إصابة خلايا المخ بأمراض عضوية مثل الأورام والالتهابات الفيروسية والمناعية. وقد رأيت بعينى صديقا عزيزا ، كان طبيب القلب ، لكنه سريع الغضب، فلما أصيب فى حادث أليم ، حدث له نزيف فى المخ ، ودخل فى غيبوبة طويلة ، فلما شفى وأفاق تغيرت شخصيته على الدوام ، ولم يعد يغضب بالشكل المعهود.

كل هذه الشواهد أدت بالماديين إلى النتيجة التالية: "إذا كان المخ المادى الذى نراه بأعيننا ، وندرس خلاياه تحت المجهر يؤثر بهذا الشكل الصارخ على شخصية الإنسان وحالته النفسية ، فما الداعى لافتراض وجود نفس غيبية لا تُرى؟ إن المسألة لا تعدو وجود خلايا عصبية تؤدى إثارتها إلى خلق المشاعر فى مخ الإنسان ، فيظنها المرء نشاطا من أنشطة نفس لا سبيل لرؤيتها. **ولو كان هناك نفس مستقلة عن المخ كما يقول الدين لما تأثرت هذه النفس بالعقاقير ولا بأمراض المخ المختلفة ، تماما مثلما لا يموت الشبح إن أطلقت عليه الرصاص** أو طعنته بالسيف. النفس إذن وهْم ، والمخ هو كل شىء". هذا كلامهم ، وإليكم الرد:

براهين وجود النفس

تختلف النفس عن الجسد ، كما تختلف عن المخ. وما المخ إلا المكان الذى تمارس النفس عملها من خلاله. وكل نشاط كهربى فى المخ يقابله نشاط فى النفس. وقد تكلم الكثيرون عن أدلة وجود النفس. وسأتحدث هنا عن عدد من الأدلة التى هدانى الله تعالى إليها ، والتى أثبتت لى بشكل شخصى أن النفس كيان حقيقى ، وليس وهما اخترعته الأديان كما يقول الماديون:

الدليل الأول:

أول مرة فى حياتى أعثر فيها على دليل قاطع على وجود الروح أو النفس كانت فى السنة الثانية من كلية الطب حين كنا ندرس فى مادة الفسيولوجيا القنوات العصبية التى تنقل الأحاسيس من مختلف أنحاء الجسم إلى المخ على شكل تيار كهربى. وفى أحد الأيام أثناء استماعنا لشرح المدرس قاطعه أحد زملائنا فجأة متسائلا: "ولكن ما علاقة وصول التيار الكهربى إلى مراكز الإحساس النهائية فى المخ بالشعور الذى أحس به؟ كيف يجعلنى هذا أحس بالألم أو البرودة أو الحرارة أو الضغط على اليد؟" كان السؤال مفاجئا للمدرس ، فسكت برهة ، ثم رد قائلا: "هذا هو سر الروح".

انتهى النقاش سريعا ، ونسيه المدرس ، ونسيه زميلنا ، وانشغل بنزواته العاطفية. لكننى انبهرت بهذا السؤال العميق الذى أحدث عاصفة فى ذهنى ، وزلزالا فى كيانى ، وأطاح بفكرى بعيدا عن بحر الشك اللجى ، لأستقر على شاطىء الإيمان. لقد أهدى إلىَّ هذا الزميل كنزا لا يقدر بمال ، فقد كانت هذه أول مرة أشعر فيها بأن ما يجرى فى أعصاب المخ من تيارات كهربية يختلف بشكل جوهرى عما أحس به ، وما أفكر فيه. إن العلم يخبرنى أننى أرى القط إن وصلت إشارات كهربية إلى خلايا عصبية معينة فى قشرة المخ ، وأسمع صوت الباب إن وصلت إشارات كهربية لخلايا فى مناطق أخرى من المخ ، وأشعر بوخز الشوكة إن وصلت إشارات كهربية لمنطقة ثالثة. ونفس الشىء ينطبق على بقية الحالات النفسية ؛ فالغضب ينشأ من إثارة أعصاب فى مراكز معينة ، واللذة تنشأ من إثارة أعصاب معينة ، والجوع ينشأ من إثارة أعصاب معينة ،

والتفكير ينشأ من نشاط كهربى للأعصاب فى مناطق متفرقة تسمى مناطق الربط ، وهكذا. **فكيف تفعل الكهرباء كل هذا؟**

إن التيار الكهربى الذى يسرى فى الأعصاب ينشأ من تحرك أيونات الصوديوم من خارج الخلية العصبية لداخلها ، فينعكس استقطاب غشاء الخلية لفترة وجيزة جدا ، يعقبه خروج أيونات البوتاسيوم فى الاتجاه المضاد من الداخل للخارج لاستعادة الاستقطاب[58]. **فهل تَحَرك الأيونات أو الذرات هو الذى يخلق لدىَّ الشعور بنفسى وبوجودى؟** هل تحرك الذرات هو الذى يصنع الأحاسيس والذكريات والأحلام والطموحات والذكريات والخيالات والحب والكره والحقد والشفقة والرحمة والندم؟ هذا مستحيل لأن ذرات الصوديوم موجودة فى الملح والجبن والمخللات ، وذرات البوتاسيوم موجودة فى الموز والبطاطس. وهذه الجوامد الميتة أبعد ما تكون عن النفس والروح. كما أن حركات مماثلة لأيونات الصوديوم والبوتاسيوم تحدث عبر أغشية خلايا عضلات اليدين والرجلين والرقبة والأمعاء والقلب ، محدثة تيارا كهربيا بها ، ورغم ذلك فهذه العضلات لا تفكر ولا تحب ولا تكره ولا تتذكر كما يحدث فى المخ ، وهذا دليل على أن المخ شىء مختلف عن النفس.

وهذا النشاط الكهربى للمخ يقوم بتنظيمه والتحكم فيه "**الناقلات العصبية**" التى تعمل بمثابة رسل بين الخلايا العصبية. والناقلات العصبية هى مواد كيميائية أو جزيئات (مثل الأحماض الأمينية)، تفرز بواسطة محور خلية عصبية ، فتؤدى إلى إثارة – أو تثبيط– تيار كهربى فى خلية عصبية أخرى.

---

[58]) سبب استقطاب غشاء الخلية هو وجود بروتين يعمل كمضخة ، تسمى "مضخة الصوديوم والبوتاسيوم" Sodium-potassium pump ، وهذه المضخة تقوم باستمرار بإخراج ثلاثة أيونات من الصوديوم الموجبة من داخل الخلية إلى خارجها ، مقابل إدخال اثنين من أيونات البوتاسيوم الموجبة من الخارج للداخل ، فتكون المحصلة وجود شحنات موجبة أكثر خارج الخلية ، فيكون غشاء الخلية فى حالة استقطاب فى الحالة العادية ، يبلغ قدره -90 ملليفولت. انظر كتاب:

Guyton and Hall Textbook of Medical Physiology. By John E. Hall and Arthur C. Guyton. Page 59. SAUNDERS Elsevier. 12th edition. Philadelphia. USA. 2011

وللناقلات العصبية ارتباط كبير بالظواهر النفسية المختلفة ؛ سنجد على سبيل المثال أن "الجلوتاميت" Glutamate أهم ناقل عصبى "مثير" ، ويعتقد العلماء أنه يلعب دورا مهما فى عملية الذاكرة والتعلم[59].

ويعتبر الناقل العصبى "جابا" GABA أهم ناقل عصبى "مثبط" فى المخ ، وهو يؤثر على العديد من العمليات النفسية. وإن حدث اختلال فى نسبة جابا داخل المخ تحدث اضطرابات نفسية. وهناك عقاقير مهمة (مثل البنزوديازيبين والباربيتيوريت) تستهدف مستقبلات جابا فى المخ بهدف علاج أمراض نفسية مثل القلق والأرق والعدوانية[60].

ويلعب الدوبامين Dopamine دورا مهما فى عدة وظائف منها الفهم والتعلم والذاكرة والعواطف والوظائف التنفيذية. ويؤدى اختلال الدوبامين إلى أمراض نفسية مثل فرط الحركة وانفصام الشخصية (الشيزوفرينيا) والهلاوس والضلالات والاكتئاب ومرض هانتينجتون (الذى يسبب خللا فى التفكير وهياجا وعصبية وهلاوس)[61].

ويلعب السيروتونين Serotonin دورا شديد الأهمية فى عدة وظائف نفسية. على سبيل المثال المرضى الذين يعانون من اكتئاب داخلى لديهم مستوى أقل من مادة التريبتوفان فى الدم ، وهى مادة مهمة لصنع السيروتونين فى المخ. كما يقترن انخفاض نسبة السيروتونين فى المخ بالميل للانتحار. وبعض الأدوية التى يستخدمها الأطباء النفسيون تستهدف السيروتونين مثل "مثبطات استرداد السيروتونين الانتقائية" التى تؤدى لزيادة نسبة السيروتونين فى منطقة التشابكات العصبية ، فيتحسن المزاج ، ويزول الاكتئاب والقلق والوسواس القهرى.[62 ، 63، 64]

---

59) **Peng S, Zhang Y, Zhang J, Wang H, Ren B**. Glutamate receptors and signal transduction in learning and memory. Mol Biol Rep. 2011 Jan;38(1):453-60.

60) **Jembrek MJ, Vlainic J.** GABA Receptors: Pharmacological Potential and Pitfalls. Curr Pharm Des. 2015;21(34):4943-59.

61) **Rangel-Barajas C, Coronel I, Florán B.** Dopamine Receptors and Neurodegeneration. Aging Dis. 2015;6(5):349-368.

62) **Fournier JC, DeRubeis RJ, Hollon SD, et al**. Antidepressant drug effects and depression severity: a patient-level meta-analysis. JAMA. 2010;303(1):47-53.

63) **Canton J, Scott KM, Glue P**. Optimal treatment of social phobia: systematic review and meta-analysis. Neuropsychiatr Dis Treat. 2012;8:203-215.

64) **Katzman MA, Bleau P, Blier P, et al**. Canadian clinical practice guidelines for the management of anxiety, posttraumatic stress and obsessive-compulsive disorders. BMC Psychiatry. 2014;14 Suppl 1(Suppl 1):S1.

ويرتبط النورإبينيفرين Norepinephrine بحالات التوتر والنوم والانتباه. ويؤدى الاختلال فى مستوى النورإبينيفرين إلى الإصابة بالقلق واضطرابات المزاج وفرط الحركة والزهايمر.[65]

ويقوم الهيستامين Histamine بلعب دور مشهور فى إحداث حالة اليقظة وتكوين الذاكرة القريبة والبعيدة والدافعية ، كما يساهم فى شعور الإنسان بالشبع.[66]

دعك من كل هذه التفاصيل واخرج منها بشىء واحد هو أن العلم يخبرنا أن الظواهر النفسية تنشأ من تيارات كهربية ، تتحكم فيها مواد كيميائية تسمى الناقلات العصبية. والتيارات الكهربية هى الأخرى ما هى إلا حركات لأيونات مختلفة عبر أغشية الخلايا العصبية. فبالله عليكم **هل الوعى واليقظة والتفكير والخوف والجوع والعواطف والفرح والحزن مجرد حركات لذرات لا تختلف عن الذرات الموجودة فى الجو والبحر والتراب؟** من يصدق هذا؟ إن الاختلاف بين الجسد والروح أكبر من ذلك ، ومن لا يشعر بضخامة هذا الاختلاف فهو أعمى البصر والبصيرة. ومع الأسف استشرى وباء العمى بشكل فاحش فى العصر الحديث.

ومهما تقدم العلم ، ومهما أدت أبحاث العلماء إلى اكتشاف الآليات الدقيقة لعمل المخ ، فستكون هذه الآليات حتما ذات طبيعة مادية ، فالعلم لا يعرف إلا الجوامد ، وبراعته منقطعة النظير فى التعامل مع المركبات والجزيئات والذرات والطاقات والإشعاعات ، ليس إلا. وأقصى ما يمكن أن ينجزه العلماء هو أن يكتشفوا أن هناك أحداثا تقع فى الخلايا العصبية إثر مرور التيار الكهربى بها ، كأن تحدث تغيرات فى أنشطة بعض الجينات ، فينشأ عنها إنتاج بروتينات معينة أو إنزيمات ضرورية لحدوث هذه الظاهرة النفسية أو تلك. نعم ، هذا محتمل جدا ، لكننا سنظل فى النهاية أمام مخ مادى ، يتكون من مواد كيميائية تتفاعل مع بعضها بآليات مادية بحتة ، **وسيبقى العلم البشرى حبيسا داخل هذا السجن الوجودى المادى الجبار الذى يحجبه تماما عن إدراك كنه النفس أو الروح.**

إن هذا الاختلاف الهائل بين الظواهر المادية والظواهر النفسية يقدم لى دليلا لا يقاوَم على وجود النفس. وهذا الدليل لا يمكن دحضه على الإطلاق. والفضل فى معرفتى به يرجع إلى الله

65) **Ressler KJ, Nemeroff CB**. Role of norepinephrine in the pathophysiology of neuropsychiatric disorders. CNS Spectr. 2001; 6(8):663-6, 670.

66) **Passani MB, Panula P, Lin JS**. Histamine in the brain. Front Syst Neurosci. 2014;8:64.

عز وجل الذى أهدى مفاتيحه لى عبر شاب فاسق ، لا تعنيه مثل هذه القضايا الدينية والفلسفية. إنها إرادة الله الذى إذا شاء فعل بأعجب الوسائل وأغرب الطرق ، فالحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

الدليل الثانى

من ينظر إلى المخ يجد أن خلاياه لا تختلف بشكل جوهرى عن خلايا الجسم الأخرى، فالخلية العصبية محاطة بغشاء للخلية ، وبها نواة وسيتوبلازم وبروتينات ودى إن إيه DNA وآر إن إيه RNA. حقا خلايا المخ تختلف بعض الشيء عن خلايا الجسم الأخرى إلا أن هذا ليس أمرا فريدا ، فخلايا كل عضو فى الجسم تختلف نسبيا فى شكلها وترتيبها عن خلايا الأعضاء الأخرى ، فالخلايا العضلية تختلف عن خلايا العظام وخلايا الدم وخلايا القلب وخلايا الكبد وخلايا الجهاز التنفسى وغيرها. إذن المخ لا يختلف بشكل جوهرى عن بقية خلايا الجسم ، فما الذى يجعل ظواهر كالوعى والحب والكره والتفكير والغضب والخوف تنشأ من خلايا المخ دون غيرها؟ لماذا لا يمتلك الجلد القدرة على التفكير؟ لماذا لا تشعر العظام بالحب؟ لماذا لا يخاف المرىء؟ لماذا لا يكره الكبد؟ هل السبب هو وجود بروتينات أو جزيئات خاصة فى خلايا المخ لا يوجد مثيل لها فى خلايا الجسم الأخرى؟ قطعا لا ، لأن البروتينات وبقية الجزيئات الحيوية هى –كما قلنا– مجرد ذرات جامدة لا تختلف عن ذرات التراب الذى نسير عليه ، ومن المستحيل أن تكون المشاعر التى أحس بها الآن ناشئة عن هذه الأشياء الجامدة.

والأهم من ذلك أن الأعصاب الطرفية الموجودة خارج الجمجمة – كأعصاب اليدين والرجلين والصدر– لا تتجلى فيها على الإطلاق أي من الظواهر النفسية ، ولا بد من وصول الكهرباء التى تسرى فى الأعصاب الطرفية إلى أعصاب المخ كى يشعر الإنسان بما حوله ويحب ويكره ويفكر ويتخذ القرارات. إذن الظواهر النفسية لا ترجع لتركيب الخلية العصبية. نعم هناك فروق فى التركيب والوظيفة بين الأعصاب الطرفية وأعصاب المخ إلا أن هذا الاختلاف طفيف وغير جوهرى على الإطلاق ، فحين نرجع إلى كتب الفسيولوجيا نجد أن خلايا أعصاب المخ تشبه فى تركيبها خلايا الأعصاب الطرفية ، فكل منهما يتكون من ثلاث مكونات رئيسية هى جسم الخلية Soma ومحور الخلية Axon والتغصنات Dendrites. والأعصاب الطرفية (التى تنشأ من

داخل الحبل الشوكى) تختلف عن بقية الأعصاب داخل الحبل الشوكى وعن أعصاب المخ فى عدة أمور هى: 1- حجم جسم الخلية 2- طول التغصنات وحجمها وعددها 3- طول محور الخلية وحجمه 4- عدد التفرعات النهائية التى تخرج من محور الخلية Presynptic terminals ، وهو قد يكون قليلا فى بعض الخلايا ، لكنه قد يصل إلى مائتى ألف فى خلايا أخرى. وهذه الاختلافات بين الخلايا يترتب عليها اختلافات فى وظيفة كل منها[67].

وعلى ذلك **فليس هناك فارق ضخم بين هذين النوعين من الأعصاب بما يشبه الفارق الجوهرى بين الوعى واللاوعى أو الروح واللاروح**. ويؤكد ذلك أن هناك فى نفس الوقت فروقا فى التركيب والوظيفة بين الخلايا العصبية وبعضها داخل المخ نفسه رغم اشتراكها نوعيا فى الطبيعة النفسية ، فالخلايا التى تربط بالسعادة مثلا تختلف عن الخلايا التى ترتبط بالخوف.

وبناء على ذلك نقول أن تركز الظواهر النفسية فى خلايا المخ لا يمكن فهمه على أساس اختلاف جوهرى بين تلك الخلايا وبين بقية خلايا الجسم من حيث الشكل والوظائف الكيميائية الحيوية ، وليس أمامنا إلا افتراض وجود كيان غامض اسمه النفس ، يرتبط بالمخ وحده دون سائر خلايا الجسد.

الدليل الثالث

النفس هى أكثر شىء يجب أن نكون متأكدين من وجوده، فنحن ندرك وجود النفس مباشرة دون الاستعانة بأي واسطة أو أداة أو منظار أو تلسكوب أو معادلات رياضية. أنا فعلا مندهش بشدة من هذا اللغط الذى يدور حول وجود النفس ، والذى مَرَده على ما يبدو إلى أن الإنسان يدرك نفسه بشكل مباشر ، فالنفس ملتصقة بالمرء ، ولا تفارقه إلا وقت النوم. وكثيرا ما يعجز المرء عن العثور على كلمات يعبر بها عن مثل هذه الأشياء التى يدركها مباشرة ، فمثلا إن كنت تمسك بورقة ، فقال لك صديقك: (اثبت لى أن معك ورقة) ، فإنك ستضحك عليه لأنه يسأل عن شىء بديهى ، فإن أصر على أن تأتيه ببرهان فإنك سترتبك لأنك لست بحاجة للعثور على برهان يثبت أن الشىء الذى فى حوزتك هو فعلا فى حوزتك. إن الذهن البشرى يكون مهيئا لتلقى أسئلة وطرح شكوك حول القضايا الغامضة التى لا ندركها مباشرة ، أما الأمور البديهية التى

---

[67]) **Guyton and Hall Textbook of Medical Physiology**. Chapter 45: page 547.

ندركها مباشرة فهى تفاجىء الذهن ، وتصيبه بالحيرة لأنه لم يكن يتوقع أن يشك فيها أحد ، ولم يكن فى حاجة لجمع أدلة عليها ، ولهذا وجدنا أبا حامد الغزالى قد احتار بشدة لما حاول العثور على دليل يثبت له صدق العقل ، ويبرهن على أنه يحيا فى حالة يقظة وليس فى حالة نوم، وهى أمور لا يشك أحد فى صحتها. يقول الغزالى:[68]

[فقالت الحواس: بم تأمن أن تكون ثقتك بالعقليات كثقتك بالمحسوسات وقد كنت واثقاً بي، فجاء حاكم العقل فكذبني، ولولا حاكم العقل لكنت تستمر على تصديقي، فلعل وراء إدراك العقل حاكماً آخر، إذا تجلى كذب العقل في حكمه، كما تجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه، وعدم تجلي ذلك الإدراك لا يدل على استحالتة!! فتوقفت النفس في جواب ذلك قليلاً ، وأيدت إشكالها بالمنام، وقالت: أما تراك تعتقد في النوم أموراً، وتتخيل أحوالاً، وتعتقد لها ثباتاً، واستقراراً، ولا تشك في تلك الحالة فيها، ثم تستيقظ فتعلم أنه لم يكن لجميع متخيلاتك ومعتقداتك أصل وطائل. فبم تأمن أن يكون جميع ما تعتقده في يقظتك، بحس أو عقل هو حق بالإضافة إلى حالتك التي أنت فيها، لكن يمكن أن تطرأ عليك حالة تكون نسبتها إلى يقظتك، كنسبة يقظتك إلى منامك، وتكون يقظتك نوماً بالإضافة إليها! فإذا وردت تلك الحالة، تيقنت أن جميع ما توهمت بعقلك خيالات لا الحاصل لها. ولعل تلك الحالة، ما يدعيه الصوفية أنها حالتهم: إذ يزعمون أنهم يشاهدون في أحوالهم التي لهم إذا غاصوا في أنفسهم، وغابوا عن حواسهم أحوالاً لا توافق هذه المعقولات. ولعل تلك الحالة هي الموت، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: " الناسُ نيامٌ فإذا ماتوا انتبهُوا ". فلعل حياة الدنيا نوم بالإضافة إلى الآخرة، فإذا مات ظهرت له الأشياء على خلاف ما يشاهده الآن ويقال له عند ذلك: " فكشفنا عنكَ غطاءكَ فبصرُكَ اليومَ حديدٌ". فلما خطرت لي هذه الخواطر، وانقدحت في النفس حاولت لذلك علاجاً فلم يتيسر، إذ لم يكن دفعه إلا بالدليل، ولم يمكن نصب دليل إلا من تركيب العلوم الأولية. فإذا لم تكن مسلمة لم يمكن تركيب الدليل. فأعضل الداء، ودام قريباً من شهرين، أنا فيهما على مذهب السفسطة بحكم الحال، لا بحكم النطق والمقال. حتى

[68]) **المنقذ من الضلال والموصل إلى ذى العزة والجلال.** تأليف أبو حامد الغزالى. حققه وقدم له الدكتور جميل صليبا والدكتور كامل عياد. صفحة 66-68. الطبعة السابعة. دار الأندلس للطباعة والنشر. بيروت- لبنان- 1967م.

شفى الله تعالى من ذلك المرض، وعادت النفس إلى الصحة والاعتدال، ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقاً بها على أمن ويقين، ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام، بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف، فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المحررة فقد ضيق رحمة الله تعالى الواسعة].

انتهى كلام الغزالى ، ونوجز رأينا ، فنقول أن النفس من هذا القبيل: **النفس شىء لا يحتاج وجوده إلى برهان. النفس بالعكس هى التى ندرك بها وجود الأشياء** ونبرهن بها على مختلف القضايا. ولو لم يكن لديك نفس لما تمكنت من معرفة أى شىء.

الدليل الرابع

من الظواهر التى أثبتت لى بشكل قاطع وجود النفس ووجود الله ظاهرة أسميها "**الإدراك المتعالى على المكان والزمان**" أثناء النوم ، فقد يشاهد الإنسان أثناء النوم أحداثا ، ثم يستيقظ ليجدها تتحقق فى نفس اليوم أو بعدها بعدة أيام أو سنين. وهذه الظاهرة فى غاية الغرابة والإثارة ، وأى محاولة لتفسيرها ستلقى بك على شاطىء الإيمان.

إن المرء وقت النوم لا يمكنه أن يعرف بقدراته المعتادة شيئا يدور فى الواقع لأن الحواس الخمس تكون معطلة أو على الأقل فى حالة ضعف شديد ، وأقصى ما يمكن للنائم إدراكه هو سماع صوت عال بالقرب منه أو الإحساس بهزة قوية. وحتى لو كانت الحواس تعمل بكفاءة تامة أثناء النوم فكيف لها أن تعرف ما سيحدث لرجل مقيم فى مصر إذا سافر فيما بعد لأمريكا؟ هل ترى العين عبر البحار؟ هل تسمع الأذن ما يقال فى قارة أخرى؟ طبعا لا ، لكن إن افترضنا أن الإنسان يحتوى على جزء غير مادى اسمه النفس ، فمن الممكن حينئذ أن يكون لهذه النفس قدرات خاصة ، تمكنها مثلا من التحليق فى الفضاء بسرعات خارقة لمعرفة ما يجرى فى أماكن أخرى فى العالم دون حاجة للحواس ، وهذا دليل آخر على وجود النفس.

ومع ذلك فالنفس لا تقدم تفسيرا كاملا لتلك الظاهرة ، فإنه إذا كان من الجائز تصور قدرة النفس على تجاوز حدود المكان ، فكيف لها أن تتجاوز حدود الزمان؟ كيف للنفس أن تعرف شيئا لم يقع بعد؟ لا بد أنها تلقت معرفة المستقبل من مصدر آخر غير مادى ، والمرشح الوحيد لهذا

الدور كائن غيبى ذو علم محيط: إنه الله سبحانه وتعالى. وقد أخبرنا الله فى كتابه أنه يتوفى الأنفس أثناء النوم ، ثم يردها إلى الأجساد وقت اليقظة. وفى هذه الأثناء يمكن للنفس أن تتلقى علما من الله ببعض ما يجرى فى المستقبل: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الزمر: 42]. وربما تكتسب النفس بعد تحررها من الجسد أثناء النوم القدرة على سماع بعض ما يقال فى الملأ الأعلى (وهذا يشمل معرفة المستقبل) بإذن الله ، وهو شىء اعتادت الجن عليه ، حيث كانت تتجسس على الملأ الأعلى إلى أن بعث نبينا محمد عليه الصلاة والسلام فسلبها الله تعالى هذه القدرة إلا قليلا: {وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (8) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا } [الجن: 8، 9].

وعلى ذلك فرؤية المستقبل فى المنام دليل على وجود النفس ، ووجود إله فوق النفس. وإن رأى البعض أن يستنتج مما سبق فقط أن الله موجود –على اعتبار أن الإله قادر على نقل معرفة شىء من الغيب للمخ المادى أثناء النوم دون حاجة لافتراض وجود النفس– فهذا الفرض أيضا فى صالح الدين لأن التصديق بوجود الله هو تصديق بفكرة الغيب ، وهذا يُسقط الحجة الأساسية لمنكرى النفس التى تقوم على إنكار الغيبيات ، فمن آمن بالله (والله غيب) فلن يكون من العسير عليه بعد ذلك أن يتقبل وجود كيان غيبى آخر اسمه النفس.

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

ما لا يُرى ليس بالضرورة وهما

لماذا لا تصدق بوجود النفس؟ ألأن العلماء لا يستطيعون رصدها بأجهزتهم؟ **إذن فلتعلم أن العلم الحديث قد كشف لنا عن أشياء كثيرة كانت موجودة معنا دون أن يتمكن أحد من رؤيتها لآلاف السنين** ، وظلت هذه الأشياء من قبيل الغيبيات إلى أن تقدمت الأجهزة والآلات ، فاستطعنا إدراك وجودها.

لقد ظل الناس لقرون طويلة يجهلون أن الطعام الذى يأكلونه ملىء بالجراثيم إلى أن اكتُشف المجهر. وظل الناس ينظرون حولهم فى الفضاء ، فلا يثبتون وجودا لشىء خفى إلا الهواء الذى يضرب أجسادهم ، ولكن العلم الحديث أكد لهم أن جسيمات النيوترينو تخترق أجسادهم بالملايين فى كل لحظة دون أن يحسوا بها ، وأن حولهم من كل جانب إشعاعات لا تراها العين كالأشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية والأشعة الكونية وأشعة جاما ، إضافة إلى بلايين الذرات التى تتكون من جسيمات أصغر وأصغر إلى أن نصل إلى نطاق بلانك الذى يعترف العلم بالعجز عن سبر أغواره مهما أوتى من أدوات. وفى السنوات الأخيرة اكتشف العلماء دلائل قوية على وجود ما يسمى بالمادة المظلمة والطاقة المظلمة التى لا يعلمون عنهما شيئا ، لكن وجودهما ضرورى لتفسير كثير من الظواهر الطبيعية. وكل هذا غيب عنا.

إذن العلم الحديث أثبت بشكل حاسم أن البشرية كانت – ولا تزال– غارقة فى الغيب رغم تقدمها الرهيب ، وأن هناك كيانات طبيعية لا يقدر العلماء على رصدها ، ومع ذلك فهى ذات تأثير على سير الأحداث فى الكون ، وأن الغيب أمر نسبى ، فكلما توافرت لدينا وسائل جديدة انكشف لنا المزيد من الغيب. لقد برهن العلم **أن المؤمنين لا يعيشون فى وهم بسبب اعتقادهم فى الغيبيات ، وإنما منكرو الغيبيات هم الذين يعيشون فى وهم بسبب ظنهم أن كل ما هو موجود فلا بد أن يكون مشاهَدا أو مُدرَكا.** لقد اقترب العلم كثيرا من وجود النفس.

ومع ذلك قد يقول أحدهم: "ولكن العلماء يؤمنون بوجود غيبيات لأن هناك مبررات قوية لافتراض وجودها ، فمثلا الطاقة المظلمة تفسر تباعد المجرات ، والمادة المظلمة تفسر تكون المجرات وتماسكها وحركتها ، أما النفس فأمر مختلف."

ونحن نرد على ذلك قائلين: **ومن قال لك أنه لا يوجد مبرر لافتراض وجود النفس؟** ألم تر معنا كيف يتعذر تماما على المادة المكونة للمخ أن تفسر لنا مختلف الظواهر النفسية كالتفكير والحب والبغض والإحساس؟

ولنتكلم الآن بشىء من التفصيل عن إحدى الغيبيات المطروحة حاليا فى أوساط الفيزياء الحديثة، ألا وهى **المادة السالبة** Negative matter.

المادة السالبة؟ هل تقصد مادة تحمل شحنة كهربية سالبة ، تتنافر مع المواد التى تحمل شحنة كهربية سالبة ، وتتجاذب مع المواد التى تحمل شحنة كهربية موجبة؟ لا ، المادة السالبة شىء آخر ؛ مثلا أيون الكلور يحمل شحنة كهربية سالبة ، لكنه مكون من مادة موجبة معتادة ، أما المادة السالبة فأمر آخر لم يشاهده أحد من قبل. إن المادة السالبة أخف من اللاشىء ، أخف من العدم. هل هناك شىء أخف من اللاشىء؟ نعم هذا محتمل جدا كما يقول العلماء.

المادة السالبة هى نوع مفترض من المادة تسمح قوانين الفيزياء بتواجده. والمادة السالبة لها جاذبية سالبة ، فهى تتنافر مع ما حولها ، وتجعل كل شىء قريب منها يبتعد عنها ، سواء كان هذا الشىء ذا كتلة موجبة أو سالبة[69].

والمادة السالبة إن دفعتها للأمام فإنك تفاجأ بأنها تتسارع للخلف ، وذلك لأن العجلة = القوة مقسومة على الكتلة. وإذا كانت الكتلة سالبة فإن العجلة تصبح سالبة ، أما الكتلة الموجبة فإنها تتسارع فى نفس اتجاه القوة التى تدفعها[70].

ويفترض العلماء أن المادة السالبة إن كان لها وجود فى بداية الكون فلا بد أنها تنافرت بشدة مع المادة المعتادة ، وانطلقت لأطراف الكون. وإن وجدت كتلة من المادة السالبة فى الفضاء تشبه النيازك فإنها لا يمكن أن تسقط على الأرض (أو الشمس) ، ولكنها ستتنافر ، وتنطلق بعيدا[71،72].

ويرى بعض العلماء أن هناك ضرورة نظرية قوية لافتراض وجود المادة السالبة لأن قانون حفظ الطاقة يقول أن الطاقة لا تفنى ولا تستحدث ، ولكن حين نأتى للحظة نشوء الكون نواجه مشكلة: من أين أتت طاقة الكون؟ ويحاول العلماء حل هذه المشكلة **(**بعيدا عن افتراض وجود الله**!)** بالقول بأن طاقة الكون كانت فى الأصل صفرا ، وأن ظهور الطاقة الموجبة لكوننا المعروف

---

69) **The power of negative matter.** By ROBERT FORWARD. 17 March, 1990. https://www.newscientist.com/article/mg12517084-200-the-power-of-negative-matter/, accessed on June 20, 2019.

70) **Physicists create 'negative mass'** by Eric Sorensen, Washington State University, April 17, 2017, https://phys.org/news/2017-04-physicists-negative-mass.html, accessed March 21, 2021.

71) **Physics of the impossible**. By Michio Kaku. Page 205-206. Published in the United States by Doubleday 2008.

72) استخدم العلماء ظاهرة عدسات آينشتين Einstein lenses لاكتشاف المادة السالبة. وعدسات آينشتين تعتمد على قدرة الأجرام السماوية على جعل الضوء يسير فى خطوط منحنية بدلا من خطوط مستقيمة. والمادة السالبة يتوقع أن تجعل الضوء يتحرك بطريقة غريبة. لكن العلماء لم يعثروا حتى الآن على أثر لهذه المادة السالبة.

صاحبه نشوء طاقة سالبة ومادة سالبة (المادة والطاقة شىء واحد) ، فتكون محصلة طاقة الكون صفرا. ويرى هؤلاء العلماء أن هذا الحل أفضل من الحل الذى طرحه ستيفن هوكنج وألان جوث وألكساندر فيلينكين الذين اقترحوا أن طاقة وضع الجاذبية هى التى تعادل طاقة الكون الموجبة ، وتجعل المحصلة النهائية للطاقة تساوى صفرا.[73]

وقد نجح العلماء مؤخرا فى إنتاج ذرات من مادة الروبيديم تتصرف كما لو أنها ذات كتلة سالبة وذلك اعتمادا على مبدأ "متكثِّف بوز – آينشتين" Bose–Einstein condensate واستخدام أشعة الليزر[74].

وقد أدت التجربة الأخيرة إلى قيام الباحث جيمى فارنز Jamie Farnes من جامعة أكسفورد بطرح نظرية جريئة تحل المشكلة المزمنة المتعلقة بالمادة المظلمة والطاقة المظلمة بضربة واحدة، وذلك بافتراض أن من الممكن النظر إلى الاثنين على أنهما شىء واحد هو سائل من الكتلة السالبة Negative mass fluid التى تمتلك جاذبية سالبة ، وتتنافر مع كل شىء حولها. وذكر الباحث أيضا أن آينشتين نفسه كان أول من انتبه لاحتمال امتلاء الكون بالمادة السالبة حيث كتب عام 1918: "من المطلوب تعديل النظرية بحيث يضطلع الفضاء الخالى بدور الكتل السالبة المتثاقلة المنتشرة فى جميع أرجاء الفضاء بين النجوم". ويؤكد الباحث أن نظريته الجديدة تتفق مع عدد من المشاهدات التجريبية ، وأن لغز المادة المظلمة والطاقة المظلمة يمكن حله فقط بواسطة إشارة سالبة**!** [75،76]

إن المادة الموجبة المعتادة تتميز بأنها تتجاذب مع نفسها ، ولهذا تكثفت على شكل مجرات ونجوم وكواكب ، أما المادة السالبة فهى تتنافر مع نفسها ، ولهذا لم تُكون مجرات ونجوما ، بل انطلقت فى الفضاء خارج المجرات ، وليس داخلها ، ولهذا لا نراها على الأرض. وهذه الطبيعة التنافرية للمادة السالبة تقدم تفسيرا قويا لظاهرة أن المادة المظلمة الحالية لا تتفاعل بقوة مع بعضها ، بل تنتشر بشكل يكاد يكون متساويا. وعلى ذلك فالمادة المظلمة هى على الأرجح

---

73) **Dark Matter is Negative Mass**. By Hyoyoung Choi. *viXra*. 2018

74) **Physicists create 'negative mass'** by Eric Sorensen.

75) ذكر الباحث أنه مع تمدد الكون فإن تركيز المادة السالبة يقل ، وهذا شىء ضد المشاهدات التجريبية ، ولكن يمكن حله بافتراض وجود عملية تخليق مستمر للمادة السالبة فى كل مكان ، تحافظ على كثافتها ثابتة بالرغم من تمدد الكون.

76) **J.S. Farnes. 2018**. **A unifying theory of dark energy and dark matter: Negative masses and matter creation within a modified ΛCDM framework**. *A&A* 620, A92; doi: 10.1051/0004-6361/201832898

مكونة من مادة سالبة. والمادة السالبة يمكنها أيضا أن تكون هى الطاقة السالبة ، فالمادة السالبة لها جاذبية تنافرية ، وهذا يدفع الفضاء للتمدد ، والمجرات للتباعد[77،78].

ويؤكد العلماء أن البحث عن المادة السالبة على الأرض أو فى أعماق المناجم ليس أكثر من إهدار للوقت والمال لأن المادة السالبة تتنافر مع المادة الموجبة التى تتكون منها أرضنا ، وبالتالى لن يكون لها أى أثر بالقرب منا. المادة السالبة يتوقع أن تكون موجودة بعيدا عنا فى الفضاء الشاسع بين المجرات ، وعلى شكل هالات حول المجرات وليس داخلها ، فالمجرات تشبه فقاقيع داخل محيط متصل مملوء بالمادة السالبة التى تملأ الفضاء ، والتى لا يمكن رؤيتها رغم أنها تؤثر بشدة علينا. والمادة الموجبة إن سادت فى مكان ما قللت بشدة من كثافة المادة السالبة، والعكس صحيح[79،80].

إن إنسانا لو قال منذ مائة سنة أن بعض الموجودات لها كتلة أقل من العدم أو اللاشىء أفلن يكون الاتهام بالجنون من نصيبه؟ وإن قيل لك أن هناك شيئا ثقيلا إن قمت بإلقائه على الأرض فإنه لا يتحرك لأسفل بل يتحرك للأعلى أفلن تندفع فى ضحك هستيرى مما تسمع؟ ولكن العلماء يأخذون هذه الأفكار بكل جدية. **إن العلم الحديث مضطر للاعتراف بأن الكون تسوده أشكال غريبة غير مألوفة من المادة لا نراها حولنا ، ولكننا نضطر لافتراض وجودها لأسباب نظرية. ما الغرابة إذن فى افتراض وجود نفس داخل الجسد كى يتسنى لنا تفسير لنا الظواهر الروحية الكثيرة** (كالوعى والذاكرة والحب والكره والتفكير) التى تعجز المادة الجامدة للمخ عن تفسيرها؟

وموضوع المادة السالبة ولم يستقر الرأى بشأنه حتى الآن. وسواء ثبتت هذه الفكرة أم لم تثبت فى المستقبل ، فما يهمنا هو أن العلم الحديث يأخذ بكل جدية فكرة غيبية غريبة لأنها تحل له مشاكل أكبر. ما الغرابة إذن فى القول بأن هناك نفسا لا تُرى؟

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

---

77) **Dark Matter is Negative Mass**. By Hyoyoung Choi. *viXra*. 2018

78) **Can a negative-mass cosmology explain dark matter and dark energy**? By H. Socas-Navarro. Astronomy & Astrophysics; April 2020; arXiv:1902.08287v2

79) **Solving the negative mass paradox**. By Jean-Pierre Petit & Gilles d'Agostini. 2014. https://www.researchgate.net/publication/263659720_Solving_the_negative_mass_paradox

80) **Can a negative-mass cosmology explain dark matter and dark energy**? By H. Socas-Navarro. Astronomy & Astrophysics; April 2020; arXiv:1902.08287v2

كيف تؤثر النفس على الجسد المادى؟

قلنا أن النفس موجودة داخل الجسد ، **وما المخ إلا المكان الذى تمارس النفس من خلاله عملها**، والمقر الذى تدير منه مملكتها المسماة بالجسد. **وكل نشاط كهربى فى المخ يقابله نشاط غير مادى فى النفس ، والعكس صحيح** ؛ فإن حدث نشاط كهربى فى مراكز المخ الحسية شعرت النفس بالإحساسات ، وإن أرادت النفس أن تحرك القدمين والذراعين حدث نشاط كهربى فى المناطق الحركية من المخ المسئولة عن تحريك القدمين والذراعين.

المخ يؤثر على النفس ويتأثر بها: **المخ هو النظارة التى من خلالها ترى النفس العالم المادى ، ولولا المخ لبقيت النفس عمياء عاجزة عن إدراك الأشياء المادية** كما يحدث فى حالة النوم[81] والموت والغيبوبة وإعطاء العقاقير المخدرة ؛ فأثناء العمليات الجراحية مثلا لا يرى المريض ، ولا يسمع ، ولا يشعر ، ولا يشم ، وذلك لأن خلايا المخ تكون فى حالة خمول من أثر المخدر رغم استمرار الحواس فى العمل[82]. ولهذا فنحن نؤكد أن **النفس حين تتحرر من الجسد تصبح عاجزة عن إدراك العالم المادى** ، وذلك خلافا للفكرة الشائعة التى تقول أن النفس مسجونة داخل الجسد، وأن الجسد يعوقها عن المعرفة والإدراك ، وأنها إذا تحررت من سجنها صارت أكثر قدرة على الإدراك. **إننا نقول بدلا من ذلك كلاما أكثر دقة: النفس إذا تحررت من الجسد صارت عاجزة عن إدراك العالم المادى ، لكنها تصبح أكثر قدرة على إدراك الغيبيات** كما يحدث أثناء النوم حين نرى الماضى والمستقبل وما يجرى فى أماكن بعيدة ، وكما يحدث بعد الموت حين نرى الملائكة.

---

[81]) يعتقد العلماء أن النوم يحدث بسبب مراكز النوم Sleep centers. ومراكز النوم تشمل ثلاث مناطق ، أهمها "نوى الرفاء" Raphe nuclei الموجودة فى الجزء السفلى من الجسور Pons والنخاع Medulla . ومن "نوى الرفاء" تنتشر شعيرات عصبية محليا داخل التشكيل الشبكى Reticular formation فى جذع المخ ، وكذلك إلى أعلى حيث المهاد وتحت المهاد والجهاز الحوفى والقشرة المخية الحديثة. كما يمتد من مركز النوم المذكور شعيرات عصبية إلى أسفل حيث الأبواق الخلفية Posterior horns من الحبل الشوكى كى تمنع الأحاسيس الواردة من مختلف أنحاء الجسم (بما فى ذلك الألم) من الوصول إلى المخ أثناء النوم. وعندما تقل أنشطة مراكز النوم تصبح نوى التنشيط الشبكية Reticular activating nuclei (فى الجسور والنخاع) نشطة بشكل تلقائى ، فتقوم بتنشيط القشرة المخية والجهاز العصبى الطرفى ، فيستيقظ الإنسان من النوم. ملحوظة: تشمل المراكز الأخرى المسببة للنوم بعض المناطق فى "المهاد" و"تحت المهاد" و "النواة الوحيدة" Solitary nucleus . انظر كتاب:

Guyton and Hall Textbook of Medical Physiology. Page 722-723.

[82]) عندما يحقن المريض مثلا بمخدر الميدازولام Midazolam يرتبط هذا المخدر بمستقبلات جابا GABA receptors فى الجهاز العصبى المركزى (وهى عبارة عن قنوات أيونية) ، فيؤدى هذا الارتباط إلى زيادة تدفق أيونات الكلور إلى داخل الخلية ، فيتزايد استقطاب غشاء الخلية العصبية ، ويتوقف توليد التيار الكهربى بها. انظر:

Wang J, Sun P & Liang P. Neuropsychopharmacological effects of midazolam on the human brain. Brain Inf. 7, 15 (2020).

وقد وجه المفكرون الماديون اعتراضا على وجود النفس ، حسبوه غير قابل للحل. لقد تساءلوا بكل غرور: كيف تؤثر النفس غير المادية على المخ المادى؟

ونحن نقول بعون الله تعالى وفضله: من أين أتيتم بهذه القاعدة؟ من أدراكم أن غير المادى عاجز عن التأثير على المادى؟ **أنتم من الأصل تنكرون وجود كل ما هو غير مادى ، فكيف تتكلمون بهذه الثقة عن خصائص شىء هو بالنسبة لكم غير موجود؟** أما بالنسبة للمؤمن فهو يعتقد أن من الممكن لغير المادى أن يؤثر على المادى ، وأوضح مثال على ذلك الله عز وجل الذى يؤثر على الكون المادى رغم أنه عز وجل ليس بمادة. ونفس الأمر ينطبق على الملائكة والجن التى تؤثر على حياة البشر (الملائكة مثلا حاربت الكفار فى غزوة بدر).

وإذا كنتم لا تؤمنون بوجود الله فنحن نحيلكم إلى فكرة علمية معروفة اسمها **الموجة القائدة أو الرائدة** (Pilot wave): تقول نظرية العالم بوهم فى تفسير فيزياء الكَم أن كل جسيم من الجسيمات الصغيرة تصاحبه موجه قائدة ، توجه حركته وسلوكه. والغريب أن هذه الموجة تختلف عن كل الموجات الموجودة فى الطبيعة ، فهى لا تمتلك طاقة خاصة بها ، ومع ذلك فإنها تؤثر على سلوك الجسيمات المصاحبة لها[83،84] ، فهى موجة ذات طبيعة غير مادية ، **كما لو كانت شبحا** ، ورغم ذلك تؤثر هذه الموجة على الجسيم غير المادى. **ما الغريب إذن فى تصديق أن النفس غير المادية تؤثر على الجسد المادى؟** إن نظرية بوهم جيدة جدا ، وقد تمكنت بعد مثابرة طويلة من أن تحظى باحترام الأوساط العلمية بعد نجاحها فى تفسير أغلب المشاهدات فى فيزياء الكم ، فبأى حق يسخر الماديون حين يقول الدين أن النفس غير المادية تؤثر على الجسد المادى؟ ولا يعنينا ما إذا كانت نظرية بوهم ستثبت جدارتها فى المستقبل بشكل نهائى أم لا[85] ، فالمهم أن العلم الحديث يقبل من حيث المبدأ بفكرة تأثير شىء غير مادى على شىء مادى. لقد انهارت شبهة الإلحاد تماما بحمد الله.

---

[83]) **Bohm's Alternative to Quantum Mechanics**. By David Z Albert. Scientific American. May, 1994;https://www.scientificamerican.com/index.cfm/_api/render/file/?method=inline&fileID=E4E5A621-B144-4118-B081CC1548143F34

[84]) **Quantum physics: illusion or reality**. By Alastair I. M. Rae. Page 32-33. Second edition. Cambridge University Press. New York, USA. 2004.

[85]) لا تزال نظرية بوهم تتعلق فقط بالأنظمة التى لا تمتلك طاقات كبيرة جدا وتتحرك بسرعات تقل كثيرا عن سرعة الضوء وليست خاضعة لمجالات جاذبية شديدة القوة. بعبارة أخرى: يجب على نظرية بوهم ان تقدم بديلا يحل محل نظرية المجال الكمى النسبى Relativistic quantum field theory

ولمن أراد مزيدا من الحسم أحلناه إلى فكرة المادة المظلمة Dark matter والطاقة المظلمة Dark energy: لقد وقع العلماء فى السنوات الأخيرة فى مأزق خطيرة حين اكتشفوا أن أغلب مكونات الكون من طبيعة غريبة تختلف عن كل ما نعرفه. وبعبارة أدق يقول العلماء أن المادة المعروفة لنا التى تشمل المجرات والنجوم والتى تتكون من جزيئات وذرات (المادة الباريونية) تمثل 4% فقط من مكونات الكون ، بينما تمثل المادة المظلمة 23% ، والطاقة المظلمة 73%. ولا يعرف العلماء حاليا طبيعة المادة المظلمة ولا الطاقة المظلمة ، فهم لم يرصدوهما بالتلسكوبات ، ولم يكتشفوهما فى المختبرات ، ولكن لديهم أدلة نظرية وشواهد تجريبية غير مباشرة تجلعهم شبه متأكدين من وجودهما. والأخطر من ذلك أن العلماء يؤكدون أن **كلا من الطاقة المظلمة والمادة المظلمة تؤثر على الكون المنظور الذى نعرفه** ، فالطاقة المظلمة هى التى تسبب التمدد المتسارع للفضاء الذى رصده العلماء فى السنوات الأخيرة ، والذى يجعل المجرات تتباعد عن بعضها بسرعة رهيبة تفوق فى كثير من الأحيان سرعة الضوء. كما أن المادة المظلمة – رغم أنها تتفاعل نادرا مع المادة المعتادة– إلا أنها ساعدت بشكل حاسم على تكاثف سحب الغبار والغاز كى تولد المجرات والنجوم. والمادة المظلمة موجودة حاليا على شكل كرات ضخمة أو هالات تحيط بالمجرات ، وتعمل بمثابة ثقَّالات جاذبية Gravitational scaffolding.[86] **وبالله عليكم ما الفرق بين المادة المظلمة وبين النفس؟ كيف يتقبل الماديون فكرة وجود تأثير خطير لشىء غيبى غريب مجهول على المادة المعروفة المكونة للمجرات ، ولا يتقبلون فكرة تأثير النفس على الجسد المادى بحجة أن النفس شىء مجهول وذو طبيعة غريبة؟**

إن هذه الاكتشافات العلمية الأخيرة تقدم نموذجا ناصعا يثبت أن **من الممكن لأشياء غيبية ذات هوية شديدة الغرابة أن تؤثر بشدة على المادة المعتادة التى نعرفها** ، وهذا يثبت بشكل قاطع كم هى سخيفة تلك الحجة التى لا يكف الماديون عن رمينا بها ، والقائلة بأن اللامادى يستحيل أن يؤثر على المادى ، وأن النفس –لهذا السبب– محض خرافة. أينا إذن يمشى وراء الخرافات؟

[86]) **Dark worlds**. By Jonathan Feng and Mark Trodden. Scientific American. November, 2010.

ولكن قد يقال أن العلماء ربما يعرفون فى المستقبل طبيعة المادة المظلمة والطاقة المظلمة ، وحينئذ سنكون أمام أشياء مادية تؤثر على أشياء مادية. أليس كذلك؟

وللرد على ذلك نقول: لا يوجد ضمان أن العلماء يمكن أن يعرفوا فى المستقبل طبيعة المادة المظلمة والطاقة المظلمة. ربما يبقى ذلك سرا إلى الأبد مثلما سيبقى نطاق بلانك سرا. لكن هب أنهم عرفوا طبيعتها يوما ما ، **فسيكون من المضحك أن نقول أن المادة المظلمة (أو الطاقة المظلمة) كانت غير مادية ثم أصبحت مادية** ، **وذلك** لأن المادة المظلمة لم تتغير ، والذى تغير هو معرفتنا بها. انتهت الإجابة ، والمدلول الواضح لهذا أن **من الخطأ تقسيم الموجودات إلى موجودات مادية وموجودات غير مادية ، والأدق تصنيفها إلى "موجودات غيبية" و"موجودات مشهودة" ، أو موجودات تنتمى إلى عالم الغيب وأخرى تنتمى إلى عالم الشهادة**. إن الإلكترون مثلا كان فى يوم من الأيام من قبيل الغيب ، **فلو قيل لعلماء القرن الثانى عشر الميلادى أن هناك شيئا اسمه الإلكترون يستحيل رؤيته بالعيون فإن أحدهم لن يصدقك ، وسيعتبر أنك تتكلم عن شبح يشبه الجن والملائكة**. ولكن مر الزمان ، واكتشف العلماء الإلكترون ، وأصبح بالنسبة لهم شيئا ماديا رغم أنه كان منذ سنوات يدخل فى عداد الأشباح غير المادية. الإلكترون نفسه لم يتغير ، بل تغيرت معرفتنا به. **أما إذا قلنا أن الإلكترون كان شيئا غيبيا فأصبح شيئا مشهودا لما كان فى هذا تناقض. وهذا يثبت خطأ تصنيف الأشياء إلى "مادى ولامادى" ، والصحيح كما قلنا تصنيفها إلى "غيب وشهادة".**

وبالمثل لا يصح القول أن النفس كيان غير مادى ، والأدق أن نقول أنها كيان غيبى ، وهذا يجعل من السؤال عن كيفية تأثير النفس اللامادية على الجسد غير المادى سؤالا خاطئا من الأساس ، فرغم اختلاف النفس والجسد إلا أن كليهما له وجود حقيقى وواقعى ، وكلاهما مكون من مكونات الكون ، وحدوث تأثير لكل منهما على الآخر أمر منطقى تماما.

لقد نشأت المشكلة من إساءة استخدام الناس (وأنا منهم) للغة ، فقد أطلقوا لقب "لا مادى" على كل ما هو "غيبى" ، ثم صدقوا أنفسهم ، وحسبوا أن اللامادية صفة ثابتة مستقرة ملتصقة بالشىء ولا تفارقه ، لكن الناس عمليا لا يطبقون هذا المبدأ لأن ما هو غيبى اليوم قد يصبح معروفا ومشهودا فى المستقبل ، وسيعتبره الناس حينئذ شيئا ماديا كغيره من مكونات الكون مع

أن هذا تناقض لأن طبيعة الشىء لم تتغير. وهذا التناقض يحتم علينا أن نتبنى التصنيف الأدق: "غيب وشهادة".

والآن علينا أن ننظر إلى النفس على أنها شىء غيبى وأن نتوقف عن وصفها بأنها شىء لا مادى[87] لأن وصفها باللامادية قد يجعل البعض يشعر أنه لا سبيل إلى حدوث تفاعل بينها وبين العالم المادى. **ونحن لا نتلاعب بالألفاظ** ، فنفضل وصف "غيبى" على وصف "لا مادى" كى نحل المشكلة ، ولكننا نرى أن وصف الأشياء باللامادية يؤدى حتما إلى التناقض حين تتقدم معارف الإنسان ، ويصبح قادرا على إدراك ما كان مجهولا بالنسبة له. ونحن نعتذر للقارىء لأننا فى هذا الكتاب وصفنا النفس أحيانا باللامادية ، وذلك مجاراة للعرف رغم أن هذا غير دقيق كما قلنا.

إن تصنيف الأشياء إلى مادى ولا مادى يفترض أن المادية أو اللامادية صفات جوهرية فى الأشياء ، والحقيقة أن الأمر ليس كذلك ، ف"المادى" هو مجرد وصف خلعه الإنسان على ما يعرفه ، و"غير المادى" وصف خلعه على ما هو مجهول بالنسبة له. إنه مجرد تصنيف فى ظاهره موضوعى ، لكنه فى حقيقته تصنيف ذاتى معرفى ، أما **الأشياء فى حقيقتها الموضوعية** فغير خاضعة لهذا التصنيف ، ولهذا نجد **القرآن الكريم يتضمن إشارات إلى أن الموجودات الغيبية لها جوانب مادية** ؛ على سبيل المثال خلق الله الجن من النار: {وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ} [الرحمن: 15]. والنار – أو الطاقة– يُنظر إليها على أنها شىء مادى بحت. وفضلا عن ذلك فإن الجن يعذَّبون فى النار يوم القيامة: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ} [الأعراف: 179]. كما يعذَّب الجن فى الدنيا بالشهب إن حاولوا التوغل فى السماء: {إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ} [الحجر: 16 – 18]. وإن حاول الجن اختراق السماوات والأرض عُذبوا بالنار والنحاس: {يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (34) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ } [الرحمن: 33 – 35]. وهذا يعنى أن الجن – الذين يُنظر إليهم تقليديا على أنهم موجودات لامادية– يتأثرون بالنار التى تعتبر شيئا ماديا.

[87]) سيلاحظ القارىء أننا فى هذا الكتاب نصف النفس أحيانا باللامادية ، وذلك مجاراة للعرف رغم أن هذا غير دقيق كما قلنا.

معنى هذا أن **تساؤل الملحدين عن كيفية تأثير النفس اللامادية على الجسد المادى لا يعنى المسلم فى شيء لأن هناك تداخلا شديدا بين المادى واللامادى من وجهة نظر الإسلام.**

ثم إن المرء حين ينظر إلى الأشياء الموجودة فى الكون الذى نعيش فيه نجد بينها اختلافات شاسعة فى الطبائع ، فالماء يختلف عن الحجر والشجر والنار والريح والتراب. والسمك يختلف عن الإنسان. والفيروس يختلف عن وحيد القرن. ولو كان كوكب الأرض مكونا فقط من الأحجار ولا يحتوى على الماء والنار ، ثم تمكن سكان الأرض من الوصول إلى كوكب آخر ، فشاهدوا النار وأنهار الماء لظنوا أنهم يشاهدون قصة من حكايات ألف ليلة وليلة. وعلى ذلك فرغم ضخامة الفرق بين النفس والجسد إلا أن هذا لا ينفى تأثر كل منهما بالآخر أسوة بتأثير الأشياء المادية على بعضها رغم الاختلافات الكبيرة بينهما.

<u>والآن دعونا نحدد العلاقة بين النفس والجسد بدقة شديدة</u> ، فنقول بعون الله تعالى أن هذه العلاقة يمكن فهمها إذا تأملنا جهاز التحكم عن بُعد (الريموت كونترول). إن الأشعة تحت الحمراء الصادرة من جهاز التحكم عن بعد هى من طبيعة مختلفة عن السيارة ، ومع ذلك فهى قادرة على فتح باب السيارة: الأشعة تحت الحمراء لا تراها العين ، بينما السيارة تراها العين. الأشعة تحت الحمراء نوع من الإشعاع ، بينما السيارة مصنوعة من المادة. والفرق بين المادة والإشعاع يبدو ضخما لأول وهلة ، فالإشعاع عبارة عن طاقة خالصة ، تتكون من فوتونات ، بينما المادة مكونة من جزيئات وذرات. وبالمثل النفس من طبيعة مختلفة عن الجسد ، ومع ذلك فهى تحرك الجسد ، تماما مثل جهاز التحكم عن بعد.

والأشعة تحت الحمراء يستحيل أن تؤثر على السيارة إلا إذا كانت السيارة تحتوى على جزء خاص قادر على استقبال تلك الإشعاعات والإحساس بها ، يسمى المستقبِل أو الريسيفر. وهذا المستقبِل قادر فى نفس الوقت على التأثير على السيارة وتحريكها. وبالمثل المخ هو هذا الجزء الخاص الذى يستطيع تلقى الإشارات من النفس ، ويستطيع فى نفس الوقت تحريك الجسم وتوجيهه طبقا للتعليمات التى تلقاها من النفس.

إن منظومة (الأشعة تحت الحمراء...المستقبِل...السيارة) تقابل منظومة (النفس....المخ... الجسد).

"الأشعة تحت الحمراء" تناظر "النفس". و"المستقبِل" يناظر "المخ". و"السيارة" تناظر "الجسد".

وأغلب الناس – ومن بينهم كثير من العلماء– لا يفهون كيف يؤثر جهاز التحكم عن بعد على السيارة أو التلفاز ، ومع ذلك فهم متأكدون من وجود هذا التأثير. وقياسا على ذلك نتساءل: لماذا تندهشون من عدم قدرتنا على فهم الآلية التى تؤثر بها النفس على المخ ثم على الجسد؟ إن عدم القدرة على فهم شيء لا يعنى بالضرورة أن هذا الشيء وهمى ، ولكنه قد يعنى فقط أن هذا الشيء أعلى من مستوى العقول ، فالعقل البشرى ليس كاملا.

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

تأثر النفس بالمادة

من الخطأ القول بأن فكرة النفس تنطوى على تناقض لكون النفس غير مادية ومع ذلك تتأثر بالعوامل المادية. إن **افتراض غياب أى تفاعل بين المادى واللامادى أو بين الغيبى والمشهود هو افتراض تعسفى ولا دليل عليه** ، وقد نبع على ما يبدو من الأفلام السينيمائية القديمة التى تصور النفس على أنها شبح يخترق الحوائط والأبواب دون أن يتأثر بشيء. إن **أحدا من العلماء لم ير النفس ، ولم يخضعها للفحص المعملى كى يتكلم بثقة منكرا وجود تأثر لها بالمادة. كما أنه لا يوجد عقلا سبب منطقى يمنع تأثير الأمور المادية على النفس غير المرئية.** ولقد تكلمنا فى الصفحات السابقة بما فيه الكفاية عن خطأ افتراض وجود جدار فاصل بين المادى واللامادى، واقترحنا التخلى عن ثنائية "المادة واللامادة " واستعمال ثنائية "الغيب–الشهادة". ونفس المنطق ينطبق تماما على فكرة تأثير المادة على النفس.

إن النفس من طبيعة شديدة الاختلاف عن طبيعة الجسد ، ولذا كان **هناك حاجة لعضو يلعب دور حلقة وسطى بين النفس والجسد ، وهذه الحلقة هى المخ** الذى ينقل للنفس معلومات عما يتعرض له الجسد من تأثيرات المادة (من خلال الحواس الخمس) ، وينقل من النفس الأوامر للجسد. إن التفاعل المباشر بين النفس والمادة صعب ، لكن وجود المخ يجعل هذا التفاعل

ممكنا. ولكن كيف يمتلك المخ وحده تلك القدرة دون سائر الأعضاء؟ هذا ما لا نعلمه ، ولا سبيل لنا إلى معرفته ، قال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء: 85].

إننا الآن فى قلب معركة النفْس. لقد رفع الماديون رايات النصر ، وقالوا: "بما أن أغلب الظواهر النفسية يمكن إحداثها من خلال الإثارة الكهربية لمراكز المخ المختلفة أو باستخدام العقاقير فهذا دليل قاطع على أن النفس لا وجود لها ، إذ **ما الداعى لافتراض وجود كيان غيبى تعزى إليه الحالات النفسية طالما أننا نمتلك أدلة ناصعة على أن المخ هو سبب هذه الحالات؟**"

ونحن نقول بعون الله: إن حدوث نتيجة ما لا يتطلب دائما وجود سبب واحد فقط ، فمن الممكن أن يكون هناك سلسلة من الأسباب المترتبة على بعضها والتى تؤدى معا لحدوث هذه النتيجة. ووجود خلل فى أى من هذه الأسباب يؤثر على حدوث النتيجة. **ومن الخطأ أن نستنتج أنه طالما أن أحد الأسباب يؤدى لحدوث نتيجة ما فهذا معناه أن هذا السبب هو السبب الوحيد المؤدى إلى النتيجة** ، إذ ربما كان كل دور هذا السبب أنه يحرك سببا آخر أو أسبابا أخرى فوقه. وهذا يشبه مكالمة هاتفية سجلتها الشرطة لرجل أعمال يقول لصديقه أنه سيقتل أحد منافسيه فى خلال دقائق ، فلما وقع حادث القتل وجهت الشرطة الاتهام لرجل الأعمال ، لكنها وجدت أن البصمات الموجودة فى شقة القتيل تختلف عن بصمات رجل الأعمال ، وبعد مزيد من البحث اكتشفت الشرطة أن رجل الأعمال استأجر قاتلا محترفا لتنفيذ الجريمة. ونحن هنا إزاء سببين للقتل ، أحدهما رجل الأعمال والآخر هو القاتل المحترف. ولو أصر رجال الشرطة على اعتبار رجل الأعمال وحده هو سبب القتل – لعثورهم على دليل ضده (المكالمة الهاتفية)– لكانوا مخطئين. وهذا المثال يثبت أن وجود سبب ما لإحدى النتائج لا ينفى وجود سبب آخر سابق أو لاحق. **وبالمثل كون المخ سببا للحالات النفسية المختلفة كالقلق والفرح والاكتئاب لا ينفى وجود سبب أعلى هو النفس.**

وهاك مثال آخر: إن الإنسان لكى يشعر بالألم فهذا يتطلب مرور تيار كهربى من المستقبِلات الحسية بالجلد عبر عدة محطات من الخلايا العصبية بعضها فوق بعض ، إلى أن يصل التيار الكهربى إلى مراكز الإحساس فى المخ فيشعر الإنسان بما حوله. ومن الممكن لأعصاب

المحطة الثانية مثلا إذا أثيرت أن تجعل المرء يشعر بالألم ، ولكن هذا ليس معناه أن المحطة الثانية هى كل شىء ولا أنها السبب الوحيد الذى يفسر الشعور بالألم ، فالمحطة الثانية هى مجرد سبب لإثارة المحطات التى فوقها. وبالمثل **لماذا لا نقول أن المخ ليس إلا محطة فى سلسلة سببية تنتهى عند النفس؟** إن قدرة المخ على إحداث الحالات النفسية المختلفة لا تثبت أنه السبب النهائى أو الأعلى لهذه الحالات؟ وعلى ذلك **فتأثر المخ ببعض الأمراض أو العقاقير التى تسبب الفرح أو الحزن أو الكوابيس أو القلق أو الاكتئاب لا يعنى بالضرورة أن المخ هو السبب النهائى أو الأعلى لهذه الظواهر النفسية** ، فمن المنطقى تماما افتراض أن **دور المخ ينحصر فى إثارة نفس غيبية تتولد فيها المشاعر والإحساسات المختلفة.** إن قدرة المخ على التأثير على الحالة النفسية ليس دليلا ضد وجود النفس.

ولنأخذ مثالا آخر بإحدى الظواهر النفسية التى يمكن إحداثها بواسطة العقاقير المادية:

هناك ظاهرة انتبه إليها علماء النفس منذ أكثر من 40 عاما ، تسمى "تجربة الموت الوشيك" Near–death experience [88،89،90] ، وهى تحدث لدى 6- 23% من الأشخاص إثر فقدهم للوعى لعدة دقائق بسبب إصابتهم بسكتة قلبية. وبعد عودة القلب إلى العمل يفيق هؤلاء المرضى، فيروون وقائع رأوها أثناء الغيبوبة. والوصف التقليدى الذى ينقله لنا المرضى من كل الشعوب والثقافات يتضمن الشعور بالسعادة والسلام الداخلى ، والشعور بمفارقة الإنسان لجسده ، والشعور بالاتحاد مع الكون ، ورؤية نور باهر ، والسفر عبر نفق مظلم ، ومقابلة موتى من الأقارب أو من الشخصيات الحكيمة والزعماء الدينيين ، ورؤية كائنات روحية ، والدخول فى عالم غير أرضى ، ورؤية مشاهد من الماضى أو المستقبل أو تقع فى مكان آخر. وهذه الرؤى تكون شديدة النصاعة والوضوح ، ويصفها بعض المرضى بأنها أكثر واقعية مما هو واقعى Realer than real.

---

[88]) **Timmermann C, Roseman L, Williams L, Erritzoe D, Martial C, Cassol H, Laureys S, Nutt D and Carhart-Harris R**. DMT Models the Near-Death Experience. Front. Psychol. 2018; 9:1424. doi: 10.3389/fpsyg.2018.01424

[89]) **Martial C, Cassol H, Charland-Verville V, Pallavicini C, Sanz C, Zamberlan F, Vivot RM, Erowid F, Erowid E, Laureys S, Greyson B, Tagliazucchi E.** Neurochemical models of near-death experiences: A large-scale study based on the semantic similarity of written reports. Conscious Cogn. 2019 Mar;69:52-69.

[90]) **Cassol H, Martial C, Annen J, Martens G, Charland-Verville V, Majerus S, Laureys S.** A systematic analysis of distressing near-death experience accounts. Memory. 2019 Sep;27(8):1122-1129.

ولا تحدث هذه التجربة وقت توقف القلب فقط ، ولكنها تحدث أيضا فى حالات الانفعال الشديد ، كما تحدث لدى تناول بعض العقاقير مثل عقار "كيتامين" وعقار "دى.إم.تى"DMT [91]. لقد لاحظ العلماء أن الأشخاص الذين يتناولون هذه العقاقير تحدث لهم تجارب تشبه بشكل كبير جدا تجارب من أوشكوا على الموت. وهنا يفهم الماديون أن ما حدث وقت الغيبوبة لم يكن له أى نصيب من الحقيقة ، وأن النفس لم تقابل أرواح الموتى ، ولم تر الملائكة ، وكل ما فى الأمر أن المخ ربما أفرز وقت الموت مواد ذات تأثير شبيه بالكيتامين ، فتقوم بإغلاق مستقبل إن. إم. دى. إيه NMDA receptor –مثلما يفعل الكيتامين– لحماية الخلايا العصبية من الموت وقت السكتة القلبية. هذا أحد التفسيرات المادية[92] ، أما **نحن المؤمنون بالنفس فنقول أن عقار الكيتامين أثر على المخ بطريقة قللت من ارتباط النفس به ، ودفعها للاندماج بدرجة أكبر فى عالم الغيب ، فشاهدت أثرا منه ، ولما استيقظَت أخبرتنا بما رأت.** أعرف أن هناك من سيقول ساخرا: "كلامك من قبيل العلم الكاذب" ، وأنا أقول: "الكاذب الحقيقى من يزعم أن شعورى بالفرح أو الألم ليس أكثر من حركات لأيونات الصوديوم والبوتاسيوم فى المخ".

وطبعا لن نشتط ونقول أن هؤلاء الأشخاص دخلوا حياة البرزخ فعلا ، ثم عادوا منها لأن هذا لا يحدث إلا بعد استرداد الله تعالى للروح بشكل نهائى لا رجعة فيه حين يحين الأجل. ويؤيد ذلك أن ما يرويه العائدون من الموت يختلف بعض الشىء عما ورد فى القرآن والسنة ، وأن بعض الناس حكوا روايات يجزم المرء أنها من شياطين ، فمثلا قال إحدى السيدات أنها رأت شخصا يكلمها بحزم قائلا أن الموت هو النهاية ، وأنه لا يوجد بعده جنة ولا نار. ولهذا فنحن نؤكد بكل ثقة أن **تجربة الموت الوشيك تدخل فى باب الأحلام** التى قد تنجح فيها النفس فى قبض قبضة من عالم الغيب دون أن تقدر على الإحاطة به بشكل كامل. إن النفس فى تجربة الموت الوشيك بعد أن تتحرر جزئيا من الجسد تعرف شيئا مما فى عالم البرزخ ، لكنها لا تعرفه كله بشكل كامل وصحيح.

---

[91]) N,N-Dimethyltryptamine.

[92]) هناك تفسير آخر يقول بأن المخ يفرز وقت توقف القلب مادة ال DMT التى تقوم بحماية الأعصاب من الموت الناشىء عن نقص الأكسجين وتوتر الأكسدة ، وذلك من خلال الارتباط بمستقبل اسمه $\sigma 1$ receptor

إن من حقنا أن نفترض أن النفس تتأثر بالمادة (الجسم والمخ) ، وهذا الفرض ليس أقل نجاحا من الافتراض المادى القائل بأن المخ هو السبب الكافى الشافى للظواهر النفسية ، بل بالعكس فقد قدمنا فى الصفحات السابقة أدلة عديدة تحتم افتراض وجود النفس. حقا الفرض المادى أكثر بساطة ، لكن **ليس كل تفسير بسيط صحيح** ، فافتراض أن شخصا واحدا هو الذى قام ببناء الهرم الأكبر هو تفسير أكثر بساطة من افتراض اشتراك آلاف العمال فى بنائه ، ومع ذلك فلا أحد يقبل هذا التفسير البسيط لأن الهرم الأكبر أعظم من قدرات إنسان واحد.

والحقيقة أن **وجود نفس لا تتأثر بالمادة يدخل فى باب العبث من الناحية الدينية لأن الله تعالى خلق الكون كى يختبر النفوس. والاختبار الذى وُضعت فيه النفوس هو العالم المادى** ، فكل شىء فى الدنيا المادية هو اختبار للنفس الغيبية: الطعام والشراب والمال والنساء والذهب والأولاد والغنى والفقر. ولو كانت النفس لا تتأثر مطلقا بالمادة لشم الفقير رائحة الشواء فى بيت الغنى فلم يحسده ، ولنظر الرجل إلى المرأة الجميلة فلم تُحدثه نفسه بالزنا ، ولوجدنا النساء معرضات عن الزينة ، ولما تسابق الرجال على اقتناء السيارات الفارهة. الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

كيف يحاسب الله المجرم المجنون؟

يصاب كثير من الناس فى الشيخوخة بمرض الزهايمر الذى يؤدى إلى ضعف قواهم العقلية. كما يبتلى البعض بأمراض ، تؤدى إلى الجنون مثل أورام المخ والجلطات الدماغية. فكيف يحاسب الله هؤلاء يوم القيامة؟

هؤلاء لن يؤاخذهم الله تعالى لأنهم لا يملكون من أمرهم شيئا ، فالعقل فى الإسلام مناط التكليف، ولهذا نجد الله تعالى يعفى المريض من اللوم والمسئولية: {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ} [الفتح: 17] ، والجنون شكل من أشكال المرض.

وورد فى الحديث الصحيح: " رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَبْلُغَ وَعَنِ الْمَعْتُوهِ حَتَّى يعقل ". رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَأَبُو دَاوُد ، وصححه الألبانى[93].

والآن هب أن سفاحا سرق عشرات البيوت ، وقتل مئات الأبرياء ، واغتصب عشرات النساء ، هب أنه أصيب فى حادث ، فوقع له نزيف شديد فى المخ ، دمر مراكز التفكير والذكاء والكلام ، فقضى بقية حياته فى تخلف عقلى شديد ، فكيف يحاسبه الله يوم القيامة على جرائمه؟ إن من المهم أن يراه ضحاياه ، وهو يقف أمام الله ذليلا ، منكس الرأس ، أو جاثيا يطلب الصحف والمغفرة ، فكيف يحدث هذا مع أن الرجل لا يفهم ولا يقدر على الكلام؟

الإجابة هى أن **تلف المخ الذى حدث للمجرم سيؤدى إلى تعطيل النفس المرتبطة به عن ممارسة عملها ، وهذا ما يعرف بالجنون ، لكن النفس فى ذاتها لم يصبها التلف** ، فكل ما هنالك أن الأداة التى تستخدمها النفس للعمل (المخ) قد أصابها العطب. **ولئن تم إصلاح هذه الأداة (المخ) لعادت النفس للقيام بمهامها بشكل طبيعى.** ولا شك أن من السهل على الله تعالى يوم القيامة أن يعيد خلق المخ خاليا من التلف ، فتعود النفس للعمل بشكل سليم ، ويفهم المجرم أسئلة الله ، ويتذلل ، ويُكوى بنظرات المظلومين وألسنتهم ، ويعاقَب على جرائمه التى ارتكبها قبل أن يصاب بالجنون ، أما ما فعله بعد إصابته بالجنون فلن يُساءل عليه.

إن هذا يشبه أديبا انجليزيا ذهب إلى اليابان ، واصطحب معه مترجما ، ولكن هذا المترجم تلقى رشوة كى يسيىء الترجمة. وهناك حضر الأديب ندوة جماهيرية ، فلما سأله أحد اليابانيين عن رأيه فى أدب شكسبير أخبره المترجم أن السؤال هو: "ما رأيك فى عشق شكسبير للبطاطس؟" ، فضحك الأديب ، وقال: "شكسبير كان معه حق فى حب البطاطس ، فأنا أيضا من المغرمين بها" ، فانفجر الجمهور من الضحك. ولما تكرر نفس الأمر مع بقية الأسئلة ظن الجمهور أن الأديب سكران أو مصاب بالجنون ، مع أن المسألة مجرد خلل فى الأداة التى يستقبل بها كلام الآخرين. **ونفس الشىء ينطبق على الإنسان الذى فقد القدرة على التفكير السليم إثر إصابته**

---

93) **مشكاة المصابيح** (2/ 980). تأليف ولي الدين، التبريزي. تحقيق محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي – بيروت. الطبعة الثالثة، 1985م.

فى حادث ، فهذا المصاب تبقى نفسه صحيحة ، لكنها تفقد قدرتها على التفكير فى أمور العالم لأن جهاز الاستقبال والإرسال الخاص بها (المخ) لم يعد يعمل بشكل طبيعى.

وهب أن هناك رجل أعمال ، يراقب شركاته صوتا وصورة وهو مسافر من خلال منظومة إلكترونية تبث له كل ما يجرى داخل الشركات ، وفى نفس الوقت يصدر أوامره إلى شركاته من خلال نفس المنظومة الإلكترونية. فإن حدث يوما أن أصيبت هذه المنظومة بالشلل بسبب بعض الفيروسات فإن رجل الأعمال سيستقبل معلومات خاطئة عما يجرى فى شركاته ، فيرى مثلا أحد الموظفين وهو يجلس على مكتبه بالملابس الداخلية ، أو يتلقى رسالة من موظف يقول له: "عليك اللعنة". وفى نفس الوقت سيجد الموظفين أن رجل الأعمال يتكلم عن ذكرياته فى الطفولة حين كان يسرق الحلوى من أصدقائه ، وإن سئل عن رأيه فى حركة الأسهم أجاب عن رأيه فى الجمبرى والاستاكوزا. وهكذا سيبدو للموظفين أن رئيسهم قد أصابه الجنون ، وسيظن هو بهم أيضا نفس الشيء. والحقيقة أن رجل الأعمال لم يصبه شيء ، فالخلل يكمن فى المنظومة الإلكترونية التى يرصد من خلالها ما يجرى داخل شركاته ، ويصدر عبرها أوامره. ولو تم إصلاح هذه المنظومة لبدا لنا أن الرجل قد شفى من الجنون ، مع أن ما جرى له لم يكن جنونا حقيقيا.

وهكذا نجد أن تلف المخ يعطل النفس عن الإدراك وعن التصرف بحكمة ، لكن هذه النفس تبقى فى ذاتها سليمة ؛ هى فقط تنتظر من يصلح لها جهاز الاستقبال والإرسال المسمى بالمخ. يجب أن ننظر إلى كثير من أشكال الجنون على أنها حالات عارضة مؤقتة ، وأن المجنون يحتفظ بنفس سليمة ، فقدت القدرة على التصرف الطبيعى بسبب تعطل قدرتها على الإدراك والتنفيذ.

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

تغير أحوال النفس لا ينفى وجودها

أنكر بعض الفلاسفة وجود النفس على أساس أن كلا منا لا يمتلك شخصية واحدة ، فالمدير يكون جادا أمام موظفيه ، بينما يكون لطيفا مع زوجته ، والرجل يرتدى فى فراشه ملابس

يستحيل أن يرتديها فى اجتماع رسمى ، والشاب يجلس فى المقهى بشخصية غير تلك التى يجلس بها فى المأتم.

وقد رددنا على هذه الدعوى فى كتابنا "ما بعد الحداثة تجتاح ديار الإسلام" ، فقلنا أن النفس كيان يتسم بالمرونة ، **النفس تشبه قطعة الصلصال التى يشكلها المثال** ، فيصنع منها حصانا ، ثم يعيد تشكيلها لتصبح سيارة ، ثم يشكلها مرة ثالثة على هيئة زهرة. إنها نفس قطعة الصلصال رغم تغير المظهر. وبالمثل تتغير أحوال النفس ، فتفرح تارة ، وتحزن تارة ، وتقلق تارة ، وتغضب تارة ، وتكتئب تارة ، وتتكبر تارة ، وتتواضع تارة. كل ذلك وهى كما هى. لقد كان من الضرورى أن يخلق الله النفس بهذه المرونة ، فلو خلقت النفس على وتيرة واحدة لكانت كارثة. هب أن الإنسان رُكبت نفسه ليكون سعيدا باستمرار ، فإن علم يوما أن ابنه مدمن مخدرات فإنه لن يغضب ، وسيتركه يضيع. وإن التحق هذا الإنسان السعيد يوما بالجيش لأعطى الزهور لجنود العدو الذى اغتصب أرضه. ومن الطبيعى أن تكون النفس مرنة كى يتصرف المدير بحزم مع الموظف المهمل، ويتصرف برفق مع الموظف المجتهد. **إن تغير أحوال النفس لا ينفى وجود النفس ، بل يدل فقط على أن النفس ليست كيانا جامدا أو بسيطا.**

إن الفوتون يتصرف فى بعض الأحيان كما لو كان جسيما ، ويتصرف فى أحيان أخرى كما لو كان موجة ، ومع ذلك يظل هو هو نفس الفوتون. ولم يقل أحد من العلماء قط بأن اختلاف الطريقة التى يتصرف بها الفوتون دليل على أنه لا يوجد فى الطبيعة شىء اسمه فوتون.

ألم تر إلى البذرة كيف تتحول إلى نبتة صغيرة ، ثم شجرة وارفة الظلال ، ثم تذبل ، فتصبح قطعة خشب ، ثم قطع من الفحم؟ لقد اتخذ نفس الكيان أشكالا متعددة.

ألا تعلم أن الماء يوجد فى الطبيعة فى حالات ثلاث: السائلة والصلبة (الثلج) والغازية (بخار الماء) ، ومع ذلك يظل الماء ماء كما هو رغم تغير شكله؟

ألا يعلم الماديون أن نفس القدر من الطاقة يتحول من صورة إلى أخرى ، فيكون لدى الماء المرتفع مثلا وراء السدّ "طاقة وضع" ، تتحول بالسقوط إلى "طاقة حركة" ، ثم إلى "طاقة كهربية"

(من خلال التوربينات والمولدات الكهربية)، فتنقل إلى البيوت ، لتتحول إلى "طاقة حرارية" فى السخان والمدفأة؟ فهل تغير شكل الطاقة ينفى وجود الطاقة؟ طبعا لا.

وفضلا عن هذه الشواهد الفيزيائية التى تقرب الصورة سنجد أن **مرونة النفس أمر لا مفر منه.** إن الله تعالى لم يخلق للإنسان نفسا جامدة تستعصى على التغيير. لقد أعطى الله لكل إنسان نفسا ، وأمره أن يبحث عن عيوبها كى يصلحها ، ويبحث عن محاسنها كى ينميها. هناك مثلا إنسان خلقه الله تعالى بنفس تتسم بالغضب. هذا الشخص يجب أن يمتثل لتعاليم الدين ، فيحاول أن يكظم غيظه ، ويصفح عن الآخرين كى يصفح الله تعالى عنه. وهناك إنسان خلقه الله ذا طبع هادىء ، فمثل هذا الشخص يجب أن ينمى هدوءه ، ولا يستجيب لمن يوغرون صدره على بعض أصحابه ، كما يجب عليه أن ينمى غضبه ، فلا يظل ساكنا وهو يرى دين الله يهان وحرماته تنتهك. وهناك إنسان آخر خلقه الله جبانا ، يخاف من مواجهة الخصوم ، ومثل هذا الشخص يجب أن يحاول التحلى بالشجاعة وهو يخوض حربا فى سبيل الله. وهناك إنسان خلقه الله شجاعا مغوارا ، ومثل هذا الشخص يجب أن يستغل شجاعته فى الدفاع عن دين الله ، كما يجب عليه أن يذكر نفسه باستمرار أن شجاعته ليست هى سبب النصر ، فما النصر إلا من عند الله. وهناك إنسان خلقه الله ذا ميل شديد للنساء ، فمثل هذا الشخص يجب أن يجتهد فى غض بصره حتى لا يغضب ربه.

وهكذا فعلى كل منا أن يصلح عيوب نفسه ، وينمى محاسنها ، وهذا المعنى العميق عبر عنه القرآن الكريم حين قال: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس: 7 – 10]. إن كلمة (زكاها) تعنى (نمَّاها) ، أى أن الإنسان العاقل هو الذى ينمى قدرات نفسه. أما كلمة (دساها) فتعنى (أخفاها). وَأَصْلُ فِعْلِ (دَسَّى) هو (دَسَّ) ، أى أَدْخَلَ شَيْئًا تَحْتَ شَيْءٍ فَأَخْفَاهُ[94]. ومن قبيل ذلك كلمة (يدسه) التى تعنى "يدفنه": {أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [النحل: 59]. وحين يقول القرآن: (وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) فإنه يحذر الإنسان من أن يدفن نفسه ، وتعبير دفن النفس شائع بيننا اليوم ، فيقال مثلا: "فلان موهبة مدفونة فى الطين". وآيات سورة الشمس رائعة فعلا ، فهى تؤكد

94) انظر تفسير الكشاف للزمخشرى وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور.

بكل وضوح أن النفس ليست قدرا محتوما لا يستطيع الإنسان تجاوزه. لقد خلق الله لكل منا نفسا ذات صفات بعضها حسن وبعضها سيء ، ولا يحق للإنسان أن يتباكى على الشكل الذى خلقه الله عليه ، ويستسلم لما يسميه بالقدر ، فالله تعالى منح كل إنسان الحرية ليشكل نفسه بالطريقة التى تروق له. إن مرونة النفس مظهر من مظاهر عدل الله ، ولولا هذه المرونة لما تمكن أحدنا من أن يغير نفسه ، ويصلح عيوبها ، وينمى مواهبها. وكيف تعطى طفلا كتلة من الحديد ، وتطلب منه أن يصنع منها تمثالا جميلا؟

إن الإسلام لو كان يفرض علينا الاعتقاد بوجود نفس ثابتة ، صلبة ، غير قابلة للتغيير لجاز لنا أن نشك فيه. **إن تغير أحوال النفس يجب أن ينظر إليه على أنه دليل على أن نفوسنا كيانات مرنة ، قابلة للتعديل والتشكيل ، وليس على أنه دليل على عدم وجود النفس.**

والحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

مَن خلَق نفس النعجة دوللى؟

قد يتساءل البعض: من أين أتت نفس النعجة دوللى التى استنسخها العلماء من خلية جسدية دون جماع بين الأب والأم؟ من خلق هذه النفس: الله أم العلماء؟ إن العلماء خلقوا جسد النعجة ، فهل هم الذين خلقوا النفس الموجودة فى جسدها أيضا أم أن النفس مجرد وهم؟ ثم إن العلماء يستطيعون اليوم صنع الجينات المختلفة بأنفسهم من خلال طرق كيميائية معينة ، ومن الممكن من حيث المبدأ إدخال جينات تُكسب أجنة الحيوانات صفات جديدة ، تؤثر على شكلها وسلوكها وشخصيتها ، فهل معنى ذلك أن العلماء يستطيعون خلق النفس؟

فى رأينا أن **هناك عددا هائلا من النفوس ، والله تعالى يقوم بإدخال كل نفس فى جسد معين حين يتكون هذا الجسد ويتكون المخ الخاص به** (ربما كان هذا معنى نفخ الروح فى الجنين). **وطبقا لهذا الرأى فليس المهم كيف خُلق الجسد ، فأيا ما كانت الطريقة التى خلق بها الجسد فستكون هناك دوما نفس جاهزة للتعلق بالمخ الموجود فيه.** إن كل مخ له طبيعة خاصة تختلف عن غيره. كل مخ يشبه المستقبِل الموجود فى التلفاز والذى يستجيب فقط لجهاز تحكم (ريموت كونترول) خاص به حتى لو تلقى إشارات من آلاف أجهزة التحكم الأخرى. وهذا أيضا

يشبه القفل الذى إن مر عليه آلاف المفاتيح فلن يسمح إلا لمفتاح واحد فقط متوافق معه فى الشكل بالدخول فيه.

والحقيقة أن هذه الشبهة رغم أنها تبدو قوية إلا أنها فى الحقيقة لا تقدم جديدا ، فأنت إن نظرت إلى تكون أى نعجة أو أى إنسان بالطريقة الطبيعية (أى بالاتصال الجنسى بين الذكر والأنثى) لوجدت أنها تحدث بالأسباب المادية ، حيث يلتقى الحيوان المنوى بالبويضة ، فيتكون الزيجوت من خلال سلسلة من الأسباب المادية التى هى فى النهاية مجرد تفاعلات بين ذرات وجزيئات ومركبات كيميائية. وتستمر الخطوات السببية المادية فى التتابع لتكوين جسد الجنين بما فى ذلك مخه. وفى هذه الحالة الطبيعية لا نرى الله تعالى وهو يرسل النفس كى تسكن فى جسد الجنين ؛ كل ما نراه أسباب مادية ، يعقبها أسباب مادية ، ومع ذلك لم يتعجب أحد من دخول النفس للجسد، فما الجديد فى النعجة دوللى التى خلقت هى الأخرى من خلال سلسلة من الخطوات السببية المادية؟ نحن لا نرى إلا أحداثا مادية ، تؤدى إلى تكوين الجنين فى الحالتين ، سواء تكون الجنين من خلال الاتصال الجنسى أو من خلال الاستنساخ. الروح فى الحالتين أمر غيبى. والاستنساخ لم يتم رغما عن إرادة الله كى يقال: "من أين أتت النفس؟" الله تعالى هو الذى ترك العلماء يمتلكون تقنيات الاستنساخ ، وترك بعض تجاربهم تنجح فى تكوين أجنة ، فيقوم الله بإرسال نفس خاصة لكل جسد بعد تكونه. ولا فرق عند الله بين تكون جسد بأسباب طبيعية أو تكونه بتقنيات علمية حديثة، فكلها أسباب مادية يتحكم فيها الله تعالى من وراء الستار.

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

التمسك بالدليل المباشر حماقة

يقول الملحد فى زهو: "أنا لا أصدق وجود الآخرة والجنة والنار والحور العين وشجرة الزقوم وكل هذه الخرافات لأنى لا أراها بعينى ، وليس ثمة دليل علمى على وجودها".

ونحن نرد قائلين: "**حقا نحن لا نرى الجنة ولا النار ، لكننا نؤمن بوجود إله للكون** ، ونؤمن أن هذا الإله أرسل رسلا يتمتعون بالخلق والفضيلة ، وأيدهم بالمعجزات ، ولهذا صدقناهم حين بشرونا بالجنة وحذرونا من النار".

إن الملحد يتصور **أن الطريقة الوحيدة لإثبات وجود الأشياء هى توافر "الأدلة المباشرة" عليها، أى مشاهدتها بالعين أو رصدها بالأجهزة**. وهذا لعمرى تفكير ساذج. إن حياتنا تعتمد بشكل كبير على "الأدلة غير المباشرة". خذ مثلا الدول العصرية التى تبنى سياساتها ليس فقط على ما تنقله الفضائيات وترصده الأقمار الصناعية ولكن أيضا على المعلومات التى تأتى إليها من العملاء والجواسيس الذين تبثهم فى كل مكان. وكثيرا ما يكتب العميل تقارير عما رآه أو سمعه ، فتأخذ الدولة بهذه التقارير دون أن تشترط دائما تقديم تسجيل بالصوت والصورة لما حدث. ومن الحماقة أن تكف أجهزة الاستخبارات عن الاستفادة من مثل هذه التقارير السرية بحجة أنها لا تملك تسجيلات توثقها؛ فلو حدث ذلك لخسرت الكثير من المعلومات الخطيرة.

وبشكل عام **يستحيل الحصول فى كثير من الأحيان على دليل بالصوت والصورة ، فيتم الاعتماد على الثقة فى الشخص الذى ينقل المعلومة**. ومن قبيل ذلك زعيم معارضة ليبرالى ينقل لأمريكا تفاصيل لقاء جرى بينه وبين رئيس دولة مسلمة ، ففى هذه الحالة تأخذ أمريكا ما ينقله هذا المعارض بجدية شديدة رغم عدم وجود تسجيلات للقاء ، وذلك لأنها تثق فى ولائه لها باعتباره رجلها الذى تعده كى يقفز على السلطة.

وقد يقول الأب لولده: "لا تمش فى شارع كذا ليلا لأنه ملىء باللصوص". فهنا يكون التصرف الحكيم للابن أن يمتنع عن السير فى هذا الشارع رغم أنه لم يذهب إليه من قبل ، ولم ير اللصوص بنفسه ؛ هو فقط يثق بأبيه.

وهب أن إحدى الفتيات تلقت عرضا بالزواج من شاب فيه كل المزايا ، فقبلته ، لكن جدها حذرها منه ، وأخبرها أن هذا الشاب مرتش ، وأنه شاهده أكثر من مرة يعطل أوراق العملاء حتى إذا دفعوا له سهل لهم كل شيء. فى هذه الحالة ستأخذ الفتاة كلام جدها بكل اهتمام ، وترفض الخطيب رغم أنها لم تره بعينها وهو يتلقى رشوة ، ولكنها اعتمدت على ثقتها فى جدها.

وخذ أيضا ما يحدث فى المحاكم. إن المحكمة لا تستطيع فى كل الأحوال إيجاد دليل مادى ملموس يدين المجرم مثل البصمة أو تصوير الكاميرات أو غيرها ، فتقوم بالاستعانة بشهود رأوا الحادث أو رأوا مقدماته وتأخذ شهاداتهم بكل جدية طالما أنهم شهود عدول ، وليس لهم مصلحة فى الكذب.

وانظر أيضا إلى التقارير الصحفية. إن الصحافة الورقية ظلت تعتمد لأكثر من مائة سنة على ما ينقله المراسلون من أخبار عن الزلازل والأعاصير وحوادث السيارات. ورغم أن الناس لم تكن دوما ترى مثل هذه الأحداث بأعينها إلا أنها كانت تأخذ ما تقوله الصحافة بجدية شديدة طالما أن الصحيفة تتسم بالأمانة والمصداقية. ورغم تطور الصحافة الحديثة إلا أن القارىء لا يزال فى كثير من الأحيان يجد نفسه ميالا بشدة لتصديق أسرار سياسية وأحاديث دارت فى الغرف المغلقة، تكلمت عنها بعض الصحف العالمية لمجرد أن هذه الصحف جادة وتتمتع بسمعة ممتازة، وتم التثبت من مصداقيتها عبر سنوات طويلة من العمل الصحفى.

وهناك آلاف الأمثلة لوقائع نصدقها يوميا بكل سهولة دون أن نكون قد شاهدناها ، وإنما اعتمدنا على ثقتنا بمن نقلها لنا ، وهذه نقطة مهمة للغاية ، تدفع المرء للإيمان بالآخرة بناء على إيمانه بالله ورسله رغم أن وكالة ناسا لم ترصد تلسكوباتها صورا للجنة ولا للنار ولا لأرض الحشر.

وإضافة إلى ذلك فإن **الحكمة تفرض علينا تصديق كثير من الأمور اعتمادا على اتسامها بالمعقولية والمنطق رغم أننا لم نشاهدها بأعيننا.** على سبيل المثال تسير حياة الناس بشكل طبيعى دون أن يجرى كل أب تحليل دى إن إيه DNA لابنه للتأكد من أنه ابنه فعلا لأنه لا أحد من الرجال يضمن ما يمكن أن تفعله زوجته من ورائه أثناء غيبته فى العمل. وهنا يكتفى الأب بملاحظة وجود شبه كبير بينه وبين الطفل فى الملامح والطباع كدليل على البنوة.

وهب أن لقاءا دار بين أحد قيادات الجيش الإسرائيلى ورجل مخابرات مصرى يعيش فى إسرائيل على أنه سياسى يهودى كبير، وفى أثناء اللقاء علم رجل المخابرات بنية إسرائيل شن هجوم على مصر فى يوم معين وساعة محددة ، فأبلغ القيادة السياسية فى مصر بما سمع ، فهل يُكذب الرئيس المصرى ما نقله رجل المخابرات ، ويقول لرجاله: "لن أصدقكم حتى تأتوا لى بتسجيل بالصوت والصورة للقاء الذى دار بين ضابط المخابرات وبين هذا المسئول الإسرائيلى"؟ طبعا لا. والتصرف المنطقى من الرئيس كما يلى:

1. أن يراجع الرئيس ملف ضابط المخابرات المصرى ، ومجمل تاريخه وإنجازاته ، وهل المعلومات التى كان يقدمها لبلاده طوال فترة عمله ثبت صدقها فيما بعد أم لا.

2. أن يتفحص الرئيس سمات شخصية ضابط المخابرات ، وهل من الممكن لرجل فى مثل وطنيته وأخلاقه أن يكون قد رضى بتجنيده كعميل مزدوج يظهر الولاء لمصر مع أنه فى الحقيقة يخدم مصالح العدو من أجل المال.

3. أن يسأل الرئيس رجل الاستخبارات: وما الذريعة التى ستشن على أساسها إسرائيل الحرب مع أن علاقتها بمصر الآن على ما يرام؟ فإن لم يقدم رجل المخابرات حجة مقنعة ، فيحق للرئيس أن يستخف بكلامه ، ويشك فيه.

4. إن كانت الذريعة التى يقدمها رجل المخابرات لشن الحرب منطقية وقوية فسيكون على الرئيس أن يفحصها فى ضوء الظروف السياسية والعسكرية ، وهل يمكن لإسرائيل أن تُقدم على شن الحرب رغم علمها بامتلاك مصر لأسلحة نووية (فرضا) ، وأن عدد سكان مصر أكثر من مائة مليون بينما سكان إسرائيل ملايين قليلة؟

5. إن بقى الرئيس المصرى مترددا بعد كل الخطوات السابقة فإن الحكمة تحتم عليه فرض حالة يقظة فى قواته تحسبا لوقوع الحرب ، فإن وقعت الحرب يكون قد استعد لها ، وإن لم تقع سيكون قد خسر بعض النفقات. وهذه الأموال التى أنفقت على الاستعداد للحرب يمكن اعتبارها شيئا إيجابيا حتى لو تبين فيما بعد كذب الخبر ، فهى تمثل تدريبا للقوات ، وتكشف للقيادة جوانب القصور التى يجب تلافيها.

هذا هو التصرف الحكيم من الرئيس فى أى بلد فى العالم ، وهو يبين أن **الحكمة تفرض علينا تصديق كثير من الأمور اعتمادا على شيئين أساسيين: أولا صدق قائلها. ثانيا: اتصافها بالعقل والمنطق. وهذا يثبت صحة موقف المؤمن الذى يصدق باليوم الآخر استنادا إلى ثقته برسل الله، وبعقلانية فكرة الآخرة.**

إن الآخرة قضية ثانوية. والقضية الأساسية هى: هل لهذا الكون إله أم لا؟ وهل الإسلام هو الدين الحق أم لا؟ فإن اقتنعتَ بأن الله هو خالق الكون ، ثم اعتقدتَ بأن الإسلام هو الحق ، فحينئذ **ستؤمن بالآخرة تلقائيا لأنها مثل كثير من قضايا الدين التى نصدق بها ، ليس بسبب وجود برهان عليها ، بل لأننا آمنا بمن أخبرنا بها.** وعلى سبيل المثال نحن نؤمن بقصة آدم عليه السلام رغم أننا لم نعثر على وثائق تاريخية أو نقوش تثبت وجوده. ونحن نؤمن بأن الجمادات تسبح لله دون أن نرى ألسنة للذرات ، أو حناجر للإلكترونات. هذا هو المنطق البسيط.

إن الحياة على الأرض تمضى دون أدلة مباشرة فى كثير من الأحيان. **ومن لا يصدق إلا الأدلة المباشرة فسيظل يعيش فى حالة مرضية من الوسواس القهرى، ولن يحقق أى شىء فى حياته.** وتخيل عزيزى القارىء شابا قابل أباه فى الصباح ذات يوم ، فقال الأب مبتسما: "صباح الخير" ، فرد الابن متجهما: "إليك عنى أيها الرجل ، فأنا لست متأكدا مما إذا كنت أبى أم لا". فقال الأب مذهولا: "ما الذى دعاك لقول هذا؟" ، فرد الابن: " لأنى لم أكن حاضرا للواقعة التى حملت على إثرها أمى بى". وبعد أيام قليلة يقلد كل الشباب فى البلد هذا الابن الجرىء ، وتصبح كل الأمهات فى البلد متهمات!

وهكذا سنجد أن **علماء الطبيعة لا يمتلكون أدلة علمية مباشرة على وجود الجنة والنار ، ولكن هناك أدلة غير مباشرة مستمدة من ثقتنا فى الأنبياء الذين أخبرونا بهذه الأمور ومن منطقية فكرة الآخرة.** إننا لا نصدق بالآخرة لأن تلسكوب هابل رصد صورا للجنة والنار ، أو لأن المعادلات الرياضية تنبأت بوجود كيان فيزيائى أحد جانبيه حار جدا (النار) والآخر معتدل الحرارة (الجنة). إن إيماننا بالجنة والنار ليس من قبيل الخيال والهراء ، ولكنه يقوم على أدلة منطقية قوية من نفس نوع الأدلة التى بدونها تنهار حياتنا العملية.

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

فلسفة القرآن

القرآن أعمق كتاب يمكن أن تقرأه. ومن جوانب روعته أنه يبرهن على قضاياه بأدلة عقلية بالغة القوة. ومن أشد ما لفت انتباهى أن أدلة القرآن كثيرا ما تكون من نوع غير تقليدى ، يختلف عما هو متداول فى ساحة الفكر ، وما يمكن أن يخطر على البال ، حتى أن مفسرى القرآن يمرون على سطوره ، فيحسبون أن كل آية مستقلة بذاتها مع أنهم إن دققوا للاحظوا أن كثيرا من الآيات المتتالية تبرهن على فكرة واحدة ، ولكن من جوانب متعددة ، وكأنها تحاصر الخصم كى تدمره نهائيا. هناك أمثلة عديدة تثبت أن القرآن أعمق كثيرا من كل مفسريه ، وسنقدم الآن مثالا واحدا يتعلق بموضوع البعث. قال تعالى:

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} [الحج: 5]

هذه الآية مثقلة بالمعانى. والفكرة التى تدور حولها هى محاولة إثبات حدوث البعث بعد الموت. ولكى يحقق القرآن هذه الهدف فإنه يقوم بعمل عدة أشياء:

أولا:

التذكير بقدرة الله التى تجلت فى خلق الإنسان من تراب (فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ). ومن كان قادرا على خلق الإنسان فى المرة الأولى من تراب فإنه سيكون قادرا على خلقه مرة ثانية من نفس المادة الخام. ولذا فإن قال لك الكافر: "**كيف يحيى الله الموتى بعد أن صاروا ترابا ، فقل له: "كما خلقهم أول مرة من تراب**". وفى هذا قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الروم: 27] ، وقال: {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} [يس: 79]

ثانيا:

يمكن للإنسان أن يرى أدلة ملموسة على إمكان حدوث البعث حين ينظر حوله فى الأرض، إذ سيجد أن الأرض الميتة تخضر وتزدهر إذا نزل المطر (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ). **وإذا كان من الممكن للأرض الميتة أن تحيا فما العجيب فى أن تعود الحياة للموتى يوم القيامة؟** إن هذا المنطق يقرب إلى أذهاننا فكرة البعث ، ويجعله أقرب للظاهرة الطبيعية منه للغيبيات.

ثالثا:

من الخطأ النظر إلى فكرة البعث على أنها تنطوى على استحالة. حقا هناك تناقض واضح بين الموت والحياة ، لكن **من قال لك أن البعث يجب أن يتم بقفزة واحدة؟ ما المانع من تحقيق البعث عبر سلسلة من الخطوات المتتابعة؟ هذا أسهل بكثير**. إن من المستحيل على الإنسان أن يعبر النهر فى قفزة واحدة ، لكن هذا ممكن من خلال سلسلة من حركات السباحة. ومن المستحيل على المرء أن يصل إلى قمة جبل بوثبة واحدة ، لكن من الممكن أن يتحقق له ذلك إن صعد خطوة خطوة. وقد رأينا فى حياتنا كثيرا من الأمثلة على تحقق المستحيل من خلال سياسة "خطوة خطوة" ، فمن ذا الذى كان يمكن أن يصدق منذ خمسين سنة أن من الممكن للعرب أن يقعوا فى هوى اليهود بهذا الشكل؟ هذا كان ضربا من الخيال ، لكنه تحقق بالفعل ، حيث بدأ اليهود بتوقيع اتفاق سلام مع مصر ، ثم اتفاق سلام مع الأردن ، واتفاق هزيل مع الفلسطينيين. كما تم تفكيك دول عربية كبرى مثل العراق وسوريا وليبيا واليمن. وتم تجنيد جيوش

من أصحاب النفوذ والسياسيين ورجال الإعلام الفاسدين. وبعد كل ذلك أصبح من السهل أن نشهد موجة تطبيع مجانية مخزية. وقد تحققت المعجزة خطوة خطوة.

وبنفس المنطق يجب أن نتأمل كيف خلق الله تعالى الإنسان البالغ: إن خلق إنسان بالغ من تراب يبدو لأول وهلة مستحيلا ، فالبون شاسع بين التراب الميت وبين الجسد الحى ، لكن الأمر يصبح أكثر سهولة إن علمنا **أن عملية الخلق مرت بمراحل متوالية** ابتداء من تراب ثم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم جنين ذى أعضاء ثم طفل ثم رجل بالغ. إن **الانتقال خطوة خطوة أسهل من الانتقال بقفزة واحدة** ، فتحول التراب إلى نطفة أيسر من تحول التراب إلى رجل بالغ. وتحول النطفة إلى علقة أيسر من تحول التراب إلى رجل بالغ. وتحول المضغة إلى جنين كامل مستقر فى الرحم أسهل من تحول التراب إلى رجل بالغ. وتحول الطفل إلى رجل بالغ أسهل من تحول التراب إلى رجل بالغ.

وبالمثل من الخطأ القول باستحالة إحياء الموتى بعد أن تحولت أجسادهم إلى تراب ؛ فمن الممكن لهذا أن يتم من خلال سلسلة من الخطوات التدريجية الصغيرة. حقا الله تعالى لا يحتاج لأسباب ، ولا لخطوات صغيرة ، ويمكنه أن يفعل أى شىء بكلمة "كن" إلا أن البرهنة على إمكان وقوع البعث بأى وسية كانت – ولو بخطوات تديجية – يصيب منكرى البعث فى مقتل لأنهم يوهمون الناس أن البعث مهما كانت الوسائل ، كما يستحيل القول بأن فلانا وجهه شديد البياض وشديد السواد فى نفس الوقت.

رابعا:

هناك سبب آخر يجعل بعض الناس ينكرون يوم القيامة ، وهو أن الدنيا تبدو لهم كتيار متصل لا يتوقف ، وأحداث متتالية لا تنتهى ، ولا يوجد شىء يجعلهم يعتقدون أن كارثة كونية عظمى ستطيح يوما ما بالكون كله. ولكى يرد القرآن على هذا فإنه يلفت الأنظار إلى مشهد يدل على اتصاف الإنسان بالضعف والقابلية للاضمحلال والفناء: الإنسان لا يستمر على حاله حين يبلغ أشده ، بل تتدهور صحته تدريجيا ، ويصبح شيخا ضعيف البنيان ، يتصرف كالطفل ، وقد يموت بعد هذا أو قبل ذلك (وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ

عِلْمٍ شَيْئًا). وإذا كان التدهور والتلف والفناء هو مصير كل الناس ، فما الغرابة فى القول بأن الكون كله له نهاية؟ إن كل الأشياء فى الكون مثل الإنسان: ناقصة وضعيفة وغير محصنة ضد الموت والفناء ، وهذا يقوى الاعتقاد بأن الكون سيزول كله يوم القيامة ، فالكل فى الغالب يحمل خصائص أجزائه.

وهكذا حشر القرآن فى آية واحدة أربعة أدلة فى غاية العمق على حدوث البعث.

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

العدل يحتم وجود الآخرة

تتفق فكرة الآخرة مع الاعتقاد فى كمال الله. إن الدنيا فيها كثير من الظلم ، **والإله الذى يترك الدنيا على حالها المعوج دون أن يتدخل ليعاقب المسىء ، ويكافىء المحسن ، ويرد الحق للمظلوم ، هو إله شرير ، ولا يستحق أن يُعبد.**

مَن ينتقم لأصحاب الأخدود الذى أُحرقوا أحياء لأنهم آمنوا بالله العظيم؟ من ينتقم لسمية وياسر وعمار وبلال وسائر ضعفاء المسلمين الذين عذبهم سادة قريش؟

من ينتقم لمليون مسلم قتلهم التتار فى بغداد؟ من ينتقم لآلاف من مسلمى الأندلس الذين عذبوا وقتلوا بأبشع الأساليب على أيدى محاكم التفتيش كى يتركوا دينهم؟ من ينتقم من فرعون والحجاج بن يوسف وسائر الحكام المستبدين الذى قتلوا ملايين الشرفاء حبا فى السلطة؟ من ينتقم للعبيد الذين كان الرومان يجبرونهم على ممارسة المصارعة العنيفة إلى أن يقتل بعضهم بعضا؟ من ينتقم لملايين الأفارقة السود الذى حملوا قسرا لأمريكا ليعمروها ويموتوا من المرض والإهمال والتفرقة العنصرية؟ من ينتقم لآلاف المسلمين الذين ذبحهم الصرب فى البوسنة تحت سمع العالم وبصره؟ من ينتقم لآلاف المسلمات اللائى اغتصبهن الصرب بصورة متكررة بهدف جعلهن يحملن فى أحشائهن أطفالا من أعدائهن؟ من يقتص لمليون جزائرى مسلم قتلتهم قوات فرنسا حين طالبوا باستقلال بلادهم؟ من ينتقم لآلاف المدنيين الجزائريين الذى ذبحهم عملاء فرنسا فى الجزائر كى يثبتوا أن الإسلام دين إرهابى؟ من ينتقم للملايين الذين قتلهم الحكم الشيوعى على أيدى لينين وستالين وماوتسى تونج؟ من ينتقم للعراقيين مما فعله الأمريكان ببلادهم؟ من يقتص لملايين السوريين الذى قتلهم وهجرهم ودمر ممتلكاتهم بشار الأسد من أجل البقاء هو وطائفته العلوية فى السلطة؟ من ينتقم لأولئك الذين أحرقوا لأنهم أصروا على أن يحكم الإسلام بلاد الإسلام؟ من ينتقم من الحوثيين الذين قفزوا إلى السلطة بالقوة ، وداسوا على الانتخابات فى اليمن بدعم من إيران كى يغرقوا البلاد فى حرب أهلية مدمرة؟ من ومن ومن؟ ولو استرسلت لما انتهيت ، فالتاريخ البشرى أسود من الليل المظلم.

وأغلب من ارتكبوا هذه الجرائم أفلتوا من العقاب ، واغتيل بعضهم سرا بطرق مريحة تشبة الوفاة الطبيعية. وحتى لو حوكم هؤلاء وأعدموا على جرائمهم فإن هذا ليس جزاء عادلا ، وهل من العدل أن يُقتل رجل مقابل ملايين الأبرياء؟ العدل أن يقتل هذا المجرم مليون مرة على الأقل ، لا مرة واحدة. وهب أن بريئا ألقى ظلما لعشرين عاما فى سجن انفرادى ضيق محروما من الطعام والشراب والنور والدفء والفراش والهواء والدواء والكلام مع الناس ، وفى أثناء ذلك كان يتعرض للجلد وخلع الأظافر والصعق بالكهرباء ، وأخيرا جاء رئيس جديد فحكم بالإعدام على هذا الرئيس الظالم ، فهل يَقْنع السجين المظلوم بقتل من عذبه؟ قطعا لا ، لأن الموت أهون كثيرا من لحظة واحدة كتلك التى وضع فيها السجان العصا فى دبره ، وزبانية جهنم حوله يضحكون فى هستيريا كلما صرخ من الألم .

وإن كان التاريخ لا يستهويك فانظر إلى حياتنا اليومية تجد آلاف الأمثلة على استشراء الظلم. ألم تسمع يوما عن رجل أهان زوجته ، وسلب منها أموالها ، ثم طلقها ، وترك لها الأولاد بلا نفقة كى يستمتع بحياته مع زوجته الجديدة؟ ألم تسمع عن امرأة لجأت إلى السحر حتى لا تتزوج بنات جارتها مدى الحياة؟ ألم تسمع عن امرأة أفسدت علاقة رجل بأبيه وأمه؟ ألم تسمع عن حماة نغصت حياة زوجة ابنها؟ ألم يروج صديقك يوما إشاعة أضرت بسمعتك؟ ألم تسمع عن فتاة بريئة تعرضت لاغتصاب جماعى ، ثم قتلت ، وألقيت جثتها فى الطريق ، وفر الجناة؟ ألم تسمع عن تاجر مخدرات دمر صحة الملايين من الناس وعاش فى المجتمع كأحد النجوم؟ ألم تسمع عن راقصة مشهورة تسببت فى انحراف آلاف الشباب وتدمير آلاف الأسر ، ورغم هذا كانت تحظى باحترام الهيئات الرسمية التى اعتبرتها أما مثالية يجب عليك أن تحترمها؟ ألم يكن لك يوما زميل مرتش ، ظل يترقى فى المناصب إلى أصبح مديرا للمؤسسة ، بينما بقيت أنت مجرد موظف عادى؟ ألم تتقدم لوظيفة شعرت أنك كفء لها، فذهبت الوظيفة لشخص لا يملك مثل ما لديك من مؤهلات لمجرد أنه قريب أحد المسئولين؟ إذا كان هؤلاء قد نجوا من تبعات جرائمهم ، فمن يقتص منهم؟ من يعيد للمظلومين حقوقهم؟ من؟

حقا كثيرا ما نرى الظالم يتعرض للعقاب الإلهى فى الدنيا لكن هذا لا يحدث باستمرار ، وهذا يدفع المرء دفعا للتطلع ليوم فيه ترد كل المظالم ، وتعود كل الحقوق ، وينكل بكل الطغاة.

ومن أروع الأسماء التى أطلقها القرآن على يوم القيامة "يوم التلاق". وكلمة (التلاق) أو (التلاقى) تحمل معنى التفاعل ، أى أنه لقاء بين طرفين ، فالله تعالى سيقابل الناس ، والناس ستقابل الله ، الله سيرى الناس ، والناس سيرون الله. اللقاء مهم للطرفين: التقاء الناس بالله حدث جلل بالنسبة للبشرية ، فقد عاش أغلب الناس فى الدنيا وهم ينكرون وجود الله ، أو يؤمنون بفكرة مشوهة عنه ، أو لا يصدقون بوجود آخرة يعودون فيها إليه ، أو يؤمنون بالله ، ويلهون عنه بالدنيا. ولقاء كل من هؤلاء بالله يوم القيامة سيكون حدثا لا مثيل له. **وفى المقابل سيكون الله تعالى حريصا على اليوم الذى يلتقى فيه بالناس** لأن هذا هو اليوم الذى حدده للانتقام من الكفرة والمجرمين. هذا يوم الانتصار للمظلوم والقصاص من الظالم. هذا يوم العدالة الأكبر الذى سيحاسب فيه الإنسان على كل شاردة وواردة: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة: 7، 8].

وهكذا **فتسمية يوم القيامة بيوم التلاق تعبر عن معنى فى غاية العمق**. إن التقاء الناس بالله سيكون أكبر اكتشاف فى تاريخ البشرية ، أكبر من اكتشاف الأمريكتين ومن اكتشاف البترول والكهرباء والذرة. وبالمثل سيكون التقاء الله تعالى بالناس حدثا شديد الأهمية بالنسبة لله ، ليس لأن الله تعالى أضير من أفعال الناس ، ولكن لأنه عز وجل يكره الظلم ، ويحرص على إقامة العدل الذى قضت حكمته بأن يتأجل إقراره حتى يوم القيامة.

إن من أهم ما يجعلنى أفضل الإسلام على غيره من الأديان أنه الدين الوحيد الذى يبلغ فيه العدل حدوده القصوى. الأديان الأخرى إما أنها لا تؤمن من الأصل بالآخرة ، أو تؤمن بها دون أن تضعها فى قلب عقيدتها ، أو تؤمن بآخرة روحية باهتة ، أو بآخرة فيها عدالة مشوبة بالظلم.

أشعر الآن بأننى غير قادر على الاستمرار فى الكتابة ، فقد خطرت على بالى آيات هى أروع ما كتب فى التاريخ عن الآخرة ، آيات كلما سمعتها اهتز كيانى ، وزُلزل وجدانى ، وتبعثرت أشلائى ، فحلقت روحى فى عالم بعيد ، يهان فيه الظالم ، ويُكرم فيه المظلوم. إنه يوم العدالة المطلقة ، والانتقام الرهيب:

{وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (42) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (43) وَأَنْذِرِ النَّاسَ

يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ (44) وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ (45) وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (46) فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (47) يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (48) وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (49) سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ (50) لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (51) هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [إبراهيم: 42 – 52]

ولا قول لنا بعد قول الله. "اللهم إنا نعوذ بك أن نكون ظالمين أو مظلومين".

والحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

كيف يراقب الله أفعال العباد؟

هذا السؤال تاريخى بل أثرى. هذا النوع من الأسئلة كان من الممكن طرحه منذ خمسين عاما ، أما اليوم فقد تكفل الواقع بالإجابة عليه بشكل شاف.

قديما كنا نتساءل فى سذاجة: كيف يرى الله اللص وهو يسرق ليلا والناس نيام؟ الآن أصبح أسهل شيء أن نرى اللص وهو يرتكب جريمته من خلال كاميرات المراقبة التى تنتشر فى كل مكان. أصبح بإمكان صاحب العمل أن يراقب موظفيه ، وأن يكتشف أى خلل فى عملهم فى نفس اللحظة ، وهو على بعد آلاف الأميال.

أصبح بالإمكان أيضا أن ترصد الأقمار الصناعية تفاصيل كثيرة عن تسليح الجيوش المعادية وتحركاتها. كما تقوم الأقمار الصناعية والشبكة العنكبوتية بنقل المباريات الرياضية والاحتفالات لحظة وقوعها ، فيرى المشاهد بعينيه ما كان من المستحيل أن يُرى إلا بعد سفر طويل.

كنا نتساءل: كيف يرى الله الرجل وهو يطلق الرصاص على بريء عبر كل هذا الفاصل بين الأرض والسماء؟ والآن اخترع العلماء التلسكوبات الفضائية التى تستطيع رصد نجوم على بعد بلايين السنين الضوئية.

كنا نتساءل: كيف يسمع الله امرأة وهى تتكلم بالنميمة على صديقتها ، وكيف يسمع رجلا وهو يوغر صدر صديق على صديقه؟ والآن أصبح من أسهل الأشياء أن يسجل الإنسان كلام الآخرين فى غفلة منهم باستخدام الهواتف الذكية.

وفضلا عن ذلك فإن لله عز وجل ملائكة يتبعون كل واحد من الناس ولا يفارقونه ، ويسجلون عليه كل حركاته وسكناته طوال حياته. وهنالك ملكان: واحد عن اليمين ، وآخر عن الشمال: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (16) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (17) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق: 16 – 18]. وقوله (رقيب) يعنى ملاك يراقبه ، وكمة (عتيد) تعنى حاضر مهيأ. وقال تعالى أيضا: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ} [الأنعام: 61] ، وقال: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا

تَفْعَلُونَ} [الانفطار: 10 – 12]. وكلمة (حَفَظة) و(حافظين) فى الآيتين الأخيرتين تعنى ملائكة يحفظون أعمال الإنسان ، أى يحصونها ويسجلونها ، فالحفظ هنا ليس بمعنى حماية الإنسان ، بل هو حفظ لأعمال الإنسان ، أى إحصاء لها.

ولكن ما الحاجة لوجود الملائكة الحفظة التى تسجل الأعمال طالما أن الله تعالى يمكنه أن يعرف كل شىء بنفسه؟

كثيرا ما نرى المجرم يصرخ عقب صدور حكم ضده: (برىء، والله برىء ، والله مظلوم). وهذه الصرخات تجعل البعض يشفقون على المجرم ، وقد تحدثهم أنفسهم: "هل ذنوب هذا الشخص فعلا كبيرة لهذا الحد؟ هل تحامل عليه القاضى؟ هل لُفقت له التهمة؟" ونفس الشىء سيحدث يوم القيامة ، وبدرجة أكبر لأن كثيرا من المجرمين كانوا يعيشون بين الناس فى الدنيا كالملائكة ، وهم فى الحقيقة ثعابين. والغالبية العظمى من رجال السياسة والصحفيين والفنانين والمفكرين والإعلاميين من هذا النوع الذى يَظهر للآخرين على غير حقيقته ، وسيكون من الصعب على الناس أن يصدقوا أن كل هؤلاء كانوا فاسدين. وسيكون الأمر أشد قسوة على أقارب المجرم ، فكثير من **الناس سيحزنون يوم القيامة على ذويهم** إن حشروا فى زمرة الخاسرين ، خاصة إذا كانوا **لا يعرفون حقيقتهم جيدا** ، فكم من ابن لا يعلم أن أباه مرتش! وكم من أب لا يعلم أن ابنه مدمن للمخدرات! ولعلنا نذكر نبينا نوح عليه السلام الذى كان يفترض أن يكون الطوفان بالنسبة له عيدا ، لكن الفرح تحول إلى حزن بسبب غرق ابنه الذى كان يتظاهر بأنه من المؤمنين.

ولهذا السبب **كان لا بد أن يثبت الله عز وجل الجريمة على كل عاص بأكثر من طريقة حتى لا يتعاطف معه أحد يوم القيامة ، فتكون خسارته كاملة ، فلا يربح حتى كلمة مواساة أو نظرة شفقة.** ولهذا أمر الله تعالى الملائكة بتسجيل كل أفعال العصاة فى الدنيا حتى لا يشك أحد يوم القيامة فى أنهم يستحقون العقاب. إنها عملية توثيق للجرائم. إن يوم القيامة هو يوم العدالة المطلقة الذى ينتصر فيه الحق نصرا كاملا ، وينهزم فيه الباطل هزيمة شاملة ، ولا شك أن مما يقلل من هزيمة الباطل أن يتعاطف الناس معه ولو بقدر يسير ، وهذا شىء لا يمكن أن يسمح به الإله العادل القهار. وهنا أتذكر فيلم "عمر المختار" الذى حُكم عليه بالإعدام ، لكن الأهالى كانوا متعاطفين معه ، فأطلقت النساء زغاريد الفرح نكاية فى المحتل الإيطالى ، فانتقص هذا

انتقاصا شديدا من قيمة انتصار الإيطاليين. وكم من بطل برىء حكم عليه بالموت فتعاطف الناس معه ، ونقموا على من ظلمه. ألا تذكرون سليمان الحلبى؟ ألا تذكرون شهداء دنشواى؟ **وفى كل هذه الحالات يكون النصر المادى لطرف ، بينما النصر المعنوى من نصيب طرف آخر ، فيشعر صاحب النصر المادى أن نصره قد شابه نقص شديد ، وأن القتيل قد ربح الجولة رغم موته. والله تعالى لا يريد لمثل هذا الموقف أن يحدث يوم القيامة.** الله يريد للحق نصرا ماديا ومعنويا كاملا ، وهذا يتطلب أن يقتنع الجميع تماما بجرائم الكافر. ومن هنا كان **لا بد من إثبات الجرائم على العصاة يوم القيامة من عدة طرق** ، وذلك كما يلى:

أولا: شهادة الله تعالى باعتباره مطلعا على كل شىء بذاته دون عون من أحد ، ولا حتى من الملائكة.

ثانيا: الملائكة التى تصاحب الإنسان فى الدنيا تكتب تقارير مفصلة عن كل أعماله ، وترفعها إلى الله تعالى.

ثالثا: يمكننا أن نقول أن هناك **ما يشبه الفيلم السينيمائى – الذى يصور حياة كل واحد من الناس بكل مشاهدها** وتفاصيلها. وقد يكون هذا الفيلم مُقطعا إلى مشاهد أو أحداث أو حقب زمنية ، يفتح منها الإنسان ما يهمه ، وما يريد أن يتثبت منه ، فيحكم كل واحد على نفسه ، فمثلا من وجد فى كتابه أنه حصد مائة سيئة فى ليلة زواجه ، فيمكنه أن يفتح ذلك الجزء من الفيلم الذى يعرض مشاهد يوم العرس ، فيرى بنفسه كيف رقص فى خلاعة مع عروسه أمام الناس وكيف شرب المخدرات وكيف استمع إلى الأغانى الفاجرة ، فلا يستطيع أن يدعى أنه مظلوم. وربما كان هذا هو مدلول مجىء عبارة (وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا) بعد قوله: (وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا) [الكهف: 49]. إن ذكر "حضور العمل" فى الآية السابقة بعد "وضع الكتاب ومعرفة المجرمين لما فيه" لا يضيف جديدا إلا إذا كان معناه عرض ما يشبه الفيديوهات لكل أعمال الإنسان بالصوت والصورة والحركة.

وكلمة (ينطق) فى قوله تعالى: {هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الجاثية: 29] ، كلمة (ينطق) فى هذه الآية يمكن أن تكون إشارة إلى أن الكتاب المحتوى على أفعالنا سيكون أشبه بالفيلم أو الفيديو الناطق. حقا ما أروع القرآن الذى يخاطب الناس بمنتهى البراعة فى كل العصور! لقد نزل القرآن للأمم القديمة منذ 1400 سنة ، ففهموا كلمة (ينطق) بطريقة مجازية دون مشكلة ، وها نحن الآن نفهم نفس الكلمة بطريقة حرفية دون مشكلة ، فسبحان من أنزل كتابا يخاطب كل العقول فى كل العصور.

رابعا: ستكتمل الأدلة بأن يجعل الله تعالى أعضاء الإنسان تشهد عليه ، حيث ينطق لسانه وجلده ويديه ورجليه ، ليؤكدوا أنه ارتكب بالفعل الذنوب التى وردت فى صحيفته ، وبعد ذلك لن يكون لأحد حجة ، وفى هذا قال تعالى: {يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النور: 24]. وقال أيضا: {وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (19) حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (20) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [فصلت: 19 -21].

ونلاحظ أن شهادة الجلد فى الآية السابق تحظى بأهمية خاصة ، **فالجلد هو العضو الوحيد الذى ذُكر أن الإنسان سيلومه على شهادته ضده. ربما يلوم الإنسان باقى الأعضاء أيضا ، لكن القرآن ذكر الجلد وحده ، وذلك لأنه استفاد من المعصية واستمتع بها أكثر من غيره.** المرأة المتبرجة ستلوم جلدها لأنها عاشت فى الدنيا خادمة له ، فلم يكن لها من شغل إلا أن تزينه وتضع عليه المساحيق والكريمات والعطور وتبرزه للرجال كى ينال استحسانهم. ولاحظ أيضا أن الجلد هو العضو الأكثر استمتاعا أثناء عملية الزنا لدى كل من الرجل والمرأة. والجلد أيضا هو المستفيد الأكبر من سبل الرفاهية الحرام ، فهو يستمتع بالجلوس على المقاعد المريحة، والنوم على الفرش اللينة ، ولبس الحرير ، والجلوس بالقرب من المدفأة ومكيف الهواء. ومن الممكن القول أن الثراء يعد فى قسم كبير منه خدمة للجلد ، ولهذا وصف الناس عيشة الثراء بأنها عيشة "لينة" ، وعيشة الفقر بأنها عيشة "خشنة" ، وكأن الثراء قد اختزل فى شىء واحد هو حالة الجلد. ولهذا سيشعر العصاة بخيبة شديدة حين يجدون أن المستفيد الأكبر من معاصيهم

هو أول الشاهدين على جرائمهم ، فهم يشبهون رجلا اختلس كى يلبى مطالب زوجته المسرفة ، فلما أنفقت الزوجة الأموال أبلغت الشرطة عنه.

كانت هذه وسائل إثبات التهم على الناس. وفضلا عن ذلك سيشعر العصاة يوم القيامة **بمهانة شديدة حين يكتشفون أنهم كانوا مراقَبين لحظة بلحظة**. وتخيل معى رئيس دولة اكتشف بعد خمسين سنة فى الحكم أنه كان مراقَبا طوال كل هذه السنوات بواسطة عملاء فى قصر الرئاسة ، ينقلون أنباء كل تحركاته ولقاءاته لخصومه. إنه سيحس بمهانة بالغة.

اللهم اجعل يوم القيامة يوم مهانة وخزى وندامة على كل متكبر جبار.

والحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

حساب البلايين

فى أحد الأيام راودنى سؤال: كيف سيحاسب الله تعالى بلايين البشر يوم القيامة؟ إن افترضنا أن فترة اختبار الإنسان فى الدنيا من سن البلوغ حتى الوفاة تبلغ فى المتوسط ستين عاما (21915 يوما) ، وبفرض أن حساب الله للفرد على عمله فى اليوم الواحد من أيام الدنيا يستغرق خمس دقائق ، فهذا يعنى أن حساب كل إنسان يتطلب 109575 دقيقة ، أى 76 يوما. وإن افترضنا أن عدد البشر الذين سيحاسبهم الله من أول آدم حتى قيام الساعة يبلغ 200 بليون إنسان فهذا يعنى أن **الحساب يحتاج إلى 41 ونصف بليون عام تقريبا** ، وهذا أكبر من عمر الكون الحالى. فمتى ينتهى حساب كل هؤلاء مع أن الله تعالى يقول: {لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [غافر: 17].

لقد سكت القرآن عن الطريقة التى سيتم بها تسريع وتيرة الحساب يوم القيامة ، لكن يمكننا بشىء من التفكير أن **نتخيل بعض الآليات التى يتم بها ذلك:**

أولا:

لقد افترضنا فى التقدير السابق أن الله تعالى سيتكلم مع كل إنسان بالتفصيل عن كل سيئة وكل حسنة فعلها فى الدنيا ، فإذا فرغ من حساب إنسان نظر فى أمر إنسان آخر. إن هذا الفرض خاطىء. ونحن نرى خلافا لذلك أن **الخطوة الأولى والأهم من الحساب ستحدث يوم القيامة لكل الناس فى نفس الوقت ، وهذا سيقلل بشكل هائل من فترة الحساب.** كيف ذلك؟

إن الله تعالى سيعطى لكن إنسان كتابا سجلت فيه أعماله طوال حياته. وربما يتضمن هذا الكتاب مشاهد حية طويلة (فيديو) ، تعرض بالصوت والصورة كل اللحظات التى عاشها الإنسان على الأرض: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف: 49] . وسيطلب من كل إنسان أن يقرأ كتابه: {وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (13) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} [الإسراء: 13، 14].

وفى الآية الأخيرة وصف القرآن الكتاب بأنه "منشور" ، أى مفتوح وغير مطوى. ونفس الوصف ورد فى آية أخرى: {وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ} [التكوير: 10]. ووصف الكتاب بالمنشور معناه – فى رأينا– أنه سيكون من المتاح لكل إنسان أن يطلع على كتاب أى إنسان آخر ، ففى يوم القيامة لن تكون هناك أسرار ، وستكون الفضائح على الملأ. وهذا يجعلنى أتوقع أن الله تعالى سيقدم لنا يوم القيامة قاعدة بيانات ضخمة. وسيكون بإمكان كل واحد من الناس أن يستخدم قاعدة البيانات هذه لمعرفة كل شيء فعله ، وكل شيء فعله أى إنسان آخر فى أى يوم من الأيام بما فى كذلك أعداد الحسنات والسيئات ، ومتى فعل كل منها ، ولماذا فعلها ، وكيف فعلها. وليس هذا غريبا ، فالتقنيات التى يمتلكها الله تعالى لا يمكن أن تكون أقل تقدما من تقنياتنا المعاصرة. إن قاعدة البيانات تعتبر بمثابة كتاب كبير ، يحتوى بداخله على آلاف الكتب الجزئية الخاصة بكل فرد. **وكل الناس ستفتح الكتاب (قاعدة البيانات) فى نفس الوقت ، ولن يطول الحساب بالشكل الذى تخيلناه لأول وهلة.** إن من السذاجة فعلا أن نتصور أن الله تعالى سيتكلم يوم القيامة مع كل إنسان بالتفصيل كى يخبره بنفسه عن عدد الحسنات وعدد السيئات التى عملها كل يوم طوال حياته. لماذا يفعل الله هذا طالما أن من الممكن أن يعطى كل واحد كتابا يتضمن الحكم الذى صدر عليه؟

ثانيا:

مهما طالت المدة التى يستغرقها كل إنسان فى قراءة كتابه فستكون حتما أقل من عمره الذى قضاه على الأرض لأن ربع حياة الإنسان (ست ساعات يوميا) فى الدنيا يقضيها فى النوم ، وهذه فترة لا يكتسب فيها حسنات ولا سيئات. كما سيتجاهل الإنسان فترة الطفولة لأن الله لا يحاسب الأطفال على ذنوبهم. والطفولة تمثل خُمس عمر الإنسان (12 عاما تقريبا). أى أن مجموع أوقات الطفولة وأوقات النوم يساوى تقريبا نصف عمر الإنسان. وسنجد كذلك أن الإنسان سيتجاهل أوقاتا طويلة قضاها فى الأكل والخلوة والتأمل وغيرها من الأنشطة التى لا تدخل فى باب الحلال والحرام. وسيركز المرء بدلا من ذلك على النتيجة النهائية له ، وهل زادت حسناته على سيئاته أما لا ، فإن تبين أنه فاز ، فسيصرخ فى فرح: {هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (19) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ} [الحاقة: 19، 20]. وهنا يمكن للإنسان أن يواصل الاطلاع على بقية أعماله

على سبيل المتعة والفضول دون أن يُساءل أمام الله. أما إن تبين له أنه من أهل النار ، فسينكب على كتابه ليعرف ما الذى جعله مستحقا للعذاب ، وستكون الفترة التى تتطلبها القراءة قصيرة نسبيا لأن مثل هذا الخاسر لن يحاول التثبت من كل السيئات ، بل فقط من تلك التى يظن أنه لا يستحقها ، فمثلا من وجد فى ملخص كتابه عشر سيئات كل يوم بسبب السرقة أو شرب الخمر فلن يعترض على هذه لأنه يعلم جيدا أنه فعلها. كما أنه لن يحاول التثبت من الحسنات لأنها مثبتة فى صحيفته ، وكل هذا سيقلل كثيرا من الوقت المطلوب.

ثالثا:

يمكننا أن نتوقع أن الله تعالى سيسمح بعد ذلك بإجراء حوارا مع الخاسرين الذى يعترضون على خسارتهم ، ويتظلمون من النتيجة. وهذا بالطبع سيزيد فترة الحساب من جديد ، لكن ليس بالقدر الكبير ، وذلك لعدة أسباب:

أ- هؤلاء **الخاسرون ليسوا كل سكان العالم** إذ أن كثيرين سيكونون من الناجحين ، وهذا يقلل الفترة اللازمة للحساب.

ب-حين يقوم الخاسرون بالدفاع عن أنفسهم فإن **الله تعالى لن يترك لهم الوقت مفتوحا** ، وسيكون عليهم أن يعرضوا وجهات نظرهم فى إيجاز ، **وإلا لظلوا يتكلمون لأيام بلا انقطاع** ، فالمسألة بالنسبة لهم حياة أو موت. كما أن تضييق الوقت عليهم يصيبهم بالكبت والخزى لكونهم لا يستطيعون إخراج كل ما فى صدورهم من دفاع عن النفس.

ت-**كثير من الذنوب ذات طبيعة متكررة ، وسيقدم المتهم طلبا واحدا بالبراءة منها جميعا.** مثلا إن اعترضت امرأة جميلة على اكتسابها لسيئات بسبب التبرج فسيكون هذا اعتراضا واحدا على آلاف السيئات التى اكتسبتها بسبب الخروج إلى الشارع متبرجة ، وستقول مثلا: "لقد كنت فى كل هذه المرات أرتدى ملابس لا تختلف عن ملابس بقية الفتيات فى بلدى". وهكذا يمكن للإنسان أن يطلب بجملة واحدة العفو عن كثير من الذنوب.

ث-بالنسبة لعالمنا المعاصر **سيغلق الله تعالى أبوابا كثيرة للجدل بضربة واحدة** ، حيث يخبرنا مثلا أن الربا -الذى كان أغلب المسلمين يستحلونه- حرام ، وأن الأغانى الإباحية

التى تُسمع فى كل بيت حرام ، وأن صور النساء المتبرجات التى غزت كل هاتف وحاسوب حرام ، وأن عمل المرأة بهدف تحقيق ذاتها ومناطحة زوجها حرام ، وأن الملابس الضيقة للنساء حرام ، وأن ترك المسلمين للجهاد جريمة ، وأن اتهام المتدينيين بالإرهاب مهزلة ، وأن تحالف المسلمين مع اليهود والنصارى المعادين للإسلام خيانة. إذا قال الله هذا الكلام فلن يستطيع أحد من ملايين المسلمين فى العصر الحديث أن يجادل بعد أن وضع الله النقط على الحروف. **لن يستطيع أحد تفسير الإسلام على هواه لأن من أنزل الإسلام قد تكلم. لن يجرؤ أحد على ترديد كلام غث من قبيل أن "الله رءوف رحيم ويكره التشدد والتزمت"**. وبهذا سيقل بشكل كبير الوقت اللازم لحساب من لهم تظلمات.

ج- مما يساعد على سرعة الحساب أن **الله تعالى سيلقى إلى المذنب بحجج قوية تسكته ، وتجبره على الصمت** ، فالله تعالى أحكم الحاكمين وأعقل العقلاء ، ومن غير الممكن أن يغلبه أحد فى مناظرة. إن مما يدعو لطول الحوار عدم امتلاك أحد الأطراف لحجة قوية تحسم الخلاف ، أو امتلاكه لحجة قوية ، لكنه لا يقدر على صياغتها فى عبارات واضحة ، وهذا لا ينطبق على الله ، فلله الحجة البالغة: {قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ} [الأنعام: 149]. إن الذكاء من أهم عوامل الانتصار فى المناظرات ، وهذا كفيل بسرعة إنهاء النقاش مع الكفار.

ح- **سيصيب الله تعالى بعض المجرمين بالبلبلة وضبابية الفكر بحيث لا يعثرون على حجج يدافعون بها عن أنفسهم** ، وهذا يقلل من فترة الحساب. وفى هذا قال تعالى: {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (65) فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ} [القصص: 65، 66]. وقوله (فعميت عليهم الأنبياء) معناه أن الكفار تاهت عن بالهم كثير من الأحداث التى جرت فى الدنيا. ولو تذكروها لاستمدوا منها حججا كاذبة لصالحهم ، فمثلا قد يدعى أحدهم زورا أنه رغم كفره بالرسول إلا أنه كان يحبه بدليل أنه لم يشترك مع أصحابه فى رميه بالحجارة فى أحد الأيام ، ولكنه لا يذكر أنه امتنع عن ذلك خوفا من انتقام أحد أقارب الرسول الأقوياء. وكذلك قد يقول أحد الكفار

كذبا أنه لم يؤمن بالرسول لأنه كان فقيرا ، وكان يضطر للعمل الشاق طوال اليوم ، ولم يكن لديه ترف الانضمام لجماعة المؤمنين. مثل هذه الحجج الزائفة لن تكون كثيرة يوم القيامة لأن الله تعالى سيمحو كثيرا من الأحداث من ذاكرة الكفار حتى لا يستخدموها بطريقتهم الماكرة فى صياغة أدلة للبراءة.

خ- **من الخطأ أن يتصور إنسان يعيش فى القرن الحادى والعشرين أن إله الكون لن يقدر على الكلام مع شخصين أو أكثر فى نفس الوقت.** هذا تصور ساذج ، بل جريمة فى حق الله. إن الواحد منا لا يقدر على الكلام مع أكثر من شخص واحد فى نفس الوقت لأنه لن يسمع ما يقولونه بسبب تداخل الكلام ، وإن سمع ما يقال فلن يستطيع عقله التركيز فى كلام كل شخص ، فإن ركز الانتباه على كلام أحدهم انشغل عن كلام الآخرين. وما عليك إلا أن تتصور مدرسا يقف فى فصل مكون من ثلاثين طالبا ، فسأل سؤالا ، فأجاب الطلبة الثلاثون فى نفس الوقت ، فهل سيفهم المدرس شيئا؟ لكن الله عز وجل ليس مثل هذا المدرس المسكين. الله تعالى هو السميع ، وهو لا يسمع بأذن ضعيفة مثل الأذن التى يمتلكها البشر. وعقل الله ليس بالبساطة التى يتصف بها عقل الإنسان ، ومن الدلائل على ذلك أن هناك ملايين الناس فى الدنيا يدعون الله تعالى كل دقيقة ، فيسمعهم جميعا فى نفس الوقت. **ومن يشك فى قدرة الله على ذلك فما عليه إلا أن يفتح موقع جوجل على الشبكة العنكبوتية ، وسيجد أن ملايين الناس يوجهون أسئلة إلى جوجل كل ثانية ، فيرد عليهم الموقع فى نفس اللحظة ، فلماذا نندهش إن فعل الله تعالى نفس الشىء؟** هل جوجل أكثر علما وقدرة من الله؟ إن أحدا من الناس ما كان ليتخيل منذ مائة سنة أن هناك جهازا يمكنه فهم ما يقوله آلاف الناس فى وقت واحد، ويرد عليهم فى وقت واحد. وإذ كانت هذه المعجزة قد تحققت الآن ، فهل بقى شك فى أن الله تعالى سريع الحساب؟

رابعا:

لما كنا نتعلم الإنجليزية ونحن صغار كنا نقرأ الجمل ببطء ، وكان المدرسون يقرأون لنا ببطء ، ولذلك كنا نسمع الأفلام الأجنبية فلا نفهم منها شيئا لأن الممثلين كانوا يتكلمون بسرعة ، وكنا

نندهش من قدرتهم على نطق الجمل وفهمها بهذه السرعة. معنى ذلك أن من الممكن للإنسان بشيء من التدريب أن يتكلم بسرعة ويفهم الكلام السريع. **ولو شاء الله تعالى لأكسبنا يوم القيامة مهارة التكلم بسرعة وفهم الكلام السريع** ، وهذا سيقلل كثيرا من الفترة اللازمة لحساب الناس.

خامسا:

لو افترضنا أن الحساب يوم القيامة سيطول بعض الشيء فإن الناس لن تشعر بالملل والسآمة ، وذلك لعدة أسباب:

أ- في يوم القيامة سيكون الحساب في منتهى الإثارة حيث تَظهر كل الحقائق ، وتتكشف كل الأسرار ، ويفاجأ الناس بأن من حسبوه راهبا كان زانيا ، ومن حسبوه مخلصا كان منافقا ، ومن كان وجيها أصبح ذليلا ، ومن كان كريما صار وضيعا. **إنه يوم المفاجآت الكبرى ، وهذا سيحول دون تسرب الملل إلى القلوب ، ولن يشعر أحد بمرور الوقت** ، مثلما نشاهد مباراة كرة قدم مثيرة ، فنشعر وكأنها مرت في خمس دقائق مع أنها استغرقت ساعة ونصف. وكثيرا ما يمسك المرء بقصة ذات أحداث متلاحقة ، فلا يتركها حتى ينتهي من قراءتها دون أن يشعر بالساعات الطوال التي قضاها. وإذا التقيت بشخص حسن الحديث فإنك تشعر بالرغبة في البقاء معه لسماع حكاياته وتجاربه حتى لو استمر اللقاء لساعات طويلة.

ب-يمكن لله تعالى أن يؤثر على نفوس الناس يوم القيامة حتى لا تشعر بالملل ، وليس هذا مستحيلا ، فمن المعروف علميا أن القدرة على إدراك مرور الزمن تختلف من إنسان لآخر. وهذه الوظيفة تقوم بها عدة مناطق من المخ ، تعمل في تزامن وتناغم ، وهي تشمل المنطقة قبل الجبهية للقشرة المخية ، والنوى القاعدية ، والقشرة الجدارية ، والمخيخ ، والقشرة الحسية الحركية الأولية. **وهذه المراكز تعمل بمثابة "ساعة داخلية" أو** Brain clock ، تسير في العادة بشكل **مواز للساعات الخارجية** التي نصنعها لقياس الوقت ، بمعنى أنني حين أجلس في مكتبي لبعض الوقت أستطيع أن أتوقع أنه قد مر عليَّ مثلا نصف ساعة ، فأنظر في الساعة التي في يدي لأجد أن الوقت الذي مضى فعلا يقترب من نصف ساعة. ومن

الممكن حدوث خلل فى إدراك الإنسان للزمن تحت تأثير بعض الأمراض مثل الشيزوفرينيا والتوحد والشلل الرعاش ومرض هانتنجتون ، وعدد من العقاقير كالحشيش والكيتامين.

وتلعب مادة "الدوبامين" دورا رئيسيا فى تحديد سرعة الساعة الداخلية الموجودة فى المخ. على سبيل المثال تعمل بعض العقاقير كالحشيش والكوكايين والمنبهات (مثل الميتامفيتامين) وبعض الأمراض كالشلل الرعاش وفرط الحركة والشيزوفرينيا على زيادة إفراز الدوبامين فى مراكز المخ المسئولة عن تقدير الوقت ، وهذا يؤدى بدوره إلى تسريع إدراكنا لمرور الوقت ، أى أن الساعة الداخلية تعمل بسرعة أكبر من الساعة الخارجية الحقيقية[95،96،97،98]. ونفس هذه الظاهرة تحدث فى الشيخوخة، وكثيرا ما يقال أن الوقت يمضى بشكل أسرع لدى الكبار. وفى إحدى الدراسات[99] أجرى العلماء تجربة بسيطة على ثلاث مجموعات من الناس من أعمار مختلفة. وكان على كل فرد فى الدراسة أن يغمض عينيه ، ويَعد فى ذهنه ابتداء من ثانية واحدة إلى أن يصل إلى 120 ثانية. وبعد انتهاء العد يقوم العلماء بمقارنة الزمن الذى استغرقه الشخص مع الساعة الخارجية الحقيقية[100]. وقد وجد هؤلاء الباحثون أن كبار السن (من 50–89 سنة) قد انتهوا بسرعة من العدد مقارنة بصغار السن (من 15–29 سنة) ومتوسطى السن. وقد كان متوسط الوقت الذى استغرقه الكبار لعدد 120 ثانية حوالى 87 ثانية ، بينما استغرق الصغار فى المتوسط حوالى 115 ثانية. وتسمى هذه الظاهرة بالمبالغة فى تقدير الوقت Temporal overestimation ، أى المبالغة فى تقدير الفترات الزمنية time intervals التى تفصل الأحداث عن بعضها. وبعبارة أخرى يشعر الشخص أن

---

95) **Sewell RA, Schnakenberg A, Elander J, et al.** Acute effects of THC on time perception in frequent and infrequent cannabis users. Psychopharmacology (Berl). 2013;226(2):401-13.

96) **Coull JT, Morgan H, Cambridge VC, et al.** Ketamine perturbs perception of the flow of time in healthy volunteers. Psychopharmacology (Berl). 2011;218(3):543-56.

97) **Magalhães F, Rocha K, Marinho V, et al.** Neurochemical changes in basal ganglia affect time perception in parkinsonians. J Biomed Sci. 2018;25(1):26.

98) **Mitchell JM, Weinstein D, Vega T, Kayser AS**. Dopamine, time perception, and future time perspective. Psychopharmacology (Berl). 2018;235(10):2783-2793.

99) **Ferreira VF, Paiva GP, Prando N, Graça CR, Kouyoumdjian JA**. Time perception and age. Arq Neuropsiquiatr. 2016;74(4):299-302.

100) فى تجربة أخرى أجلس الباحثون الأشخاص بجوار شاشة حاسوب لإجراء "مهمة تقدير الوقت" Time estimation task. وبدأت التجربة بظهور وميض على الشاشة ، ثم عرضت على الشاشة بعدها حروف عشوائية مختلفة ، واحدا بعد الأخر ، فى مواضع مختلفة من الشاشة. وبعد فترة محددة يظهر وميض على الشاشة معلنا انتهاء التجربة. ويُطلب من الشخص حينئذ أن يذكر عدد حروف B التى ظهرت على الشاشة ، وأن يحدد الوقت الذى استغرقته التجربة من وجهة نظره. انظر:

Sewell RA, Schnakenberg A, Elander J, et al. Acute effects of THC on time perception in frequent and infrequent cannabis users. Psychopharmacology (Berl). 2013;226(2):401-13.

الوقت الداخلى يمر بشكل أسرع من الوقت الخارجى. وعلى العكس من ذلك تقوم بعض العقاقير (مثل الأدوية المضادة للذهان) ، وكذلك مشاعر الحزن والاكتئاب، إلى نقص نشاط الدوبامين فى المخ ، فينشأ عن هذا تقدير منخفض للوقت Temporal underestimation ، فيعد الإنسان الثوانى بشكل أبطأ.

وإذا كان من السهل اليوم على الأطباء أن يؤثروا على إدراك الإنسان لمرور الوقت ، فما أسهل أن يفعل الله تعالى نفس الشىء يوم القيامة ، فيؤثر على ساعاتنا الداخلية الموجودة فى المخ ، بحيث تمر علينا أحداث الحساب الكثيرة بسرعة دون أن نحس ببطء الوقت. وبالنسبة لى شخصيا ليس هذا غريبا ، ففى بعض الليالى أرى فى المنام أحلاما كثيرة، ثم أستيقظ ، وأنظر فى الساعة فأجد أنه لم يمر على بداية نومى أكثر من 45 دقيقة مع أن الأحداث التى شاهدتها فى المنام كانت كثيرة جدا ، وتستغرق عدة ساعات.

كانت هذه بعض الآليات التى يمكن أن تجعل حساب الناس يوم القيامة سريعا ، ولكن من المؤكد أن لدى الله عز وجل قدرات ووسائل تفوق الخيال.

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

الله أم الأُم

قال لى يوما أحد الملحدين الأجانب أن الإله الكامل هو ذلك الذى ينظر باستخفاف إلى البشر ، ويعتبرهم كالأطفال الصغار الذين لا يؤاخَذون على ذنوبهم ، فالأم لا تغضب من الرضيع إن صرخ دون سبب أو تبول على ملابسها. ومن يعاقب طفلا صغيرا فهو إما أحمق أو شرير.

قلت له: كيف تريد من الله أن يعاملك كالرضيع؟ الرضيع بلا عقل ، أما أنت فلَك عقل يستطيع التمييز بين الخير والشر. الرضيع ليس أمامه اختيار ، أما أنت فحر الإرادة. ثم **أليس من الظلم أن يسوى الله بشكل كامل بينك وبين الأخيار؟** ما شعور الأبرار إن تبين لهم فى الآخرة أن ما فعلوه من خير فى الدنيا قد ضاع هباء ، وأنهم لو ارتكبوا فى دنياهم أفظع الآثام لتغاضى الله عنها ، ومرت جرائمهم بسلام؟ **وما شعور المظلوم إن تبين له يوم القيامة أن الله يعامله هو ومن ظلمه بنفس الكرم؟** إن من يرى ظلم الظالم ثم يبتسم فى وجهه ، فهو شريك معه فى الظلم. من يعطف على السفاح فهو سفاح مثله ، ومن يعطف على المغتصِب فهو مغتصِب مثله ، ومن يعطف على المزور فهو مزور مثله.

ثم إنك لو فكرت قليلا لوجدت أن الله تعالى لديه من الحنان الكثير ، فهو عز وجل يعفو ، ويرحم، ويغفر الذنب ، ويقبل التوب ، **لكن الله يختلف عن الأم فى أنه إله كامل ، ولذا فهو لا يتصرف بالعواطف وحدها بل بالعقل والعدل أيضا**. إن حنان الأم فى بعض الأحيان يؤدى إلى كوارث ، وكم من أم دافعت عن ابنها على طول الخط مهما كانت أخطاؤه فى حق الآخرين. كم من أم وقفت فى صف ابنها بعد أن علمت أنه يضايق جارته ، واتهمت ابنة الجيران زورا بأنها هى التى تجرى وراءه. ورأينا أما دافعت باستماتة عن ابنها المدلل الذى قتل شابا طيبا لأنه نهره لما ضايق فتاة فى الشارع. ومن الأمهات من ترى ابنتها مصابة بالبدانة ، لكنها تظل تعطيها المال لتشترى الحلوى والأطعمة حتى لا تشعرها بالحرمان. ولقد رأينا من الأمهات من علمت أن ابنها يتعاطى المخدرات ، فظلت تعطيه المال حتى لا يشعر بالحرمان.

والأمثلة من هذا النوع كثيرة ، وهى تثبت أن العقل يجب أن يكون فوق الحنان ، وأن من يرضخ للشعور بالشفقة ، وينحى العقل جانبا فسيقع فى شرور عظيمة. الأم العاقلة هى التى تظهر

الحنان والحزم فى نفس الوقت ، أما الأم التى تحنو دائما على أولادها فهى سفيهة. ويحضرنى الآن المشهد الأخير من فيلم "إعدام ميت" حيث قام الأب البدوى بطعن ابنه لما علم أنه يتجسس لصالح اليهود ، فكانت هذه أروع نهاية لهذا الخائن. كان هذا هو التصرف الأمثل لأب غلَّب العدل على العاطفة.

ويحضرنى الآن رد الدكتور مصطفى محمود على هذه الدعوى السخفية ، حيث قال:

[ونسمع من يتساءل قائلا: "كيف يعذبنا الإله الرحيم؟ ومن نحن حتى يعذبنا؟ إنه لا شك يخوفنا ، ولكنه سوف يفاجئنا يوم الحساب بالعفو الشامل ، ويدخلنا برحمته جميعا فى الجنة. مستحيل على الإله الرحيم أن يعذب أحدا. مستحيل". ويتصور المتكلم أنه بذلك يرد اعتبار الرحمة للرحيم، وأنه يقدر الله حق قدره. والحقيقة أنه يسىء إلى الخالق من حيث يتصور أنه يحسن ، ويلصق به الظلم من حيث يتصور أنه يصفه بالعدل. تلك الصورة الساذجة لإله يساوى بين المجرمين وبين ضحاياهم فى الجزاء ، ويقيم للقاتل والقتيل كليهما حفل شاى. من يكون ذلك الإله إلا إلها ظالما؟ وهل يستوى الأبيض والأسود إلا عند الأعمى؟ إنه منتهى سوء الظن بالله أن نتصور أنه يضع كل الناس فى الجنة ، ويساوى بين السفاحين الجبارين وبين الألوف من قتلاهم الأبرياء الذين هلكوا فى السجون لمجرد أننا لا نتخيل إلها يعذب. ولا أدرى من أين جاء المؤمن أو الكافر بأن الله لا يمكن أن يعذب؟][101]

وإذا نظرنا إلى المسيحية لوجدنا أنها أفرطت فى وصف المسيح بالحنان ، حتى شاع قولهم: "يسوع يحبك" ، و"يسوع يرعاك" ، و"يسوع رضى بالصليب فداء لك" ، ونادرا ما تجد إشارة إلى العقاب الذى أعده الله أو أعده يسوع للعصاة رغم أن نصوص الإنجيل تحتوى على أفكار من هذا القبيل ، فصارع الانطباع العام لدى المسيحيين أن الرحمة قيمة مطلقة لا كابح لها. **وقد سهل ذلك من خضوع الكنيسة لسطوة الليبراليين والملحدين وما بعد الحداثيين ، فأصبحت تخشى من أن تعلن عن موقفها الحقيقى منهم ، ولم تعد تجروء على أن تتوعدهم بالنار** ، بل وصل الأمر ببابا الفاتيكان إلى حد الإعلان عن أن الملحد حظى بفداء المسيح مثله مثل المسيحى ،

---

[101]) **الروح والجسد**. تأليف دكتور مصطفى محمود. صفحة 27-28. الطبعة السابعة. دار المعارف. القاهرة. 1998م.

أو هكذا فهمت تصريحاته[102]. كما صرح البابا يوما بأن الله سيغفر للملحدين ، وسيدخلهم الجنة إن هم اتبعوا ضمائرهم[103]. وقد كنت أتحاور يوما مع بعض الملحدين الأوربيين فحاول أن يحرجنى فوجه إلىَّ سؤالا: ماذا سيحدث للملحد فى الآخرة؟ لقد ظن الرجل أن سؤاله سيضعنى فى مأزق لأن ذكر نار جهنم يعرضنى للاتهام بالعنف والقسوة. ولكننى ألقيت عقيدتى فى وجهه بصراحة ، ولم أُخْفِ شيئا من مبادىء دينى عن رجل فسد عقله واختلت فطرته.

إن هذا الحنان المفرط الذى نسبه النصارى ليسوع جعلهم ينظرون لكلام الإسلام عن الآخرة وعذابها على أنه يتسم بالعنف والقسوة ، مع أن العيب ليس فى الإسلام ، بل فى عقول المسيحيين التى شوهها رجال الدين.

وفضلا عن ذلك فإن **الثراء الذى يعيش فيه الغربيون جعلهم ينفرون من كل ألوان العقاب** فى كل المجالات ، فتراهم يرفضون عقوبة الإعدام ، ويمتنعون عن أكل لحوم الحيوانات ، وينتزعون الابن من أسرته إن ضربته على سبيل التأديب ، ويبيحون لكل إنسان أن يفعل ما يحلو له حتى لو كان يرغب فى جماع ذكر مثله. لقد حطمت النعمة عندهم فكرة العقاب ، وهذا شىء ضد الفطرة والمنطق. فالحمد لله على نعمة الإسلام. والحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

102) **What Pope Francis really said about atheists?** By Stephen Kokx. Catholic vote. http://www.catholicvote.org/what-pope-francis-really-said-about-atheists/

103) **Pope Francis assures atheists: You don't have to believe in God to go to heaven**. By Michael Day. https://www.independent.co.uk/news/world/europe/pope-francis-assures-atheists-you-don-t-have-believe-god-go-heaven-8810062.html

هل الخلود فى الآخرة ظلم؟

يتساءل الملحد: " العقاب فى الآخرة أبدى ، أى يستمر بلا نهاية ، بينما جرائم الإنسان على الأرض لا تستمر لأكثر من ستين أو سبعين عاما ، فكيف يخلد الله المذنب فى النار ، ليذوق عذابا غير محدود رغم أن ذنبه محدود؟ ألا يثبت هذا أن الآخرة ليست دار عدل؟"

وللرد على هذه الدعوى نقول بعون الله تعالى:

الملحد الذى يرى أن عقاب الآخرة يجب أن يكون متناسبا مع جرم الدنيا فأمامه خياران: إما أن يكون الاختبار فى الدنيا أبديا بلا نهاية ، وإما أن يكون العقاب فى الآخرة محدودا فى الزمن.

وبالنسبة للاحتمال الأول فهو مستحيل لأن من المتعذر أن يحيا كل إنسان على الأرض لزمن لا نهائى يتعرض فيه للاختبار ، إذ لو كانت الدنيا خالدة لما كان هناك آخرة ولا جنة ولا نار.

إن السنوات القصيرة التى يحياها الإنسان على الأرض تمثل "عَيِّنة" Sample ، يمكن اعتبارها بديلا دقيقا عن الاختبار اللانهائي الذى يستحيل وضع الناس فيه على الأرض. وما هذا بشىء غريب ، فمثلا من يريد أن يعرف تركيز الملح فى ماء البحر فإنه لا يقوم بتحليل ماء البحر كله، بل يكتفى بأخذ كوب واحد من الماء ، فإذا عرف تركيز الملح فى الكوب فسيكون هو نفس تركيز الملح فى البحر كله. وبالمثل يمكنك أن تُكون فكرة صادقة عن شخصية كل واحد من زملائك بعد عام أو عامين فقط من العمل معهم عن قرب دون حاجة لأن تنتظر لعدد لا نهائى من السنين أو تظل تراقبهم من مولدهم حتى مماتهم. **ولو فعل الله عز وجل نفس الشىء لما كان ظالما ، ولكنه كان كريما ، فلم يصدر علينا حكما سريعا بالنار بعد عام أو عامين من بلوغ سن التكليف ، بل أطال لنا الفرصة ، وأجل الحكم النهائى حتى لحظة خروج الروح من الجسد.**
ولا شك أن من الصعب علينا فى بعض الأحيان فهم شخصيات الناس بسرعة ، ولكن هذه الصعوبة تنشأ بسبب جهلنا لكثير مما يعملونه بعيدا عنا ، فمثلا قد تظن أن صديقك بخيلا إلى أن تكتشف بعد فترة طويلة أنه يفضل أن ينفق أمواله سرا على الفقراء والمحتاجين. ولكن هذا لا ينطبق على الله تعالى الذى يعلم السر وأخفى. ولو قدر لك أن تراقب أصدقائك بكاميرات خفية لا تفارقهم أبدا لفهمت شخصية كل منهم بشكل كامل وسرعة شديدة.

علينا إذن أن نفهم أن السبعين عاما التى عاشها الرجل الشرير كافية جدا للتثبت من شره دون حاجة للانتظار لفترة لا نهائية ، وأنه إن كانت 80% من أعماله خلال هذه السنين السبعين شريرة فإنه لو عاش على الأرض ألف سنة ستكون نسبة أعماله الشريرة 80% أيضا ، وإن عاش مليون عاما فستبقى النسبة 80%. وهذا يذكرنا بالامتحانات فى المدارس ، ففى الامتحان يكون عدد الأسئلة محدودا لأن من المستحيل الإتيان للطلبة بكل الأسئلة الممكنة فى ساعة أو ساعتين ، وهذا لا يطعن فى مصداقية الامتحان ، وصحة الحكم على الطلبة.

ولكى نحدد العلاقة بين التدخين ومرض القلب فإننا لا نجوب العالم شرقا وغربا لدراسة كل مرضى القلب فى العالم ، ولكننا نلتقط عينة عشوائية محدودة من هؤلاء المرضى (عدة مئات أو آلاف فقط) كى ندرسهم. ويؤكد علماء الإحصاء أن نتائج الدراسات يمكن أن تكون صادقة جدا دون حاجة لدراسة جميع أفراد المجتمع. وهناك برامج إحصائية تحدد حجم العينة الذى يكفل للدراسة الدقة والقوة. وبعبارة أخرى نقول أن الجزء يعبر بدقة عن الكل. وهكذا **فحياة الإنسان المحدودة على الأرض هى بمثابة عينة تعبر بدقة عن الاختبار اللانهائى الذى يستحيل إقامته على الأرض.**

ولكن إذا كان من المستحيل أن يترك الله تعالى كل إنسان فى الدنيا فى اختبار لا ينتهى ، فلماذا لا يجعل العقاب فى الآخرة محدودا وغير نهائى؟ هناك عدة أسباب:

أولا:

هذا ظلم لأننا أثبتنا لتونا أن فترة اختبار الإنسان على الأرض تنبىء بأنه يحمل خيرا أبديا أو شرا أبديا ، ولو جعل الله تعالى العقاب فى الآخرة محدودا ، فسيكون هذا ظلم لأن المثيب حصل على ثواب أقل مما يستحق ، والمسىء نال عقابا أقل مما يستحق.

ثانيا:

يتكلم الملحدون ، وكأن كل العصاة مخلدون فى النار. ومن يجهل الإسلام سيشعر لأول وهلة أن كلامهم منطقي. ولكن نحن نؤكد أن الآثام فى الإسلام منها الكبائر ، ومنها الصغائر. ومن الممكن لله تعالى أن يتجاوز عن الهفوات لأنه عز وجل أعلم بضعف الإنسان:{الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ

كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} [النجم: 32]

فى الإسلام ليس كل مذنب مخلد فى النار. من كفر بالله فلن يُغفر له ، وسيكون مآله إلى جهنم خالدا فيها: {إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (64) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} [الأحزاب: 64، 65]. أما من آمن ، وارتكب كبيرة من الكبائر كالزنا والسرقة وأكل الربا فهو أفضل حالا من الكافر ، لكنه أسوأ حالا من مسلم لم تصدر منه إلا صغائر الذنوب (مع العلم أن تكرار الذنب الصغير قد يؤدى إلى نفس العقاب الذى يوجبه ذنب واحد كبير).

وهكذا **فالعذاب فى الإسلام درجات ، وهناك تناسب بين شدة الذنب وشدة العقاب** ، والمشكلة التى يثيرها الملحدون وهمية ، أو أضخم من حجمها الحقيقى لأن **العذاب فى الآخرة فى كثير من الأحيان محدود وغير خالد.**

وفى آية مهمة يخبرنا الله عز وجل أن من يدخل النار صنفان ، ومن يدخل الجنة صنفان: هناك قوم يدخلون النار ويبقون فيها خالدين ، وهناك قوم يدخلون النار ثم يخرجون منها. وبالنسبة لأهل الجنة فهناك قوم يدخلونها ، ويخلدون فيها ، لكن هناك قوم يدخلونها لفترة محدودة:

{يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (105) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (106) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (107) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ } [هود: 105 – 108].

إن قوله تعالى: (إلا ما شاء ربك) يشير إلى استثناء بعض أهل النار من الخلود فى النار ، واستثناء بعض أهل الجنة من الخلود فى الجنة. وهذا هو العدل التام ، فمن الظلم تصنيف الناس إلى نوعين فقط: نوع يخلد فى الجنة ونوع يخلد فى النار. هناك مثلا قوم آمنوا بالإسلام ، لكنهم ارتكبوا كثيرا من الذنوب ، فلما وضع الميزان يوم القيامة رجحت سيئاتهم على حسناتهم ، فدخلوا النار ، لكن من الظلم مساواة هؤلاء بقوم كفروا بالله. ولذلك فهؤلاء سيدخلون النار ، ويعذبون فيها على قدر ذنوبهم ، ربما لشهور أو أعوام أو قرون أو ملايين السنين ، لا ندرى ، لكن المهم أنهم

سيخرجون فى النهاية من النار. ولكن أين سيذهبون بعد ذلك؟ ربما يفنيهم الله تعالى ويميتهم إلى الأبد (فيرتاحوا من العذاب) ، وربما يدخلهم الجنة. ويؤيد هذا الاحتمال الأخير أحاديث صحيحة وردت عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فقد روى البخارى عن أنس بن مالك أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تكلم عن بعض أحداث القيامة ، فقال: " يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: **انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ**، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ – أَوْ خَرْدَلَةٍ – مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ، فَأَنْطَلِقُ، فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: **انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ** "[104]

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " يُدْخِلُ اللهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارِ، ثُمَّ يَقُولُ: **انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ...**" رواه مسلم.[105،106]

---

[104]) بقية الرواية فى البخارى كما يلى: فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ أَنَسٍ قُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا: لَوْ مَرَرْنَا بِالحَسَنِ وَهُوَ مُتَوَارٍ فِي مَنْزِلِ أَبِي خَلِيفَةَ فَحَدَّثْنَاهُ بِمَا حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، فَأَتَيْنَاهُ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لَنَا فَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، فَلَمْ نَرَ مِثْلَ مَا حَدَّثَنَا فِي الشَّفَاعَةِ، فَقَالَ: هِيهْ فَحَدَّثْنَاهُ بِالحَدِيثِ، فَانْتَهَى إِلَى هَذَا المَوْضِعِ، فَقَالَ: هِيهْ، فَقُلْنَا لَمْ يَزِدْ لَنَا عَلَى هَذَا، فَقَالَ: لَقَدْ حَدَّثَنِي وَهُوَ جَمِيعٌ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً فَلاَ أَدْرِي أَنَسِيَ أَمْ كَرِهَ أَنْ تَتَّكِلُوا، قُلْنَا: يَا أَبَا سَعِيدٍ فَحَدِّثْنَا فَضَحِكَ، وَقَالَ: خُلِقَ الإِنْسَانُ عَجُولًا مَا ذَكَرْتُهُ إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ حَدَّثَنِي كَمَا حَدَّثَكُمْ بِهِ، قَالَ: " ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: **لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي، وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** "

[105]) الرواية كاملة كما يلى: " يُدْخِلُ اللهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارِ، ثُمَّ يَقُولُ: **انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ**، فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا حُمَمًا قَدْ امْتَحَشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَاةِ، أَوِ الْحَيَا، فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ إِلَى جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً؟ "

(امتحشوا): احترقوا. (الحيا): المطر ، وسمى كذلك لأنه تحيا به الأرض. (ملتوية): ملفوفة مجتمعة ، وقيل منحنية.

[106]) وروى البخارى عن عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، يُسَمَّوْنَ الجَهَنَّمِيِّينَ». وروى الشيخان – واللفظ للبخارى-عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " **إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا**، وَآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْوًا، فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا - أَوْ: إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا - فَيَقُولُ: تَسْخَرُ مِنِّي - أَوْ: تَضْحَكُ مِنِّي - وَأَنْتَ المَلِكُ " فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَكَانَ يَقُولُ: «ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً» . وكلمة (حبوا) تعنى زحفا. (مثل الدنيا) أي أرضها من حيث السعة والنفع. (تسخر مني أو تضحك مني) تفعل بي ما يفعله الضاحك والساخر وقال ذلك حين استخفه الفرح وأدهشه. (بدت نواجذه) ظهرت أواخر أسنانه. (أدنى) أقل. (منزلة) مكانا ومنزلا]. انظر: **صحيح البخاري**. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة. الطبعة الأولى، 1422هـ. شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا

إذن قوله تعالى عن الأشقياء: (خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ) يسهل تفسيره طبقا للأحاديث السابقة التى تعبر عن العدل التام لأن من غير المعقول مساواة من كفر بالله وعاداه بمن آمن بالله ثم ارتكب بعض الذنوب[107].

لكن ماذا عن خروج بعض الناس من الجنة ؟ نقول هناك احتمال لأن يستثنى الله عز وجل من الخلود فى الجنة أصنافا مثل الأطفال الذين ماتوا قبل أن يصلوا إلى سن التمييز بين الخير والشر. كما أن هناك أطفالا كثيرين يصيبهم الله تعالى بآلام مبرحة نتيجة الحوداث والأمراض والتعذيب والمجاعات والحروب ، وهؤلاء لم يفعلوا ذنبا فى حياتهم كى يقال أن الله يعاقبهم فى الدنيا بهذه الآلام ، كما أنهم لا يفهمون معنى الصبر كى يقال أن الله يختبر صبرهم على البلاء، ولذا فهؤلاء الأطفال يستحقون تعويضا فى الآخرة بأن يدخلهم الله الجنة ، لكنهم لن يخلدوا فى الجنة لأنهم لم يفعلوا خيرا فى الدنيا ، وفى هذا رد على الملحدين الذين يقولون: "لو كان هناك إله لما ترك طفلا فى عمر عامين يعانى من آلام السرطان".

وربما كان شأن المجانين فى الآخرة مثل شأن الأطفال فى أنهم سيدخلون الجنة كى يعوضوا عما لاقوه فى الدنيا من سخرية وسوء معاملة وألم (المجنون مثلا قد لا يستطيع أن يعبر عن الجوع والعطش والحر)، لكنهم لن يخلدوا فى الجنة لأنهم لم يفعلوا فى الدنيا خيرا.

وقد ذكر المفسرون فى تفسير هذه الآيات (هود: 105-108) أوجه كثيرة لا تشفى ، وما قدمناه هو الأرجح فى نظرنا ، بيد أننا نعترف أننا لا نجزم بأن هذا هو التفسير الأكيد للآية ، ومن الواجب على المرء أن يتواضع وهو يتكلم فى مثل هذه الأمور ، فما أحمق صعلوك يلقن قاضيا حكيما كيف يحكم فى قضاياه. إننا أجهل من أن نحيط علما بكل الحقائق ، وكل خبايا النفوس كى نحدد بدقة كيف يكون العدل فى الآخرة ، فلنترك الآيات المتشابهات لله ، ولننشغل بأنفسنا. وما تعرضنا لتفسير هذه الآية إلا لأن المعنى العام لها يثبت أن الجزاء فى الآخرة يتناسب مع العمل فى الدنيا ، وفى هذا تفنيد للدعوى التى أثارها أهل الإلحاد.

---

[107]) وهنا قد يقول قائل: وماذا عن الكافر الذى عمل أعمالا صالحة مثل رعاية المرضى والفقراء وغيرها؟ وللإجابة على هذا السؤال يمكن الرجوع لكتابنا " **أكذوبة الملحد الطيب: إثبات فساد الأخلاق فى غياب الدين"** ، ففيه الإجابة الشافية إن شاء الله. الكتاب منشور على موقع أمازون كيندل للكتب الرقمية ، برقم ASIN: B087FB4QD7

ثالثا:

فى أحيان كثيرة يكون من العدل فرض عقاب أكبر من الجريمة. على سبيل المثال من يسرق مائة ألف جنيه فإنها تكفيه لكى ينفق على ملذاته ببذخ لمدة أسبوع واحد (أو أقل) فى أحد الفنادق الكبرى ، لكن عقوبة هذه السرقة – فى القوانين الوضعية– السجن مثلا لمدة سنة. وهنا نجد أن اللص استمتع بما سرقه لمدة أسبوع ، فحرمه القانون من الاستمتاع بالدنيا لمدة عام كامل، ولم يقل أحد أبدا أن هذا ظلم.

وقد يهمل الطالب دروسه فى كلية الهندسة بسبب أصدقاء السوء ، فيتكرر رسوبه ، ويترك الجامعة ، ويضطر للالتحاق بوظيفة عامل نظافة فى إحدى الشركات كى يتزوج ، ويظل بقية حياته يتحسر على ضياع مستقبله الزاهر كمهندس. وهنا يظل الرجل يتألم لمدة خمسين سنة بسبب إهمال استمر لخمس سنوات. وهذا الجزاء عادل تماما.

وهل سمعت عن ذلك الشاب الذى وقع فى الخطيئة مع سائحة أجنبية فى أحد الأيام ، فأصيب بمرض الإيدز ، وظل بقية حياته يعانى من هذا المرض اللعين؟ وهنا دفع الشاب ثمنا فادحا من صحته لسنوات عديدة مقابل ساعة واحدة من المتعة.

وسمعنا عن شاب أراد أن يثبت لأصدقائه أنه صار رجلا جريئا مثلهم ، فأقدم على تجربة المخدرات رغم علمه بأضرارها وبأن الشريعة تحرمها ، فوقع فى براثن الإدمان ، وعاش بقية حياته فى دمار وعجز وسجن ، فدفع عمره ثمنا للحظة أراد أن يشبع فيها غروره ، وصار كل من يسمع قصته يجزم بأن ما حدث له عقاب عادل تماما.

وسمعت يوما عن شاب كان يسير فى الطريق متحرشا بإحدى الفتيات ، فمرت سيارة فجأة ، وأطاحت به ، فدفع حياته كلها ثمنا لذنب استمر دقائق. وكل من شاهد الموقف أكد أنه لقى جزاءه العادل.

ومن أشهر الفضائح السياسية فى تاريخ أمريكا فضيحة ووترجيت ، فقد قام الرئيس نيكسون بالتجسس على الحزب الجمهورى ، فلما اكتشف الأمر كانت فضيحة كبرى ، أجبرت الرئيس

على الاستقالة ، وضاع مستقبله السياسى للأبد ، وعاش بقية حياته فى خزى وعار بسبب خطأ واحد. وهناك أمثلة أخرى كثيرة ، تثبت أن من العدل وقوع عقاب كبير على خطأ محدود.

رابعا:

إن عَلم الإنسان أن العقاب فى الآخرة سيستمر لفترة محدودة ثم ينتهى ، فسيصاب بحالة من الكسل والاسترخاء ، وسيستهين بالكفر والذنوب على اعتبار أن البقاء فى جهنم مهما طال فلا بد له من نهاية.

إن من الحكمة فى كثير من الأحيان أن نبالغ فى العقاب ليس لأننا نريد أن ننتقم ممن ارتكب الجريمة ، ولكن لأننا نريد ألا تقع الجريمة من الأصل ، ولهذا تجد البرلمان يسن عقوبة مغلظة جدا على سائقى السيارات الذين يخالفون قواعد المرور ليس لأن هناك خصومة شخصية بين نواب البرلمان وبين السائقين ، ولكن لأن النواب يريدون أن يردعوا السائقين ، ويجعلوهم يفكرون ألف مرة قبل أن يقودوا السيارات بسرعة. وقد يرى الأب أن طفله كثير الشجار مع أخيه فينصحه بالكف عن سلوكه العدوانى ، بينما يستهين الطفل بهذه المشاكسات ويعتبرها من قبيل اللعب ، فيقوم الأب بتهديد ابنه قائلا: (إن أسأت لأخيك اليوم فسأحرمك طوال العام من الذهاب للنادى) ، فهنا يتوعد الأب ابنه بعقاب أكبر بكثير من الخطأ ، فمجرد الشجار العادى لمرة واحدة يجر عليه حرمان عام كامل. وقطعا هدف الأب ليس أن ينكل بابنه أو ينتقم منه ، ولكن أن يجبره على تعديل سلوكه.

ولا شك أن تغليظ العقوبات على المجرمين يعود بالنفع على المجتمع كله ، فإذا علم الإنسان أن عقوبته ستكون شديدة القسوة بات أكثر حرصا على تجنب الجريمة التى تؤدى إليها. ومن هذا القبيل عقوبة القتل الخطأ فى الإسلام ، فالمنطق كان يقضى بألا تفرض عقوبة على الإنسان الذى يقتل غيره خطأ لأنه لم يكن يقصد ذلك ، ومع ذلك فرض الإسلام الدية ، وهى غرامة مالية ضخمة ، ليس على سبيل الانتقام من القاتل ، ولكن بهدف خلق حالة من الحذر لدى الناس ، فيصبحون أكثر حرصا على ألا يؤذوا الآخرين ولو بطريق الخطأ. ولو فرضت الدية فى بلادنا على سائقى السيارات الذين يتسببون فى وفاة الآخرين لقلت بشكل كبير حوادث المرور ،

فالعقوبات الخفيفة يكثر ارتكابها. وقد سمعت بنفسى سائقا كان يقود سيارته بسرعة جنونية، فلما اعترض صديقه الذى يجلس بجواره قائلا: "ألا تخشى أن تصدم أحد المارة؟" رد السائق: باستخفاف: "لا تَخَف ، فديته مائة جنيه فقط" ، وكان يقصد أن العقوبة المالية التى يفرضها القانون صغيرة جدا.

وبنفس الطريقة فرض الإسلام عقوبات مغلظة على الزناة مع أن البعض قد يشعر بالتعاطف مع الزانى لأنه كان واقعا تحت ضغط نفسى كبير بسبب جمال إحدى النساء ، ولكن كان على الإسلام أن يتجاهل هذه المسألة ، ويغلظ العقوبة حتى لا يقع أحد فى الجريمة من الأساس.

إذن كان من مصلحة البشرية كلها أن يجعل الله تعالى عقوبة الكفار والمجرمين فى الآخرة خالدة حتى لا يستهين الناس بالذنوب ، فمن أمن العقاب أساء الأدب. وما دام الله تعالى قد توعد الكفار والعصاة بالخلود فى النار فلا بد أن ينفذ تهديده لأن الله تعالى ليس كاذبا ، كما أنه إن أخلف وعده فسيكون ظالما لأن فى هذا تسوية بين من استجاب لوعيده وبين من استهان به.

وفى المقابل سنجد أن الله تعالى بالغ فى ثواب الآخرة حتى يكون حافزا للناس على الطاعة وعمل الخير ، وهذا يشبه تخصيص جائزة قدرها مليون جنيه لمسابقة سهلة بين طلبة المدارس، فهنا تكون الجائزة أكبر بكثير من صعوبة الأسئلة ، ولكن الهدف كان تحفيز الطلبة على الاستذكار والقراءة.

خامسا:

إن أصر الملحدون على أن العقاب فى الآخرة فيه مبالغة كبيرة ، فليعلموا أن الله تعالى لم يخدعهم ، ولم يُخف عنهم قسوة الجزاء الذى ينتظرهم ، بل عرَّفهم بكل شىء سلفا ، ولكنهم سخروا وتحدوا الله ، فصاروا مستحقين لما ينتظرهم. إن المدخن يعلم جيدا أنه معرض للإصابة بسرطان الرئة ، ولكنه يصر على التدخين ، فإن أصيب بالسرطان فى أحد الأيام فاللوم يقع عليه وحده لأنه كان يعرف كل شىء مقدما ، ولم يكرهه أحد على ما فعل.

سادسا:

لماذا تنظر أيها الملحد فقط إلى عذاب الآخرة غير المحدود وتظن أنه لا يتناسب مع آثام البشر المحدودة؟ لماذا لا تلاحظ أيضا أن نعيم الجنة بلا حدود رغم أن حسنات البشر فى الدنيا محدودة. لو كانت الجنة محدودة ، بينما النار غير محدودة لجاز لك أن تقول أن الله إله ظالم محب للانتقام ، لكن الحقيقة أن الله تعالى خلاف ذلك تماما ، فقد أخبرنا أن من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } [الأنعام: 160]. ثم إن الله تعالى يعفو ويغفر ويرحم: {وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا} [البقرة: 286]. والعفو هو التجاوز عن بعض ذنوب البشر الصغيرة ، وكأنها لم تحدث ، فيصفح عنها الله حتى لو لو يتب العبد. والله تعالى يتصف أيضا بالمغفرة ، والمغفرة تعنى إلغاء الذنب إن دعا العاصى ربه أن يمحوه. ويتصف الله أيضا بالرحمة ، والرحمة هى إيقاف العذاب عن شخص يستحق العذاب لذنب لم يحظ بالعفو ولا المغفرة. ولا يجوز أن يُنظر لهذا الإله على أنه إله شرير يتلذذ بالانتقام من البشر الضعفاء.

كما أتاح الله تعالى لنا محو السيئات عن طريق عمل الحسنات: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ} [هود: 114]. واكتساب الحسنات أمر فى غاية السهولة ، فيمكن مثلا للمرء أن يحصد المئات منها وهو يذكر ربه بلسانه أثناء السير فى الطريق. وإن قرأ المؤمن القرآن لنال عن كل حرف حسنة ، تضاعف إلى عشر حسنات: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ: آلم حَرْفٌ. أَلْفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ "[108]. فأى كرم بعد هذا؟

سابعا:

تعظم الجريمة كلما عظم من ارتُكبت فى حقه. ومن هنا نقول: أن الله تعالى لا حد لقدرته وعلمه وسائر صفاته ، وبالتالى فمن يكفر بالله فلا حد لذنبه ، وهو يستحق الخلود فى النار ، فمن أهان زميله فى العمل ليس كمن أهان مدير الشركة. ولما ألقى أحد الصحفيين العراقيين

[108]) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالدَّارِمِيُّ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيب إِسْنَادًا. انظر: **مشكاة المصابيح** (1/ 659).

الحذاء على الرئيس الأمريكى بوش فى مؤتمر صحفى تكلم العالم كله عن الواقعة ، بينما لا تمر دقيقة دون وقوع حوادث مماثلة بين عامة الناس دون أن يسمع بهم أحد. وفى أحد الأيام طعن الأديب طه حسين فى المحتوى الفكرى لمؤلفات العقاد الذى كان يتربع على قمة هرم الفكر فى مصر، فاهتم المفكرون بهذا التصريح ، بينما لو عرضت مؤلفات أديب شاب على طه حسين فوجه لها نفس الانتقاد لما اهتم أحد ، والسبب أن مقام العقاد كبير. وهكذا تجد أن عظمة الله اللانهائية توجب عقابا لا نهائيا على من يكفر به.

ها نحن قد قدمنا بحمد الله تعالى أسبابا تبرهن بشكل قاطع على أن الله تعالى كان عادلا حين جعل عقاب الآخرة أكبر من عقاب الدنيا ، فالحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

ماذا أفعل إن بقى لدىَّ شك فى الآخرة؟

آمن بما تشك فيه

إن ظللت تشك فى الآخرة فآمن بها.

ما هذا؟ كيف تطلب منى أن أؤمن بشىء أشك فيه؟

نعم ، آمن بالآخرة ، وأى تصرف آخر حماقة. هب أن لديك موعدا مع مدير إحدى الشركات الكبرى بخصوص اختبار لوظيفة جديدة. إنك إن تأخرت عن الموعد ، خسرت الوظيفة. ولكى تحضر الاختبار فعليك أن تصل قبل الساعة الثامنة صباحا ، والحافلة التى تذهب لموقع الشركة ستمر على بيتك قبل الموعد بنصف ساعة ، ولكن هناك احتمال لأن تتأخر الحافلة فى الطريق بسبب الزحام ، وهنا يكون الحل أن تستأجر سيارة خاصة بمبلغ كبير نسبيا لتُقلك إلى الشركة فى الموعد المحدد ، فمن الحماقة أن تخاطر بفقدان الوظيفة حرصا على أجرة السيارة. وبعد ركوب السيارة الخاصة ستكون أمام احتمال من اثنين: أولا: أن تتأخر الحافلة كما كنت تتوقع ، وهنا تشعر بالسعادة لأن تضحيتك بأجرة السيارة الخاصة لم تضع هباء. ثانيا: أن تصل الحافلة فى الموعد المحدد ، فتشعر بالندم لأنك خسرت أجرة السيارة التى لم يكن لها داع.

ولكن الإنسان الحكيم حين يوازن بين دفع أجرة السيارة بلا داع وبين فقدان الوظيفة فإنه يقرر على الفور المخاطرة بأجرة السيارة لأنها لا تساوى راتب ربع شهر ، وخسارة راتب ربع شهر أهون من خسارة الوظيفة وما يأتى من ورائها من رواتب سنين طويلة. وبنفس المنطق يجب أن نفكر فى الآخرة ، فإن الجهد الذى نبذله فى طاعة الله أهون بكثير من خسارة الجنة ومن العذاب الرهيب فى النار.

وعندما كنا طلبة فى السنة الأولى بكلية الطب كان من المعروف أن هناك سؤالا فى بعض وظائف القلب يتكرر فى أعوام كثيرة ، فكنت تجد جميع الطلبة بلا استثناء يذاكرون هذا السؤال جيدا رغم أنهم ليسوا متأكدين تماما من أنه سيأتى فى الامتحان ، فبناء على خبرتهم من السنوات السابقة فإن احتمال مجىء السؤال يقترب من 70% (وليس 100%) ، بيد أن 70% احتمال

كبير ، وهو يكفى جدا ليدفع الطلبة إلى مذاكرة السؤال جيدا لأن التعب فى مذاكرته أهون من خسارة درجته.

وهذا المثال الأخير يجرنا لمفهوم اسمه "**الموازنة بين التكلفة والفائدة**" Cost–benefit ratio ، وهو مفهوم شديد الأهمية يعرفه الأطباء جيدا ، فمثلا إن أصيب أحد الأشخاص بأعراض تشبه مرض السرطان ، وأراد الأطباء التأكد من التشخيص ، فإنهم يطلبون من المريض عمل أشعة مقطعية لكشف الورم ، وأحيانا يطلبون منه إجراء فحص بالمنظار أو حتى إجراء جراحة. ورغم أن الأطباء ليسوا متأكدين من أن هذه الفحوص ستثبت وجود السرطان إلا أنهم مجبرين على عملها رغم أنه قد يتبين فى النهاية أنها تسببت فى إهدارا أموال المريض وتعريضه لمخاطر الأشعة والمنظار والجراحة دون جدوى ، ولكن حين يوازن الأطباء بين تكلفة الفحوص الطبية وبين الفائدة التى تعود على المريض من اكتشاف المرض ومعالجته مبكرا ، فإنهم لا يترددون فى عملها ، فهنا **تكون الفائدة أعظم كثيرا من التكلفة.** وعلم الطب قائم على هذا المفهوم الذى يوازن بين التكلفة والفائدة ، وكل المرضى يفهمون ذلك جيدا ، **ولم نسمع أبدا عن مريض أخبره الطبيب بأن هناك اشتباها فى إصابته بالسرطان ، وأن عليه إجراء أشعة ، فتباطأ المريض وقال: "أنا لن أجرى الأشعة لأنها إن أثبتت أننى سليم فسأكون قد خسرت الثمن الذى دفعته فيها". وبالمثل على العاقل أن يعمل للآخرة حتى لو كان لديه شىء من الشك تجاهها.**

وكل شاب يُقدم على دفع أموال طائلة من أجل الزواج مع أنه لا يضمن نجاح الزواج ، ومن المحتمل جدا أن يحدث الطلاق سريعا ، فيكون قد خسر الأموال التى أنفقها. وهنا نجد الناس تتفق على تفضيل منفعة الزواج على احتمال خسارة المال. وكل المشاريع التجارية تدخل فى هذا الباب ، فلا أحد من الناس يكون على ثقة تامة من نجاح مشروع جديد ، ورغم وجود احتمال للخسارة إلا أن هذا لا يمنعهم من افتتاح المشاريع لأن إغراء الربح أكبر من احتمال الخسارة.

نستنتج من هذه الأمثلة أن الإنسان فى كثير من الأحيان يشعر بحتمية عمل شىء من أجل ثمرة غير مضمونة. وبنفس المنطق يجب أن يفكر من لا يزال يشك فى الآخرة ، فالفوز بالجنة والنجاة من النار يتطلبان مشقة قليلة فى العادة. وهذا المنطق عرف قديما لدى المسلمين ، وقد عبر عنه الفيلسوف الفرنسى باسكال الذى عاش فى القرن السابع عشر، وعرف باسم رهان باسكال

Pascal's Wager. لقد أكد باسكال أن على الإنسان الحكيم أن يؤمن بالله ، فإن ثبت فى المستقبل أن الله موجود فسيربح هذا الإنسان جنة بلا حدود ، ويتقى جحيما بلا حدود ، اما إن تبين أن الله ليس موجودا فسيكون قد خسر خسارة محدودة كبعض الأموال واللذات ومشقة العبادات.

ونحن نؤكد بشكل عام أنه **لا يشترط فى الموازنة بين التكلفة والفائدة مجرد وجود فائدة ، بل لا بد أن تكون الفائدة كبيرة الاحتمال.** والأطباء يعون هذه النقطة جيدا ، ولذا تراهم لا يطلبون من المريض إجراء أشعة غالية أو ذات مضاعفات كبيرة لإثبات وجود مرض خطير لكنه بعيد الاحتمال. على سبيل المثال الطبيب الجاهل هو الذى يطلب من شاب أن يجرى أشعة رنين مغناطيسى بالصبغة على المخ لمجرد أنه شعر لأول مرة فى حياته بصداع متوسط منذ عدة دقائق ، وذلك لأن الأشعة على الأرجح لن تكتشف مرضا ذا بال ، فيكون الطبيب قد كلف المريض مالا بلا داع.

ومن الحماقة أيضا أن يمتنع فلاح عن بناء بيت بالطوب والأسمنت ، ويفضل العيش داخل كوخ خوفا من احتمال وقوع حرب بين مصر وإسرائيل ، فيتم تدمير بيته ، ويخسر ماله. هذه حماقة طبعا ، والسبب أن احتمال وقوع حرب بعيد جدا فى ظل الظروف السياسية الحالية ، وحتى إن وقعت حرب فلن تهتم طائرات العدو باستهداف البيوت فى القرى الصغيرة.

نستنتج من ذلك أن التكلفة التى يدفعها الإنسان يجب أن تكون مقابل فائدة شديدة الاحتمال ، وهذا يعنى أن أتباع الديانات الساقطة عقلا – كالديانات الوثنية والبوذية والهندوسية وغيرها– يخوضون الرهان الخاطىء لأن احتمال دخولهم الجنة ضعيف لكون دياناتهم لا تقوم من الأصل على أرض صلبة.

وقد وجه البعض انتقادا لرهان بسكال ، فقالوا أن المسألة ليست جدالا بين طرف مسلم وطرف كافر فقط لأن هناك آلاف الديانات فى العالم. المسلم على سبيل المثال يعتقد أن المسيحى سيدخل النار ، لكن المسيحى فى نفس الوقت يؤمن أن النار من نصيب المسلمين. وهكذا فلكل إنسان فى العالم رهانه الخاص. **وهذا النقد الشائع لرهان بسكال يبدو لنا فى غاية السخافة ،**

فهو لا يقوض مصداقية الرهان نفسه، بل ينقلنا إلى مشكلة ثانوية هى: أى الأديان الكثيرة هو الحق؟ وهذا خلط للأمور. إننا نؤكد أن الخطوة الأولى التى يجب أن يتخذها الإنسان العاقل هى أن يفاضل بين الأديان ، ويختار منها دينا وحيدا يرجحه العقل ، وحينئذ سيتبقى أمامه احتمالان: إما أن تكون الآخرة التى يبشر بها دينه حق ، وإما أن تكون باطلا. وهنا يصح استخدام رهان باسكال ، فيؤمن المرء بالآخرة التى يدعو إليها دينه خشية أن يتبين فيما بعد أن هناك جنة ونارا، فيكون قد مُني بخسارة فادحة.

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

لن تخسر الدنيا إن آمنت بالآخرة

لمزيد من فحص رهان بسكال ننظر إلى الثمن الذى يجب على كل منا دفعه من أجل الفوز فى الآخرة ، ونتساءل: هل تكلفة عبادة الله تعالى كبيرة؟ وبعبارة أخرى: ألئن مات الإنسان ، فلم يجد جنة ولا نارا يكون قد خسر الكثير فى الدنيا؟

الإجابة القاطعة هى أن الإيمان بالله لا يترتب عليه حياة شاقة كئيبة ، بل إنه بشكل عام يجلب السعادة فى الدنيا ، وهذا ما سنراه فى النقاط التالية:

الإسلام يبيح اللذة ويرفض الحرمان

لم يحرمنا الله تعالى من الشهوات ، ولم يمنعنا من إشباع الغرائز ، بل بالعكس نهى عن الرهبنة، وأدان المبالغة الشديدة فى الطاعة ، ودعا فى أكثر من آية إلى التمتع بنعم الدنيا وخيراتها. ولاحظ أن كثرة الآيات تدل على أن هذه نقطة جوهرية فى شريعة الإسلام:

- {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [البقرة: 172]
- {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [المائدة: 87]
- {كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى} [طه: 81]

- {يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [البقرة: 168]
- {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ} [المائدة: 4]
- {وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأنعام: 141]
- { كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ} [سبأ: 15]
- {يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [المؤمنون: 51]
- {الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ} [المائدة: 5]
- {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } [الأعراف: 32]
- {يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف: 31]
- {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ} [الأعراف: 157]

ومن خلال هذه الآيات يتضح أن الإسلام لا ينظر لمتع الدنيا على أنها رجس من عمل الشيطان أو شر يجب التطهر منه.

ويعلق القرآن الكريم على **رهبانية النصارى قائلا أنها لم تكن مما فرضه الله تعالى عليهم** ، بل كانت آلية ابتدعوها لإرضاء الله ، بيد أنهم لم يقدروا على إلزام أنفسهم بشروطها ، فى إشارة على ما يبدو إلى إخفاق كثير من الرهبان فى الوفاء بالعهود التى قطعوها على أنفسهم بالابتعاد عن النساء مدى الحياة: {وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} [الحديد: 27].

الإسلام يعترف بالشهوات والغرائز ، وكل ما هنالك أنه نهى عن الإسراف فيها ، كما اشترط أن يكون مصدر إشباعها من الحلال. وكلنا نعرف الرواية المشهورة التى تظهر **كيف غضب رسول الله عليه الصلاة والسلام حين عزم بعض المسلمين على حرمان أنفسهم بشكل كامل من بعض شهوات الدنيا:** روى البخارى ومسلم – واللفظ للبخارى– عن أَنَس بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي».

وعن سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ، قال: «رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ التَّبَتُّلَ، وَلَوْ أَذِنَ لَهُ لاَخْتَصَيْنَا» **والتبتل هو الانقطاع عن النساء ، وترك الأزواج** ، وقوله: (لاختصينا) يعنى قطعنا الخصيتين.

وإن كنت عزيزى القارىء نشيطا ذكيا فالإسلام لا يحرمك من العمل والكسب ، ولا يفرض عليك الفقر مثل الشيوعية التى قتلت تطلعات الناس ، وسَوت بين النشيط والكسول. فقط عليك أن تؤدى نصيبا من مالك للفقراء ، وما بقى فلك ولورثتك ، **بل إن الإسلام يمنعك أن تبالغ فى الصدقة بالقدر الذى يجعل ورثتك فقراء** ، فقد روى أن الرسول عليه الصلاة والسلام نهى سعد بن أبى وقاص عن أن يتصدق بأكثر من ثلث ماله قبل وفاته ، وقال له: «إِنَّكَ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ فِي أَيْدِيهِمْ» رواه البخارى ومسلم.

يُسر العبادات فى الإسلام

قال تعالى: {**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**} [البقرة: 185]. وقال تعالى عن **التخفيف الذى جاءت به شريعة الإسلام لليهود والنصارى:** {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ

الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ} [الأعراف: 157]. و(إصرهم) يعنى ثقلهم. و(الأغلال) هى القيود.

وقال النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ» رواه البخارى. وفى هذا الحديث **نهي عن التشدد في الدين بأن يُحمل الإنسان نفسه من العبادة مالا يحتمله إلا بكلفة شديدة**، وهذا هو المراد بقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " لن يشاد الدين أحد إلا غلبه " يعني: أن الدين لا يؤخذ بالمغالبة ، فمن شاد الدين غلبه وقطعه. وقوله: (فسددوا) يعنى الْزَمُوا السَّدَادَ ، أى التوسط مِنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ وَلَا تَفْرِيطٍ. وقوله: (قاربوا) يعنى اقتربوا من فعل الأكمل ، أى أنكم إن لم تستطيعوا الْأَخْذَ بِالْأَكْمَلِ فَاعْمَلُوا بِمَا يُقَرِّبُ مِنْهُ. وقوله (واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة) أَيِ اسْتَعِينُوا عَلَى مُدَاوَمَةِ الْعِبَادَةِ بِإِيقَاعِهَا فِي الْأَوْقَاتِ الْمُنَشِّطَةِ. وَالْغَدْوَةُ مَا بَيْنَ صَلَاةِ الفجر وَطُلُوعِ الشَّمْسِ. وَالرَّوْحَةُ بِالْفَتْحِ السَّيْرُ بَعْدَ الزَّوَالِ ، وَالدُّلْجَةُ سَيْرُ اللَّيْلِ. [109، 110].

وإذا جئنا لعبادات الإسلام لما وجدنا فيها مشقة كبيرة ، فالصوم يكون لشهر واحد فقط فى العام، والصلاة خمس مرات فقط اليوم ، وكل صلاة لا تستغرق أكثر من 15 دقيقة ، والحج مرة واحدة فى العمر ، والزكاة اثنان ونصف فى المائة فى الغالب ، وهذا أقل من الضرائب الحديثة. وفضلا عن ذلك **فالعبادات تسقط عن غير المستطيع** ، فالحج لا يجب إلا على من كان لديه مال وصحة ، والصيام يسقط عن المريض والمسافر ، ومن لا يقدر على الصلاة واقفا صلى قاعدا أو راكبا ، ومن لا يجد الماء يتيمم ، ومن يسافر يقصر الصلاة.

وحتى المسلم المذنب راعى الإسلام أنه قد يعجز عن التكفير عن ذنبه ، فمثلا الذين يظاهرون من نسائهم ، ثم يعودون عن قرارهم ، فعليهم عتق عبد ، فإن عجزوا صاموا شهرين متتابعين ، فإن لم يستطيعوا أطعموا ستين مسكينا. قال تعالى: {وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (3) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ

---

[109]) **فتح البارى شرح صحيح البخارى** لابن رجب الحنبلى (149/1). تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون. الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية. الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة. الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1996 م.

[110]) **فتح الباري شرح صحيح البخارى.** تأليف ابن حجر العسقلانى (1/ 95). رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي. قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب- دار المعرفة - بيروت، 1379 هجرية

فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [المجادلة: 3، 4]

الإسلام يدرك جيدا التفاوت فى قدرات البشر ، **ولذا تراه يفرض حدا أدنى من العبادات يلزم كل الناس ، لكنه يفتح الطريق أمام أصحاب العزائم ليستزيدوا كما يشاءون** من الصلاة والصيام والحج وقراءة القرآن ، **لكن دون أن ينقطعوا تماما عن الدنيا ويعيشوا متسولين يستجدون المساعدة من الآخرين** ، فعَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ» متفق عليه ، واللفظ للبخارى. **ومن خلال آية رائعة نعلم أن الرسول عليه السلام ونفر من أصحابه كانوا يتعبدون ثلثى الليل ، لكن الله لم يفرض على بقية المسلمين أن يفعلوا مثلهم لأن وراءهم التزامات دنيوية كثيرة:** {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المزمل: 20]

وفى حالات الضرورة يبيح الإسلام ما هو محظور ، فمن خشى على نفسه من الهلاك أكل الميتة وشرب الخمر ، بل جاز له أن يتظاهر بالكفر ، قال تعالى: {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [البقرة: 173]. وقال: {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [النحل: 106].

أليس كل هذا دليلا على يسر الحياة فى ظل الإسلام؟

الإسلام والجمال

لا يعادى الإسلام الزينة والجمال طالما أنهما لا يختلطان بكبر أو تفاخر ، فعن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ».

وقال تعالى: {**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ** قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [الأعراف: 32]

وقال أيضا: {**يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ** وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف: 31]

وإن كنت تحرص على النظافة وتحب الروائح والعطور فستجد فى الإسلام هواك ، فمن المعروف أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يحرص على النظافة ، ويحب الطيب ، ويحث المسلمين على استعماله ، وقد قال فى ذلك: «**الغُسْلُ يَوْمَ الجُمُعَةِ** وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ، وَأَنْ يَسْتَنَّ، وَأَنْ **يَمَسَّ طِيبًا** إِنْ وَجَدَ» رواه البخارى. وكلمة: (يستن) من الاستنان وهو دلك الأسنان بالسواك. (يمس طيبا) يتطيب ، أى يضع عطرا. وقال عليه السلام أيضا: «**اغْتَسِلُوا يَوْمَ الجُمُعَةِ** وَاغْسِلُوا رُءُوسَكُمْ، وَإِنْ لَمْ تَكُونُوا جُنُبًا **وَأَصِيبُوا مِنَ الطِّيبِ**» رواه البخارى.

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «**كُنْتُ أُطَيِّبُ رَسُولَ اللَّهِ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِإِحْرَامِهِ حِينَ يُحْرِمُ، وَلِحِلِّهِ قَبْلَ أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ». رواه البخارى. وقالت أيضا: «**كُنْتُ أُطَيِّبُ النَّبِيَّ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَطْيَبِ مَا يَجِدُ، حَتَّى أَجِدَ وَبِيصَ الطِّيبِ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ». رواه البخارى. و"وبيص الطِيب" هو بريقه ولمعانه. **وكان رسول الله عليه السلام طيب الرائحة لحرصه الدائم على استعمال العطور** ، فعَنْ أُمِّ سُلَيْمٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَأْتِيهَا فَيَقِيلُ عِنْدَهَا فَتَبْسُطُ لَهُ نِطْعًا فَيَقِيلُ عَلَيْهِ، وَكَانَ كَثِيرَ الْعَرَقِ، فَكَانَتْ تَجْمَعُ عَرَقَهُ فَتَجْعَلُهُ فِي الطِّيبِ وَالْقَوَارِيرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا هَذَا؟» قَالَتْ: عَرَقُكَ أَدُوفُ بِهِ طِيبِي (أى أخلط به الطيب). رواه مسلم.

والمسلم عادة ما يتوضأ فى اليوم خمس مرات قبل كل صلاة ، ويتطهر بعد قضاء الحاجة ، ويغتسل بعد الجنابة: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [المائدة: 6].

والمسلم ينظف أسنانه بالسواك: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ»[111].

والمسلم يحرص على ارتداء الثياب النظيفة ، قال تعالى: {وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ} [المدثر: 4]

والمسلم يتجنب الاقتراب من النساء وقت الحيض والنفاس تلافيا للقذارة ، قال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: 222]

الإسلام والضحك والمرح

يمكن للمسلم أن يمرح ويلعب ، فقد **كان النبى عليه الصلاة والسلام يتسابق مع السيدة عائشة،** فسبقته ذات مرة ، ولما مرت السنوات زاد وزنها ، فتسابقا ، فسبقها ، فتمازحا: روت عَائِشَة رَضِي الله عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ قَالَتْ: فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلَيَّ فَلَمَّا حَمَلْتُ اللَّحْمَ سَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي قَالَ: «هَذِهِ بِتِلْكَ السَّبْقَةِ» . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وصححه الألبانى[112].

وفى روايات عديدة **تكرر وصف الرسول عليه الصلاة والسلام بأنه (ضحك حتى بدت نواجذه)** ، و(نواجذه) تعنى أواخر أسنانه (الأضراس أو الأنياب) ، وهو دليل على شدة الضحك. ومن قبيل ذلك ما يلى:

---

111) رواه الترمذى ، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حسن صَحِيح

112) **مشكاة المصابيح** (2/ 971).

- عن أبى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: هَلَكْتُ، وَقَعْتُ عَلَى أَهْلِي فِي رَمَضَانَ، قَالَ: «أَعْتِقْ رَقَبَةً» قَالَ: لَيْسَ لِي، قَالَ: «فَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ» ، قَالَ: لاَ أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «فَأَطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا» قَالَ: لاَ أَجِدُ، فَأُتِيَ بِعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ – قَالَ إِبْرَاهِيمُ: العَرَقُ المِكْتَلُ – فَقَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ، تَصَدَّقْ بِهَا» قَالَ: عَلَى أَفْقَرَ مِنِّي، وَاللَّهِ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنَّا، **فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ،** قَالَ: «فَأَنْتُمْ إِذًا» رواه البخارى ، وفى لفظ مسلم: **(فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ،** ثُمَّ قَالَ: «اذْهَبْ فَأَطْعِمْهُ أَهْلَكَ»)

- وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَكُونُ الأَرْضُ يَوْمَ القِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّؤُهَا الجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا لِأَهْلِ الجَنَّةِ» فَأَتَى رَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ فَقَالَ: بَارَكَ الرَّحْمَنُ عَلَيْكَ يَا أَبَا القَاسِمِ، أَلاَ أُخْبِرُكَ بِنُزُلِ أَهْلِ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «بَلَى» قَالَ: تَكُونُ الأَرْضُ خُبْزَةً وَاحِدَةً، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْنَا **ثُمَّ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ،** ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أُخْبِرُكَ بِإِدَامِهِمْ؟ قَالَ: إِدَامُهُمْ بَالاَمٌ وَنُونٌ، قَالُوا: وَمَا هَذَا؟ قَالَ: ثَوْرٌ وَنُونٌ، يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةِ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفًا. رواه البخارى ومسلم ، واللفظ للبخارى.[113]

- وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْوًا، فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا – أَوْ: إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا – فَيَقُولُ: تَسْخَرُ مِنِّي – أَوْ: تَضْحَكُ مِنِّي – وَأَنْتَ المَلِكُ " فَلَقَدْ **رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ،** وَكَانَ يَقُولُ: «ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً» رواه البخارى ومسلم.

[113]) (خبزة) قطعة عجينة مخبوزة وهي الرغيف. (يتكفؤها) يميلها ويقلبها. والمعنى أن الله تعالى يجعل الأرض كالرغيف الكبير يأكل منها المؤمنون من تحت أقدامهم حتى يفرغ من الحساب والله تعالى قادر على كل شيء. (نزلا) ضيافة. (نواجذه) أواخر أسنانه. (بالام) كلمة عبرانية معناها بالعربية الثور. (نون) حوت. (زائدة كبدهما) القطعة المتعلقة بالكبد وهي أطيبه وألذه. انظر: تعليق مصطفى البغا على صحيح البخارى.

- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود: أَنَّ يَهُودِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالخَلاَئِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ. «**فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ**»، ثُمَّ قَرَأَ: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الأنعام: 91][114]، قَالَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ: وَزَادَ فِيهِ فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَجُّبًا وَتَصْدِيقًا لَهُ.

وهكذا إن كنت مسلما فيمكنك أن تعيش فى الدنيا سعيدا ، وتنهل من نفس اللذات التى ينهل منها الكافر. ورغم ذلك فنحن لا ننكر أن فى الإسلام حرمانا وقيودا ، فماذا عن تلك القيود؟

قيود الدين

من أهم ما ينفر الملحدين من الدين أنه يحرمهم من بعض متع الحياة. والحقيقة أن الإسلام كان معه كل الحق فى الأشياء التى حظرها ، وهذا ما سنبينه فيما يلى:

أولا:

نهى الإسلام عن الإسراف فى متع الدنيا: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف: 31]. وينظر الكثيرون للنهى عن الإسراف على أنه قيد وتضييق ، لكن الحقيقة أن الاعتدال أمر فى صالح الإنسان نفسه ، وفى صالح المجتمع ككل ، فمن يسرف فى الطعام يصاب بالبدانة التى تجعل شكله قبيحا ، وتعوقه عن الحركة ، وتجعله محط سخرية الناس ، وفريسة لأمراض القلب والشرايين وضغط الدم والنقرس.

ومن القبيح أن يأكل الإنسان أكثر من حاجته ، بينما الفقراء من حوله يتضورون جوعا. وكثير من الأغنياء يستهلكون كميات ضخمة من الطعام ، ليس لأنهم جوعى ، ولكن لأن الطعام موجود أمامهم بكميات كبيرة ، وكم من ولائم يتبقى فيها الطعام أكواما ، فتلقى فى صناديق

[114]) تقول بقية رواية البخارى: قَالَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ: وَزَادَ فِيهِ فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَجُّبًا وَتَصْدِيقًا لَهُ. ويبدو لنا أن الرسول عليه الصلاة والسلام ضحك من سذاجة تعبير هذا اليهودى عن قدرة الله ، فالفكرة فى مجملها صحيحة لكن لفظها يثير الضحك ، وهذا يشبه الإشاعات التى تروج حول أحد المصارعين بأنه يأكل خروفا فى الغداء وخروفا فى العشاء كل يوم.

القمامة مع أن الفقير لو رأى بقايا هذه الولائم لاعتبر هذا اليوم عيدا. ولا أنسى رجلا فى سن الستين مر على شاب يأكل وجبة اشتراها من أحد المطاعم ، فطلب منه بعض الطعام ، فترك له الشاب بقايا الطعام فى الطبق ، فابتلعها الفقير فى ثانية واحدة ، وأخذ يمسح الطبق بشكل عجيب ، وكأنه فى معركة حياة أو موت للحصول على كل نقطة طعام متبقية ، وكان الرجل يرفع الطبق على وجهه حتى تسقط آخر قطرة فى فمه. أحسست وقتها بمدى انحطاط عاداتنا الاستهلاكية الحديثة ، بينما يوجد معنا فى نفس البلد أناس منتهى أمل الواحد منهم أن يأكل الفتات. فى هذه اللحظة تذكرت وصف القرآن للمبذرين بأنهم إخوان الشياطين: {إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا} [الإسراء: 27]. المبذرون حقا إخوان الشياطين، ولا أجد وصفا آخر لإنسان يجلس بجواره جائع ، فبدلا من أن يعطيه بعض الطعام يقوم بإلقاء الطعام فى القمامة.

ثانيا:

نهى الإسلام عن الاستمتاع ببعض الأشياء فى الدنيا مثل الخمر والميسر والميتة والدم ولحم الخنزير والزواج بالمحارم والزنا ، وذلك لضررها الشديد على الفرد والمجتمع أو لقذارتها وقبحها. الخمر مثلا تذهب العقل ، وتدفع الإنسان لارتكاب الجرائم وفعل المنكرات ، كما تدمر صحته. والميسر نوع من الإدمان ، كما أنه يوقع العداوة بين الناس ، ويعود على المرء بأموال لا يستحقها ، أو يجعله يخسر أمواله دون سبب. أما الميتة والدم ولحم الخنزير فهى من القبائح التى تعافها النفوس السوية. وبالنسبة لزواج المحارم فهو ضد الفطرة ، وهو يؤدى كذلك إلى حدوث أمراض وراثية خطيرة فى النسل. والربا محرم لأنه يزيد الفقراء فقرا والجوعى جوعا. أما عن الزنا فهو يؤدى لاختلاط الأنساب ، ويهدم نظام الأسرة ، وينتج أطفالا مشردين فى الشوارع ، أو تنفرد الأم برعايتهم ، فيحرمون من نصح الأب وتأديبه وحمايته ، كما أنه يلقى بعبء تربية الأبناء على كاهل الأم وحدها ، وهذا ظلم بيّن. كما ساهم الزنا عبر التاريخ فى انتشار كثير من الأمراض الخطيرة كالإيدز والزهرى. وكلنا نشاهد الآن ما يجرى فى أوربا التى أباحت الزنا ، فلم يعد الناس بحاجة للزواج ، فانخفضت معدلات المواليد لأن الإنجاب يحرمهم من الاغتراف من المتع الحرام التى لا حدود لها. وكانت النتيجة أن أصبحت أوربا لا تنام من شبح الانقراض.

وتحريم هذه المتع وغيرها لا يمكن أن يمثل كارثة للملحد لأن الأشياء المحرمة أقل بكثير من الأشياء المباحة ، ومن هنا جاءت القاعدة الإسلامية التى تقول أن الأصل فى الأمور هو الإباحة. **كما أن الإنسان يستطيع تعويض الحرمان من بعض متع الدنيا من خلال الإستكثار من المتع الأخرى** ، ومن العبث أن يبكى الرجل طوال اليوم لأنه محروم من زيارة دولتين فقط رغم أنه ذهب فى رحلات سياحية لكل دول العالم الأخرى. ويمكن لعاشق السينيما أن يحيا سعيدا رغم أنه لم يشاهد بضعة أفلام نادرة. ولعلكم تذكرون الرجل الذى كان لديه تسع وتسعون نعجة ، فطمع فى أن يكمل المائة من خلال التعدى على نعجة أخيه ، فاحتكم الاثنان إلى نبى الله داود الذى أدان الغنى الطماع. ثم إن **الإنسان العاقل يجب أن يفكر ويلتمس الأعذار قبل أن يهاجم الآخرين** ، **ويتهمهم بالظلم.** وعلى الملحد أن يتأمل قليلا فى الأشياء التى حرمها الإسلام ، وسيجد بسهولة حكمة عظيمة من وراء تحريمها. وليتذكر أن الطبيب يحرم مريض القلب من تناول الملح والدهون ليس لأنه يكرهه ويبغى حرمانه من الاستمتاع بالحياة ، ولكن لأن هذه الأطعمة تدمر صحته.

ثالثا:

كثير من الأمور المحرمة لا يحب أحدنا أن تحدث له. على سبيل المثال نهى الإسلام عن القتل والسرقة والاغتصاب. وقبل أن تنظر إلى هذا التحريم على أنه تقييد لحريتك ، فعليك أن تسأل نفسك: هل تحب أن تتعرض للقتل أو السرقة أو الاغتصاب؟

وكثير من الناس يشعرون بالضجر حين يقال لهم: "كفوا عن الغيبة والنميمة والسخرية من الآخرين لأنها حرام" ، ولكن فى نفس الوقت لا أحد منهم يحب أن يخوض الناس فى عرضه أو يسخروا منه.

والمرأة تحب الزينة وتحرص على أن تبدو جميلة فى أعين الرجال ، وكثير من النساء كرهن الإسلام لأنه يمنعهن من التزين والتعطر وإظهار مفاتن الجسد أمام الرجال الغرباء ، لكن المرأة المتبرجة التى تغضب من قيود الإسلام تعيش فى نكد لأنها كلما سارت مع زوجها فى الشارع لم يكف عن النظر إلى غيرها من النساء المتبرجات. إن منع كل النساء من التبرج يعود بالنفع على

المرأة نفسها ، كما يعود بالنفع على المجتمع كله لأنه يقلل من حدوث الزنا الذى يقوض أركان الأسرة ، وينخر فى عظام المجتمع.

وبعض الشباب يتحرشون بالنساء أو يفعلون بهن الفاحشة مع أنه لا أحد منهم يحب أن يُفعل نفس الشيء بأمه أو أخته. وعن أبي أمامة قال: "إن فتى شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه! فقال: ادنه، فدنا منه قريبا قال: فجلس، قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم قال: أفتحبه لعمتك. قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه. فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء"[115]. وهكذا فكثير من قيود الإسلام تندرج تحت قاعدة "عامل الناس كما تحب أن يعاملوك به".

رابعا:

فى بعض الأحيان لا يكون أمام المسلم من خيار إلا أن يبذل تضحيات غالية ، فمثلا حين يتعرض المسلمون لأخطار سياسية أو عسكرية يكون من المحتم أن يُقدِم المسلم على الموت بشجاعة فى سبيل الله.

وفى بعض الأحيان يصاب الاقتصاد بأزمة ، فترتفع أسعار الفائدة ارتفاعا شديدا ، فيندفع الناس لإيداع أموالهم فى البنوك ليعيشوا فى رفاهية من الربا الذى هو فى حقيقته امتصاص لدماء الفقراء. وهنا يكون على المرء أن يرفض إغراءات البنوك الربوية حتى لا يكون مساهما فى تضييق الخناق على الفقراء.

[115]) رواه أحمد ، وصححه الألبانى ، وقال: هذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات رجال الصحيح. انظر: **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها** (1/ 712). تأليف محمد ناصر الدين الألبانى. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- الرياض. الطبعة الأولى 1995م.

وإن تفوق عليك زميلك يوما فمن واجبك أن تبتسم فى وجهه ، وتفرح له عملا بالحديث الشريف: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» متفق عليه.

وحين يتعرض المسلم لأذى من قريبه أو زميله فى العمل ، فإن الإسلام يفرض عليه أن يحاول بقدر الإمكان الامتناع عن الرد وأن يعاملهم بالإحسان: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا} [النساء: 36]. والقوى حقا هو من يسيطر على نفسه ، لا من يسيطر على الآخرين ، فقد روى ابن مسعود أن رسول الله عليه الصلاة والسلام سأل: «فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ؟» قَالَ قُلْنَا: الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ، قَالَ: «لَيْسَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ». رواه مسلم. و"الصُرعة" هو الذى يصرع الناس كثيرا.

كل هذه وغيرها من المواقف صعبة فعلا ، ومن يرد الجنة فلا مفر أمامه من المعاناة والألم. **إننا لا نهدف إلى إثبات خلو الدين من الصعوبات والقيود** ، وإنما أردنا أن نثبت أنه يتضمن كثيرا من أوجه اليسر والتخفيف والاعتدال. وما بقى من قيود وصعوبات لا يساوى جناح بعوضة مقارنة بما فى الآخرة من عقاب وثواب. **ولو كان الدين كله يسر لكان من الصعب التمييز بين الناس** لأن الجميع سيُقبِلون على ذلك الدين الذى لا يكلفهم شيئا ، وستتعذر التفرقة بين أصحاب العزائم وأهل الشهوات.

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

لماذا لا تكون الآخرة روحية خالصة؟

لماذا لم يجعل الله تعالى نعيم الجنة على شكل متع نفسية ، يحس بها الإنسان وهو جالس مكانه دون أن يأتيه شيء من الخارج كما لو كان فى حلم يأكل طعاما لذيذا أو يرى امرأة جميلة أو يمارس هواية ممتعة؟ إن من الممكن بإثارة مراكز معينة فى المخ – تسمى مراكز الثواب Reward centers – أن يشعر الإنسان بالراحة والرضا والسعادة. وبالمثل كان بالإمكان أن يجعل الله تعالى العذاب فى الآخرة نفسيا من خلال إثارة مراكز العقاب Punishment centers فى المخ ، فيشعر الكافر بالألم دون أن يُلقى فى جهنم ، أو يشعر بالرعب دون وجود لشيء مخيف فى الواقع. وقد أثبتت تجارب العلماء أن هذا شيء ممكن[116].

إن الألم الذى يصيب جلد الإنسان لا يشعر به الجلد ، ولكن يشعر به المخ من خلال إشارات كهربية تنتقل من الجلد لتصل إلى مراكز معينة فى المخ عبر قنوات عصبية خاصة. وبالمثل سنجد أن النعومة التى نحس بها إثر لبس الحرير لا يحس بها الجلد ولكن يحس بها المخ. والطعام الحلو لا يحس به اللسان ، ولكن يحس به المخ. والصوت الحسن لا تسمعه الأذن ، بل المخ. ورؤية المنظر الجميل لا تحدث فى العين ، بل فى المخ. والدليل على كل ذلك أن تناول بعض العقاقير المخدرة وكذلك الإصابة ببعض الأمراض النفسية يجعل الإنسان يرى أشياء غير موجودة ، ويسمع أصواتا غير حقيقية ، ويحس بأمور غير واقعية ، وذلك بسبب اختلال وظائف مراكز المخ المختلفة.

بدون المخ لا وجود للذة ولا للألم ، ومن الممكن للإنسان من حيث المبدأ أن يأكل أشهى المأكولات دون أن يكون أمامه طعام ، وأن يشعر بلذة الجماع دون أن يكون أمامه نساء جميلات. وبالعكس من الممكن للإنسان أن يقاسى أشد ألوان العذاب دون وجود نار أو حميم.

والسؤال الآن هو: لماذا خلق الله تعالى الجنة والنار وجعلنا نتألم ونستمتع بشكل حقيقى فى الآخرة ، ولم يكتف بخلق اللذة والألم فى النفوس طالما أن النتيجة ستكون واحدة ؟

---

[116]) تعتبر مراكز الثواب والعقاب جزءا من الجهاز الحوفى بالمخ Limbic system ، وهى تشمل:
Lateral and ventromedial hypothalamus, amygdala, ventral portion of basal ganglia, periaqueductal gray matter, amygdala, and hippocampus.

لقد ذهب بعض قدامى الفلاسفة مثل ابن سينا إلى أن الحياة فى الآخرة روحية خالصة ، ولن يكون هناك أجساد للناس ، بل أرواح تتألم أو تستمتع.

ونحن نؤكد أن هذا الاقتراح غير مقبول على الإطلاق ، وذلك لأكثر من سبب:

أولا:

أيها القائلون بأن كلا من نعيم الجنة وعذاب النار سيكون نفسيا: ما الذى دفعكم لذلك؟ هل تريدون أن تريحوا الله من عناء مهمة شاقة؟ هل من الصعب على الله تعالى أن يخلق الجنة أو الحجم؟ هل من المستحيل أن يخلق الله ألوانا لا حصر لها من اللذات وصنوفا بلا نهاية من العذاب؟ إن الله تعالى لا يفتقر للوقت ولا الجهد ، فهو يقول للشىء: "كن" ، فيكون. إنكم تطرحون فرضا سخيفا ، لا يستحق المناقشة ، ومع ذلك سنواصل تفنيده.

ثانيا:

بما أن أغلب الشر فى الدنيا كان حسيا (القتل–الزنا– السرقة..إلخ) فلذا وجب أن يكون العقاب فى الآخرة حسيا. وبما أن أغلب الخير فى الدنيا كان حسيا (الصدقة– الصوم– الجهاد..إلخ) فلذا وجب أن يكون الثواب فى الآخرة حسيا. الجزاء يجب أن يكون من جنس العمل. لقد خلق الله تعالى كونا ماديا حسيا ليختبر النفوس ، والجزاء على الاختبار المادى يجب أن يكون ماديا.

ثالثا:

خلق الله تعالى جنة عرضها كعرض السماوات والأرض مع أنه لو خلق جنة فى حجم الكرة الأرضية فقط ، وغيَّر ما بها من حدائق وأنهار وزينات بشكل دورى لكان هذا كافيا لاستمتاع كل الناس. فلماذا فعل الله ذلك؟

لقد أراد الله تعالى المبالغة فى إظهار قدرته وعظمته. وأحيانا تكون المبالغة أمرا لا بد منه. على سبيل المثال يمكن لطعنة واحدة أن تردى المجرم قتيلا، لكن لو سقط سفاح كهولاكو أسيرا فى أيدى أهل بغداد لربطوه فى وسط المدينة ولانهال عليه آلاف الناس بسيوفهم ليقطعوا جسده جزاء على قتل مليون من أهالى المدينة. وإن أقام أحد الوجهاء حفل زواج لابنه الوحيد ، ودعا إليه

ألف شخص ، فإنه يعد ولائم تكفى عشرة آلاف ، لا ألف واحد. وهذا يؤكد أن المبالغة تكون أحيانا مطلوبة.

وبالمثل أراد الله تعالى أن يبالغ فى إظهار ملكه وقدرته ، وهذا أمر لا غنى عنه لإقامة العدل فى الآخرة ، فمن صميم العدل أن يعرف كل الناس أن للكون إلها عظيما ، لا يعجزه شىء. وهذا العدل لن يفيد الله عز وجل ، ولن يزيد من ملكه ، ولكنه يحقق بالأساس هدفا معنويا هو الفصل بين الحق والباطل ، والله تعالى لا يمكن أن يتوانى فى الآخرة عن الإثبات الكامل لصدق معتقد المؤمنين وبطلان معتقد الكفار. إن رد الاعتبار لله يوم القيامة لا يفيد الله ، لكنه أمر فى غاية الأهمية للمؤمنين الذى كرسوا كل حياتهم الدنيا من أجل دين الله ، ودفعوا من أجل ذلك كل غال ورخيص، وهؤلاء يهمهم جدا أن يظهر الله للعالمين قدرته وعظمته ، رغم أن هذا لن يزيد ملك الله أبدا. وفى سياق حرص الله على إظهار قوته وقدرته وملكه جاء العذاب والنعيم فى الآخرة حسيا ، على هيئة مشاهد ضخمة عجيبة لم يسبق لها مثيل حتى يعرف الجميع أن الملك لله وحده لا شريك له ، وصدق الله العظيم حين قال: {لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} [غافر: 16]

<u>**رابعا:**</u>

من الصعب فى كثير من الأحيان أن نعرف بدقة مقدار ما يشعر به الآخرون من ألم ، فمثلا قد تصرخ المرأة بشدة حين تقع على الأرض مع أن من رآها من المارة أكدوا أن جسدها لم يرتطم بشدة بالأرض ، ولكنها تبالغ كعادة النساء. ومن المعروف أن الناس يختلفون فى القدرة على تحمل الألم ، فقد يتحمل رجل الكى بالنار دون أن تسمع له صوت ، بينما يسقط آخر مغشيا عليه من وخز إبرة. وبالمثل **من الممكن أن يظن الناس يوم القيامة أن الكافر الذى يصرخ يبالغ ، وأن رد فعله أكبر من العذاب الواقع عليه** ، إما لأنه شخص مرفه وغير معتاد على الشقاء ، أو لأنه يريد أن يستدر عطف الله والملائكة. أما رؤية ألسنة النار الرهيبة والحميم واليحموم فلا تدع مجالا للشك فى أن العذاب لا يطاق. ولا زلت أذكر مشهدا رأيته منذ سنوات فى أحد الأفلام حين قامت عصابة بقلع أظافر أحد الأشخاص ، فكان جسدى يقشعر كلما تخيلت نفسى مكانه ، بينما لو صمم المشهد بحيث يظهر الرجل ، وهو يصرخ بشدة ، ويقول فقط أنهم عذبوه لما تأثر أحد بنفس القدر.

وبالمثل **قد يبالغ الرجل فى التعبير عن السعادة التى يحس بها مع أن الأمر فى الحقيقة لا يستحق كل هذا.** ومهما وصف لك الواحد من أهل الجنة جمال الحور العين اللائى يراهن ويستمتع بهن فى خياله فلن يكون وصفه مساويا لرؤية عيوننا لهن ، فنظرة واحدة أبلغ من قصائد شعر طويلة.

وحدث مرة أن صديقا دخل علينا يوما وهو فى قمة السعادة ، فلما سألناه عن السبب قال أن المدير قال له: "أنت ذكى" ، فانفجر الزملاء من الضحك ، وقال أحدهم: "لقد ظننت أنك ربحت مليون جنيه". وكثيرا ما تجد صاحبك يضحك من أعماقه وهو يقرأ فى الصحيفة ، فتسأله عن السبب ، فيظل يضحك وهو غير قادر على أن يوقف نفسه. وبعد فترة يحكى لك عن خبر طريف ، فتقول له: "ما هذا الخبر السخيف؟ ما الذى يضحك فى هذا؟" وبالعكس يمكن أن يدخل عليك صديقك مهموما ، فتسأله عن السبب ، فيقول لك أن زوجته تشاجرت معه ، فتضحك من أعماقك ، وتقول له: "وماذا فى ذلك؟ أنا أتشاجر مع زوجتى فى اليوم أربع مرات ، هذا شىء طبيعى".

وهكذا نجد أن تعبيرات الوجه وانفعالاته تختلف من شخص لآخر ، وتبتعد فى كثير من الأحيان عن الواقع. ولهذا قضى الله تعالى بأن يكون كل من الثواب والعقاب فى الآخرة ماديا حتى يعرف كل واحد بدقة وثقة مقدار الجزاء الذى ناله الآخرون.

إن عذاب الآخرة لو كان نفسيا خالصا لرأينا الظالمين وهم يتألمون ، لكننا لن نشعر بشدة عذابهم ، فهناك فرق كبير بين رؤية رجل يتألم فى فراشه ورجل آخر يجرى والنار مشتعلة فى ملابسه ، فيتقدم نحوه ملاك لكى يطفىء النار بماء مغلى ، ثم تتقدم ملائكة أخرى لتقدم له طعاما من الشوك ، وثمارا قبيحة تشبه رءوس الشياطين. **ولو كان النعيم نفسيا لرأيت الرجل يبتسم أو يضحك أو يتنفس بارتياح ، لكنك لا يمكن أن تقدر السعادة التى يشعر بها حق قدرها** ، ولن تؤثر فيك انفعالات وجهه كما لو رأيته جالسا فى حديقة جميلة ، على فراش من ذهب ، تحت ظل شجرة ، وأمامه نهر يسرى ، وحوله زوجة جميلة ، وملائكة ترحب به ، وخدم يقدمون له لحما مشويا وفواكه متنوعة ، فيأكل ويشرب ويلعب.

وحرص الله تعالى على أن يعرف كل واحد من الناس مصائر الآخرين لا يدخل فى باب الفضل والترف ، ولكنه أمر لا غنى عنه لتحقيق العدالة الكونية الشاملة ، إذ لا بد أن يرى المؤمنون مصائر الكفار، ويرى الكفار مصائر المؤمنين. لا بد أن يرى اليتيم مصير قريبه الذى أكل ميراثه، وترى المرأة مصير من تآمروا لتطليقها ، ويرى الزبائن مصير التاجر الذى غشهم ، ويرى المشاهدون مصير الممثلة التى أغوتهم.

إن رؤية المنتصر للمهزوم متعة ، ورؤية المهزوم للمنتصر حسرة. وخلق الجنة والنار سيجعل الدراما الكونية تبلغ ذروتها ، وسيصل بقصة الخلق لقمة إثارتها. وكم من إنسان لا يحرص على الوصول إلى القمة بقدر حرصه على أن يراه خصمه وهو متربع عليها.

إن الضد يبرز الضد. **ولكى يدرك المؤمن فى الآخرة حجم الفوز الذى حققه فإن من المهم أن ينظر إلى العذاب الكبير الذى يذوقه الكفار** ، فيعلم أنه نجا من كارثة لا قبل له بها. وقد عبر القرآن عن هذا المعنى حين حكى عن رجل من أهل الجنة تكلم مع رفاقه عن صاحب له فى الدنيا كان يدعوه إلى الكفر، فلما اطلع هذا المؤمن على النار وجد صاحبه فى وسط الجحيم ، فهاله ما رأى ، فأحس بنعمة الله وفضله: {قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (51) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (54) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (55) قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (56) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ} [الصافات: 54 – 57].

وفى المقابل **حين يختلس الكافر النظر إلى أهل الجنة ، فيطلع على ما هم فيه من نعيم فإنه يموت غيظا وحسرة على ما فاته.** وقد حكى القرآن عن تسول الكفار لبعض نعم الجنة من المؤمنين فقال: {وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ} [الأعراف: 50].

إن رؤية أهل الجنة لمصائب أهل النار تزيدهم فرحا ، ورؤية أهل النار لمتع أهل الجنة تزيدهم ندامة. وهذا سبب جوهرى يحتم ألا يكون الجزاء فى الآخرة نفسيا محضا. اللهم إنا نعوذ بك من يوم الحسرة والندامة.

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

هل يعيب الآخرة وجود اللذات الحسية؟

يوجه الملحدون والمسيحيون انتقادات لاذعة لِجَنة المسلمين باعتبارها تحتوى على متع حسية فقط دون أثر للمتع روحية. وتبلغ قمة نشوتهم حين يتكلمون عن الحور العين ، فيقولون: "انظر لهذا المسلم المعتوة الذى يفجر نفسه طمعا فى أن يتزوج باثنتين وسبعين من الحور العين!" ويضحكون ، ويقعون على الأرض من فرط السخرية.[117]ونحن ننتظر يوما نضحك فيه على هؤلاء الحمقى ، وسنكتفى الآن بأن نفحمهم ، ونثبت لهم أن هذه الدعاوى ليست إلا دليلا على سطحية فكرهم.

المتع الأكثر شعبية

لنا أن نتساءل: ما العيب فى متع الجنة الحسية؟ **هذه هى المتع التى يحرص عليها 99.9% من الناس**. خبرونى كم إنسانا يكره الفواكه والعصائر؟ كم إنسانا يمر أمام محل حلوى يعرض الجاتوه ، فيشعر بالاشمئزاز؟ كم إنسانا يمر أمام مطعم مشهور فيجرى مسرعا حتى لا يشم رائحة المشويات؟ كم إنسانا يكره الظل ، وينفر من الجو المعتدل ، ويستمتع بالشمس الحارقة، ويهيم بالبرد القارص؟ كم شابا لا يحب النساء الجميلات؟ كم امرأة لا تحب الأزياء الجميلة؟ كم امرأة تكره الذهب والماس والياقوت؟ كم امرأة تكره أن يكون لها شعر ناعم ووجه ناضر؟ كم امرأة تتمنى أن تصبح عجوزا شمطاء؟ كم إنسانا يكره الثياب الأنيقة والقصور العالية؟ كم إنسانا يكره الفراش المريح والسجاد الجميل والوسائد اللينة ، ويفضل النوم على الأرض الخشنة المليئة بالحصى؟

لا شك أن الغالبية العظمى من الناس تحب مثل هذه المتع الحسية ، ومن يكره أيا منها فهو شاذ ومريض ، والجنة لم تأت للشواذ بل للأسوياء. مثلا الإنسان الذى يكره الطعام يكون فى الغالب مصابا بحمى أو بمرض مزمن فى الكبد أو الكلى أو غيرها. والشاب الذى لا يرغب فى النساء يعانى فى الغالب من خلل فى بعض الهرمونات. والمرأة التى تكره الذهب والحلى والأزياء

[117]) صح عن النبى عليه الصلاة والسلام أن الشهيد يتزوج باثنتين وسبعين من الحور العين ، فعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دفعةٍ وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ويزوَّجُ ثنتينِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقْرِبَائِهِ ". رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ. والحديث صحيح. انظر: **"مشكاة المصابيح"** (2/ 1127).

هى امرأة غريبة الأطوار ، وتوصف بأنها "مسترجلة" ، وهى تمثل موضوعا للتندر فى أفلام السينيما ، وقد تكون مصابة بالبرود الجنسى أو بحالة شاذة اسمها كراهية النوع Gender dysphoria ، أى أنها تكره كونها أنثى ، وتريد تغيير نوعها لتصبح ذكرا. والرجل الذى يستمتع بالجو البارد هو فى الغالب مصاب بفرط فى نشاط الغدة الدرقية. والشخص الذى يستمتع بالجو الحار قد تكتشف أنه مصاب بنقص فى نشاط الغدة الدرقية. والإنسان الذى ينام على الأرض الخشنة دون شكوى ستجد أنه على الأرجح مصاب بمرض ضمور الأعصاب الحسية الذى يحول دون إحساسه بالألم ، فتكثر الإصابات والتقرحات الخطيرة فى جسده.

حقا من الشائع أن يكره كل إنسان أنواعا معينة من الطعام والشراب والثياب والنساء ، لكن من النادر أن تجد إنسانا يكره بشكل دائم كل الأطعمة وكل النساء وكل الثياب وكل المتع المادية.

إن هذه المتع المادية هى ما يحبه غالبية البشر ، فهل نلوم الله لأنه وفرها لهم فى الجنة؟ هل كنتم تريدون لجَنة الإسلام أن تكون باهتة مثل جنة النصارى التى لا تذكر إلا أقل القليل عن اللذات التى تتوق إليها نفوس أغلب البشر ؟

ضع نفسك مكان شاب فى العشرين ليس لديه مال كى يتزوج ، وفى أحد الأيام دعته امرأة جميلة للفاحشة ، فأى شىء أقدر على تثبيته وجعله يتحلى بالعفة: أن يمنى نفسه بالحور العين أم يمنيها بالصفاء النفسى والمتعة الروحية فى الجنة؟ وما الذى يمنع الموظف من قبول رشوة ضخمة يمكن أن تعينه على شراء بيت مطل على النيل: أن يفكر فى القصور التى أعدها الله للصالحين فى الجنة أم يفكر فى السعادة النفسية التى تنتظره عند ربه؟ وما الذى يمنع رجلا فقيرا من السرقة: أن يفكر فى مختلف أنواع الأطعمة والأشربة التى تنتظره فى الجنة أم يفكر فى اللذة النفسية هناك؟

لا شك أن بعض الناس يكون على درجة كبيرة من الإيمان ، فيعمل الخير فقط طلبا لرضا الله وأملا فى نيل حبه ، لكن أكثر الناس يريدون جزاءا ماديا حسيا فى الآخرة ، فهذا هو ما يعشقونه، **ومن الظلم أن تكافأهم فى الآخرة بطريقتك أنت ، لا بالطريقة التى يريدونها** هم. إن **من العبث أن تكافىء إنسانا تعب واجتهد بمكافأة أنت تعلم مقدما أنها لن تسره. ومن الأدب والخلق أن تستشف أهواء الآخرين ، وتعمل على إسعادهم بالطريقة التى يحبونها.** إن الأب

الذى يريد أن يحفز ابنه على الاجتهاد فى الدراسة وهو يعلم أنه شغوف برياضة كرة القدم ، هذا الأب سيكون التصرف الأمثل من جانبه أن يَعد ابنه بالاشتراك فى عضوية أحد الأندية الكبرى ، لا أن يعده بمجموعة قيمة من كتب فى فن البالية. ومن أسخف النساء امرأة اشترى لها زوجها هدية جميلة ، فقررت فى اليوم التالى أن تشكره على هديته بعمل وجبة طعام تحبها هى ، ولا يحبها زوجها. **هذه الزوجة الغبية تشبه الملحد الذى يدعى أنه مثقف ، يحتقر الحياة المادية ، ويريد من جنة الإسلام أن تكون روحية خالصة كى توافق هواه ، دون اكتراث لرغبات الغالبية العظمى من الناس** الذين لهم الحق الكامل فى أن يحصلوا فى الآخرة على الثواب بالطريقة التى يريدونها هم ، **وليس على طريقة الفلاسفة والمفكرين ، هذا بفرض أن الفيلسوف مخلوق لا يحتوى جسمه على جهاز هضمى ولا جهاز تناسلى!**

ثم ألا تلاحظون أن جائزة نوبل التى تمنح لأعظم الأدباء والعلماء فى العالم هى جائزة معنوية ومادية فى نفس الوقت؟ جائزة نوبل معنوية لأن من يحصل عليها فقد نال اعترافا عالميا بأنه وصل للقمة فى مجال تخصصه ، كما أنها جائزة مادية لأن الفائز بها يحصل على مبلغ كبير من المال. لماذا إذن لم نسمع صوتا لملحد يندد بالمال الذى يأخذه الفائزون بنوبل ويعتبر أن وزن العلم والفكر بالمال أمر يدعو للاشمئزاز؟

ثم إن أى لقاء ثقافى يحضره هؤلاء الملحدون لا بد أن يقدم لهم فيه بعض الأطعمة والحلوى والمشروبات والمثلجات ، فيتناولونها بكل سرور دون أن يبدى أحدهم امتعاضه من خلط الفكر بالطعام ، وربط العقل بالمعدة. وإذا استضيف واحد منهم فى أحد البرامج فإنه يجلس أمام مذيعة متبرجة ، فيتكلم معها بكل راحة وسعادة دون أن يبدى اشمئزازه من اهتمامها الزائد بجمالها وأناقتها ، وهى تتكلم معه فى موضوع فكرى فلسفى جاد. ولماذا لا نسمع إلا نادرا عن عزوف المثقفين والفلاسفة عن النساء؟ لماذا لا يثبتون لنا عمليا حقارة غريزة الجنس ، فيمتنعون عن الزواج ومصاحبة النساء؟ لماذا يظهرون الاحتقار لهذه الأمور فقط حين يتعلق الأمر بالآخرة التى بشر بها الإسلام؟

إن النظر إلى أحوال الملحدين يثبت بشكل قاطع أنهم منافقون كاذبون ، فهم غارقون فى اللذات الحسية من طعام وشراب وخمر ونساء وسياحة وأزياء وسيارات وعقارات ، وحياتهم كلها لهو وعربدة ، وفى نفس الوقت يعيبون على الإسلام نفس ما يستحلونه لأنفسهم.

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

منطق الشبعان

حين ينتقد أعداء الإسلام الجنة بسبب طابعها الحسى فإنهم يفكرون بمنطق الغنى الشبعان ، لا منطق الفقير الجائع. إن أغلب سكان العالم من الفقراء ومتوسطى الحال ، والعدل يوجب أخذ ميولهم فى الاعتبار.

هب أنك مررت على مسكين لا يأكل إلا وجبة واحدة فى اليوم ، فرأفت بحاله ، ومنحته خمسين ألف جنيه ، ثم صحبته فى سيارتك إلى بيته ، فأقبل على زوجته وأولاده يبشرهم ، ففرحوا ، وأرسلوا ابنهم ليشترى لهم طعاما شهيا من مطعم فاخر ، فأكلوا ، ونظموا قصائد غزل فى هذا الطعام الذى لم يكونوا يحلمون يوما بتناوله ، فبم نسمى مساعدتك لهؤلاء المساكين؟ هل نهاجمك ونحقر من المعروف الذى صنعته ، ونقول لك: كيف تهتم بتوفير الطعام والشراب وهذه الأشياء المادية الحقيرة لهذه الأسرة؟

طبعا هذا جنون ، ومن يستحق الإدانة فعلا هو غنى لا يشعر بآلام الفقراء ، ويريدهم أن يفكروا بمنطق الشبعان. وبالمثل **من يطلب من الله أن يهمل توفير الطعام والشراب وبقية المتع الحسية فى الجنة ، فهو شخص مختل عقليا ، وهو يشبه ثريا مر على متسول ، فنهره قائلا: "قم ، ولا تسأل الناس طعاما ، وخذ هذه الدعوة المجانية لدار الأوبرا لسماع ألحان بيتهوفن، فغذاء الروح أرقى من غذاء البطن"!** بالله عليكم هل هذا منطق؟ إن نفس هذا المنطق المضحك يتبناه الملحدون والنصارى الذى يعيبون على الإسلام اهتمامه بتوفير سبل الرفاهية المادية فى الجنة. **إن من يهاجمون جنة الإسلام الحسية هم الذى يفتقرون للأخلاق ، وليس الإسلام ، فمن لا يحس بآلام الفقير هو شخص مصاب بمرض نفسى أو دنو خلقى.**

ونفس الشيء ينطبق على المتع المادية الأخرى ؛ هب أن رجل أعمال وجد أن أحد موظفيه قد بلغ سن الخامسة والأربعين ، ولم يتزوج بعد بسبب فقره ، فقال له: (لا تحزن. الزواج ليس كل شيء. سأهديك مجموعة من الكتب العالمية النادرة كى تشغل بها وقت فراغك ، وتنسى الحاجة للمرأة). إن الموظف فى الغالب سينظر إليه باشمئزاز ، وتدمع عيناه من اضطراره للعمل عند رجل بهذه البلادة وهذا الشح.

وتخيل أن بيتك قد انهار يوما ، وجلست أنت وأسرتك فى العراء ، وافترشتم الأرض فى البرد القارص ، فمر عليك يوما أحد الأثرياء ، وقال لك: (لما تجلس مهموما؟ خذ هذا الحاسوب اللوحى (التابلت) الذى يحتوى على مقطوعات موسيقية عالمية ، وأؤكد لك أن ستحلق فى عالم روحى سام ، ينسيك كل همومك). ما رأيك فى هذا الثرى؟ إنك ستتهمه بالتخلف العقلى ، فأنت تريد بيتا يأويك ، وليس مقطوعات موسيقية.

وبالمثل **لو خلا القرآن من الحديث عن المتع المادية لصار هدفا للسخرية من كل فقير وجائع وعار ومريض.** إننى أحمد الله أن جعل دينى ذا منطق متين ، فالعقل يحتم وجود جزاء فى الآخرة يتماشى مع حاجات الناس ، وأغلب البشر ينشدون تلبية حاجاتهم المادية. ولو لم يفعل الله ذلك لكان منحازا للقلة المرفهة التى لا تحس بما على كوكب الأرض من آلام.

ثم إن المرء ليتعجب: إن أكبر سبب يعلن الملحدون أنه دفعهم للكفر هو انتشار الفقر والمرض والزلازل والحروب والآلام فى العالم ، وتراهم يستنتجون من وجود هذه المصائب أن الله غير موجود ، إذ كيف يكون موجودا ، ويترك الناس يعانون بهذا الشكل؟ **ونحن نندهش من هؤلاء المنافقين الذين ينكرون وجود الله بناء على وجود المعاناة والألم فى العالم ، فإذا قلنا لهم أن الله تعالى يعدكم فى الآخرة بجنة تخلو من الألم والحرمان والمرض هبوا غاضبين من هذه الجنة التى تحتفى بالمادة والغريزة!** ماذا يريدون بالضبط؟ ارفع رأسك أيها المسلم ، فدينك قوى متين ، والعيب كل العيب يكمن فى قوم ابتلوا بالسطحية وسوء النية.

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنتدى لولا أن هدانا الله.

مفاجأة! فى الجنة متع روحية عظيمة

ها قد أثبتنا أن المتع الحسية لا تعيب الجنة على الإطلاق ، والآن نفاجىء أعداء الإسلام بأن جنة الإسلام بها متع روحية ونفسية كثيرة. فليستعد الملحدون إن شاء الله لضربات ساحقة متوالية ، **تدمر بشكل كامل وللأبد** الأسطورة التى اخترعوها ، وصدقوها.

1- ذهاب الحزن

إنه لأمر يدعو للدهشة أن يغفل أعداء الإسلام عن قوله تعالى: {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ} [فاطر: 34]. إن هذه الآية حجر ، يلقمه القرآن للملحدين الذين لا يعرفون عن الجنة إلا أنها بيت دعارة كبيرة ، ولكن ها هو القرآن يخبرنا أن الجنة مكان خال من الأحزان ، أوليست هذه نعمة نفسية؟ أليس الاكتئاب هو مرض العصر الذى لم ينج منه أحد فى عالمنا ؟ إن الجنة هى أمل كل إنسان مزقت سعادته طاحونة العصر التى تدور بلا رحمة؟

2- السعادة فى جمال الطبيعة

فى الجنة كل ما يسر العيون ؛ قال تعالى: {وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ} [الزخرف: 71]. انظر إلى الجنة تجد أن بها الخضرة. أليست الخضرة مريحة للنفس؟ انظر إلى أنهار الجنة:{جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [المائدة: 119]. أليس منظر الماء السارى مريحا للنفس؟ ألم يخلب منظر النيل ألباب الشعراء والأدباء والمفكرين وكل من سئم الحياة؟ انظر إلى الماء المسكوب فى الجنة (النافورة أو الشلال أو عيون الماء) الذى ورد فى قوله: {وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ} [الواقعة: 31] وقوله: {فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ} [الرحمن: 50] ، وقوله: {فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ} [الرحمن: 66]. أليست هذه مناظر جميلة تريح النفس وتأسر الروح؟

ألا ترون أن الإنسان إن أراد الهروب من ضغوط العمل ذهب إلى الحدائق أو ركب مركبا ، يتهادى على سطح الماء ، لتحلق روحه فى السماء بعيدا عن ضجيج العصر؟ أليست حركة السياحة العالمية قائمة على الماء والخضرة؟ أليست صور المروج والزهور والأنهار والشلالات من أهم الصور شعبية؟ ألا تقدس الحضارة الحديثة جمال الطبيعة إلى درجة تشكيل أحزاب خاصة للمحافظة على البيئة هى أحزاب الخُضر؟

إن من العبث القول بأن جنة الإسلام تخلو من المتع النفسية ، فالمفكر الذى لا يعرف أن الخضرة والماء يجلبان الراحة للنفس هو أشبه بطبيب لا يعرف أن الأسبرين والبارسيتامول يخففان الألم!

3- السعادة فى غياب الحقد

من المتع الروحية فى الجنة خلوها من الأحقاد والضغائن ، وفى هذا قال تعالى: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ} [الأعراف: 43]. وقال كذلك: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ} [الحجر: 47]. وروى البخارى أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال عن أهل الجنة: «قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، لاَ تَبَاغُضَ بَيْنَهُمْ وَلاَ تَحَاسُدَ»[118]

ولا شك أن الغالبية العظمى من أهل الدنيا لم تنج قلوبهم من الحسد والحقد ، ولكن بدرجات متفاوتة ، فالحقد جزء من طبيعة البشر ، ولكن أغلب الناس لا تشعر أنها تحقد ، والمؤمن الحق هو الذى يراقب نفسه جيدا ، ويشك فيها باستمرار ، فإن شعر أن الحقد قد تسلل إلى قلبه فى لحظة ما سارع إلى استغفار الله ، وحاول جاهدا أن ينزع هذا الداء من قلبه. ومع ذلك فكثير من الناس يخفقون فى التغلب على الحقد ، وهؤلاء سيحصدون السيئات ، ولكن إن زادت حسناتهم على سيئاتهم دخلوا الجنة. وفى الجنة سينعم الله تعالى عليهم بالقضاء نهائيا على الحسد والكره ، وهذه نعمة نفسية لا تقدر بمال ، **فالحقد يحطم قلوب كل من الحاسد والمحسود.** الحاسد قلبه يشتعل بسبب كرهه للنعمة التى فى أيدى الآخرين ، وما عليك إلا أن تضع نفسك مكان أم تعثر ابنها فى الدراسة ، وتتخيل شعورها وهى ترى ابن جارتها ينجح ، ويحصل على المركز الأول. تخيل أيضا مشاعر أم لها ابن مصاب بالشلل ، فمرت يوما بمجموعة من الأطفال يلعبون ويقفزون فى الشارع ، بينما ابنها قعيد وعاجز عن أن يقضى حاجته. وفى كثير من الأحيان يؤدى الحقد بالمرء إلى عذاب نفسى يصل لدرجة الجنون ، وقد حدث مرة أن أحد طلبة الماجستير جن جنونه لما علم أن زميله سيناقش رسالة الماجستير قبله ، وأخبرنى أنه لا يستطيع أن يأكل أو يشرب أو ينام كلما تذكر أن زميله سيسبقه. والجنة تريحنا من هذا كله ، فهناك لن

[118]) نص الحديث كاملا: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَى آثَارِهِمْ كَأَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، لاَ تَبَاغُضَ بَيْنَهُمْ وَلاَ تَحَاسُدَ، لِكُلِّ امْرِئٍ زَوْجَتَانِ مِنَ الحُورِ العِينِ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِنَّ مِنْ وَرَاءِ العَظْمِ وَاللَّحْمِ»

يشعر أحد بكراهية مَن هم أفضل منه ، وهذه راحة نفسية مدهشة يغفل عنها أعداء الإسلام.
تخيل مرة أخرى: حياة بلا حقد. حياة كلها صفاء ونقاء. ما أعظم هذه النعمة الروحية!

وكما يؤذى الحقد قلب الحاسد فهو أيضا يؤذى المحسود ، فالحسد كما نعرف يوقع أضرار مادية بالناس ، وهذه الأضرار منها ما هو نفسى ومنها ما هو مادى ، فمثلا قد تحسد المرأة صاحبتها على حب زوجها لها ، فيترتب على ذلك وقوع المشاكل بين الزوجين المحسودين وكراهية كل منهما للآخر. وقد يحسد الناس بعض الإخوة ، فيدب بينهم خلاف كبير ، ينتهى بالقطيعة واللجوء للقضاء. وربما حسد رجل صاحبه على قوته العضلية ، فيتعرض المحسود لأزمة قلبية مفاجئة. وكل هذا لن يوجد فى الآخرة ، فسيتخلص الناس من الهواجس التى تجعلهم يتوقعون حدوث المصائب بين لحظة وأخرى بسبب حسد الناس لهم. وبالنسبة للرجال نسوق البشرى بأن غياب الحقد سيجعل الرجل يهنأ بالزواج من أكثر من امرأة فى الجنة لأن أيا منهن لن تحمل ضغينة تجاه الأخرى كما يحدث فى الدنيا. يا له من عالم روحى جميل فريد! اللهم إنا نسألك رضاك والجنة. الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

4- السعادة فى النجاة من النار

يغفل أعداء الإسلام عن أحد أعظم المتع الروحية التى سينعم بها أهل الجنة ألا وهى متعة النجاة من جهنم. **إن مجرد النجاة من العذاب تعود على الإنسان بسعادة غامرة حتى لو لم يصاحبها لذة أو شهوة من الأنواع المعتادة.** ولك أن تتخيل رجلا حكم عليه بالإعدام ، ولكن فى جلسة الاستئناف حكمت المحكمة ببراءته ، ألن يكون هذا الرجل فى قمة السعادة رغم أن المحكمة لم تمنحه مالا ولا وساما؟

وشاهدت يوما تحقيقا عن غرق سفينة تايتانيك الشهيرة ، وتخيلت نفسى مكان أحد أولئك القلائل الذين نجوا من الغرق ، ألن أكون بعدها فى قمة السعادة لأنى نجوت من الموت المحقق ؟

وفى أحد الأيام وقعت سيارة أحد زملائنا فى النهر هو وبعض أفراد أسرته ، لكنهم نجوا من الموت بأعجوبة ، فقال له صديقه مازحا: " لو كنت مكانك لظللت بقية عمرى فى المسجد ، فأى شيء أطمع فيه بعد النجاة من هذا الموت البشع؟"

وتخيل رجلا أصيب بورم فى الرئة ، وتوقع الأطباء أنه ورم خبيث ، ولكن لما أخذوا عينة من الورم تبين أنه حميد ، ألن تكون فرحته عظيمة لمجرد أنه نجا من السرطان حتى لو ظل بقية عمره يعيش فى فقر.

وهكذا **فمجرد النجاة من الهلاك تمنح الإنسان سعادة غامرة حتى لو لم يربح معها أيا من النعم.** وبالمثل سيحشر كل الناس أمام الله عز وجل فى جمع كبير، وكل منهم فى حالة ترقب لنتيجة الحساب ، وسيفاجأ الجميع أن الحساب فى غاية الصعوبة إذ أنه لا يترك شاردة ولا واردة: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا} [الكهف: 49]. **ومجرد انتهاء حساب القيامة العسير ومروره بسلام يمثل نعمة عظمى وراحة نفسية كبرى.**

ويوم القيامة سيتمنى الكافر لو خلقه الله فى الدنيا على شكل تراب ، لا على شكل إنسان: {يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا} [النبأ: 40]. إن الكافر هنا لا يتمنى طعاما ولا شرابا ، بل يتمنى فقط لو كان ترابا لأن التراب لا يعَذب. وهذا يدل على أن النجاة من النار فى ذاتها نعمة كبرى.

وفى آية أخرى يتذكر المؤمنون كيف كانوا يشعرون فى الدنيا بالخوف من عذاب الله ، فنجاهم الله ، ووقاهم حَر جهنم: {قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (26) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ} [الطور: 26، 27]

وفى إحدى الآيات يقول الله عز وجل: {فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ} [آل عمران: 185]. ويجوز فهم هذه الآية على أنها تشير إلى ذلك المؤمن الذى فعل كثيرا من السيئات ، فكان حسابه يوم القيامة عسيرا ، فشعر وكأن الحساب قد انتهى ، وأنه يوشك على السقوط فى النار. فإن انتهى الحساب بإعلان براءته فسيشعر كما لو أنه قد زُحزح عن النار فى آخر لحظة. وهذا يشبه رجلا اتُهِم فى قضية قتل، فكان يشعر فى اللحظات التى سبقت النطق بالحكم وكأن حبل المشنقة قد لُف حول رقبته ، فإن برأه القاضى ، فسيحس وكأن حبل المشنقة قد حُل عن رقبته فى آخر لحظة. وهذا الفهم المجازى للآية يشير إلى الفكرة القائلة بأن النجاة من النار تمثل فى حد ذاتها فوزا كبيرا حتى لو لم يدخل المرء الجنة.

لكن من الممكن فهم الآية السابقة على أنها تعنى أن كل الناس – أو بعضهم على الأقل– سيذهب بهم الله تعالى يوم القيامة إلى النار ، وسيوشكون على الوقوع فيها بالفعل ، لكنه تعالى سيرحمهم فى آخر لحظة. تخيل مدى سعادة الواحد منهم ، وهو يزحزح عن جهنم! إن هذا يذكرنا بقوله تعالى عن جهنم: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (71) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} [مريم: 71، 72]. وهذه الآية الأخيرة تفيد أن كل الناس يوم القيامة سيذهبون إلى جهنم. واختلف المفسرون ، فقال بعضهم بأن ورود النار معناه دخولها ، لكن المؤمنين سيخرجون منها دون أن تؤذيهم[119] ، وهذا الرأى ضعيف إذ ما الداعى لدخولهم النار طالما أنهم لن يحسوا بما فيها؟ وقال آخرون بأن المعنى أنهم سيقتربون منها ، ويرونها ، ويشرفون عليها دون أن يدخلوها ، وهذا الرأى أقوى[120]. كما رأى البعض أن ورود الجنة يشير إلى المرور على "الصراط" ، فيمر كل إنسان بسرعة تتناسب مع عمله ، فيجتازه الصالحون بسرعة دون أن يمسسهم أذى، بينما يسقط الكفار فى النار. وفى تفسير ابن عطية: [قال عبد الله بن مسعود: ورودهم هو جوازهم على الصراط. وذلك أن الحديث الصحيح تضمن «أن الصراط مضروب على جسر جهنم فيمر الناس كالبرق وكالريح وكالجواد من الخيل على مراتب ، ثم يسقط الكفار في جهنم وتأخذهم كلاليب»].[121]وورد فى صحيح البخارى بخصوص الصراط أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ "، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الجَسْرُ؟ قَالَ: " مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلاَلِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، المُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا...)

---

119) قال القرطبى: (وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الْوُرُودِ فَقِيلَ: الْوُرُودُ الدُّخُولُ رُوِيَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (الْوُرُودُ الدُّخُولُ لَا يَبْقَى بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ إِلَّا دَخَلَهَا فَتَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بَرْدًا وَسَلَامًا كَمَا كَانَتْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ." ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيها جِثِيًّا" أَسْنَدَهُ أَبُو عُمَرَ فِي كِتَابِ" التَّمْهِيدِ". وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَخَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ وَابْنِ جُرَيْجٍ وَغَيْرِهِم([**تفسير القرطبى** (11/ 136)]. وهذا الحديث ضعيف كما قال الألبانى فى **السلسة الضعيفة** (10/ 263)]. وْقال ابن عطية: (وقالوا: في القرآن أربعة أوراد معناها الدخول هذه أحدها، وقوله تعالى: يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار [هود: 98] ، وقوله ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا [مريم: 86] ، وقوله إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون [الأنبياء: 98]. [**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** (4/ 27). تأليف أبو محمد عبد الحق بن عطية. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة الأولى - 1422 هـ]

120) قال ابن عطية: (قالت فرقة بل هو ورود إشراف واطلاع وقرب كما تقول وردت الماء إذا جئته، وليس يلزم أن تدخل فيه، قال وحسب المؤمنين بهذا هؤلاء ومنه قوله تعالى: ولما ورد ماء مدين [القصص: 23]). انظر: **تفسير ابن عطية : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** (4/ 27)

121) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** (4/ 27)

(مدحضة) من دحضت رِجْله إذا زلقت ومالت. (مزلة) موضع تزلق فيه الأقدام. (خطاطيف) جمع خطاف وهو حديدة معوجة يختطف بها الشيء. وفي معناها (الكلاليب) فهي جمع كلوب وهو حديدة معطوفة الرأس يعلق عليها اللحم وقيل هي ما يتناول به الحداد الحديد من النار. (حسكة) شوكة صلبة. (مفلطحة) عريضة. (عقيفة) منعطفة معوجة وفي نسخة (عقيفاء). (بنجد) مكان مرتفع. (مخدوش) مخموش ممزوق. (مكدوس) مصروع أو مدفوع مطرود[122]

وأيا ما كان معنى الورورد المذكور فى الآية فالمهم أنه فى جميع الأحوال سيشعر المؤمنون فى الآخرة بسعادة غامرة لمجرد نجاتهم من جهنم حتى لو لم يدخلوا الجنة. إن تقريب المؤمنين من النار هدفه جعلهم يشعرون بقيمة الجنة ، فالضد يبرز حسنه الضد.

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

5- السعادة فى غياب أذى اللسان

من أسباب الراحة النفسية فى الجنة غياب الكلام الفاحش والبذىء أو ما يسميه القرآن بالتأثيم: {لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (25) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا} [الواقعة: 25، 26].

إن النفس القويمة تتأذى من الكلام البذىء ، وسيمثل اختفاؤه فى الجنة راحة نفسية كبيرة. وإن أمعنا النظر فى كلمة (تأثيما) سنجد أنها لا تشير فقط إلى الكلام البذىء –وإلا لقال القرآن مثلا: (لغوا ولا فحشا) – ولكن كلمة (تأثيما) تشير إلى كل قول فيه إثم ، وهذا يشمل كثيرا من منغصات الكلام ، وكم من كلمة جارحة تسببت فى انتحار إنسان ؛ قال رجل لزوجته يوما: "أنت قبيحة" ، فاسودت الدنيا فى عينيها ، وانهارت الأسرة. وقد يتحطم قلب الابن إن عايره أبوه بسبب إخفاقه فى الالتحاق بكلية الطب مثل ابن الجيران رغم أن هذا الابن بذل جهدا كبيرا فى الدراسة. وحدث يوما أن تشاجر رجل مع بعض الناس ، فعايروه بأنه عقيم ، فأحسست أن سيولا من الدموع تكاد تنهمر من مآقيه. وقديما كان الكفار يلمزون الرسول عليه السلام لأنه لا ينجب ذكورا، فنزل القرآن مواسيا له: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (2) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} [الكوثر: 1 – 3]. وكم من موظف تعمد مديره إهانته أمام زملائه ظلما. وكم من قزم قصير القامة تعرض للسخرية اللاذعة من الناس فى الشوارع. وكم من فتاة لم يتقدم أحد للزواج منها ، فأقدمت على الانتحار بسبب ما تسمعه من الهمز واللمز. وكم من امرأة كل أمنيتها فى

---

[122]) انظر: تعليق مصطفى البغا على **صحيح البخارى**.

الحياة أن يتوقف الناس عن الكلام عليها لكونها مطلقة. وسمعنا فى وسائل الإعلام ذات مرة عن امرأة اقتحمت عصابة من المجرمين بيتها ، واختطفتها ، ثم اغتصبتها ، فكان الحل الوحيد أن تهرب هى وزوجها إلى بلد لا يعرفهما فيه أحد ، فترتاح من كلام الناس.

إن كلام الناس الجارح له قدرة رهيبة على تدمير حياة الإنسان ، وتمزيق قلبه ، وتحطيم كرامته. وكل هذا يدخل فى باب "التأثيم" الذى لن يسمعه الناس فى الجنة. وهذه نعمة نفسية عظيمة لا تقدر بمال ، فكم من لسان ضرب فأوجع ، وطعن فأردى.

أبشروا يا إخوانى ، فعما قريب سيأتى يوم يختفى فيه شىء لا يحبه أحد ، شىء يسميه المصريون "كلام الناس". يا لها من حياة هانئة! أليست هذه نعمة نفسية؟

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

6- السعادة فى غياب الكلام الباطل

من الخطأ البالغ أن يمر الإنسان بسرعة على ألفاظ القرآن كما يمر على غيرها. ومن قبيل ذلك حديث القرآن المتكرر عن خلو الجنة من "اللغو". واللغو هو الكلام الباطل:

- {لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (25) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا} [الواقعة: 25، 26]
- {لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا} [النبأ: 35]
- {لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا} [مريم: 62]

ويقول أهل اللغة أن اللَّغْوُ من الكلام هو ما لا يُعتدّ به لكونه لا يصدر عن رويّة وفكر، وهذا يجعله شبيها باللَّغَا، وهو صوت العصافير ونحوها من الطّيور[123].

ولكن لماذا أشار القرآن إلى خلو الجنة من اللغو فى ثلاث آيات مختلفة؟ لماذا هذا الإصرار؟

السبب هو أن خلو الجنة من اللغو يمثل نعمة نفسية عظمى ، يغفل عنها الناس. وقد أدركت ذلك حين قمت بتجربة ذهنية أخذت أتخيل فيها كيف يمكن أن تكون الحياة فى ظل الغياب التام

---

[123] **المفردات في غريب القرآن** (ص: 742) للراغب الأصفهانى. تحقيق صفوان عدنان الداودي. دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت. الطبعة الأولى - 1412 هـ

لكل كلام باطل. لقد حاولت يوما جمع عينة عشوائية من الكلام الباطل الرائج بين الناس حتى يمكننى أن أعرف كيف سيكون شكل الحياة فى الجنة إذا خلت منه. وبقليل من التفكير عثرت على الكثير ، وإليكم بعضا منه:

1. قول كثير من الناس أن الإنسان يجب أن يستمتع بالحياة قدر طاقته لأنه لن يحيا إلا مرة واحدة ، رغم معرفتهم –كمسلمين– أن هناك حياة أخرى يوم القيامة.
2. ادعاء الغرب أن الإسلام سبب تخلف المسلمين ، مع أن الغرب هو الذى يتآمر على المسلمين بشكل صريح أو خفى من خلال تنصيب حكام فاسدين ، يمنعون أى محاولة جادة للإصلاح والتقدم.
3. اتهام العلمانيين للإسلاميين بأنهم ليسوا مخلصين ، وأنهم يسعون للسلطة رغم أن العلمانيين أنفسهم أول الساعين للسلطة ، كما أن الوصول إلى السلطة لا غنى عنه لإصلاح الفساد السياسى والاقتصادى.
4. قول أحد الدعاة أن الراقصة امرأة شريفة تسعى من أجل رزقها.
5. اعتقاد بعض المصريين بأن مصر أفضل بلد خلقها الله مع أن الإسلام لا يعرف تلك الحدود التى صنعها الإستعمار ، ولا يفرق بين الناس إلا بالتقوى.
6. قول أعداء الإسلام أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان رجلا إباحيا غارقا فى الشهوات.
7. قول الغربيين والمرتدين أن الإسلام دين الإرهاب والسبى وسفك الدماء.
8. لما ظهر الدكتور زغلول النجار على الشاشة لأول مرة منذ أكثر من عشرين عاما تقريبا انبهر به كل الناس ، ووصلت شعبيته إلى عنان السماء ، لكن هذا أغاظ الشيوعيين ، فشنوا على الرجل حملة شعواء متهمين إياه بأنه غير متخصص ، وأن القرآن يخلو من الإعجاز العلمى.
9. قول أتباع الحركة النسائية بحتمية المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة حتى فى حق ممارسة الرياضة العنيفة كالملاكمة ورفع الأثقال.
10. قول أتباع الحركة النسائية أن المرأة يجب أن تحكم العالم كى يصبح أكثر سلاما.

11. قول بعض الدعاة أن الإسلام يؤكد أن النصارى واليهود سيدخلون الجنة رغم أن نصوص القرآن القاطعة تثبت أن مصيرهم إلى الجحيم.
12. قول بعد الدعاة أنه يجوز الترحم على الملحدين والشواذ والزناة الذين يجاهرون بعدائهم للإسلام.
13. قول الشيعة أن أئمة آل البيت أكثر علما ومكانة من الأنبياء والملائكة.
14. تأويل الشيعة السخيف لآيات القرآن كى تثبت عقائدهم الباطلة.
15. إدعاء اليهود أنهم شعب متحضر مسالم ديمقراطى.
16. قول كثير من الملحدين بأن الإسلام دين إباحى ، وأن النكاح فى القرآن يعنى الزنا.
17. تأويل النصارى للعهد القديم وكأنه كتاب نزل فقط من أجل التبشير بيسوع دون أن يكون له موضوع آخر.
18. اقتناع كل النصارى بأن القديسين قادرون على صنع الخوارق والمعجزات وإجابة الدعاء حتى بعد مماتهم.
19. إشادة غلاة العلمانيين والملحدين بإنجازات الأنظمة الفاسدة ، مع أن هذه الأنظمة لم تحقق إنجازات ، وكل ما فى الأمر أنها تخلصهم من كابوس الإسلام.
20. قول أقباط المهجر أن النصارى هم أصل مصر ، وكأن المسلمين لما فتحوا مصر أجبروا نساءها على تعاطى حبوب منح الحمل كى يزداد عدد المسلمين ، وينقرض النصارى ! والحقيقة المعروفة أن النصارى تحولوا بإرادتهم إلى الإسلام بالتدريج.

هذه نماذج لما أعتقد أنه كلام باطل. وكل واحد منا لديه قائمة مثل هذه وأطول. ومثل هذه الآراء تسبب الغيظ وتحرق الأعصاب لأنها تجافى الحقيقة ، والحق له قيمة كبرى فى ذاته. وكثير من الناس إن واجهتهم آراء باطلة سارعوا إلى تمزيق الصحيفة ، أو إغلاق التلفاز ، أو مغادرة المكان. ومن الشائع أن نسمع أحد الكتاب وهو يؤكد أنه لا يقرأ مقالات كاتب معين لأنه منافق. وتذكر عزيزى القارىء كيف قمتَ فى أكثر من مرة بحظر صديق لك على أحد مواقع التواصل الاجتماعى لأنه ترك الحق ، وانحاز للباطل رغم وضوح الأمور كالشمس. أما فى الجنة فلن يكون هناك صوت إلا لأهل الحق ، فأهل الباطل سيكونون فى سواء الجحيم ، ولن يجرؤ أحدهم على أن يردد كلاما يغضب الله ويغضب المؤمنين حتى لا يزداد عذابا فوق العذاب.

إن الحياة فى الجنة ستكون أكثر سعادة وهدوءا بعيدا عن الكلمات الساقطة التى يرددها السفهاء والدخلاء على الفكر؟ أليست هذه نعمة روحية كبرى؟ هل لا زلت تصدق أن جنة الإسلام مكان للذات الحسية فقط؟

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

ملحوظة: إذا تأملنا كلمة (اللغو) بدرجة أكبر لوجدنا أنها تختلف بعض الشيء عن (الباطل) ، فاللغو فى رأينا هو الكلام الساقط الذى يخلو بشكل واضح من المنطق ، ولا يحتاج لأى جهد كى يُدحض ، وهذا النوع من الآراء يسبب استفزازا كبيرا ، بخلاف بعض الآراء الباطلة التى تتسم بالقوة ، وتتطلب جهدا كبيرا كى تُفنَّد. اللغو حالة خاصة من الباطل ؛ إنه أدنى الباطل.

7- السعادة فى غياب التكذيب

تكلم القرآن عن أهل الجنة فقال: {لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا} [النبأ: 35]. وقد سبق أن تكلمنا عن معنى اللغو ، أما "الكِذَّاب"– بكسر الكاف وتشديد الذال – فهو مصدر (كَذَّبَ) ، فالكِذاب يعنى (التكذيب) كما يقول الراغب الصفهانى[124] ، والمعنى أن أهل الجنة لا يسمعون فى الجنة من يتهمهم بالكذب. وهذه نعمة نفسية عظيمة ، فمن أقسى الأمور على النفس الصالحة بوجه خاص أن تُتهم بالكذب ومخالفة الحقيقة. على سبيل المثال من التهم التى تلصق دائما بالدعاة إلى الله أنهم يزعمون الحرص على هداية الناس ، بينما كل همهم أن يكتسبوا الشعبية ، ويجمعوا الأموال. وهذه التهمة تخلق مرارة كبيرة فى نفوس الدعاة. ولا زلت أذكر أن أحد كبار رجال البر جاء يوما إلى قريتنا للدعوة لبناء بعض المدارس ، فأقيم له احتفال شعبى ، فوعد الرجل بالتبرع بجزء كبير من المال المطلوب ، لكنه حث الحاضرين على التبرع ، كلٌ بما يستطيع. وفى أثناء الحفل سمعت رجلا جالسا بجوارى يقول لصاحبه: (هذا الرجل منافق) ، فشعرت بغيظ شديد من

---

[124]) انظر: **"المفردات في غريب القرآن"** للراغب الأصفهانى (ص: 705). وقال ابن عاشور: (كِذَّابٌ: بِكَسْرِ الْكَافِ وَتَشْدِيدِ الذَّالِ مَصْدَرُ كَذَّبَ. وَالْفِعَّالُ بِكَسْرِ أَوَّلِهِ وَتَشْدِيدِ عَيْنِهِ مَصْدَرُ فَعَّلَ مِثْلَ التَّفْعِيلِ، وَنَظَائِرُهُ: الْقِصَّارُ مَصْدَرُ قَصَّرَ، وَالْقِضَّاءُ مَصْدَرُ قَضَّى، وَالْخِرَّاقُ مَصْدَرُ خَرَّقَ الْمُضَاعَفِ، وَالْفِسَّارُ مَصْدَرُ فَسَّرَ. وَعَنِ الْفَرَّاءِ أَنَّ أَصْلَ هَذَا الْمَصْدَرِ مِنَ اللُّغَةِ الْيَمَنِيَّةِ، يُرِيدُ: وَتَكَلَّمَ بِهِ الْعَرَبُ، فَقَدْ أَنْشَدُوا لِبَعْضِ بَنِي كِلَابٍ: لَقَدْ طَالَ مَا ثَبَّطْتَنِي عَنْ صَحَابَتِي ... وَعَنْ حِوَجَ قِضَّاؤُهَا مِنْ شِفَائِيَا. وقال الزمخشرى: وَفِعَّالُ فَعَّلَ كُلُّهُ فَاشٍ فِي كَلَامِ فُصَحَاءَ مِنَ الْعَرَبِ لَا يَقُولُونَ غَيْرَهُ.) انظر: **تفسير التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»** (30/ 40) للطاهر بن عاشور التونسي. الدار التونسية للنشر – تونس. 1984 هـ

اتهام رجل بدا من سمته أنه شديد الإخلاص والورع. وتخيلت نفسى مكانه ، وقد جاء من بلد بعيد سعيا لعمل الخير ، فإذا به يسمع من يرميه بالكذب والنفاق. يا له من شعور مؤلم!

وكثيرا ما يُتهم الإسلاميون بالكذب ، وبأنهم لا يهدفون إلى إصلاح دُولهم بقدر ما يهدفون إلى الوصول للحكم ، مع أن كل الأحزاب فى العالم تسعى للسلطة دون أن يشكك أحد فى وطنيتها. وفى بعض محاوراتى مع غير المسلمين كنت أُتهم أحيانا بأننى أحاول إخفاء مبادىء الإسلام الحقيقية على سبيل التقية ، فكانت هذه التهمة تجعلنى أستشيط غضبا.

إن أهل الباطل لا يكتفون باتهام أهل الحق بأنهم على خطأ فى التقدير والفهم والاستدلال ، بل يسعون فوق ذلك إلى شيطنتهم ، واتهامهم بالكذب وتعمد قلب الحقائق. ولا شك أن طعن الصادق فى خلقه أشد على نفسه من اتهامه بالوقوع فى الأخطاء الفكرية بسبب سوء التقدير.

ومن أكثر ما يستفزنا – نحن معشر الأطباء– أن يصدق المريض صديقه غير المتخصص ، ويكذب كلام الطبيب الخبير، وهذا الأمر فاش فى شعبنا –وفى العالم كله –بدرجة غريبة. والأسوأ من ذلك أن يصدق المريض طبيبا كذابا ، ويُكذب طبيبا شريفا صادقا ، وكلنا نعرف أن هناك أطباء مشهورين ، يُقبل عليهم المرضى لمجرد حسن لقائهم وحلاوة منطقهم مع أنهم جهلاء. وعلى الجانب الآخر تجد أطباء شرفاء ، لا يجيدون أسر القلوب ، فيكذبهم المرضى، وينصرفون عنهم.

وعلينا أن نلاحظ أن قول القرآن: (لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا) لا يفيد فقط أن المؤمن لن يسمع فى الجنة من يكذبه ، ولكنه يفيد أيضا أن المؤمن لن يسمع أحدا يُكذب الآخر ، وهذا يدل على أن الناس فى الجنة لن يحملوا شكوكا تجاه بعضهم البعض. وقد سمعت يوما من أحد الأطباء –الذى كان عائدا لتوه من الخارج – أنه لم يعد يطيق الحياة فى مجتمع يَكْذب أفراده على بعضهم طوال ساعات اليوم الأربع والعشرين ، فالناس تتعمد إخفاء حقائق حياتها عن الآخرين بسبب الخوف الشديد من الحسد. وهذه آفة ابتليت بها شعوبنا ، فكل إنسان يخاف أن يصيبه مكروه إن هو تكلم أمام الآخرين عما عنده من نعم. وليته اكتفى بالسكوت ، ولكنه يفرط فى الكلام بخلاف الواقع حتى يقنع الآخرين أن حياته كلها بؤس وشقاء ، فيدفع عن نفسه شر حسدهم. وعلى العكس من ذلك سنجد نوعا آخر من الناس الذين يسرفون فى الكذب ليوهموا

الآخرين أنهم أهل نعمة وثروة. لكن فى الجنة لن يكون هناك حسد ولا حقد لقوله تعالى: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ} [الأعراف: 43]. وإذا غاب الغل ، فلن يكون هناك مبرر لأن يكذب الإنسان درءا للحسد. كما أن أهل الجنة سيكونون جميعا فى نعمة عظيمة ، ولن يكون هناك دافع للكذب بغرض التباهى الاستعراض.

إن الكذب فى الدنيا كثيرا ما ينشأ من الخوف والحاجة ، فالموظف الذى تأخر عن عمله قد يدعى أن ابنه كان مريضا حتى لا يُخصم شىء من راتبه ، أما فى الجنة فلا عقاب ولا خوف ، ومن ثَم لا كذب.

والمرء قد يكذب فى الدنيا أيضا كى يحصل على بعض الفوائد مثل شاهد الزور الذى يكذب كى يحصل على المال ، أو البائع الذى يكذب كى يبيع سلعته بثمن غال ، أما فى الجنة ، فكل ما يتمناه المرء يدركه ، فلم الكذب؟ حقا ما أروع عالما يخلو من الكذب والتكذيب! اللهم إنا نسألك عيش الآخرة. الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

8- السعادة فى غياب الخوف من المستقبل

هواجس المستقبل تسيطر على كل البشر. كل واحد يعمل للمستقبل ألف حساب ، وكثير من الناس يعيشون فى رفاهية ، ورغم ذلك تجدهم فى حالة قلق دائم خوفا مما ينتظرهم فى المستقبل. الخوف من المستقبل يجعل رجل أعمال لديه مليارات الدولارات يعيش فى توتر خوفا من أن يتعرض مركزه المالى يوما ما للاهتزاز ؛ الأب الذى لم ينجب ذكورا يصاب بالهلع لأنه لا يدرى ماذا يحمل المستقبل لبناته بعد مماته ؛ الموظفون فى الشركات يخافون من اليوم الذى يستغنى فيه صاحب الشركة عن خدماتهم ؛ المرأة المتزوجة تخاف أن يذهب زوجها لأخرى ؛ الجندى فى المعركة يخاف أن يموت ويفارق أهله ؛ الممثلة المشهورة تخاف من أفول نجمها بعد ظهور التجاعيد على وجهها. وسئل الممثل عادل إمام ذات يوم وهو فى قمة نجاحه: مَن الذى ينافس عادل إمام؟ فأجاب: "إنه الزمن" ، فقد كان يخشى أن يتقدم به العمر ، فيفقد نجوميته[125]. والأمثلة لا تحصى.

---

[125]) نقول هذا لمجرد تقريب الفكرة ، لكن عادل إمام فى رأينا واحد من أكثر من شوهوا الإسلام وأضروا به فى السنوات الأخيرة.

والآن نقدم الحل لكل هؤلاء: إن المستقبل فى الجنة مضمون بنسبة مائة فى المائة.

إن كنت تشعر بالهلع من شبح الموت ، ففى الجنة لا وجود للموت: {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى} [الدخان: 56].

وإن كنت تخشى من فقدان النعيم وضياع الثروة ، فاعلم أن نعيم الجنة لا يفنى أبدا ، قال تعالى: {أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا} [الرعد: 35] ، وقال: {إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ} [ص: 54]. وقال أيضا:{وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (32) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ} [الواقعة: 32، 33]. ونعيم الجنة يوجد بكميات لا حدود لها ، فاللبن يوجد منه أنهار ، والعسل فى أنهار ، والخمر فى أنهار ، وهل يخشى أحد من نفاد النهر مهما كثر الشاربون منه؟ قال تعالى: {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى } [محمد: 15]. وفى الجنة مهما استهلك الإنسان من الثمرات فسيجد لدى الله أكثر وأكثر: {لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} [ق: 35]

وإن كنت تشعر أن مدير الشركة يتربص بك ، ويتحين الفرصة كى يطردك ، فاعلم أن من يدخل الجنة فهو خالد فيها ، ولن يخرج منها مهما طال الزمان ، وذلك لقوله تعالى: {وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ} [الحجر: 48].

والخوف من المستقبل هو الوقود الذى تعيش عليه شركات التأمين التى تجيد اللعب على وتر الشك الفطرى فيما هو قادم. أما فى الجنة فلن نكون فى حاجة لشركات تأمين لأن الأمان الحقيقى من نصيب من آمن بالله ، ولم يخلط إيمانه بظلم ، وهذه صفة أهل الجنة: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأنعام: 82]. أوليس الأمن نعمة روحية؟

وفى إحدى الآيات يقول المولى عز وجل: **{فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}** [السجدة: 17]. وهنا يؤكد الله تعالى أن المؤمنين سيتمتعون فى الجنة بما لا يخطر على البال من نعم تَقر بها الأعين. و"قرة العين" معناها حرفيا: استقرار العين ، أى سكونها. واستقرار العين قد يكون كناية عن غياب الخوف لأن الخائف لا تكف عينه عن الحركة بحثا عن سبل الأمان.

هل لا زلت تصدق أن الجنة دار للمتع الحسية فقط؟

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

9- السعادة فى غياب العمل الشاق

إن كنت تعمل فى وظيفة مريحة ، وتجلس فى مكتب مكيف ، فاعلم أن ملايين غيرك يمتهنون أعمالا شاقة فى المناجم والمحاجر والحقول والصحارى والجبال فى ظل الشمس الحارقة. وأكثر ما يسعد هؤلاء أن يدخلوا الجنة حيث لا جهد ولا تعب ، قال تعالى: {الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ} [فاطر: 35]. وقال أيضا:{لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ} [الحجر: 48]. والنصَب هو التعب. واللغوب قريب منه. والفرق بينهما –كما يقول الزمخشرى– أن النصب هو التعب والمشقة التي تصيب المزاول للأمر. وأما اللغوب فما يلحقه وينتج عنه من الفتور والكلال بسبب النصب[126].

ومن جرب العمل الشاق يحس بما أقول. وأذكر أننى فى فترة الصبا وبداية الشباب كنت أعمل فى حقل جدى ، فكان العمل مرهقا فى أغلب الأحيان ، وذلك قبل الانتشار الواسع للآلات التى أراحت الفلاح. فى تلك الأيام كان أسعد خبره يمكن أن نسمعه هو قيام جدى أو عمى بتأجيل أحد الأعمال التى كنا نتوقعها كحرث الأرض أو الرى أو وضع السماد للزرع.

وإذا كنا الآن نعيش عصر الآلات التى أراحتنا من كثير من الجهد العضلى إلا أننا لا نمثل كل البشرية ، فالبشر وُجدوا على الأرض منذ آلاف السنين ، وقد ظل هؤلاء يعانون الأمَرين من الأعمال الشاقة فى ظل الغياب شبه التام حتى للآلات البسيطة. كما أن أغلب الناس فى البلاد الفقيرة اليوم لا يزالون مفتقرين للراحة ، فركوب القطارات المكدسة ، والوقوف فى الطابور لشراء الخبز ، واستخرج أوراق من مصلحة حكومية ، وصعود السلم إلى الأدوار العليا ، وأداء المرأة لأعمال المنزل ، كل هذه أعمال شاقة. وسنجد أيضا أن الرجل المشلول يجد مشقة بالغة كى يمسك بملعقة ، أو يرتدى قميصا ، أو يذهب للمرحاض. والشيخ الطاعن فى السن يجد صعوبة كبيرة فى المشى إلى متجر مجاور لبيته. ولا زلت أذكر ندوة دينية حضرتها منذ أكثر من عشرين

---

[126]) **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل** (3/ 614). تأليف أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري. دار الكتاب العربي – بيروت. الطبعة الثالثة - 1407 هـ

عاما بجوار الجامع الأزهر ، حيث شاهدت الدكتور عبد الصبور مرزوق وهو يصعد إلى المنصة، فظل الرجل يجاهد طويلا مع مساعده كى يصعد سلما لا يتجاوز درجتين أو ثلاثة ، يمكن لشخص مثلى أن يقفز عليهما فى حركة واحدة. كان الهرم قد نال من الرجل (رغم حضور عقله وتدفق فكره) ، وبدا لى ، وكأن ما يبذله من جهد يشبه ما يفعله لاعب رفع أثقال يبغى تحطيم رقم قياسى!

أما عن طلبة المدارس والجامعات فعليهم أن يعلموا أن الجنة ستخلو من مذاكرة المواد الدراسية المرهقة. إن تحصيل العلم فعلا عمل شاق حتى لو كنت تحاول تعلم شيء تحبه. وقد كان أسعد وقت بالنسبة لى وأنا طالب هو الانتهاء من أداء آخر امتحان لأننى سأتخلص بعده من عبء المذاكرة حتى حين. ولما ألغيت الدراسة فى عام 2020م بسبب وباء كورونا فرح كل طلبة المدارس ، وفرح آباؤهم وأمهاتهم الذين كانوا يتعبون فى المذاكرة معهم. ولكل هؤلاء تبدو الجنة كالحلم الجميل.

كل هذه المتاعب لن يكون لها وجود فى الجنة. **كل هؤلاء المتعبين سيفرحون بالجنة حتى لو لم يكن فيها طعام أو شراب أو حور العين ، فالراحة البدنية فى ذاتها نعمة لا تقدر بثمن.**

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

10-السعادة فى الفراغ

ذات يوم مررت على أحد الكبارى ، فرأيت رجلا يجلس على شاطىء النيل فى استرخاء ، يتأمل فيما حوله. أحسست بغبطة شديدة لهذا الرجل ، وقلت فى نفسى: متى سيأتى اليوم الذى أنعم فيه بالفراغ وراحة البال ، وأجلس لأتأمل الطبيعة مثلما كنت أفعل فى صباى دون أن يكون ورائى أى هم يشغلنى ويقلق راحتى؟ إننى أعيش فى دوامة لا تنتهى من أجل كسب لقمة العيش، إضافة إلى انشغالى الكامل بقضايا الدين ، حتى صرت أنظر إلى كل ثانية وكأنها جوهرة ثمينة لا يعقل أن أتركها تفلت من بين يدى ، وصار النوم شيئا عزيزا ، فكل يوم أستيقظ رغما عنى دون أن آخذ كفايتى منه. حقا ما أسعد هذا الرجل الجالس بجوار النهر! أما أنا فيبدو أنه قد حُكم علىَّ بالفقر فى الوقت إلى الأبد. وهنا تذكرت الجنة ، فعاد الأمل يطل من جديد. فى الجنة ستنتهى

المشاغل ، ولن أحمل هم طعام ولا شراب ولا مستقبل ، وسيكون أمامى متسع من الوقت كى أحيا فى فراغ وهدوء وراحة بال.

وأنا على يقين من أن أغلب الناس فى هذا العصر يحسون بفقر شديد فى الوقت ، فكلٌ يعمل على قدر طاقته كى يحيا حياة كريمة ، والدراسة النظامية تستهلك على الأقل ربع عمر الإنسان (من سن السادسة حتى الثانية والعشرين). ورجال الأعمال والساسة والمفكرون والعلماء والمشاهير والفنانون والشخصيات العامة يستنزف العمل أغلب أوقاتهم. وهؤلاء **سيجدون سعادتهم فى الجنة حيث الحياة أبدية ، والوقت بلا حدود ، وكل الرغبات مجابة دون مجهود، ولن يكون أمام الفرد أى شغل سوى المتعة والترفيه.**

ومن الظواهر التى لاحظتها أن وجوه زملائى الأطباء كانت تكتسى بالبهاء والإشراق والنضارة لدى عودتهم من عطلاتهم السنوية. كنت أحس فعلا أن العمل المتواصل يستنزف روح الإنسان ويصيبها بالشيخوخة المبكرة. وبالطبع كان العبوس والجمود يعود إلى وجوه الزملاء بعد أيام قليلة من استئناف العمل. **لا بد من حل نهائى ، فالعطلة السنوية مجرد مُسكن قصير المفعول. الحل الجذرى هناك فى الجنة ، حيث لا حاجة لأحد بالعمل.**

أليس الفراغ نعمة روحية ونفسية عظيمة؟ هل لا زال هناك من يعتقد أن الجنة فضاء شاسع ، لا يوجد به إلا الحور العين؟ الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

11- السعادة فى غياب الملل

ويستمر مسلسل النعم الروحية فى الجنة. والنعمة التى سنتكلم عنها الآن لا تدانيها نعمة: ، إنه التجدد وغياب الملل. الملل هو العدو الأول للنعمة. الملل هو البلاء الذى قد يستفحل ، فيؤدى بالإنسان أحيانا إلى الاكتئاب والانتحار.

قدر لى فى إحدى السنوات أن أحضر مؤتمرا طبيا لمدة ثلاثة أيام فى أحد الفنادق الكبرى فى القاهرة. كانت هذه أول مرة أقيم فيها داخل فندق مثل هذا. كان الفندق يحتوى على حدائق كبيرة وحمامات سباحة واسعة ، وكانت غرفة المعيشة فى الدور الأرضى ، فكنا نجلس أمام الغرفة وأمامنا الخضرة والماء والجو الخريفى المعتدل. كما كان الطعام رائعا ، فقد كانت توضع أمامنا

كل أصناف الأكل والشرب ، فنختار منها ما نشاء. كان انبهارى بالمكان لا يوصف ، فحدثتنى نفسى قائلة: وماذا بقى للجنة؟ كنت فى هذه اللحظة أشعر فعلا أن كثيرا مما وُعدنا به فى الجنة موجود بين أيدينا هنا والآن. وشاء الله تعالى أن ينعقد المؤتمر فى العام التالى فى نفس الفندق ، لكن كانت متعتى أقل من المرة السابقة رغم وجود نفس سبل الرفاهية. وفى العام الثالث عُقد المؤتمر أيضا فى نفس المكان ، فخبا الانبهار ، وقَلت المتعة أكثر وأكثر. لقد أُصبت بمرض العصر: الملل.

وأذكر أن أمى اشترت لنا ونحن صغار علبة جبن من أحد المتاجر ، فكانت هذه أول مرة أذوق فيها طعم هذا النوع من الجبن الذى لم يكن معروفا على الإطلاق فى القرى المصرية حيث كان كل الفلاحين يأكلون الجبن المصنوع فى المنزل. كان طعم الجبن مذهلا ، وكانت قطعة صغيرة منه أختلسها فى غفلة عن أمى تجعلنى أحلق فى الفضاء. ولكن مر الزمن، وزحفت المدنية ، وغزت هذه الأنواع من الجبن كل البيوت، فقل انبهارى بها ، بل صرت أكره أغلبها. ونفس الشىء ينطبق على كل الأطعمة التى سرعان ما أمل منها إن أكثرت من أكلها.

وأذكر أننى لما دخلت مع أولادى الصغار لأول مرة فى أحد المتاجر الكبرى أصيب الأطفال بالجنون من منظر البضائع والحلوى التى لا حصر لها ، وظلوا يجرون هنا وهناك ، ويمدون أيديهم إلى البضائع ، وتمكنت من السيطرة عليهم بصعوبة بالغة. ولكن لما تكررت زيارتنا للمتجر ملَّ الأطفال من نفس المناظر ، ولم يعودوا متلهفين على ما فيها رغم أننى لم أشترى لهم أغلب ما يريدون.

ولا شك أن كلا منا سَعد بقميص جديد اشتراه أو بيت جديد انتقل إليه ، ولكن بعد أيام قليلة يتسرب الملل إلى القلب ، ويعاود المرء البحث عن الجديد. وما تغيير طرز السيارات والملابس والأحذية وطرق تصفيف الشعر كل عام إلا علاجا لظاهرة الملل التى لم يسلم منها أحد.

وكل الأزواج يذكرون كيف كانت فترة الخطبة مفعمة بالرومانسية والأحلام الوردية ، ولكن بمرور الوقت يذوى الإعجاب ، ويمل الرجل من زوجته ، وتمل المرأة من زوجها ، ويتعامل كل منهما مع الآخر كما يتعامل مع أخيه أو صاحبه. وفى أحيان كثيرة تتساءل المرأة مندهشة: كيف ينجذب زوجى لامرأة يشهد الجميع أنها أقل منى جمالا؟ والإجابة هى: الملل وحب التغيير.

والملل هو الذى يدفع الناس إلى السفر والسياحة سعيا لمشاهدة مناظر لم يألفوها ، والتعامل مع شعوب مختلفة لم يعرفوها. والرغبة فى التخلص من الملل هى ما يدفع الأوربيين لترك بلادهم الخضراء ، والذهاب فى رحلات داخل قلب الصحراء القاحلة.

الملل هو الذى يجعل الأغنياء يفضلون أكل الطعمية الرخيصة على اللحوم الغالية ، ويجعل الأب يشعر بالضيق من ضجيج أولاده فى البيت ، بينما يتمنى جاره العقيم لو دفع كل ماله ليكون عنده ولد واحد ، يملأ الدنيا صراخا وفوضى.

ولما كنا صغارا كان التلفاز المصرى يقدم قناتين أرضيتين فقط ، وكان البث يستمر حوالى 12 ساعة فقط ، كما كانوا يعرضون فيلما واحدا فى أيام الأحد والخميس والجمعة فقط. ولكن بعد عشرين سنة أصبحت قنوات التلفاز بالمئات ، بل بالآلاف ، وأصبحت الأفلام تذاع دون توقف طوال ساعات اليوم الأربع والعشرين ، فمل الناس من تكرار الأفلام.

وفى بداية شبابى كنت أجد سعادة غامرة كلما رأيت عند بائع الصحف كتابا جديدا ، فأشتريه إن كان معى مال ، فإن لم أستطيع أخذت أقلبه وأطلع على محتوياته ، وكأنى أداعب عصفورا رقيقا. ولما مر الزمن وجاء شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) أصبح لدىَّ على الحاسوب عشرات الآلاف من الكتب التى لا أجد وقتا لقراءتها ، فلم أعد أشعر بنفس الانبهار من رؤية الكتب الجديدة التى تُطرح فى الأسواق.

وكنت فيما مضى أشتاق لسماع الأغانى الدينية والوطنية[127] فى المذياع ، وكنت إذا سمعت إحداها شعرت وكأننى فى عيد. كما كان الناس يرسلون خطابات بالبريد لبرنامج "ما يطلبه المستمعون" الذى يذاع كل يوم جمعة كى يبث لهم الأغانى التى يحبونها. أما الآن فكل واحد يستطيع سماع أي أغنية فى الحال من خلال موقع اليوتيوب ، فأدى التكرار إلى الملل.

---

127) كنت فى البداية من عشاق الأغانى القديمة خاصة أغانى محمد عبد الوهاب وأم كلثوم وعبد الحليم حافظ ، لكننى توقفت عن سماع الأغانى العاطفية وأنا فى سن العشرين تقريبا ، واكتفيت بالأغانى الدينية والوطنية ، ولكن فيما بعد وجدت أن كثيرا من الأغانى الوطنية يعيب كلماتها المبالغة فى تمجيد مصر مع أن من الواجب على المسلم أن يحب كل بلاد المسلمين ، وألا يتعصب لبلده ، وألا يتعالى على أهالى البلاد الإسلامية الأخرى.

لا ننكر أن كل إنسان لديه أشياء معينة لا يمل منها ، لكن يبدو أن هذا هو الاستثناء ، والملل هو الغالب ، أو على الأقل ذو حضور قوى فى حياة كل إنسان.

هذا هو الملل عدو الحياة البشرية. أما فى الجنة فالأمر مختلف ، وهذا ما يؤكده قول المولى عز وجل عن أهل الجنة: **{خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا}** [الكهف: 108] أى أن المؤمنين إذا دخلوا الجنة فإنهم لن يشعروا بالرغبة فى التحول عنها ، والخروج منها إلى غيرها. ولا شىء يمكن أن يدفع الإنسان للتفكير فى مغادرة مكان فخم إلا الملل. وهذه لفتة رائعة من القرآن، فلا يكفى وجود النعيم كى يشعر الإنسان بالسعادة ، بل لا بد من دوام الانبهار بالنعيم.

والمؤمنون لن يملوا من الجنة لأن أحدا لن يفرض عليهم متعة بعينها ، فأمامهم مختلف أنواع الطعام والشراب ، ولهم أن يختاروا منها ما يشاءون ، فإن شعروا بالملل من نوع اختاروا نوعا آخر ، وفى هذا قال تعالى: **{وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (20) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ}** [الواقعة: 20، 21]. وهذه الآية تفيد أن الجنة بها ما يشبه "البوفيه المفتوح" حيث يحدد كل إنسان لنفسه نوع الطعام الذى يأكله دون أن يفرض عليه أحد شيئا بعينه. ومن المعروف أن كثيرا من المشاحنات الزوجية تحدث بسبب إعداد الزوجة لأصناف من الطعام مل منها زوجها.

ومن صور تنوع الخيرات فى الجنة إعداد الله جنتين اثنتين – لا جنة واحدة– للمؤمنين الذين كانوا يخشون ربهم فى الدنيا: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ} [الرحمن: 46]. وفضلا عن ذلك سيكون فى هاتين الجنتين صنفان –لا صنف واحد– من كل نوع من أنواع الفاكهة: {فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ} [الرحمن: 52] ، وهذه محاولة لمنع تسرب الملل ، **فهناك بدلا من الجنة الواحدة جنتان ، وبدلا من الصنف الواحد صنفان.**

والأمر لا يتوقف عند هذا الحد، إذ **سيُؤتَى أهل الجنة بفاكهة تشبه تلك التى جاءتهم فى الأيام السابقة ، فيفاجأون بأن لها طعما جديدا مختلفا عن الطعم الذى تذوقوه قبل ذلك. يا لها من خدعة طريفة ، تضرب الملل فى مقتل:** {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا } [البقرة: 25].

وبالنسبة للنساء **فلن يكون فى الجنة زوجة واحدة كما كان الحال فى الدنيا ، بل سيكون هناك كثير من الحور العين ، وكثرتهن تدفع الملل.** روى البخارى أن رسول الله عليه الصلاة والسلام تحدث عن أهل الجنة فقال: (لِكُلِّ امْرِئٍ زَوْجَتَانِ مِنَ الحُورِ العِينِ).[128] ويبدو أن هذا هو الحد الأدنى من الزوجات فى الجنة ، فقد ورد فى حديث صحيح آخر أن الشهيد يتزوج باثنتين وسبعين من الحور العين: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دفعةٍ وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ويزوَّجُ ثنتينِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقْرِبَائِهِ". رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ ، وصححه الألبانى.[129]

وإذا رجعلنا إلى القرآن لوجدنا أن مساحة الجنة ستكون هائلة ، فعرضها سيكون كعرض السماوات والأرض ، أى كعرض الكون الحالى: {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [الحديد: 21]. **وهذا الاتساع الشديد فضلا عن أنه يمنح أهل الجنة الشعور بالثراء اللانهائى فإنه يهدف إلى جعلهم فى حالة تشوق دائم** لأن لديهم باستمرار أماكن جديدة ، يمكن أن يرتادوها ، ليستكشفوا ما بها.

وربما يحارب الله تعالى الملل بالتأثير المباشر على أعصاب المخ من خلال إيقاف ظاهرة التعود Habituation التى تجعل الأعصاب لا تستجيب لمؤثر تكرر تعرض الإنسان له بنفس الطريقة دون تجديد ، وهذا يجعل أهل الجنة يشعرون باستمرار بالإعجاب والانبهار حتى لو لم تتغير الخيرات التى يرونها ، وإن كانت القدرة المطلقة لله عز وجل كفيلة بإيجاد تنوع لا نهائى للنعم قادر على وأد أى ملل قد يتسرب إلى النفوس.

وفى آية أخرى يتكلم القرآن الكريم – وكأنه يستبق توقعات الإنسان المعاصر– بما يفهم منه خلو الجنة من الملل ، فيقول: {إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ (55) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ} [يس: 55، 56]. إن هذه الآية تنفى تماما حدوث الفراغ والملل فى

---

[128]) نص الحديث كاملا كما يلى: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَى آثَارِهِمْ كَأَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، لاَ تَبَاغُضَ بَيْنَهُمْ وَلاَ تَحَاسُدَ، لِكُلِّ امْرِئٍ زَوْجَتَانِ مِنَ الحُورِ العِينِ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِنَّ مِنْ وَرَاءِ العَظْمِ وَاللَّحْمِ». صدق رسول الله عليه الصلاة والسلام. وقوله: (يُرَى مُخُّ سُوقِهِنَّ مِنْ وَرَاءِ العَظْمِ وَاللَّحْمِ) من قبيل المبالغة التى يقصد بها إظهار مدى جمالهن ، فكأن الجسد يشبه الزجاج الشفاف الصافى الذى يظهر ما تحته. كما أن الزجاج سهل الكسر ، وهذا يدل على رقة الحور العين.

[129]) **مشكاة المصابيح** (2/ 1127)

الجنة ، **فأهل الجنة فى "شغل" ، أى أن لديهم ما يشغلهم. وانشغال الإنسان بشىء ما يبعد عنه الملل ، فالفراغ يولد السآمة ، ومن لا يجد شيئا يفعله سيشعر حتما بالرتابة.** أما عن الشيء الذى يشغل أهل الجنة فهو ليس عملا مرهقا ، ولا بحثا عن الزاد ، ولا سعيا وراء سبل العيش ، ولا خوفا من عدو. إنهم مشغولون بالمرح والفكاهة ، وهذا معنى كلمة (فاكهون). ومن المعروف أنه **لا شىء يقتل الملل أكثر من الفكاهة** ، فمن الممكن للإنسان أن يجلس مع أصدقائه فى غرفة مغلقة لساعات طويلة دون أن يشعر بأى ملل لأنهم يمضون وقتهم فى الضحك والفكاهة. وقد قرأت يوما لرجل دخل السجن لعدة أسابيع ، فأكد أن هذه الفترة مرت فى لمح البصر لأن السجناء لم يكفوا عن الضحك وتبادل الطرائف طوال الوقت. وفى فترة الدراسة الجامعية كان أحد زملائنا يدعونا من حين لآخر لقضاء يوم فى بيته ، فكانت الساعات الطوال تمر بسرعة دون أن يشعر أحدنا بالملل ، وذلك لأننا كنا نقضى الوقت كله فى ضحك وفكاهة.

وإذا تأمل المرء ظاهرة مثل الملل من الطعام لوجد أن **من أهم أسبابها الشعور بالشبع وامتلاء البطن ، فالإنسان الشبعان يمل من كثرة الأطعمة** ، ولا تغريه أفخم المطاعم وأكبر الولائم. ولكن أهل الجنة لن يكونوا كذلك لأن بطونهم لا تمتلىء ، وذلك بسبب تحول الطعام إلى عرق ، فتكون البطن باستمرار خالية ، وهذا يجعل الواحد منهم ذا قدرة كبيرة على الأكل ، شبهها الرسول عليه الصلاة والسلام بقوة مائة رجل. ولا شك أن من يأكل وهو جائع يكون أكثر استمتاعا ممن يأكل وهو شبعان. روى زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ فِيهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ أن أحدهم ليعطى قوة مائة رَجُلٍ فِي الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَالشَّهْوَةِ وَالْجِمَاعِ"، فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَإِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ تَكُونُ لَهُ الْحَاجَةُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**حَاجَتُهُمْ عَرَقٌ يَفِيضُ مِنْ جُلُودِهِمْ مثل المسك فإذا البطن قد ضمر**"[130]

ولاحظ قول الرسول عليه الصلاة والسلام: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ أن أحدهم ليعطى قوة مائة رَجُلٍ فِي الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَالشَّهْوَةِ وَالْجِمَاعِ" ، فهذا يفيد أن الرجل يكون لديه شهوة بالغة للنساء ، وقدرة

---

130) إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير هناد، فمن رجال مسلم. وثمامة بن عقبة، فقد روى له البخاري في "الأدب المفرد"، والنسائي، وهو ثقة. وذكره الهيثمي في "المجمع" وقال: رواه أحمد والبزار والطبراني، ورجال أحمد والبزار رجال الصحيح غير ثمامة بن عقبة، وهو ثقة. انظر: **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان** (443/16). تأليف: محمد بن حِبان. ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي. حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت. الطبعة الأولى، 1408 هـ - 1988 م

كبيرة على الجماع ، وهذا ينفى وجود الملل من النساء فى الجنة. ومن المعروف أن الرجل فى الدنيا إن قضى شهوته مع امرأة بقى بعدها لفترة (تختلف من رجل لرجل) وهو زاهد فى النساء ، إلى أن تتجدد شهوته مرة أخرى. لكن فى الجنة ستكون الشهوة أضعافا مضاعفة.

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

12- السعادة الزوجية

فى آية بديعة يحدثنا القرآن عن السعادة الزوجية فى الجنة: {إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ (55) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (56) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ} [يس: 55 – 57]

إن القرآن يتكلم هنا عن **جلسة عائلية** ، **تجمع الرجل وزوجته** ، وهما متكئان فى الجنة ، فى حالة مرح وفكاهة، وهذا مدلول كلمة (فاكهون). وإذا نظرنا إلى قوله تعالى: (فى شغل فاكهون) لوجدنا أنه ينفى كما قلنا من قبل وجود الفراغ والملل ، فأهل الجنة فى "شغل" ، أى أن لديهم ما يشغلهم ، وهذا يبعد عنهم الملل ، فالفراغ يولد السآمة. والشىء الذى يشغل أهل الجنة وأزواجهم هو المرح والفكاهة (فاكهون).

إن الملل هو السوس الذى ينخر فى عظام الحياة الزوجية فى الدنيا. وشاع مصطلح "الخرس الزوجى" الذى يشير إلى فتور العلاقة بين الأزواج إلى درجة تفضيل كل منهما الصمت فى حضور الآخر. ومع الأسف عادة ما يكون الزوج أكثر مرحا مع زميلاته فى العمل، والزوجة أكثر مرحا مع زملائها فى العمل[131] ، لكن حين يعود كل منهما إلى البيت تخيم الكآبة ، ويسود الصمت ، إما لأن كل منهما ملَّ من الآخر ، وإما أن الصمت بمثابة هدنة أو اتفاق عدم اعتداء لأن كلا منهما يدرك أن الكلام سيقود لاختلاف الآراء والشجار. ولا شك أن عمل المرأة خارج البيت مسئول بقدر لا يستهان به عن هذه الظاهرة ، وهذا موضوع آخر.

وانشغال الزوجين بالفكاهة والمرح يعنى أن تلك الجلسة العائلية لن تمر على شكل لحظات مملة سخيفة طويلة كتلك التى نراها فى بيوتنا هذه الأيام ، والتى تضطر الزوج إلى الفرار من

131) وهذا أحد الأسباب التى تدعونا للقول بتحريم عمل المرأة خارج بيتها إلا للضرورة القصوى.

البيت للسمر مع أصحابه فى المقاهى ، وتضطر الزوجة للفرار إلى الهاتف للحديث مع صديقاتها. الجلسة العائلية فى الجنة ستكون مليئة بدواعى الضحك والفكاهة ، وهذه أفضل أنواع الجلسات التى يحبها الإنسان. إن أسعد اللحظات هى تلك التى يشعر فيها كل فرد أن ذهنه مشغول ومشحون بكلام كثير مثير للفكاهة والضحك. وتخيل أنه فى يوم القيامة ستكون الجلسات العائلية بين الأزواج كلها ضحك ومرح بهذا الشكل.

إن وجود كلمة (شغل) بجوار كلمة (فاكهون) يبدو فى غاية الروعة ؛ إنه ألذ شغل. لقد كان الأزواج فى الدنيا مشغولين بالرزق ، وتربية الأولاد ، ومشاكلهم ، ومستقبلهم ، وبالعلاقة مع الجيران والأقارب. كما كان الرجل مشغولا بأخطاء زوجته ، والمرأة مشغولة بأخطاء زوجها. كل هذا سينتهى فى الآخرة ، **وسيكون شغلك الشاغل الضحك والفكاهة.**

ولاحظ أيضا فى ذلك المشهد العائلى الجميل أن **الزوجين متكئان** ، والاتكاء على أريكة (أى على سرير) لا على أرض صلبة خشنة. والاتكاء يمثل حالة استرخاء وسكينة ودعة ، فليس لدى الرجل عمل يفكر فيه ، وليس لدى المرأة هموم الطبخ والغسل ومشاكل الأولاد.

وفى هذه الجلسة الصافية يكون الجو معتدلا (فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ). وكلمة (ظلال) كناية عن اعتدال الجو لأن وجود الظل يعنى أن هناك حرا ، وهناك فى نفس الوقت شىء يحجبه. وكلمة (ظلال) تنفى وجود البرد لأنه لا فائدة لذكر الظل فى الجو البارد ، وبالعكس يكون ظهور الشمس مستحبا فى البرد.

وقوله: (فى ظلال) له مدلول آخر ، فهو يعنى أن القرآن لا يتكلم عن جلسة فى مكان مغلق ، وإلا لقال: (فى بيوت) أو (فى قصور). وجلوس الرجل مع زوجته فى مكان مفتوح كالحدائق يسر النفس ويجلب البهجة.

وتقول الآيات أن الزوجين لهما فى الجنة (فاكهة). ولا شك أن **أكل الفاكهة يكسب الإنسان بهجة ومرحا.** ويقول القرآن أيضا: (ولهم ما يدَّعون) ، أى ما يطلبون ويتمنون ، ولا شك أن هذا سيعود على الزوجين بمزيد من السعادة والوفاق لأن الرجل لن يتضجر من مطالب زوجته التى كانت تثقل كاهله ، وتبتلع دخله الشهرى فى الدنيا ، كما أن المرأة سترتاح من خدمة الزوج ، ولن

تحمل عناء تحضير الطعام وتنظيف البيت ، فكل شيء سيكون مجهزا ، وما عليها إلا تأمر فتجاب.

ملحوظة: كلمة (فاكهون) هى جمع (فاكه). وهذه الكلمة لها عدة معان كما فى لسان العرب:

الأول: الْفَاكِهُ هو الشخص الَّذِي كَثُرَتْ فاكِهتُه. وليس هذا هو المقصود فى الآية السابقة لأن القرآن قال بعدها: **(**لهم فيها فاكهة**)** ، وهذا تكرار.

الثانى: قد تكون كلمة (فاكهون) بمعنى متعجبون ، فهى من "فَكِهَ" مِنْ كَذَا وَكَذَا وتفَكَّه: عَجِبَ. تَقُولُ: تفَكَّهْنا مِنْ كَذَا وَكَذَا أَيْ تعَجَّبْنا. وقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: "فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ" يعنى تتَعجَّبُونَ مِمَّا نَزَلَ بِكُمْ فِي زَرْعِكم.

الثالث: الْفَاكِهُ أيضا هو الشخص ذُو الفُكاهة أو المِزاحُ ، وهو ما نسميه الآن "خفيف الدم". يقال: "فَكِهٌ الرجل" إِذَا كَانَ طَيِّبَ النَّفْس مَزّاحاً. والتفاكُه هو التمازح. والفَكِهُ: الَّذِي يُحَدِّث أَصحابَه ويُضْحِكُهم. وفى أحد الأحاديث الضعيفة أن النبى عليه الصلاة والسلام كان مِنْ أَفْكَهِ الناسِ إِذَا خَلَا مَعَ أَهله ، أى كان كثير المزاح معهم. وهذا هو المعنى المقصود فى الآية. إن أهل الجنة يمزحون وهم فى حالة شغل ، فما أحلاه من شغل.

ولا تقتصر السعادة الزوجية على هذه الصورة ، **ففى بعض الأحيان تكون السعادة التى تتمناها المرأة أن تفارق زوجا فاسقا فاجرا ، ينغص حياتها ، ولا تستطيع طلب الطلاق منه** خوفا من الانتقام أو ضياع الأولاد أو الفقر والتشرد. وهنا يكون أمل المرأة أن تدخل الجنة ، فتسعد بصحبة الصالحين ، وتحيا إلى جوار ربها. ومن أهم الأمثلة على ذلك امرأة فرعون التى يئست من إيمان زوجها ، ولم تجد أمامها أملا إلا فى الآخرة ، فدعت الله أن يبنى لها بيتا فى الجنة عوضا عن الحياة فى قصر فرعون المليء بالدسائس والأحقاد والكفر: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [التحريم: 11].

إن هذه الآية فى غاية الروعة ، **فها نحن أولاء نرى امرأة متلهفة على الجنة ليس لما فيها من أموال وقصور وطعام وشراب وأزياء ، ولكن لأن فيها الراحة النفسية.** لقد كان امرأة فرعون

غارقة فى كل ألوان النعيم ، لكنها لم تكن سعيدة فى حياة القصور. كان أملها بسيطا: بيت صغير فى الجنة بجوار ربها. وكلمة (رب) تحمل معنى الرعاية والحماية والأبوة والعطف، وهى معان تفتقدها امرأة فرعون فى حياتها مع زوجها. وقول امرأة فرعون: (ونجنى من القوم الظالمين) يقصد به على الأرجح أقارب فرعون ، أى الأسرة الحاكمة لأنه لا أحد من المصريين يجرؤ على ظلم زوجة فرعون إلا إذا كان مقربا من فرعون بنفس درجة قربها منه. ومعروف أن أسرة الزوج فى بعض الأحيان تضطهد الزوجة وتضيق عليها الخناق ، وتحاول أن توقع بينها وبين زوجها. ويمكن أيضا أن يكون المقصود بقوله تعالى (ونجنى من القوم الظالمين) جواسيس فرعون وعيونه داخل القصر الذين يمكن أن يخبروه إذا شاهدوا زوجته وهى تصلى أو تتكلم مع أحد المؤمنين من بنى إسرائيل أو ترفض السجود للأصنام ، وهذا سبب آخر لتعاسة امرأة فرعون ، ودافع لها كى تفكر فى الجنة باعتبارها مكانا لا يضم إلا الصالحين والأنقياء. وهكذا يثبت **الدعاء الرائع الذى قالته امرأة فرعون أن الجنة يمكن أن تكون بغية أولئك الذين لا يرجون من الدنيا إلا الراحة النفسية دون مأرب فى رفاهية أو ومتعة مادية.**

إن كثيرا من الناس ابتلوا بالتعاسة الزوجية. وفى هذه الحالة يكون على المؤمن أن يحاول حل مشاكله طبقا لتعاليم الإسلام ، فإن أخفق ، ابتهل إلى الله أن يدخله الجنة لينعم بالسعادة مع امرأة ودود مسالمة. وليس هذا هروبا من المشاكل ، فالواقع يؤكد أن كثيرا من الخلافات الزوجية يستحيل حلها ، فمثلا هناك امرأة تحب قضاء وقت فراغها فى الشراء والتسوق ، بينما يفضل الزوج المكوث فى البيت والراحة من عناء العمل ، ومن الصعب على كل منهما أن يغير من طبعه ، ويتنازل للآخر. وفى السنوات الأخيرة ساهم كل من عمل المرأة (الذى فرض على الرجل) وتدليلها من قِبَل أهلها فى تقويتها ، ودفعها للتمرد على زوجها ، فخربت بسبب ذلك كثير من البيوت. وحتى إن نجح الزوجان فى التغلب على المشاكل الكبيرة فستبقى هناك مشاكل صغيرة تحدث كل يوم ، ولن تخلو البيوت أبدا من المشاحنات. ووجود الأمل فى الآخرة يمنح الإنسان القدرة على التحمل، ويهون من غضبه من زوجه.

والنتيجة الواضحة لما سبق أن **الآخرة ليست فقط مكانا للبطن والفرج ، ولكنها أيضا مكان للسعادة الزوجية والراحة النفسية.** الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

13.السعادة فى انتصار الحق وهزيمة الباطل

كيف يزعم الزاعمون أن جنة الإسلام تخلو من النعم الروحية؟ ألا يرى هؤلاء أن انتصار الحق على الباطل يعود على الإنسان بسعادة لا تدانيها سعادة؟ فهل هذه نعمة حسية أم روحية؟

انظر إلى أهل الجنة ، وهم ينادون على أهل النار ليبكتوهم ويغيظوهم: {وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [الأعراف: 44].

وانظر إلى أهل النار ، وهم يتسولون خيرات الجنة من المؤمنين ، فيرفض المؤمنون. وقمة النصر أن يتذلل لك خصمك: {وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ} [الأعراف: 50].

إن كل إنسان يشعر بسعادة غامرة إن استطاع أن يثبت للآخرين أن فكره صائب. وكثير من الناس لا يهمهم المال بقدر ما يهمهم إثبات سداد آرائهم. ومن هذا النوع المثقفون والفلاسفة والصحفيون والساسة. ألا ترى السعادة وهى ترتسم على وجه المفكر إن انتصر فى مناظرة؟ ألا يشعر جمهور المشاهدين بسرور بالغ إذا شاهدوا المفكر الذى يحبونه وهو يسدد ضربات موجعة لخصمه؟ وأذكر أننى لما شاهدت مناظرة للشيخ أحمد ديدات لأول مرة منذ أكثر من ثلاثين عاما – فى وقت لم يكن أحد يسمع فيه عن شيء اسمه المناظرات – كنت أفرح وأصفق كلما قدم الرجل حجة قوية ضد المسيحية.

وانظر كذلك إلى ما يجرى على مواقع التواصل الاجتماعى ، ولاحظ مدى الزهو الذى يشعر به الواحد من الناس إن أجاد الرد على صديق يختلف معه فى الرأى. وانظر على العكس إلى حالة الانكسار والخزى التى يمر بها الشخص ، وهو لا يقدر على الدفاع عن سقطة وقع فيها السياسى الذى يؤيده أو المفكر الذى يحبه.

ويوم القيامة سيحدث نفس الشيء ، بل سيكون النصر الفكرى للمؤمنين أعظم لأنه سيحدث على مرأى ومسمع من البشرية كلها. **إن الواحد من الناس يفرح إن حظى أحد منشوراته على الفيسبوك بإعجاب عدة عشرات أو مئات ، فما بالك إذا كان المعجبون بك يوم القيامة جمهور**

غفير ، يقدر بمئات البلايين من الإنس والجن والملائكة وما لا نعلم من خلق الله؟ إن الفرح بالنصر يكبر كلما كبر من شاهده ، ولهذا تجد لاعبى الكرة يزداد فرحهم بالفوز كلما كانت أعداد الجماهير المتواجدة فى الاستاد كبيرة؟

أتذكر الآن حديث القرآن المتكرر عن حكم الله بين الناس يوم القيامة. **إن الأديان فى الدنيا كثيرة والتيارات الفكرية يصعب حصرها ، ويمكن النظر إلى الدنيا على أنها سباق كبير صعب لأن المتنافسين فيه يقدرون بالبلايين ، وهذا سيجعل من الفوز يوم القيامة مصدر سعادة هائلة.** واقرأوا معى الآن تلك الآيات التى تتكلم عن حكم الله تعالى بين الناس يوم القيامة:

- {وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} [البقرة: 113]

- {وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} [يونس: 109]
- {الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (56) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} [الحج: 56 – 58]
- {إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} [الزمر: 3]
- {وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (68) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} [الحج: 68، 69]
- {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } [الحج: 17]
- {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} [السجدة: 25]

ولهذا السبب أطلق القرآن الكريم على يوم القيامة اسما فى غاية الأهمية هو "يوم الفصل":

- {هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ } [الصافات: 21]
- {إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ} [الدخان: 40]
- {لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (12) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (13) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ} [المرسلات: 12-14]

- {هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ} [المرسلات: 38]
- {إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا } [النبأ: 17]

لقد انتبهت الآن فقط لقيمة هذه الآيات. إننا نعيش فى عالم يختلط فيه الحق بالباطل ، ويتعذر فى كثير من الأحيان الفصل فى النزاعات الفكرية والخصومات الدينية. والأدهى أن الباطل كثيرا ما يكتسى بثياب ناصعة البياض ، وأهل الباطل فى الغالب يجيدون الكلام ، ويحسنون عرض قضياهم ، ويبرعون فى لَبس الصواب بالخطأ. وقد قرأت على سبيل المثال يوما كتابا بالإنجليزية ينتصر فيه المؤلف للمذهب الشيعى ، ويلبسه ثوبا عقلانيا ، فاغتظت بشدة من محاولة الشيعة الوصول بخرافاتهم إلى العالمية. ووجدت أيضا كثيرا من النصارى –وخاصة الكاثوليك– متعمقين فى دراسة الفلسفة القديمة والحديثة ، فكنت أضرب كفا بكف على هؤلاء الأذكياء الذين لم يَخْف عليهم شىء من الفلسفة والعلم إلا سذاجة دينهم. وأسوأ من هؤلاء ما رأيته من البوذيين الذين يقدمون أنفسهم للغرب على أنهم أتباع دين العلم والعقل ، مع أن دينهم مهلهل فكريا ، ولا يصمد لنفخة من فم.

إن النفس البشرية تعشق الجدل ، وتأبى الاعتراف بالخطأ ، وتجيد صياغة البراهين ، ولذا نرى العالم من حولنا يموج بآلاف المعتقدات والتيارات ، التى يزعم كل منها أنه على الحق المطلق. وقد أدت كثرة المعروض فى سوق الفكر ببعض الكسالى إلى المناداة باستحالة معرفة الحق من الباطل ، أو القول بأن كل المعتقدات مقبولة. وطبيعة الفكر هى التى أدت لذلك ، فالخلافات الفكرية ليست كالخلافات فى العلوم ، ففى العلوم كالفيزياء والكيمياء يمكن – فى أغلب الأحيان– الاحتكام للتجربة الموضوعية للفصل بين النظريات المتعارضة ، أما فى مجال الفكر فمثل هذه التجارب متعذرة ، وقد أدى هذا إلى استمرار الجدل حول أغلب القضايا الفكرية عبر آلاف السنين ، ولا يلوح فى الأفق نهاية للخلاف مع أن المرء كان يتوقع أنه كلما تقدم العلم وازدادت وسائل المعرفة كلما انكشف الحق للناس ، ولكن العكس هو الذى حدث ، فقد استغل أهل الباطل العلوم والمعارف لخدمة باطلهم فى ظل سطحية متزايدة لعالم يلهث وراء اللذة والمال.

كل هذا يكسب يوم القيامة أهمية عظمى حين توضع نهاية لفوضى الفكر ، ويعلن الله أين الحق وأين الباطل ، فلا يملك الجميع إلا أن ينصتوا. **ولو لم يكن فى الآخرة إلا هذا الفصل بين**

الحق والباطل لكفى حتى لو لم يكن هناك جنة ولا نار ولا حور عين ، فالنصر المعنوى له مذاق فريد.

وفى الدنيا لا يكف أهل الباطل عن السخرية من المؤمنين ، واتهامهم بالسذاجة وقلة العقل. وهنا يأتى دور الآخرة كدار ينقلب فيها الحال ، فيذوق فيها الكفار العذاب الشديد على سخريتهم، ويصبحون فى نفس الوقت هدفا لسخرية المؤمنين. قال تعالى:

- {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (29) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (30) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (31) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (32) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (33) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (34) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (35) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [المطففين: 29 – 33]
- {قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (108) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (109) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (110) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ} [المؤمنون: 108 – 111]
- {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ } [لقمان: 6]
- {زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [البقرة: 212]
- { ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا} [الكهف: 106]
- {وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ} [الأنبياء: 36]
- {وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} [الجاثية: 9]
- {ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ} [الجاثية: 35]
- {وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ (62) أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ} [ص: 62، 63]

إن هذه المجموعة من الآيات تعبر عن واقع أليم يعيشه كل مؤمن فى هذا العصر. إن الملحد أو العلمانى يظن نفسه شخصا عبقريا ، يمتلك مخا من طينة تختلف عن تلك التى خلق منها مخ المؤمن. وكثيرا ما تعرضتُ لسخرية لاذعة من الملحدين الأجانب الذين كانوا يكلموننى باستعلاء شديد بمجرد ما يعرفون أننى مؤمن بالله. لقد كانت الفكرة المسيطرة عليهم أن المؤمن يمكن تعريفه على أنه شخص يحتاج لكشف طبى على قواه العقلية. ولما كنت أكلمهم بالعلم والمنطق كانت الصدمة تفقدهم توازنهم ، وتصيبهم بالبلبلة ، لكنهم كانوا يواصلون السخرية ، وكأنهم لا يصدقون أن من الممكن وجود مؤمن يستخدم عقله ، وكان المخرج الوحيد أمامهم أن يبالغوا فى السخرية كى أفقد أعصابى ، ولكننى كنت أحتفظ بالهدوء ، فتكون النتيجة الحتمية أن يطردونى من منتدياتهم ، وهنا فقط كنت أشعر بالقهر والظلم.

ومن أقبح ما رأيت فيديو أجنبى لمجموعة من الممثلين الذى أدوا دور الله عز وجل ونبيه إبراهيم وإسماعيل! لا أذكر تفاصيل الفيلم ، وكل ما أذكره أن الفيلم كان يصور الله عز وجل وأنبيائه على أنهم شخصيات ساذجة بلهاء تصدق ما لا يصدقه إلا الأطفال ، حاشا لله.

ونفس الغرور يسيطر على العلمانيين الذى يتظاهرون بالإيمان ، ويزعمون أنهم أصحاب فكر مستنير يختلف عن الفكر الجامد الذى ابتلى به المؤمنون الملتزمون ، وقد عبر القرآن عن هؤلاء بقوله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (12) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ} [البقرة: 11 – 13]. إنهم يصفون الإنسان المتدين الذى يتكلم بأدب مع النساء بأنه "خام" وغير جرىء. والرجل الذى لا يتقاضى فائدة ربوية على أمواله فى البنوك يوصف بأنه ساذج ، ولا يفهم النظام المالى العالمى. والفتاة التى لا تقيم علاقات مع الرجال توصف بأنها غير مُجربة. والأب الذى يراقب مشاهدة أولاده للإنترنت يقال له: "هذا كبت. لا تحرمهم من مسايرة العصر". ومن ينادى بضرورة وصاية الإسلام على السياسة والاقتصاد يقال له: "أنت خيالى ، ولا تعرف كيف تدار الدول". **ولا أنسى علمانيا تكلم ذات مرة عن الإسلاميين ، فأخذ يؤكد على ضرورة الاستعلاء عليهم بشكل متعمد وإهانتهم بأسلوب ممنهج حتى يشعروا بالصغار والدونية.** ولا أخفى أننى فرحت بشدة لما نال هذا العلمانى جزاءه على

أيدى رفاقه الفاسدين الذين دافع عنهم. لكن ماذا عن بقية العلمانيين الذين لا يكفون عن إهانة الإسلام؟ وماذا عن بقية الكفار الذين يستهزئون بالمؤمنين؟ لا شك أننى سأكون فى غاية السعادة وأنا أرى من أهانونى وأهانوا دينى يتلقون جزاء مماثلا يوم القيامة. وانظر إلى القرآن وهو يتكلم فى آيات بديعة عن **الإهانات البالغة التى ستلحق بأهل الباطل:**

- {وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ} [السجدة: 12]
- {قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (106) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (107) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ} [المؤمنون: 106 – 108]
- {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ} [الزمر: 60]
- {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27) يَاوَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (28) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا} [الفرقان: 27 – 29]
- {خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (47) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (48) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} [الدخان: 43 – 49]

ومن أشد ما يثلج قلب المؤمن أن يرى أهل الباطل وهم يتلاومون ، ويتلاعنون ، ويتبرأ كل منهم من الآخر. وتخيل أن نبى الإلحاد – المسمى ريتشارد دوكينز– الذى يقدسه كثير من الشباب اليوم قد وقف ذليلا أمام الله يوم القيامة ، ثم تقدم تلاميذه للحساب. فى هذه اللحظة سيندفع هؤلاء الشباب للهجوم على أستاذهم ، ويتهمونه بأنه المسئول عن ضلالهم ، وأنهم لولا كتبه لظلوا مؤمنين. وسيبالغ التلاميذ فى إهانة أستاذهم كى يثبتوا لله براءتهم التامة من أفكاره. وقد أورد القرآن شقاق أهل الباطل يوم القيامة فى عدد من الآيات منها:

- {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (166) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} [البقرة: 166، 167]

- {وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ } [العنكبوت: 25]
- {قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ (38) وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ} [الأعراف: 38، 39]
- {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (31) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (32) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [سبأ: 31، 33]

لقد جاء الحق ، وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا. الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

14.السعادة فى التشفى فى الظلمة

من جرب الظلم فى الدنيا فلا بد أن يكون حريصا على الآخرة. إن أحد أهم أسباب السعادة فى الآخرة رؤية المؤمنين للانتقام الإلهى من الكفار والظالمين. إن العالم يتحكم فيه الكفار والمجرمون واللاهون والعابثون. ويوم القيامة سيتحطم كبرياء كل هؤلاء.

إن غاية أمل كثير من الناس ليس أن يأكلوا أو يشربوا أو يلبسوا أفخم الثياب أو يتزوجوا من الحسناوات ، ولكن أن يروا مَن ظلمهم يتجرع من نفس الكأس التى سقاهم منه. غاية أمل امرأة طُلقت بسبب إشاعة روجتها صديقتها أن تُحْرم هذه الصديقة من زوجها وأولادها. غاية أمل امرأة شُوه وجهها بماء النار أن ترى النار تشوه وجه من شوهها. غاية أمل طفل عذبته زوجة أبيه وجوعته أن يمسك بالسوط ، ويلهب ظهرها كما ألهبت ظهره. **إن الانتقام من الظالم يحقق**

للمظلوم سعادة نفسية لا تدانيها سعادة. ومثل هؤلاء المظلومين سيسعدون حتما ، وهم يمدون أبصارهم من داخل الجنة ليروا ظالميهم والملائكة تسومهم سوء العذاب.

هل لا زلت تصدق أن جنة الإسلام لا تحتوى إلا على الحور العين؟

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

15.السعادة فى الحفاوة وحسن الاستقبال

كل إنسان يشعر بالسعادة إذا ما قوبل بالحفاوة والترحاب. وهناك فرق كبير بين رجل يستقبلك بوجه بشوش وآخر يستقبلك بوجه عبوس. وأغلب الشركات والفنادق تحرص على تعيين موظفى استقبال يتصفون باللباقة ، ويبالغون فى الترحيب بالعملاء. والطريقة التى تقدم بها الهدية للآخرين لا تقل أهمية عن الهدية نفسها ، فمثلا قد يقدم الرجل الفقير لزوجته وردة ، ويقول لها كلمات رقيقة ، فتفرح بها أيما فرح ، بينما يمكن لأحد الأثرياء أن يهدى زوجته سيارة غالية ، فلا تفرح بها لأنه أعطاها لها دون مبالاة ، أو لأنه كان عابسا فى وجهها ، وكأنه مضطر لعمل واجب لا يرتاح إليه قلبه. ومن هنا جاء المثل المصرى القائل: (لاقينى ولا تغذينى)، أى أحسن لقائى ، ورحب بى حتى لو لم تطعمنى شيئا ماديا. إن هذا المثل وحده كفيل بالقضاء على مزاعم أعداء الإسلام القائلين بأن الجنة تخلو من المتع الروحية ، فإنه إذا كانت الحفاوة أهم من الطعام، فاعلموا أن المؤمن حين يقترب من الجنة سيقابَل بترحيب حار من الملائكة ، وهذا الترحيب يندرج تحت باب المتع الروحية لا المادية. قال تعالى :

- {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ} [الزمر : 73].
- {لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} [الأنبياء: 103]
- {هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (49) جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ} [ص: 49، 50]. وفى هذه الآية نجد أن فتح الباب للشخص القادم من علامات الترحيب ، وعلى العكس من ذلك غلق الباب فى وجهه.

- {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [النحل: 32].
- {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (23) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} [الرعد: 23، 24]

وفى إحدى الآيات يقول عز وجل: {سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ} [يس: 58]. والمقصود أنه فى الجنة سيُلقى الله تعالى السلام على المؤمنين ، وهذا من قبيل الحفاوة ، ويا لها من حفاوة! لقد كان الرجل فى قريتنا يشعر بسعادة بالغة إن مر على بابه أحد الكبراء ، وحياه من بعيد ، فما بالك بتحية يلقيها عليك إله الكون؟ وقد ورد فى تفسير هذه الآية حديث ضعيف إلا أن معناه مقبول تماما لأنه يتماشى مع ألفاظ الآية: عن جَابِرٌ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ إِذْ سَطَعَ نورٌ فَرفعُوا رؤوسَهم فَإِذَا الرَّبُّ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ قَالَ: وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى (سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رحيمٍ). قَالَ: فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ النَّعِيمِ مَا دَامُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ حَتَّى يَحْتَجِبَ عَنْهُمْ وَيَبْقَى نُورُهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْهِم فِي دِيَارهمْ ". رَوَاهُ ابْن مَاجَه

وعلى العكس من ذلك سنجد **الكفار يقابَلون بأسوأ استقبال لدى دخولهم إلى جهنم خاصة من زعماء الكفر الذين سبقوهم إلي النار:** {هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (57) وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (58) هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ (59) قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ} [ص: 57 – 60]. وعبارة (هذا فوج مقتحم معكم) تقولها الملائكة لفئة من الكفار الذين يعذبون بالفعل فى النار ، إخبارا لهم بقدوم فوج جديد من المجرمين الذين كانوا فى الدنيا يتفقون معهم فى الفكر. وعبارة (لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار) سيقولها الكفار الذين يعذبون فى النار حين يعلمون بقدوم هذا الفوج التعيس الذى كان أفراده تابعين لهم فى الدنيا. وجملة (أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا) يقولها الفوج الجديد متهما الفوج القديم بأنه كان السبب فى كفره وضلاله، وواضح أن القرآن يتكلم هنا عن تلاعن زعماء الكفر وتلاميذهم. أتذكر الآن سيد القمنى وهو يقول فى نشوة بالغة حين رأى تكاثر شباب الملحدين حوله: (أشعر الآن أننى أَنبَتُّ). فلننتظر يومنا يلعن فيه كل منهما الآخر.

وسيَلقى الكفار كذلك **استقبالا سيئا من ملائكة العذاب** ، الذين يوبخونهم على كفرهم الذى جرَّ عليهم هذا الجحيم: {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (71) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ} [الزمر: 71، 72].

فشتان بين استقبال واستقبال. الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

16.السعادة فى التواصل الاجتماعى

كلنا نحتاج للتواصل مع الآخرين. الوحدة داء قاتل يؤدى إلى الاكتئاب ، ولهذا حين تريد السلطات التنكيل بسجين فإنهم يضعونه فى سجن انفرادى ، فيكاد الرجل يصاب بالجنون وهو يقيم وحده بين أربعة جدران لسنوات طويلة دون رفيق يكلمه ، ويشكو إليه همه.

والشعور بالوحدة أمر تعرفه جيدا امرأة لم تتزوج ، وامرأة لم تنجب ، وامرأة طُلقت أو توفى زوجها، ورجل مسن انشغل عنه أولاده ، ورجل سافر وحده للعمل فى بلاد أجنبية.

حقا كل واحد يحتاج من وقت لآخر للجلوس مع نفسه بعيدا عن الناس ، إلا أن السبب يكون فى الغالب ليس كراهية التحدث مع الآخرين ، بل عدم توافر شخص يرتاح إليه المرء ، ويفضى إليه بمكنون نفسه. على سبيل المثال إن رسب طالب فى امتحان الثانوية العامة ، فقوبل بهجوم عاصف من أهله، واتُّهم بأنه مستهتر ، فإن الطالب سيصاب بالاكتئاب ، ويغلق على نفسه باب غرفته ، لكن ليس معنى هذا أنه يحب العزلة فى ذاتها ، بدليل أنه سيفتح الباب بسرعة لعمه الذى يتفهم تفكيره ، ويعلم أنه انشغل باختراعاته عن الدراسة ، وأنه ينوى السفر لدولة أوروبية للعمل والدراسة. إنه لا يكره الاختلاط بالناس ، بل يكره الاختلاط بمن لا يفهمونه.

وفضلا عن ذلك فإن العزلة هى الاستثناء لا القاعدة ، ولا أحد يستمر فى عزلته بشكل كامل لفترة طويلة. وحتى الشخص المنطوى القليل الكلام تجده فى الغالب على علاقة متينه بصديق أو اثنين إضافة إلى بقية أفراد أسرته. كما أن الرهبان والمتصوفة كان لهم دائما تلاميذ ومريدون يتلقون منهم الحكمة ، فهؤلاء يختلفون فقط فى عدد الأشخاص الذين يتواصل معهم.

وإضافة لما سبق فهناك فرق بين إنسان يريد التواصل مع الناس لكنه لا يجدهم ، وإنسان آخر يكره التواصل مع الناس: النوع الأول يصاب بالاكتئاب إن لم يجد أحدا يتكلم معه ، أما النوع الثانى فهو من الأصل مصاب بالاكتئاب الذى جعله يكره لقاء الناس والكلام معهم. النوع الأول ذو شخصية سوية ، وهو يمثل الغالبية العظمى من الناس ، أما النوع الثانى فيمثل قلة مريضة أو ذات ظروف خاصة. ولو أُجري استطلاع للرأى ، فسُئل المشاركون فيه: "هل تقبل عرضا بالإقامة لمدة عشر سنوات فى قصر كبير ، مطل على النيل ، ومحاط بمساحات واسعة من الحدائق ، ويحتوى على كافة ألوان الطعام والشراب ، وكافة وسائل الترفيه ، بشرط أن تقيم فى القصر وحدك دون رفيق ودون كلام حتى مع الخادم؟ أجزم أن الغالبية العظمى من الناس سيرفضون هذا العرض بشدة ، فالحياة مع الناس فى فقر أفضل من الوحدة فى غنى.

والآن نسوق البشرى لكل من ذاق الوحدة فى الدنيا: لا أثر فى الجنة للوحدة. فى الجنة سيجمعك الله تعالى مع أقاربك الذين تحبهم ؛ قال تعالى: {هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ} [يس: 56] ، وقال أيضا:{جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ} [الرعد: 23]. **وهذه الآية الأخيرة يقدرها حق قدرها كل إنسان يحن إلى والديه اللذين ماتا ، وكل أبوين يذرفان الدمع على ابنهما الذى توفى صغيرا ، وكل امرأة فارقها زوجها الذى تحبه ، وكل رجل ماتت زوجته التى يحترمها.** وقال لى أحد الشيوخ الطاعنين فى السن – والدموع تكاد تنهمر من عينيه– أنه يرى أبويه كل يوم فى المنام من شدة شوقه لرؤيتهما. إن متعة لقاء الأحباب متعة لا تدانيها متعة ، وكم من رجل قطع آلاف الأميال كى يلتقى بأهله وأصدقاء طفولته. ولقد لاحظت أن **أغلب المغتربين يأخذون عطلة كل عام أو عامين كى يلتقوا بأزواجهم وآبائهم وأمهاتهم وإخوتهم رغم أن هذه الزيارة تكلفهم أموالا كثيرة ، وهذا دليل على أن السعادة النفسية برؤية الأحباب تفوق السعادة التى يجلبها المال والمتع الحسية.**

وفى الجنة سيجلس المؤمنون فى منتديات يواجه بعضهم بعضا:{عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ} [الصافات: 44] ، ويلقى كل منهم السلام على الآخر: {إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا} [الواقعة: 26]. وفى آية أخرى نجد أن أهل الجنة يجلسون على الأَسِرة متكئين متقابلين: {عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (15) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ} [الواقعة: 15، 16]. وتقابل أهل الجنة وهم متكئون يذكرنى بأروع أيام

الطفولة ، فقد كان أبى يفرش البساط (الحصيرة) بجوار بيتنا فى الشارع كل يوم ليلا، وكانت القرى وقتها شديدة الهدوء ، فكان أصحابه يأتون إليه ويجلسون جميعا على الأرض ، يتكئون على الوسائد ويتسامرون ، وكنت أجلس معهم أنا وإخوتى ، فكانت جلسات فى غاية الروعة ، ولكن مع الأسف نحن نعيش الآن فى عصر تباعد فيه الناس ، وانفرد كل منهم بهاتفه الخاص الذى صار صديقه الأوحد. إننى أتحسر على هذه الأيام الجميلة، ولو قدر لى أن أدخل الجنة فسأكون فى غاية السعادة وأنا أستعيد عمليا هذه الذكريات.

ولما توقفت عند **كلمة (موضونة)** التى وردت فى الآية الأخيرة (عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ) عثرت على معنى جديد لها: إن مجمل كلام أهل اللغة عن **فعل (وضن) يشير إلى أنه يحمل معنى التقارب والتداخل.** كلمة (وضن) تعنى جعل الشىء بعضه على بعض ، أو ثَنَى بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ وضاعَفَهُ. يقال: وَضَنَ فلانٌ الحَجر والآجُرَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ[132]. و(وضنتُ) الشىء أى نسجته. والمَوْضونَةُ: الدرع المنسوجة توضَنُ حَلَقُ الدرعِ بعضها في بعض مضاعفةً. والْوَضِينُ: بِطَانٌ مِنْ سُيُورٍ يُنْسَجُ فَيَدْخُلُ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ. واتَضَنَ فهو مُتَّضِنٌ: أي اتَّصَلَ وانْبَسَطَ. وكلمة (التَّوَضُّن) تعنى التَّحَبُّبُ والتَّذَلُّلُ ، والتحبب والتذلل طبعا يحملان معنى القرب والتداخل. باختصار (وضن) كلمة تحمل معنى القرب والتداخل.

وبناء على هذا فكلمة (موضونة) قد يكون معناها – كما يقول الزمخشرى– مرمولة بالذهب (منسوجة بالذهب) ، مشبكة بالدرّ والياقوت، قد دوخل بعضها في بعض كما توضن حلق الدرع. وهذا هو المعنى الذى مال إليه أغلب المفسرون ، وهو مقبول تماما ، لكن من الممكن أن نفهم **كلمة (موضونة) بطريقة مختلفة، فمن المحتمل جدا أن يكون فى الكلمة إشارة إلى تقارب الأَسِرة فى الجنة ، وتداخلها مع بعضها البعض.** وكلمة (موضونة) على هذا ليست وصفا لكل سرير على حدة ، بل وصفا لحال مجمل الأسرة التى تقترب من بعضها ، وتتداخل كما لو كانت نسيجا واحدا. ويؤكد ذلك ما ورد فى معجم لسان العرب من أن رجلا من العرب قال لامرأَته عن متاع البيت: "ضِنِيه" ، أَي قَارِبِي بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ. وهذا المعنى الذى نطرحه الآن يتناغم مع

---

[132]) (الأجر) هو اللبن المحرق المعد للبناء (المعجم الوسيط)

قوله تعالى بعدها {مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ} [الواقعة: 16] ، فتقابل أهل الجنة المتكئين لا يتم إلا إذا كانت أسرتهم متقاربة متداخلة.

إن **كثيرا من الناس فى الدنيا يكرهون منظر الأَسِرة ، خاصة المرضى** الذين لا يقدرون على الحركة. ومن حين لآخر نسمع عن شخص أصيب بجلطة فى المخ ، فأصبح مشلولا ، وقضى بقية حياته على فراش فى غرفة مغلقة ، فتحول الفراش من مكان للراحة إلى سبب للعذاب. **ومثل هؤلاء الأشخاص الذى يكرهون النوم على الأَسِرة فى الغرف المغلقة ستكون سعادتهم لا توصف إن كانت أَسِرَّتهم فى الجنة موجودة بجوار أَسِرة الآخرين** ؛ لقد ولت أيام الوحدة القاتلة إلى غير رجعة.

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

17.السعادة فى الطهارة والنظافة

النظافة من أكثر الأشياء التى تسبب البهجة والراحة النفسية ، أما القذارة فتجعل الإنسان يشعر بالضيق والنفور والاشمئزاز. ولأصحاب النفوس السوية ممن يعشقون النظافة نسوق البشرى: إن جنة الله تتميز بأعلى درجات النظافة.

من القاذورات الشائعة فى الدنيا العرق والبراز والبول والبصاق والمخاط ، وكل هذا لن يكون موجودا فى الجنة. فى الجنة سيكون لعرق الإنسان رائحة المِسك الجميلة ، كما أن أهل الجنة لا يتبولون ولا يتغوطون (أى لا يُخرجون فضلات الطعام من بطونهم) ، وفى هذا المعنى روى البخارى فى صحيحه أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، **لاَ يَبْصُقُونَ فِيهَا، وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ**، آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ، **وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ**...»[133] . وفى رواية مسلم: «لَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَتْفُلُونَ»

[133]) نص الحديث كاملا: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، لاَ يَبْصُقُونَ فِيهَا، وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الحُسْنِ، لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ وَلاَ تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا»

(زمرة): جماعة. (تلج): تدخل. (يبصقون): يخرجون من الفم الريق أو إفرازات الجهاز التنفسى أثناء المرض. (يتمخطون): يخرجون الإفرازات من الأنف. (لا يتفلون) بكسر الفاء وضمها ، أى لا يبصقون. (آنيتهم): أوعيتهم. (مجامرهم): جمع مجمرة وهي المبخرة ، وسميت كذلك لأنها يوضع فيها الجمر ليفوح به البخور. (الألوة): العود الهندي. (رشحهم): عرقهم كالمسك.

وفى رواية أخرى **ينفى الرسول عليه الصلاة والسلام أن يكون أهل الجنة فى حاجة لإخراج الفضلات من البطن بعد الأكل ، وذلك لأن الطعام الذى يأكلونه يتحول إلى عرق ، فتصير البطن خاوية دون حاجة لعملية التبرز:** رُوى أن زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ فِيهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ أن أحدهم ليعطى قوة مائة رَجُلٍ فِي الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَالشَّهْوَةِ وَالْجِمَاعِ"، فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَإِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ تَكُونُ لَهُ الْحَاجَةُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "حَاجَتُهُمْ عَرَقٌ يَفِيضُ مِنْ جُلُودِهِمْ مثل المسك فإذا البطن قد ضمر".[134] ويستفاد من هذا الحديث أنه **لا أحد من أهل الجنة سيصاب بالبدانة** ، وهذا مفهوم من قوله: " فإذا البطن قد ضمر" ، فضمور البطن معناه أن البطن غير ممتلئة ، ولا يوجد ما نسميه الآن "الكِرش" الذى يجعل شكل الإنسان قبيحا ، وسيتمتع الجميع بالرشاقة.

وكلنا نعلم أن فى الجنة أنهارا ، لكن **أنهار الجنة تختلف عن أنهار الدنيا فى أن ماءها "غير آسن". والماء الآسن – فى لسان العرب– هو الماء الذى تغيرت رائحته ، فلا يشربه أحد من نَتْنِه.** وفى هذا قال تعالى:

{مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ} [محمد: 15]

إن كثيرا من دول العالم بها أنهار ، لكنها تكون فى أحيان كثيرة ممتلئة بالملوثات التى تحدث تغيرا فظيعا فى لون الماء ورائحته ، أما أنهار الجنة فلا أثر فيها للتلوث.

[134]) إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير هناد، فمن رجال مسلم. وثمامة بن عقبة، فقد روى له البخاري في "الأدب المفرد"، والنسائي، وهو ثقة. وذكره الهيثمي في "المجمع" وقال: رواه أحمد والبزار والطبراني، ورجال أحمد والبزار رجال الصحيح غير ثمامة بن عقبة، وهو ثقة. انظر: **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان** (443/16).

ولاحظ فى هذه الآية الأخيرة أن الله تعالى يصف اللبن الموجود فى أنهار الجنة بأنه لم يتغير طعمه ، واحتفاظ اللبن بطعمه ينفى عنه أنه قد راب ، وطبعا اللبن عند خروجه من ضروع الماشية يكون طعمه أفضل. لكن هناك معنى آخر ، وهو أن **احتفاظ اللبن بطعمه ينفى عنه تعرضه للتلوث** ، خاصة أن المواد العضوية التى يتكون منها اللبن من السهل فسادها ، وكلنا نعرف أن الأنهار مرتع للأحياء والحشرات والطيور. ولاحظ كذلك أن القرآن يصف العسل فى أنهار الجنة بأنه مصفى ، أى أنه لا يختلط بأى شوائب ، وهذا يعنى مزيدا من النظافة والطهارة.

وعلينا أن ننتبه إلى أن البلد الذى تخلو أنهاره من التلوث ستكون النظافة فيه ظاهرة عامة ، تلحظها فى كل مكان ، وليس فقط فى الأنهار ، فمن ينجح فى الحفاظ على نظافة الأنهار فلا بد أنه قد نجح فى الحفاظ على نظافة كل شىء آخر لأن الماء من أكثر الأشياء عرضة للتلوث، واللبن والعسل أكثر عرضة للتلوث من الماء ، والنجاح فى الحفاظ على نظافة أنهار اللبن والعسل يتطلب فعلا معجزة. وإن جبت العالم شرقا وغربا ، باحثا عن نهر لا يختلط ماؤه بالأتربة والشوائب والحشرات والطيور الميتة فلن تعثر عليه ، وستبقى الجنة أنظف مكان يمكن تخيله.

والحقيقة أن نظافة الجنة أمر متوقع حتى لو لم يخبرنا به القرآن ، وذلك لأن **الجنة أكثر مكان فى الوجود يمكن أن تجد فيه الرفاهية والثراء. والثراء يصاحبه فى العادة النظافة والجمال ،** فكلما زاد ثراء البلد كلما زادت نظافته ، والبلاد الفقيرة التى توفر القوت لأهلها بالكاد تعتبر النظافة شيئا ثانويا لأن النظافة تحتاج إلى المال ، فبالمال يمكنك أن تدفع أجور عمال النظافة، وتشترى آلات رفع القمامة ومساحيق التنظيف والمطهرات ، وتوفر السيارات التى تحمل القمامة ، وتضع فى كل مكان سلة للمهملات وصندوقا للقمامة. ولا توجد مشكلة على الإطلاق فى توافر كل هذه الإمكانيات – وأكثر منها– فى الجنة ، ولذا فالنظافة هناك حتمية.

وفى القرآن أيضا بشرى للمؤمنين مضمونها أن أزواجهم فى الجنة سيتميزون بالطهارة. قال تعالى:{وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: 25]. وقال أيضا: {قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ} [آل عمران: 15]. وقال كذلك:{لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا} [النساء: 57]

إن قوله تعالى:"أزواج مطهرة" يحمل معنى شديد الأهمية لأن من أكثر الأشياء التى يمكن أن تفسد العلاقة بين الزوجين غياب النظافة الشخصية ، وكم من الزيجات فشلت بسبب إهمال الزوجة لنظافتها ونظافة بيتها. ونفس ما يكرهه الرجل فى المرأة تكرهه المرأة فى الرجل ، لكن الأمر بالنسبة للنساء أقبح لأن المرأة بطبعها مخلوق جميل ، وأى قدر ولو ضئيل من القبح فى الشىء الجميل يَبرز ويَكبر ، ولهذا ربما كان من المقبول أحيانا أن نشم من جسد الرجل رائحة كريهة لأنه من الأصل مخلوق أقل جمالا ، كما أنه يبذل جهدا عضليا أكبر نتيجة العمل خارج البيت ، لكن هذا غير مقبول أبدا من المرأة. وكذلك إن رأينا أظافر الرجل طويلة ومتسخة فقد نتهاون ونعزو ذلك للانهماك فى العمل ، أما المرأة الجميلة إن اتسخت أظافرها فهى كارثة. وفضلا عن ذلك فالنساء يحدث لهن الحيض كل شهر ، وهذا سبب آخر لنفور الرجال من النساء خاصة فى العصور القديمة قبل اختراع الوسائل التى تخلص المرأة من دم الحيض. أما **فى الجنة فستكون طبيعة النساء مختلفة ، فلا قذارة ولا قبح ولا أى شىء يدعو للنفور. ونفس الشىء ينطبق على الرجال. وهذا سبب آخر من أسباب الراحة النفسية والسعادة فى الجنة** ، فما أعظم هذه الحياة! وما أسخف قول القائل: الجنة مكان ليس فيه إلا اللذات الحسية!

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

18. السعادة مع الأطفال

كلنا نحب الأطفال لأنهم يتمتعون بالبراءة التى تجعل الإنسان يهرب من الواقع ، ويعيش فى عالم آخر. وعقول الأطفال الساذجة ونظراتهم السطحية للأمور تخلق جوا من الفكاهة والمرح. كما أن ضعف الأطفال ووهن أجسادهم وقلة خبراتهم يثير العطف والحنان. الطفولة عالم ذو طابع خاص ، ولهذا يعيش كثير من الناس فى عذاب إن حرموا من القدرة على الإنجاب. ولا يتردد الأزواج لحظة واحدة فى إنفاق كل مدخراتهم عند الأطباء للعلاج من العقم.

ولكل هؤلاء الذى حرموا من الأطفال نقول: أبشروا ، ففى الجنة ستنعمون بصحبة الأطفال. فى الجنة يطوف على المؤمنين "ولدان مُخَلدون" ، أى أطفال خالدون على حال الطفولة ، ولا يكبرون أبدا ، قال تعالى: {وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا}

[الإنسان: 19]. وفى آية أخرى قال تعالى:{يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (17) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ} [الواقعة: 17، 18].

ولكن لماذا يبقى الله تعالى هؤلاء الأولاد على حال الطفولة؟ لأن الطفل إذا كبر قل مرحه وميله للعب واللهو ، وصار أقل قدرة على خلق البهجة لدى الكبار. ولا زلت أذكر عددا من الأطفال الذين حظوا بشهرة واسعة فى السينما والتلفزيون وهم أطفال ، وتوقع كل النقاد أن يصبحوا نجوما من نجوم الصف الأول بعد سنوات معدودة ، ولكنهم فقد بريقهم لما كبروا ، فقد كان سر تألقهم يكمن فى طفولتهم التى تبخرت مع الزمن ، وتحول مرح الطفولة وحسنها وبراءتها إلى كآبة أو دمامة أو سوء خلق. لكن **فى الجنة لن يكبر الأطفال حتى لا يشعر المؤمنون بالضيق من ضياع بهجة طفولتهم** ، فمن غير المسموح به وجود أى قدر من الحزن أو القبح أو الألم لأهل الجنة.

ولاحظ فى الآية الأخيرة أن الأطفال يطوفون على أهل الجنة بأكواب وأباريق وكئوس ، أى أنهم يخدمون المؤمنين ، ويقدمون لهم الشراب ، وفى هذا اجتماع لبهجة الشراب مع بهجة رؤية الأطفال. ولا تقل لى أن من الظلم إرهاق الأطفال بالعمل ، أولا لأن تقديم الشراب ليس عملا مرهقا، وحتى لو كان مرهقا فمن الممكن لله أن يخلق عددا كبيرا من الأطفال حتى يخف العمل عنهم. ثانيا: هؤلاء الأطفال لهم طبيعة تختلف عن طبيعة البشر(بدليل أنهم لا يكبرون) ، وربما كانوا من جنس الملائكة ، ولذا لن يؤدى العمل على الأرجح إلى شعورهم بالتعب ، خاصة إذا علمنا أن الله تعالى لم يخلق الجنة ليعاقب فيها أحدا بالعمل الشاق. ثالثا: لن يتعرض هؤلاء الأطفال للسخرية بسبب عدم وصولهم لسن البلوغ –كما يحدث فى الدنيا حين يسخر الناس من شاب لم تنبت لحيته ولم يغلظ صوته – وذلك لأن السخرية من الآخرين تدخل فى باب اللغو والتأثيم ، ولا مكان لهذا الكلام فى الجنة كما سبق أن أوضحنا.

ولاحظ أيضا أن **قيام الأطفال بدور الخدم فيه ميزة** لأن الأطفال فى كثير من الأحيان يميلون للتمرد ، فتراهم لا يستجيبون لمن يلاعبهم ويتودد إليهم من الكبار لأنهم يفضلون اللعب والجرى والانطلاق ، ولا يحبون البقاء فى مكان واحد لفترة طويلة ، وهذا كثيرا ما يصيب الكبار بالإحباط لأنهم يتوقعون من الطفل أن يتجاوب معهم ، ويبقى معهم فترة طويلة ، ويبادلهم حبا بحب ،

ولكن فى الجنة سيكون الأطفال من الخدم ، والخادم يطيع مخدومه ، وفى هذا تمكين لأهل الجنة من الابتهاج بالطفولة. أليست هذه متعة نفسية؟

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

19. السعادة فى النور

ونزيد أعداء الإسلام من الشعر بيتا ، فنقول أن المؤمنين فى الجنة سيصاحبهم نور عجيب ، يخطف الأبصار ، ويخلب الألباب ، ولا شك أن هذه متعة نفسية خالصة. ويحدثنا القرآن عن انبهار المنافقين بالنور المصاحب للمؤمنين ، ورغبتهم فى النهل منه والاقتباس من بهائه ، لكن المنافقين قيل لهم أن بإمكانهم أن يحصلوا على النور إن هم رجعوا إلى الخلف. ولما استدار المنافقون ، واتجهوا لالتماس النور ، لم يجدوا شيئا ، وفوجئوا بظهور سور يفصلهم عن المؤمنين ، ففهمو أنهم تعرضوا لعملية خداع. ولما حاول المنافقون الرجوع للمؤمنين من خلال باب فى السور – كى ينتقموا منهم أو يحاولوا مرة أخرى الأخذ من نورهم– ردَّهم عن السور عذاب شديد ، وفى نفس الوقت شاهدوا على الناحية الأخرى من السور التى تواجه المؤمنين ألوانا من الرحمة والنعيم: {يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ} [الحديد: 13].

ولاحظ فى هذه الآية الأخيرة أن المؤمنين يخدعون المنافقين ، وهذا جزاء من جنس العمل، فقد كان المنافقون فى الدنيا يخدعون المؤمنين ، ويتظاهرون بحبهم لله ورسوله ، ثم يدبرون المكائد فى الخفاء ، فكان جزاؤهم فى الآخر خداعا بخداع.

وهذا النور العجيب المبهج الذى يُرى على وجوه المؤمنين أو يحيط بموكبهم يوم القيامة يعود عليهم براحة نفسية ومتعة ، فكل واحد منهم يرى الحسن على وجوه الآخرين ، كما يشعر بالفرح لأن الآخرين ينظرون بإعجاب إلى حسنه.

ونحن لا ندرى على وجه التحديد كُنه هذا النور ، لكن الذى لا شك فيه أن الإنسان فى الدنيا يستمتع بالسير ليلا فى المدن الكبرى بسبب الأنوار الجميلة المختلفة الألوان ، وتلك التى تضىء وتطفىء ، أو ترسم كلمات جميلة وأشكالا رائعة على المتاجر واللوحات الإعلانية. ومصاحبة أى نوع من الأنوار الجميلة للمؤمنين يكسبهم ولا شك جمالا. وربما كان النور المذكور فى الآية تعبير مجازى عن ضرب من النضارة والجمال الذى يكسو وجوه الصالحين ، ويكسبها بهاء أخاذا من خلال وسائل معينة من وسائل التجميل. وإطلاق لفظ النور على الجمال هو من قبيل المجاز الشائع ، ونحن الآن نقول عن الإنسان ذو الوجه النضر الجميل أن "وجهه منير" أو "يكسوه النور". وربما كان سبب النور شعور أهل الجنة براحة نفسية كبيرة ، وتحررهم من الإرهاق الجسمانى والتعب النفسانى ، وكلنا نلاحظ الفرق بين وجه شخص غارق فى العمل وشخص آخر عائد لتوه من عطلة سنوية طويلة ، فترى وجه الأخير يشع نورا ونضارة. أيا ما كان معنى النور فى الآية ، فهو فى جميع الأحوال تعبير عن جمال ومتعة نفسية لأهل الجنة. النور ليس طعاما ولا شرابا ولا جماعا ، فهل فهم الأغبياء؟

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

20.السعادة الصناعية !!

اعتدنا أن نشعر بالسعادة إن كان هناك سبب حقيقى لها كشىء نراه أو نسمعه أو نشمه أو نلمسه، أو كوقوع حادث سعيد ، لكن هناك على الجانب الآخر نوع من أنواع السعادة يحدث دون وجود سبب خارجى واقعى ، وهذا ما أسميه "**السعادة الصناعية**" ، وهو أمر لا ينتبه إليه أعداء الإسلام. وأهم سبب للسعادة الصناعية هو الخمر!

إن الناس تتعاطى الخمور والمخدرات فى الدنيا كى تُحَسن مزاجهم ، وتجعلهم يشعرون بالسعادة، وتساعدهم على نسيان الهموم والمخاوف. وفى الآخرة أيضا سيتمتع المؤمنون بنوع خاص من الخمر. ورغم قدرة الخمر على تحقيق حالة مزاجية عالية إلا أن أضرارها الاجتماعية والصحية على الإنسان خطيرة ، فهى تجعله فى حالة جنون مؤقت ، فيتكلم بكلام قبيح ، وتصدر منه أفعال غير لائقة ، ويُقْدم على حركات شديدة الخطورة ، قد تودى بحياته أو حياة غيره من الأبرياء. وبما أننى لست ممن تناولوا الخمر قبل ذلك فلذا قررت أن أذهب لليوتيوب لأشاهد

بعض الفيديوهات عنها. وبعد مشاهدات عديدة شعرت باشمئزاز شديد من أسوأ اختراع عرفته البشرية. لقد شاهدت رجلا سكرانا يخلع ملابسه ، وآخر يحاول الخروج من شباك الدور العلوى للدخول من شباك آخر ، فسقط على الأرض. وكان هناك رجل ثالث يقف فى الطريق أمام سيارة قادمة ، ورابع اشتعلت النار فى جسده بسبب الخمر ، وخامس تبول على نفسه فى الطريق ، فتعجبت كيف لا تحظر الدول الخمر إلى اليوم؟ ولم أجد تفسيرا إلا أن الشيطان يخوض معركة كبرى لجعل البشرية تتمسك بأم الرذائل.

وما يهمنا هنا أن نؤكد أن خمر الجنة لها نفس مزايا خمر الدنيا ، لكنها تخلو من أضرارها ، فخمر الجنة تكسب الإنسان السعادة ، لكنها لا تجعله يسكر ، فالسكر لا يليق بإنسان فاضل ، كما أن السكران قد يؤذى نفسه ويؤذى الآخرين بكلامه وأفعاله ، ومثل هذا لن يحدث أبدا فى الجنة ، فالجنة تخلو من اللغو والتأثيم: {لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (25) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا } [الواقعة: 25، 26] . وخمر الجنة تختلف كذلك فى أنها لا تسبب أضرارا صحية للجسم. وكل الأطباء يعرفون أن الإفراط فى تناول الكحوليات يؤذى الجسم بشكل بالغ. وينفى القرآن الكريم عن خمر الجنة عدة صفات رديئة هى:

أولا: الصداع: قال عز وجل عن خمر الجنة: {لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا} [الواقعة: 19]. أى أن المرء لا يحدث له صداع بسبب شربها.

ثانيا: السُكْر: قال تعالى عن شاربى خمر الجنة: {وَلَا يُنْزِفُونَ} [الواقعة: 19] أى لا تختلط عقول أهل الجنة ، ولا يسكرون بشربها.

ثالثا: الطعم الكريه: من المعروف أن خمر الدنيا فى الغالب ذات طعم كريه ، أما خمر الجنة فطعمها لذيذ ، وذلك لوصفها بأنها (لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ) ، وذلك فى قوله تعالى: {يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (45) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ} [الصافات: 45، 46].

رابعا: الإضرار بالجسم: قال تعالى عن خمر الجنة: {لَا فِيهَا غَوْلٌ} [الصافات: 47]. والغَوْلُ كلمة تعنى الإتلاف والإهلاك للإنسان أو لعامة الأشياء ، خاصةً إذا تم هذا الإهلاك دون

توقع.[135] وخمر الدنيا تضر الجسم بشدة ، ففى عام 2002م قدرت منظمة الصحة العالمية[136] أن 2.3 مليون شخص حول العالم قد ماتوا قبل الأوان بسبب الخمور. ويعدد هذا التقرير الآثار الضارة للكحول ، وهى تشمل الإصابة بارتفاع ضغط الدم ، وقصور الشريان التاجى، وفشل القلب ، واضطراب نبضاته ، وتليف الكبد ، وكذلك الإصابة بسرطان الفم والحلق والكبد والمرىء والقولون والثدى. ولاحظ معى روعة استخدام القرآن لكلمة (غول) التى تعنى الإهلاك فى خفية وعلى غير توقع ، وهى كلمة تنطبق تماما على الخمر ، فمن يتناول الخمر لا يموت فى الحال، ولكن الضرر يحدث بطريقة خفية تدريجية ، يغفل عنها الإنسان ، ولا يكتشفها إلا بعد سنوات عديدة لدرجة أن الناس عبر التاريخ لم يكونوا يدركون أن هذه الأمراض تحدث بسبب تعاطى الخمور.

خامسا: اللون: قال تعالى عن خمر الجنة أنها بيضاء: {بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ} [الصافات: 46]. ومعروف أن الخمر لها ألوان متعددة ، وأشهرها هو اللون الأحمر ، واختلاف اللون ينشأ من لون العنب المستخدم فى صناعتها ، وكذلك من طريقة الصناعة نفسها. ولون الخمر قد لا يكون أحمر تماما ، فقد يكون مائلا للون الروز أو الأصفر أو الرمادى أو البرتقالى أو الرمادى. وهناك خمر تسمى "الخمر البيضاء" ، لكن لونها فى الحقيقة ليس أبيض ، بل مجرد لون فاتح ، يتراوح بين لون القش الأصفر إلى الأصفر المخضر إلى الأصفر الذهبى.

واللون الأبيض الذى تتصف به خمر الجنة يرمز إلى الخير خلافا لخمر الدنيا ذات اللون الأحمر الذى يرمز للشر. اللون الأحمر هو لون الدم والنار ، وكلاهما شر ، ولهذا اتخذه الناس رمزا للخطر (كإشارة المرور الحمراء مثلا) ، وكناية عن الغضب (يقال عن الشخص الغاضب: احمر وجهه). واللون الأحمر يقترن فى الأذهان شرقا وغربا بلون الشيطان ، ولعلك سمعت فى الأفلام عبارة "ملك الجن الأحمر" أو شاهدت إعلانات شركة المحمول التى يظهر فيها جنى يرتدى ملابس حمراء؟ كما شاع استخدام اللون الأحمر كرمز للدعارة والأفعال غير الأخلاقية

---

[135]) الغَوْلُ كما يقول أهل اللغة هو: إهلاك الشيء من حيث لا يحسّ به، يقال: غَالَ يَغُولُ غَوْلًا، واغْتَالَهُ اغْتِيَالًا أى أَهلكه وأَخذه مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْر. والغُول: الْمَنِيَّةُ. واغْتَالَه: قَتَله غِيلة، أَي فِي خُفْية، وَقِيلَ: هُوَ أَن يخدَع الإنسان حَتَّى يَصِيرَ إِلى مَكَانٍ قَدِ اسْتَخْفَى لَهُ فِيهِ مَن يَقْتُلُهُ. ويقال: غَالَ مَالَ مُشْتَرِيهِ الَّذِي أَدَّاه فِي ثَمَنِهِ أَي أَتلفه وأَهلكه. يُقَالُ: غَالَه يَغُولُه واغْتاله أَي أَذهبه وأَهلكه. وكلُّ ما اغْتالَ الإنسانَ فأهلكه فهو غولٌ. يقال غالَتْهُ غولٌ، إذا وقع في مهلكة (انظر معجم "لسان العرب" ، و"الصحاح فى اللغة ، و"المفردات فى غريب القرآن").

[136]) **Harmful use of Alcohol: The solution**. World Health Organization, 2009. https://www.who.int/nmh/publications/fact_sheet_alcohol_en.pdf; accessed December 25, 2020.

عوما ، ومن قبيل هذا إطلاق مصطلح "أصحاب الرايات الحمر" على النساء اللاتى احترفن الدعارة فى الجاهلية. وفى الغرب المسيحى أيضا اقترن اللون الأحمر بالدعارة ، وقد عزاه البعض لآية من الكتاب المقدس ، تكلمت عن الزانية العظيمة (مدينة بابل): (وَالْمَرْأَةُ كَانَتْ مُتَسَرْبِلَةً بِأُرْجُوانٍ وَقِرْمِزٍ)[137]. ولذا تمتنع النساء الفضليات عن ارتداء الملابس الحمراء خارج البيت ، أما المرأة المتبرجة الجريئة ، فلا تخجل من لفت أنظار الرجال باللون الأحمر ، فاللون الأحمر فعلا أكثر لون يجعلك تلتفت إليه حتى لو لم تكن تحبه.

أما اللون الأبيض فهو رمز النقاء والصفاء والطهارة ، ولهذا شاع بين العامة وصف أهل الخير بأنهم أصحاب قلوب بيضاء. والطبيب الذى يحارب المرض يرتدى معطفا أبيض ، وفى الحج يلبس المؤمنون ثيابا بيضاء ، وفى السينيما تُصور الملائكة كمخلوقات ذات ملابس بيضاء ، ويظهر المسلمون فى المعارك مرتدين ثيابا بيض. وفى إحدى الآيات يخبرنا القرآن أن أهل الحق ستكون وجوههم بيضاء يوم القيامة: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (106) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [آل عمران: 106، 107]

وعلى ذلك فاختيار اللون الأبيض للون خمر الجنة يرمز إلى أنها شراب طيب نافع لا أثر فيه لمضار خمر الدنيا. **فى الجنة ستتحقق المعادلة الصعبة: خمر تخلق الشعور بالسعادة دون أن تدمر الجسد ، أو تُذهب العقل ، أو تُحول الإنسان إلى حيوان.** اللهم اسقنا من خمر الجنة. الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

21. السعادة فى السلام

من العجيب أن يحدق الإنسان فى السماء الصافية وقت الظهيرة ، فلا يرى الشمس. هذا بالضبط ما حدث لى ، فقد ظللت طوال تأليفى لهذا الكتاب غافلا عن أن السعادة فى الجنة يمكن أن تنشأ بسبب السلام. ولما أخذت أراجع ما كتبت للمرة الثانية انتبهت إلى أن التحية التى ستتردد فى

[137]) **الكتاب المقدس.** ترجمة فانדايك وسميث: سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى : الإصحاح 17

الجنة هى تحية السلام ، وقد وردت هذه التحية فى أكثر من آية فى القرآن. ويمكننا أن نصنف الحالات التى ستلقى فيها تحية السلام فى الآخرة إلى حالات أربع:

أولا: تحية السلام ستلقيها الملائكة على أهل الجنة: {وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (23) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} [الرعد: 23، 24]

ثانيا: تحية السلام سيلقيها الله تعالى على أهل الجنة: قال تعالى: {تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا} [الأحزاب: 44] ، وقال أيضا: {لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ (57) سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ} [يس: 57، 58]. وقوله (سلام قولا من رب رحيم) يعنى كما يقول الألوسى: "سلام يقال لهم قولاً من جهة رب رحيم ، أي يسلم عليهم من جهته تعالى بلا واسطة تعظيماً لهم"[138]

ثالثا: تحية السلام سيلقيها أهل الجنة على بعضهم البعض: قال تعالى:{دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ} [يونس: 10]. وقال: {وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ} [إبراهيم: 23]. ويجوز لنا أيضا أن نفهم من قوله (تحيتهم فيها سلام) فى هاتين الآيتين أن تحية السلام يلقيها الله تعالى أو ملائكته على أهل الجنة.

رابعا: تحية السلام سيلقيها أصحاب الأعراف على أهل الجنة: {وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ} [الأعراف: 46]

أخذت أفكر فى هذه التحية ، وفى إصرار القرآن على تكرارها ، فتذكرت آية أخرى تصف الجنة بدار السلام: {وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [يونس: 25]. اكتشفت فى هذه اللحظة أننى كنت كالأعمى ؛ إن السلام واحد من أكبر نعم الجنة على الإطلاق.

[138]) **تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** (37/12). تأليف شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي. تحقيق علي عبد الباري عطية. دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، 1415 هـ

"**السلام" كلمة جامعة تعبر عن غياب كل ألم وأذى**. وبما أن الألم قد يكون ماديا (أو بدنيا) أو نفسيا ، فكذلك **السلام فى الجنة قد يكون ماديا أو نفسيا. وأهم أسباب السلام المادى النجاة من عذب النار** ، وقد تكلمنا عنه من قبل.

ويشمل السلام المادى أيضا **السلامة من الأمراض** ، ففى الجنة لن يشعر أحد بالصداع أو ألم البطن أو صعوبة البلع أو صعوبة التنفس أو الكسور أو الحروق أو الشلل. إن الصحة هى الأمل الأعظم لملايين البشر ، فكل بيت لا يخلو من مريض أو اثنين. وفى كثير من الأحيان يلازم المرض الإنسان لسنوات طويلة. وبعض الناس يعانون من المرض منذ مولدهم حتى مماتهم مثل أولئك المصابين بالتشوهات الخلقية وضمور المخ وضمور العضلات ونقص المناعة وغيرها. وجزء كبير من موارد الأسر يُنفق على العلاج. وتعد الأوبئة من أكثر الأمراض إثارة للرعب. وقديما كان الطاعون والكوليرا والجدرى يحصدون أرواح آلاف مؤلفة فى البشر. وحتى بعد تقدم الطب ظلت الأوبئة تظهر من حين لآخر. وفى اللحظة التى أكتب فيها هذه السطور لا حديث للعالم إلا عن فيروس كورونا المستجد الذى لم تَنْجُ منه دولة من الدول. لقد أغلق الناس عليهم الأبواب ، وتم تخفيض العمالة فى الشركات ، وأغلقت المدارس والأندية والمقاهى وصالات الأفراح والمساجد. وجلس الناس فى بيوتهم يتابعون الفضائيات والفيسبوك واليوتيوب لمعرفة آخر تطورات المرض ، وهذ يظهر كيف أن المرض من أكثر الأشياء التى تخيف الناس ، وأنه لو اختفى من الوجود لعاش العالم فى سلام. وضع نفسك مكان إنسان مصاب بمرض مزمن فى القلب أو الرئة ، فقضى نصف حياته ، ولا عمل له إلا أن يحاول فى كل ثانية التقاط قليل من الهواء. لو كنت مكان هذا المريض ألن تكون فى غاية السعادة إن قيل لك أنك فى الجنة ستتنفس بشكل طبيعى حتى لو خلت الجنة من الطعام والشراب والنساء؟

ومن أهم أشكال السلام المادى فى الجنة **غياب الحروب** ، ويالها من نعمة**!** إن ملايين البشر فى كل مكان فى العالم ذاقوا ويلات الحروب كالقتل والبتر والتشوه والتشرد وهدم البيوت. الحرب أم الشرور. ويكفى أن نعلم أن إلقاء القنبلة النووية على مدينة هيروشيما تسبب فى موت 140-200 ألف شخص من مجموع تعداد السكان البالغ 350 ألف نسمة (80 ألفا منهم ماتوا فى الحال). كما مات 74 ألف شخص إثر إلقاء القنبلة الثانية على مدينة نجازاكى (40 ألفا منهم

ماتوا فى الحال). وقد أعقب الانفجار وفاة مزيد من عشرات الآلاف بسبب التسمم بالإشعاعات النووية[139]. وإذا نظرنا إلى الحرب العالمية الثانية لوجدنا أنها تسببت فى مقتل عدد يتراوح بين 35 إلى 60 مليون شخص ، هذا غير الجرحى والمعوقين. كما أن دولة مثل بولندا تناقص عدد سكانها بمقدار 20% مقارنة بما قبل الحرب ، وخسرت كل من يوغوسلافيا والاتحاد السوفيتى 10% من سكانهما ، وخسرت ألمانيا أقل من ذلك بقليل[140]. أما الحرب العالمية الأولى فأدت إلى وفاة 8.5 مليون جندى[141]. ولقد عاصرنا عام 1994م مذابح رواندا حين قامت الأغلبية من الهوتو بمذبحة منظمة أودت بحياة مليون من أقلية التوتسى فى خلال مائة يوم فقط[142]. كما شاهدنا جميعا بالصوت والصورة كيف دُمر بلد كامل اسمه سوريا فى خضم ثورة الشعب على بشار الأسد ، الذى حول المدن الكبرى إلى أنقاض ، تسكنها الأشباح ، وفر مئات الآلاف من المدنيين ، ليعيشوا كلاجئين يتسولون الطعام والغطاء. وكلنا نذكر كيف تحول العراق ذلك البلد الكبير إلى دولة مفككة ، لا يتوقف فيه سماع دوى الانفجارات ، وذلك عقب الغزو الأمريكى المشئوم. ولا يمكن لمسلم أن ينسى مذابح البوسنة ، وعلى رأسها مذبحة سربرنيتشيا التى قتل فيها الصرب 8000 مسلم تحت سمع قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة وبصرها. وقد أزالت الجرافات آلاف الجثث ، وألقى بها فى قبور جماعية ، كما دفن بعض المسلمين أحياء ، وأجبر آخرون على مشاهدة أطفالهم وهم يقتلون ، إضافة إلى اغتصاب عشرات الآلاف من المسلمات[143].

وأهون أضرار الحرب الحديثة هى الخسارة الاقتصادية ، ويا لها من خسارة! فيكفى أن نتذكر كيف أوشكت مصر على الإفلاس بسبب حربها على أرض اليمن، وكيف أنفقت أمريكا تريليونات الدولارات على غزو العراق.

---

139) **How Many People Died in Hiroshima and Nagasaki?** By Seren Morris. NEWS WEEK. On 3 August, 2020. HTTPS://WWW.NEWSWEEK.COM/HOW-MANY-PEOPLE-DIED-HIROSHIMA-NAGASAKI-JAPAN-SECOND-WORLD-WAR-1522276 ; accessed January 13, 2021.

140) **World War II**. By John Graham Royde-Smith and Thomas A. Hughes. Encyclopædia Britannica. Date published: September 10, 2020. https://www.britannica.com/event/World-War-II. Access date: January 13, 2021

141) **World War I**. By John Graham Royde-Smith and Dennis E. Showalter. Encyclopædia Britannica. Date published: November 02, 2020. https://www.britannica.com/event/World-War-I; access date: January 13, 2021

142) **Rwanda Marks 25 Years Since the Genocide. The Country Is Still Grappling With Its Legacy**. By Alan Cowell. The New York Times. April 6, 2019. https://www.nytimes.com/2019/04/06/world/africa/rwanda-genocide-25-years.html ; accessed January 13, 2021.

143) **Bosnia's Srebrenica massacre 25 years on - in pictures.** BBC NEWS. Published 10 July 2020. https://www.bbc.com/news/world-europe-53346759

وإن توغلنا أكثر فى الماضى لما وسعتنا آلاف الصفحات ، ومع ذلك ففى غارات المغول ما يفى بالغرض. يقول ويل ديورانت عن جنكيز خان وخلفائه[144]:

[فلما بلغ الثالثة عشرة من عمره أخذ يؤلف بين قبائل المغول ويجمعها تحت لوائه، **واتخذ الإرهاب وسيلة** إلى هذا الجمع، **فكان يصلب الأسرى على حمير من الخشب، أو يقطعهم إرباً، أو يقلي أجسامهم في القدور، أو يسلخ جلودهم وهم أحياء**. ولما تلقى من إمبراطور الصين تنج دزونج رسالة يدعوه فيها للخضوع بصق في اتجاه عرش التنين، وبدأ من فوره حملته مجتازاً ألفاً ومائتين من الأميال في قلب صحراء جوبي، وهجم على ولايات الصين الغربية، **ودمر من مدائنها تسعين مدينة سواها بالأرض** حتى يستطيع الفرسان أن يسيروا فوق الأراضي المخربة في الظلام دون أن تعثر خيولهم. **وظل "عاهل العالم" خمس سنين كاملة يخرب في بلاد الصين الشمالية**. ..... وثبت أحد حكام الصين في جويتنج – فو وصمد للحصار حتى **قتل المحاصرون كل من كان في المدينة من الشيوخ والعاجزين وأكلوا لحومهم، وهلك جميع القادرين على القتال** ولم يبق لحراسة الأسوار إلا النساء، ثم **أشعل النار في المدينة** واحترق هو نفسه في قصره. واجتاحت جيوش كوبلاي بلاد الصين حتى وقفت أمام كنتون آخر ملجأ لجأت إليه أسرة سونج الحاكمة. فلما عجزت الجيوش الصينية عن المقاومة حمل لوشي يوفو القائد الصيني الإمبراطور الغلام على ظهره وألقى به وبنفسه في البحر فماتا معاً. ويقال إن **مائة ألف من الصينيين آثروا الموت غرقاً على التسليم للفاتح المغولي**].

وتكلم ويل ديورانت عن اجتياح المغول للعالم الإسلامى ، فقال[145]:

[وهزم جيش من المغول بقادة جوجي ابن الخان جيش محمد البالغ أربعمائة ألف جندي عند جند، وفر الشاه على أثر هذه الهزيمة إلى سمرقند **وترك 160,000 من رجاله قتلى** في ساحة الوغى. وتقدم جيش مغولى آخر بقيادة ابن ججتان ابن الخان نحو أترار

144) **قصة الحضارة** (4/ 223). تأليف ويل ديورانت. تقديم الدكتور محيي الدّين صَابر. ترجمة الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين. دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس. 1408 هـ - 1988 م

145) **قصة الحضارة** (13/ 378)

واستولى عليها ونهبها، وسار جيش ثالث بقيادة الخان نفسه إلى **بخارى وحرقها عن آخرها. وسبى آلافاً من نسائها، وذبح ثلاثين ألفاً من رجالها**. واستسلمت له سمرقند وبلخ حين وصل إلى أبوابها ، ولكنهما لم تنجوا من النهب والمذاب العامة. **وزار ابن بطوطة هذه المدن بعد مائة عام من ذلك الوقت فوصفها بأن أكثره لا يزال خرائب ينعق فيها البوم**. وزحف تولوي بن جنكيز خان بجيش يبلغ سبعين ألفاً اخترق به خراسان **وخرب كل ما مر به من المدن. وكان المغول يضعون الأسرى في مقدمة جيوشهم ويخيرونهم بين قتال مواطنيهم–من أمامهم أو قتلهم من خلفهم**. وفتحت مرو خيانة **وأحرقت عن آخرها**، ودمرت في اللهب مكتبتها التي كانت مفخرة الإسلام، وسمح لأهلها بأن يخرجوا من أبوابها يحملون معهم كنوزهم، ولكنهم لم يخرجوا على هذا النحو إلا ليقتلوا وينهبوا فرادى. ويؤكد لنا المؤرخون المسلمون أن **هذه المذابح استمرت ثلاثة عشر يوماً هلك فيها. 1,300,000 نسمة**. وقاومت نيسابور الغزاة ببسالة زمناً طويلاً، فلما استسلمت آخر الأمر **قتل كل من فيها من الرجال، والنساء، والأطفال**، ما عدا أربعمائة من مهرة الصناع أرسلوا إلى منغوليا، **وكومت رؤوس القتلى في كومة مروعة؛** وخربت كذلك مدينة الري الجميلة **ومساجدها البالغ عددها ثلاثة آلاف**، وما كان فيها من مصانع الفخار الذائعة الصيت، **وقتل أهلها عن أخرهم** كما يقول أحد المؤرخين المسلمين. وجمع ابن الشاة محمد جيشاً جديداً من الأتراك وحارب به جيش جنكيز خان عند نهر السند ولكنه هزم وفر إلى دلهي. ولما خرجت هراة على واليها المغولي **كان جزاؤها ذبح ستين ألفاً من أهلها**. لقد **كانت هذه الوحشية جزءاً من علوم الحرب عند المغول، وكانوا يقصدون بها شل قوى أعدائهم** بما يقذفونه من الرعب في قلوبهم، وإرهاب المغلوبين على أمرهم حتى لا يفكرون في الخروج عليهم. ونجحت هذه الخطة.]

كانت هذه ويلات الحروب التى لم ينج منها بلد من البلدان ، فما أحلى حياة الجنة التى يعم فيها السلام!

ومن أسباب السلام المادى فى الجنة **غياب الكوارث الطبيعية كالزلازل والبراكين والفيضانات والأعاصير والصواعق والمطر الغزير**. وهذه الكوارث تسبب دمارا واسع النطاق ، وتودى بحياة

الملايين فى لحظات. ولعل بعضنا يتذكر الزلزال المدمر الذى ضرب مصر بشكل مفاجىء فى التسعينات. وكثيرون أيضا يعرفون **موجات تسونامى** الرهيبة ، وهى موجات عاتية تنشأ فى المحيطات إثر حدوث زلزال أو انهيار أرضى أو انفجار بركان تحت سطح المياه. وهذه الموجات يبلغ ارتفعها فى بعض الأحيان 30 مترا فوق مستوى سطح البحر المعتاد ، فتغرق المياه السواحل ، وتقتلع الأشجار ، وتسقط المبانى ، وتزيح السيارات. وأشد موجات تسونامى فى التاريخ هى تلك التى حدثت فى جزيرة سومطرة الإندونيسية عام 2004م ، والتى تسببت فى وفاة 200 ألف شخص[146].

ومن أسباب السلام المادى فى الجنة أيضا **اختفاء الحوادث كالحرائق وحوادث السيارات والغرق والسقوط من الأماكن العالية** ، وضحاياها يقدرون بالملايين كل عام.

أما **السلام النفسى** فهو يشمل غياب كل أمراض العصر التى يئن الناس تحت وطأتها كالقلق والخوف والاكتئاب والوسواس القهرى والفصام. ولا حاجة بنا للكلام عن هذه الأدواء النفسية التى لا يخلو منها بيت. وقد تكلمنا فى فصول سابقة عن خلو الجنة من الحقد والحسد والملل والخوف وغيرها. وكلمة السلام تضم كل هذا ، لكنها بلا شك أوسع وأشمل.

ولكن لماذا اختار الله تعالى تحية السلام فى الجنة؟ لماذا لم تكن التحية بلفظ آخر مثل: (النعمة عليكم) أو (السعادة عليكم)؟

هناك فى رأينا عدة أسباب:

أولا: كثير من حالات اللهو واللعب والمتعة يصاحبها مخاطر هائلة. **وفى أحيان كثيرة يحجم الإنسان عن الاستمتاع بمباهج الحياة خوفا من العواقب الوخيمة المحتملة.** مثلا فى بعض مدن الخليج العربى يجلس الناس فى الحدائق العامة ، وهم فى خوف من ظهور عقرب أو ثعبان فجأة من وسط الحشائش. وسمعنا مرات عديدة عن شباب غرقوا أو أصيبوا بالشلل أثناء ممارسة هواية السباحة. والسفر فى مركب وسط البحر يجلب للنفس المتعة والراحة ، لكن المركب قد يتعرض للغرق. والتحليق فى الجو بالطائرة وسط السحاب شىء ممتع جدا ، لكن الطائرة قد

---

[146]) **Tsunami**. By the editors of Encyclopaedia Britannica. Date published: October 29, 2020. https://www.britannica.com/science/tsunami; accessed January 13, 2021

تسقط على الأرض فى أى لحظة. ورياضة تسلق الجبال يصاحبها خطر السقوط من ارتفاعات شاهقة ، وقد جربت هذا بنفسى حين صعدت على جبل موسى ليلا ، فكانت تجربة ممتعة ومرعبة فى نفس الوقت ، وخاف كثيرون من الوصول إلى قمة الجبل خوفا من السقوط على الأرض ، فعادوا إلى السفح. واللعب فى مدن الملاهى الحديثة ممتع ومرعب ، وكلما زادت إثارة اللعبة زادت صرخات الخوف من اللاعبين. ولعب كرة القدم يصاحبه خطر إصابات الملاعب. وكم سمعنا عن شباب تسابقوا بالسيارات على سبيل اللهو ، فماتوا شر موتة. وفى سن الطفولة كنا نحب السير ليلا فى الجو اللطيف فى فصل الصيف على الطريق الزراعى ، لكن كنا نخاف من التوغل بعيدا عن القرية خوفا من اللصوص والكلاب والعفاريت. وأى زوجين يسافران للتنزه مع أطفالهما الصغار يشعران بالقلق خوفا من أن يجرى أحد الأولاد فجأة ، فيضل فى بلد غريب. وقد يحجم الإنسان عن تناول أنواع معينة من الطعام خوفا من ظهور أعراض التحسس التى قد تؤدى للوفاة. ومرضى الضغط والقلب والسكر يحرمون من بعض الأطعمة كالملح والسكريات والدهون.

وبسبب هذا الخوف الذى لا ينفك عن طبيعة اللذة كان لا بد من بث فكرة السلام بين أهل الجنة حتى لا يُفسد الخوف استمتاعهم بنعم الله ، فالجنة مكان يجب ألا يكون للخوف فيه وجود. ولا خلاف على أن **دفع الضرر مقدم على جلب النفع**. وأغلب الناس يحرصون على تفادى الألم والشقاء حتى لو لم يعيشوا فى غنى ورفاهية.

ثانيا: فُطرت النفس البشرية على الخوف من المستقبل ، **وربما راود أهل الجنة هواجس بشأن احتمال نفاد نعيم الجنة وثمارها ، أو لاحتمال أن يغضب الله تعالى عليهم** لأنهم لم يشكروه كما ينبغى على نعم الجنة ، وانشغلوا بما فيها من لهو ولعب. ولهذا كان لا بد من بث الطمأنينة فى نفوسهم من خلال كلمة (السلام) التى تنفى حدوث أى مكروه فى المستقبل.

ثالثا: لفظ السلام يُذكر أهل الجنة بنقيضه ، أى بعذاب الكفار فى النار ، وبآلام الدنيا وما فيها من حرمان. وتذكر أهل الجنة لهذه الآلام سيجعلهم أكثر إحساسا بالنعمة ، فالضد يبرز حسنه الضد. إن الإنسان فى كثير من الأحيان لا يحس بما لديه من نعمة إلا إذا قارنها بنقيضها ، فأغلبنا لا يشعر بنعمة الصحة إلا إذا مرض صديقه ، ولا يشعر بنعمة الأولاد إلا إذا رأى زوجا

عقيما ، ولا يشعر بنعمة المسكن إلا إذا رأى بيتا سقط ، وجلس أهله فى الشارع. وعلى ذلك **فتحية السلام تهدف لتضخيم إحساس أهل الجنة بما هم فيه من نعمة ، وهذا يزيدهم رضا على رضا ، وسعادة على سعادة.** ومما يؤكد لى ذلك صحة هذه الفكرة أننى فعلا لم أنتبه مطلقا لنعمة السلام طوال إعدادى لهذا الكتاب. لقد حاولت حصر كل أشكال النعم النفسية والمادية فى الجنة ، ولما ظننت أننى انتهيت إذا بى أكتشف نعمة السلام التى هى بحق واحدة من أهم نعم الجنة إن لم تكن أهمها. والحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

22. سعادة آينشتين

هناك أسباب كثيرة تجعل كل الناس يحبون الجنة ، لكن لدىَّ سبب غريب يزيدنى شوقا إليها: إنه الفضول والرغبة فى المعرفة.

لقد أمضى آينشتين سنواته الأخيرة فى الدنيا محاولا البحث عن نظرية توحد قوانين الكون ، وتفسر حركات الذرات وحركات النجوم ، لكنه مات دون أن يحقق شيئا. وآينشتين ليس الأول ولا الأخير ، فإنك لو سألت ستيفن هوكنج أو روجر بنروز أو سوسكيند: "ما أسعد يوم فى حياتك؟" لأجابوا أنه اليوم الذى يكتشفون فيه " نظرية كل شيء" Theory of Everything ، أى النظرية التى توحد النسبية العامة بميكانيكا الكم ، وتربط كل قوى الطبيعة الأساسية.

ونفس الشيء ينطبق على العلماء فى كافة المجالات ، فكم من مؤرخ أضاع عمره ، وهو يتجول بين المكتبات ، وينقب فى المخطوطات ، ويقلب فى الوثائق كى يخرج فى النهاية ببضعة نتائج، تلقى الضوء على زاوية واحدة من زوايا التاريخ ، لكن يبقى التاريخ فى القسم الأكبر منه مثقلا بالألغاز التى لا سبيل إلى حلها.

ودارسو الفلسفة على وجه الخصوص يشعرون أنهم غرقى فى بحر لجى بلا شطآن ، وستكون سعادتهم بالغة لو عثروا على إجابات على أسئلتهم التى لا تنتهى ، وعرفوا أى المذاهب والأفكار الفلسفية هو الصحيح.

ومن يتابع عالم السياسة المعاصر سيكون فى غاية السعادة لو علم بكل ما يدبَّر فى الغرف المغلقة ، وكل ما يحاك فى الأروقة السياسية ، وكل ما ترتبه القوى الخفية التى تحكم العالم.

ونفس الشيء ينطبق على علماء الكيمياء والأحياء والطب وغيرهم. كل هؤلاء – وما أكثرهم– سيسعدون فى الجنة حين تنكشف كل الأسرار. وإذا كنا سنرى الجن والملائكة فى الآخرة فمن البديهى أن نعرف الغيبيات الأدنى كطبيعة النفس وقوانين الفيزياء. وخفايا العلوم الإنسانية كالتاريخ والسياسة ستكتشف حتما حين يخرج الله كل الأسرار ، ويفضح كل الجرائم التى ارتكبها البشر فى الخفاء. وعلوم الفلسفة والتربية والأخلاق وما شابهها ستحسم قضاياها الغامضة هى الأخرى من خلال حوار الله مع الناس ، وتفريقه بين الحق والباطل.

وإذا أحب أحد العلماء فى الجنة أن يعرف شيئا مما كان يهتم بدراسته فى الدنيا فلن يحرمه الله تعالى من معرفته ، فهذا يندرج تحت قوله تعالى: {لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ} [الزمر: 34] ، وقال تعالى عن أهل الجنة: {وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ} [يس: 57] ، أى سيجيب الله تعالى لهم كل ما يدعون به ، وهذا يتضمن تلبية رغبة من أراد معرفة ما كان خافيا عليه فى الدنيا. أبشروا أيها العلماء فسعادتكم بالبحث العلمى ستكتمل يوم القيامة ، لكن المعرفة لن تجلب لكم السعادة إلا إذا دخلتم الجنة ، فهناك سيتاح لكم ترف التأمل ، أما إن دخلتم النار ، فسيزيدكم العلم شقاء على شقاء. اللهم إنا نسألك علما فى نعيم ، لا علما فى عذاب. الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

23. السعادة الروحية الكبرى

ونختم حديثنا بالكلام عن أعظم متعة روحية يمكن أن يلاقيها المؤمن فى الجنة: إنها الفوز برضا الله ورؤية وجهه الكريم. وهذه فى الحقيقة متعتان لا متعة واحدة ، ولكنهما مرتبطان بشدة.

إننى أندهش كيف يزعم أعداء الإسلام أنهم قد درسوا كل كلمة وكل حرف فى القرآن ، ورغم ذلك لم يلفت نظرهم قول المولى عز وجل: {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [المائدة: 119]. إن **هذه الآية تعتبر أن الفوز الأعظم فى الآخرة ليس هو الطعام ولا الشراب ولا الحور الحين ، ولكنه رضا الله.**

اقرأوا أيضا كلام القرآن عن رضوان الله: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (14) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} [آل عمران: 14، 15]. **ألم يقرأ أعداء الإسلام تلك الآية الأخيرة ، ويلاحظوا أن رضا الله عن المؤمن خير من كل المتع الحسية** كالنساء والبنين والذهب والفضة والأنعام والزروع؟

إن من يحب إنسانا فهو يفرح كثيرا حين يعلم أنه راض عنه. وكم من شباب تنافسوا لنيل رضا فتاة ، وكم من بنت تنافست مع إخوتها على حب أمها. وبالمثل سيفرح المؤمنون يوم القيامة إذا ما علموا أن الله تعالى راض عنهم. وبشكل عام فكل إنسان يفرح إن رأى أمارات الرضا والإعجاب على وجوه الآخرين حتى لو لم يكن يبادلهم حبا بحب.

وإذا كنا نسعد برضا من نحب، فإن **السعادة تتضاعف كلما ارتفع قدر الشخص الذى يرضى عنا.** وفى فترة الصبا كنت أفرح إن رآنى أحد لاعبى فريق كرة القدم بالقرية ، وأنا ألعب الكرة باحتراف، لكن أحلام اليقظة جعلتنى أتخيل يوما أن لاعب الكرة الشهير محمود الخطيب رآنى ، وانبهر بموهبتى ، فزادت سعادتى فى هذه اللحظة أضعافا مضاعفة[147]. وبالمثل سيفرح المؤمن **يوم القيامة إذا علم أن ملك الكون كله قد أبدى إعجابا بأعماله.** وهذه السعادة لا تقتصر على الرهبان والزاهدين الذين كانوا يعبدون الله تعالى لأنهم يعشقونه ، ولكنها ستشمل **حتى أولئك الذين عبدوه خوفا من ناره وطمعا فى جنته.** وتصور أن كل جبابرة العالم من إنس وجن وملائكة ووحوش وسباع وقفوا منكسى الرءوس أمام شخص واحد. تخيل منظر هتلر وموسولينى وجنكيزخان وترامب وشارون وبوش ولينين وستالين وهولاكو وفرعون ونيرون وقد وقفوا كالعبيد أمام الله فى صمت رهيب انتظارا لقرار مصيرى يحدد مستقبلهم إلى الأبد. **تصور أن هذا الإله الجبار فجأة نادى عليك ليحاسبك ، ثم بدأ يكلمك بطريقة لطيفة ، ويمدح أعمالك الصالحة التى عملتها فى الدنيا ، ثم أصدر قراره بدخولك الجنة!** يا لها من لحظة رائعة وشرف لا يوصف!

وإذا تكلمت عن نفسى قلت أن من أكثر الآيات التى أثرت فىَّ عبر سنوات طويلة قول الله عز وجل: **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا}** [مريم: 96]. إننى أتخيل

---

[147]) فى فترة الصبا كنت شغوفا بكرة القدم ، لكن اليوم أرى أن متابعتها والاهتمام بها حماقة ، وشغل للناس عن قضايا الأمة. كما أن كرة القدم تشعل الأحقاد بين المسلمين. والتعصب لفريق بعينه وحبه بجنون يخالف تعاليم الإسلام التى تفرض على المسلمين التواد والتراحم. كما أن عرقلة اللاعبين لبعضهم أثناء اللعب حرام لا شك فيه. نحن بحاجة لصبغ كرة القدم بصبغة إسلامية.

نفسى واقفا أمام الله يوم القيامة ، وأنا خائف من الحساب ، فأفاجأ به عز وجل يكلمنى بود وعطف جزاءً على حسن بلائى فى الدنيا. يا لها من لحظة رائعة! ولهذا صرت أدعو الله قائلا: "اللهم اجعل لى ودا". ورغم أن هذه الآية انطبعت فى قلبى منذ سنوات طويلة إلا أننى نسيتها تماما وأنا أؤلف هذا الكتاب إلى أن ألقاها الله تعالى على بالى ، فانتبهت إلى أنها دليل على وجود الثواب النفسى فى الجنة. فالحمد لله على نعمته.

وإضافة إلى ذلك **فنحن نسعد غاية السعادة بمجرد رؤية المشاهير ولقائهم حتى لو لم يُظهروا الرضا عنا والمدح لنا.** وكم من رجل يتمنى أن تلتقط له صورة مع ممثل أو لاعب كرة معروف. وكم من صحفى أمل حياته أن يلتقى برئيس أمريكا. ولما حضر نفر من أهالى قريتنا حفل عيد الفلاح وشاهدوا الرئيس مبارك عيانا كانت رؤيتهم له حديث كل الناس فى القرية رغم رغم أنهم لم يكونوا يحبون مبارك أو يكرهونه ، وكل ما هنالك أنه شخصية مشهورة. وكان أحد زملائنا يتباهى بأنه رأى إحدى الممثلات المشهورات فى الشارع وسلم عليها. وحتى كبار المثقفين لا يشذون عن هذه القاعدة، وقد كتب بعضهم بكل اعتزاز عن لقاء له مع الفيلسوف الفرنسى سارتر أثناء زيارته لمصر. ولما زار الفيلسوف دريدا مصر تصدر خبر زيارته عناوين المجلات الثقافية ، وظل بعض كبار المثقفين يحملون لسنوات ذكريات سعيدة عن هذا اللقاء. ولنفس السبب **ستكون فرحة المؤمنين برؤية الله عز وجل يوم القيامة لا توصف ، فالله تعالى هو أشهر شخصية فى الوجود ، وسيتبرأ كل الناس من الممثلين والمطربين ولاعبى الكرة والرؤساء والعلماء.**

أعرف أن كثيرا من الناس لا يدركون حجم السعادة الروحية الناشئة عن لقاء الله ، والسبب فى ذلك أن انبهار الإنسان فى الدنيا بنور الله أمر لا يتيسر للكثيرين لأنه يتطلب صفاء الروح. وأذكر حلقة من برنامج العلم والإيمان للدكتور مصطفى محمود ، تعرض فيها لقوله تعالى: {وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا} [الزمر: 69]. سمعت هذه الحلقة منذ أكثر من ثلاثين عاما ، ولا زلت أذكر كيف كان تأثر مصطفى محمود بهذه الآية عظيما وصادقا بطريقة لم أرها من قبل، ولكن وقتها لم أفهم لماذا تأثر الرجل بهذا الشكل الغريب بآية أقرأها مرارا دون أن ألحظ فيها أى جديد. وظللت لا أذكر من هذه الحلقة إلا هذا المشهد المؤثر. ولما كبرت واتسعت مداركى ،

وبدأت أتخيل ماذا عساه يكون نور الله الذى يغمر الأرض يوم القيامة ببهائه أيقنت كم كان مصطفى محمود على حق. اللهم لا تحرمنا من نورك جلالك.

والله عز وجل يتصف بالجمال لقول رسول الله عليه الصلاة والسلام: "إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ" رواه مسلم. وجمال الله سيعود على المؤمنين الذين ينظرون لوجهه الكريم يوم القيامة بمتعة لا توصف. إنه جمال أعظم من أى جمال رأيناه فى الدنيا.

ولا شك أن **أحد أوجه جمال الله ذو طابع ذاتى ، بمعنى أنه ينبع من وجود صلة وثيقة بين الجمال والخير** ، فمن الملاحظ أن أصحاب النفوس السوية يرتاحون إذا نظروا لوجوه أهل التقوى والبر ، ويرونها فى غاية الجمال. ولقد لاحظت يوما بالعكس أن بعض مشاهير الملحدين يتمتعون بدرجة كبيرة من الوسامة (مثل ريتشارد دوكينز وسام هاريس) ، ولكننى لما دققت اكتشفت فيهم قبحا خفيا ، ولا أبالغ إذا قلت أننى رأيت على وجوههم ملامح شياطين بالمعنى الحرفى للكلمة. وعلى ذلك فأهل الجنة سيسعدون يوم القيامة **برؤية وجه الله الكريم لأنه فى نظرهم الخير المطلق:** {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } [القيامة: 22، 23].

وهكذا وصلنا إلى قمة المتع الروحية التى تنتظر أهل الجنة. وكما رأيتم كانت الرحلة طويلة ، ومليئة بالمحطات. لقد تم بحمد الله نسف مقولة أن جنة الإسلام مكان للذة الحسية والعذاب الحسى فقط رغم تأكيدنا أن المتع الحسية ليست شيئا يوجب الخجل ، بل إن غيابها يتنافى مع الأخلاق.

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

ليست فقط جنة الحور العين

من أسوأ مظاهر الجهل التى ابتلى بها أعداء الإسلام سخريتهم من المسلم الذى يجاهد بنفسه فى سبيل الله ، فتراهم يضحكون –كما قلنا– على هذا الأحمق الذى أضاع حياته كى يفوز بالزواج من اثنتين وسبعين من الحور العين. ونحن نؤكد أن الشهيد ليس أحمق، ولكن أعداء الإسلام هم الذين غرقوا فى السطحية واتبعوا رأى القطيع. وسنقوم الآن بتقديم مفاجأة تصيبهم بالدوار ، وتسقطهم صرعى بإذن الله: **المتع الحسية فى الجنة كثيرة ، ولا تقتصر فقط على الحور العين:**

1. متعة الطعام

الجنة مليئة بمختلف أصناف الطعام والشراب ، ومن قبيل ذلك قوله تعالى: {وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (20) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ} [الواقعة: 20، 21]. ومن يقرأ القرآن فلا بد أن يلاحظ أنه تكلم عما فى الجنة من طعام وشراب أكثر مما تكلم عن النساء الجميلات ، وهذا يسفه ما تلوكه ألسنة الملحدين من كلام ردىء عن الحور العين.

2. متعة الجو المعتدل

أخبرنا القرآن أن جو الجنة معتدل ، فلا حرارة فيها ولا برودة: {لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا} [الإنسان: 13]. والزمهرير هو البرد الشديد. وأخبرنا القرآن أيضا أن الجنة فيها الظلال الممتدة التى تحجب الحرارة: {وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا} [النساء: 57] ، وقال تعالى أيضا: {وَظِلٍّ مَمْدُودٍ} [الواقعة: 30]. فلماذا يتجاهل أعداء الإسلام جو الجنة المعتدل ، ويذكرون فقط الحور العين مع أن اعتدال الجو أمر حسى؟ إن ملايين الفقراء يتعذبون من الحر الشديد فى الصيف ، وملايين اللاجئين يتجمدون من البرد فى الشتاء ، والجنة تحقق لكل هؤلاء ما حرموا منه فى الدنيا ، فهل هذه النعمة الحسية حقيرة؟

3. متعة الشباب والجمال

فى الجنة ستكون كل امرأة فى قمة الجمال والشباب بعد أن يعيد الله عز وجل خلق جسدها من جديد فى أحسن صورة لتكون بكرا جذابة. قال تعالى: {إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (35) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا

(36) عُرُبًا أَتْرَابًا} [الواقعة: 35 – 37]. وكلمة (عُرُبا) جمع (عروب). والعروب هى المرأة التى تتحبب إلى زوجها ، وتفصح له عن حبها، وهى مأخوذة من فعل (أعرب) ، أى أفصح وأبان وأوضح[148]. ولا شك أن الرجل يشعر بالسعادة حين تعرب له المرأة عن حبها ، وتفصح له عن إعجابها به وبأعماله. وكلمة (عربا) قد يقصد بها أيضا الإشارة إلى تمتع نساء الجنة بحسن المنطق والبلاغة. وكثير من الرجال يعجبهم فى المرأة طريقتها فى الكلام وقدرتها على التحدث بطلاقة وعرض أفكارها بلباقة. وَعَنْ عِكْرِمَةَ وَقَتَادَةَ: (الْعُرُبُ) هن الْمُتَحَبِّبَاتُ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ، وَاشْتِقَاقُهُ مِنْ أَعْرَبَ إِذَا بَيَّنَ، فَالْعَرُوبُ تُبَيِّنُ مَحَبَّتَهَا لِزَوْجِهَا بِشَكْلٍ وَغُنْجٍ وَحُسْنِ كَلَامٍ (انظر تفسير القرطبى).

وفَهْمنا لهذه الآية على أنها تشير إلى إعادة خلق الله تعالى للنساء على هيئة الشباب يستند إلى رواية للحسن تقول: أَتَتْ عَجُوزٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ. فَقَالَ: (يَا أُمَّ فُلَانٍ إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تَدْخُلُهَا عَجُوزٌ) . قَالَ: فَوَلَّتْ تَبْكِي. فَقَالَ: (أَخْبِرُوهَا أَنَّهَا لَا تَدْخُلُهَا وَهِيَ عَجُوزٌ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً. فَجَعَلْنَاهُنَّ أبكارا. عربا أترابا)[149]. وروى الطبرانى عن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَتْهُ عَجُوزٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ: «إِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا عَجُوزٌ» ، فَذَهَبَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَلَّى، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عَائِشَةَ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ كَلِمَتِكَ مَشَقَّةً وَشِدَّةً، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَدْخَلَهُنَّ الْجَنَّةَ حَوَّلَهُنَّ أَبْكَارًا»[150]

وروى البيهقى عن مجاهد عن عَائِشَةَ، قالت: دَخَلَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – على عَائِشَةَ، وعِنْدَها عَجُوزٌ فقال: «مَنْ هَذِه؟ قَالَت: إحدى خَالَاتِي، قال: أَمَا إِنَّهُ لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ العُجز، فَدَخَل العَجُوزَ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ، فقال النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم –: إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ خَلْقًا آخَر

---

148) تقول المعاجم أن قولهم: أعرب بحجَّتِهِ، أي أفصح بها ولم يتّق أحدا. وفي الحديث: " الثيِّب تعرب عن نفسها " أي تُفصِح. والإِعْرابُ والتَّعْريبُ مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ، وَهُوَ الإِبانةُ، يُقَالُ: أَعْرَبَ عَنْهُ لِسانهُ وعَرَّبَ أَي أَبانَ وأَفصَحَ. وأَعْرَبَ عَنِ الرَّجل: بَيَّنَ عَنْهُ. وعَرَّبَ عَنْهُ: تَكَلَّمَ بِحُجَّتِه. وقد سُمِّيَ الإعراب إعراباً، لِتَبْيِينِهِ وإيضاحه، وفى الْحَدِيثُ: فإنما كَانَ يُعْربُ عَمَّا فِي قَلْبِهِ لِسَانُهُ (انظر "الصحاح" للجوهرى وكذلك "لسان العرب" لابن منظور)

149) حديث حسن. انظر: **مختصر الشمائل المحمدية** (ص: 128) للترمذى. المكتبة الإسلامية - عمان – الأردن. اختصره وحققه محمد ناصر الدين الألباني

150) **المعجم الأوسط للطبرانى**. وسند هذا الحديث ضعيف ، ففيه مَسْعَدَةُ بْنُ الْيَسَعِ الذى وصفه ابن حجر بأنه: "هالك". وكذبه أبو داود. وقال أحمد بن حنبل: خرقنا حديثه منذ دهر. وقال محمود بن غيلان: أسقطه أحمد، وَابن مَعِين وأبو خيثمة. انظر: **لسان الميزان** (8/ 40) لابن حجر العسقلاني. تحقيق عبد الفتاح أبو غدة. دار البشائر الإسلامية. الطبعة الأولى، 2002 م.

يُحْشَرُونَ يَومَ القِيَامَة حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، وأَوَّلُ مَن يُكْسَى إبراهيمُ خَلِيلُ الرَّحْمَن، ثم قرأ النبيُّ صلى الله عليه وسلم: {إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً} [الواقعة 35].»[151]

وفى رواية أخرى عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: (إنا أنشأناهن إنشاء): "إن من المنشآت اللائي كن في الدنيا عجائز عُمْشا رُمْصا"[152].وبخصوص قوله (عمشا رمصا): الأَعْمَشُ هو الْفَاسِدُ الْعَيْنِ الذي تَغْسِقُ عَيْنَاهُ، وَمِثْلُهُ الأَرْمَصُ.

ورُوى عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ما يفيد أن جمال المؤمنات فى الجنة سيكون أعظم من جمال الحور العين: قَالَتْ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِهِ: {عُرُبًا أَتْرَابًا} [الواقعة: 37] ، قَالَ: «هُنَّ اللَّوَاتِي قُبِضْنَ فِي دَارِ الدُّنْيَا عَجَائِزَ رَمْضَاءَ شَمْطَاءَ خَلَقَهُنَّ اللهُ بَعْدَ الْكِبَرِ، فَجَعَلَهُنَّ عَذَارَى عُرُبًا مُتَعَشَّقَاتٍ مُحَبَّبَاتٍ، أَتْرَابًا عَلَى مِيلَادٍ وَاحِدٍ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنِسَاءُ الدُّنْيَا أَفْضَلُ أَمِ الْحُورُ الْعِينُ؟، قَالَ: «بَلْ نِسَاءُ الدُّنْيَا أَفْضَلُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ كَفَضْلِ الظِّهَارَةِ عَلَى الْبِطَانَةِ» . قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ وَبِمَا ذَاكَ؟ قَالَ:" بِصَلَاتِهِنَّ وَصِيَامِهِنَّ وَعِبَادَتِهِنَّ اللهَ أَلْبَسَ اللهُ وُجُوهَهُنَّ النُّورَ، وَأَجْسَادَهُنَّ الْحَرِيرَ بِيضَ الْأَلْوَانِ خُضْرَ الثِّيَابِ صَفْرَاءَ الْحُلِيِّ مَجَامِرُهُنَّ الدُّرُّ وَأَمْشَاطُهُنَّ الذَّهَبُ...)[153]

ورغم ما فى هذه الروايات من مقال إلا أنها تتماشى جدا مع لفظ الآية ، وإن كان بعض المفسرين قد فهم قوله تعالى: (إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً) على أن المقصود به الحور العين. وبعيدا عن هذه الأحاديث يمكننا أن نقول بكل ثقة أن من المستحيل على من قرأ القرآن أن يظن أن المرأة التى كانت دميمة فى الدنيا ستكون دميمة فى الجنة لأن الله تعالى يقول فى آية أخرى على لسان المؤمنين: {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ} [فاطر: 34]. ولا شك أن الدمامة تحزن المرأة ، فثبت لهذا جواز تفسير قوله: (إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً) بإعادة خلق النساء فى الجنة على هيئة شابة جميلة. وهذه نعمة حسية لكل من النساء والرجال ، تختلف عن نعمة

151) **البعث والنشور للبيهقي** (ص: 600). حققه وضبطه وعلق عليه: أبو عاصم الشوامي الأثري. مكتبة دار الحجاز للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى، 1436 هـ

152) قال أبو عيسى: هذا حديث غريب. لا نعرفه مرفوعا إلا من حديث موسى بن عبيدة. وموسى بن عبيدة، ويزيد بن أبان الرقاشي: يضعفان في الحديث. انظر: **ضعيف سنن الترمذي** (ص: 421). تأليف: محمد ناصر الدين الألباني. أشرف على طباعته والتعليق عليه: زهير الشاويش بتكليف: من مكتب التربية العربي لدول الخليج – الرياض. توزيع:المكتب الاسلامي – بيروت. الطبعة: الأولى، 1411 هـ - 1991 م.

153) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير والأوسط ، وفى سنده سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي كَرِيمَةَ ، وهو ضعيف: قَالَ ابْنُ عَدِيٍّ: عَامَّةُ أَحَادِيثِهِ مَنَاكِيرُ، وَلَمْ أَرَ لِلْمُتَقَدِّمِينَ فِيهِ كَلامًا. قال الذهبى: ضَعَّفَهُ أَبُو حَاتِمٍ، وَمَا وَثَّقَهُ أَحَدٌ. انظر: **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام** (4/ 401) لشمس الدين الذهبي. تحقيق الدكتور بشار عوّاد معروف. دار الغرب الإسلامي. الطبعة الأولى، 2003 م

الحور العين. فإذا كنت أيها الملحد تشمئز من وجود الحور العين فى الجنة فهل تشمئز بالمثل إن علمت أن زوجتك فى الجنة ستكون فى غاية الجمال والشباب؟ اسكتوا أفضل لكم.

4. متعة الحياة اللينة

الأثاث فى الجنة مريح. فى الجنة يجلس المؤمن ويتكىء على فراش من الاستبرق: {مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ} [الرحمن: 54]. و"الاستبرق" هو الدِّيباج الصَّفِيقُ الْغَلِيظُ الحسَن. و"الديباج" نوع من الثِّيَاب سداه وَلحمَته (أى جزأه العلوى والسفلى من الحرير) من الحَرِير.[154] وقد كان الْعَرَبُ يَجْعَلُونَ الْفِرَاشَ حَشِيَّةً، أَيْ شَيْئًا مَحْشُوًّا بِصُوفٍ أَوْ قُطْنٍ أَوْ لِيفٍ لِيَكُونَ أَوْثَرَ لِلْجَنْبِ، فَإِذَا وَضَعُوا عَلَى الْحَشِيَّةِ ثَوْبًا أَوْ خَاطُوهَا بِثَوْبٍ فَهُوَ الْبِطَانَةُ، وَإِذَا غَطَّوْا ذَلِكَ بِثَوْبٍ أَحْسَنَ مِنْهُ فَهُوَ الظِّهَارَةُ. فَالْمَعْنَى هُنَا: أَنَّ بَطَائِنَ فُرُشِ الْجَنَّةِ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ فَلَا تَسْأَلُ عَنْ ظَهَائِرِهَا فَإِنَّهَا أَجْوَدُ مِنْ ذَلِكَ.[155]

وفى آية أخرى قال تعالى عن الجنة: {وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ} [الواقعة: 34] ، و"فُرش" جمع فِراش ، وهو ما يفرش للجلوس عليه. والفرش المرفوعة هى الفرش المرفوعة على الأَسرة. وأغلبنا الآن لا يشعر بأهمية ذكر القرآن لنوم أهل الجنة على الأسرة ، لكن هل تعلم أن هناك ملايين اللاجئين حول العالم ينامون على الأرض؟ ونفس الشيء ينطبق على الفارين من الزلازل والبراكين والأعاصير الذين هدمت بيوتهم ، فاضطروا للنوم على الأرض فى المخيمات. والجنود أثناء المعارك ينامون على الأرض. وهناك آلاف من الأبرياء الذين يفترشون الأرض فى السجون لسنوات طويلة. وكثير من الناس يعملون فى مهن مرهقة فى المصانع والشوارع والصحارى ، وهؤلاء غاية أملهم طوال النهار أن يعودوا لبيوتهم لينعموا بالنوم على أسرة لينة. وأغلب سكان العالم الذين عاشوا فى العصر الحجرى ، وفى العصور القديمة حتى بداية القرن العشرين كانوا ينامون على الأرض. وقد كنا فى الماضى نضطر أحيانا للمبيت فى الحقل انتظارا لقدوم المياه فى الترعة ، فننام على الأرض الخشنة. وفى قرانا المصرية كان أغلب الفلاحين ينامون على الأرض لخلو بيوتهم من الأَسرة. كما كان أغلب الناس فى القرى يجلسون على الأرض ، فقد

---

[154]) كل من كلمة "الاستبرق" و"الديباج" من أصل فارسى معرب.

[155]) **تفسير "التحرير والتنوير"** (27/ 268) لابن عاشور.

كانت المقاعد نادرة الوجود. **وكل هذا يجعل الجنة أملا مشروعا لبلايين الفقراء والمحرومين ، وهذه النعمة الحسية تتعارض مع تصوير الملحدين للجنة على أنها مكان لا يضم إلا الحور العين والمنفلتين جنسيا.**

5. متعة الأثاث الفخم وتجهيزات البيت الجميلة

الاهتمام بالأثاث أو الديكور هو الشغل الشاغل للإنسان المعاصر. كل الناس يتنافسون على جعل بيوتهم فخمة ومجهزة بالأثاث الجميل. وكثيرون – وخاصة النساء– لا هَمَّ لديهم فى الحياة إلا متابعة كل جديد فى هذه الأمور.

ولهؤلاء نقدم البشرى: الجنة بها أفخم التجهيزات والأدوات المنزلية. تخيل أنك تأكل فى **أوان مصنوعة من الذهب:** قال تعالى:{يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ} [الزخرف: 71]. وقال تعالى فى آية أخرى أن المؤمنين فى الجنة **سيتكئون على بسط ووسائد خضراء فريدة لا نظير لها فى الفخامة:** { مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ} [الرحمن: 76]. والرفرف هو نوع من البسط ، وقيل الوسائد. وكلمة (عبقرى) يعنى نفيس عظيم.[156] و"حسان" يعنى جميلة حسنة.

وفى آية أخرى يقول القرآن عن السابقين من أهل الجنة:{عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (15) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ} [الواقعة: 15، 16]. وكلمة (موضونة) قد يكون معناها – كما يقول الزمخشرى– مرمولة بالذهب (منسوجة بالذهب) ، مشبكة بالدرّ والياقوت.

وفى الجنة ستكون **الأوانى من فضة ، والأكواب هى الأخرى بيضاء كالفضة ، وشفافة كالزجاج:** {وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا (15) قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا} [الإنسان: 15، 16]. ومعنى قوارير من فِضَّةٍ – كما يقول الزمخشرى– أنها مصنوعة من فضة، وهي مع بياض الفضة وحسنها في صفاء القوارير (الأوعية الزجاجية) وشفيفها[157].

---

156) قَالَ الْخَلِيلُ: كُلُّ جَلِيلٍ نَافِسٍ فَاضِلٍ وَفَاخِرٍ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَغَيْرِهِمْ عِنْدَ الْعَرَبِ عَبْقَرِيٌّ. وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَفْرِي فَرِيَّهُ" ، وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الْعَبْقَرِيُّ مَوْضِعٌ تَزْعُمُ الْعَرَبُ أَنَّهُ مِنْ أَرْضِ الْجِنِّ. قَالَ لَبِيَدٌ: كُهُولٌ وَشُبَّانٌ كَجِنَّةِ عَبْقَرِ. انظر **تفسير القرطبي** (17/ 192).

157) والْقَارُورَةُ: وَاحِدَةُ الْقَوارير مِنَ الزُّجاج. والقارُورُ: مَا قَرَّ فِيهِ الشرابُ وَغَيْرُهُ، وَقِيلَ: لَا يَكُونُ إلا مِنَ الزُّجَاجِ خَاصَّةً. وقوله تعالى: قَوارِيرَا قَوارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ ، قَالَ بَعْضُ أَهل الْعِلْمِ: مَعْنَاهُ أَوانيَ زُجاج فِي بَيَاضِ الْفِضَّةِ وَصَفَاءِ الْقَوَارِيرِ. وَفِي الْحَدِيثِ: أَن النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ

6. متعة الزينة والأزياء

هذه متعة خاصة بالنساء فى الأساس، ولا نبالغ إذا قلنا أن أهم شىء فى حياة أغلب النساء هو الأزياء والزينة والذهب والحلى. ونحن نبشر النساء بأن سعادتهن ستكتمل إن شاء الله فى الجنة حيث الأساور من ذهب وفضة ، والملابس من الحرير الأخضر الجميل. واقرأوا معى الآيات التالية:

- {أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا} [الكهف: 31]
- {إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ} [الحج: 23]
- {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ} [فاطر: 33]
- {عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ} [الإنسان: 21].
- {يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ} [الدخان: 53].

والسندس هو الديباج الرقيق ، أما الاستبرق فهو الديباج الغليظ[158]. والديباج كما قلنا هو نوع من الثياب سَداه و لُحمته (أى جزأه العلوى والسفلى) من الحرير.

ولكن لماذا ذكر القرآن اللون الأخضر بالذات فى الجنة؟ ألا يفضل البعض ألوانا أخرى؟

طبعا كثير من الناس يفضلون ألوانا أخرى ، لكن القرآن يتكلم بالذات عن أهل الجنة ، **ونحن لم نُجر دراسة نفسية على أهل الجنة لنعرف اللون المفضل لديهم** ، وذلك لأنه لا أحد منا يعرف من هم أهل الجنة ، فقد يبدو الإنسان صالحا أمام الناس ، لكنه يكون فى حقيقته منافقا ، فلا يدخل الجنة. وحتى لو عرفنا على وجه اليقين أهل الجنة الذين يعيشون فى عصرنا ، وأجرينا عليهم دراسة لنعلم اللون المفضل لديهم ، **فمن أدرانا باللون المفضل لدى أهل الجنة فى العصر**

لأَنْجَشةَ وَهُوَ يَحْدُو بِالنِّسَاءِ: رِفْقاً بالقَوارير ، أَراد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقَوَارِيرِ النِّسَاءَ، شَبَّهَهُنَّ بِالْقَوَارِيرِ لِضَعْفِ عَزَائِمِهِنَّ وَقِلَّةِ دَوَامِهِنَّ عَلَى الْعَهْدِ. انظر: **لسان العرب** (5/ 87)

[158]) السَّدى: خِلَافُ لُحْمة الثَّوْبِ. ولُحْمَةُ الثَّوْبِ هو الأَعْلى من الثوب ، والسَّدَى الأَسفل مِنَ الثَّوْبِ ، وَقِيلَ السدى ما مُدَّ مِنْهُ، وَاحِدَتُهُ سَداةٌ (انظر لسان العرب).

الحجرى أو العصر الفرعونى أو فى القرون الوسطى؟ إنها دراسة مستحيلة. وهذا يجعل من غير الممكن لأحد أن يجزم بأن القرآن أخطأ حين ذكر اللون الأخضر فى الجنة.

ولو قدر لك أن تدخل الجنة ، وتسأل سكانها واحدا واحدا عن اللون المحبب لنفوسهم فربما يجيبك أكثرهم بأنه يفضل اللون الأخضر ، فاللون الأخضر هو لون الخضرة الذى يسر النفس ، ويدخل الراحة على القلب ، ويخلص المرء من التوتر ، ويشعره بالنقاء ، ويرمز للخير. والناس تفضل السكنى فى المناطق الزراعية مقارنة بالصحارى. وإذا كان اللون الأخضر يرمز للخير والراحة ، فهذا يؤهله ليكون اللون المفضل لأهل الجنة.

وهناك احتمال آخر –وهو الأرجح– مفاده أن القرآن ذكر اللون الأخضر باعتباره اللون المفضل لسكان الجزيرة العربية المحرومين من الخضرة. والدول ذات الطبيعة الصحراوية تهيم حبا باللون الأخضر ، وهذا أمر يعرفه من زار دول الخليج على سبيل المثال. ومن الطبيعى جدا أن يراعى القرآن بعض الشىء أحوال البيئة التى نزل فيها ، ومن قبيل ذلك قوله تعالى عن يوم القيامة: {وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ} [التكوير: 4] ، وهو قول يشير إلى إهمال أصحاب الإبل يوم القيامة للنوق التى بلغ حملها عشرة أشهر ، وتركهم لها سائبة. ومعروف أن أغلب سكان العالم لا يهتمون بتربية الإبل ، بيد أن القرآن ذكرها ككناية عن إهمال الناس لثرواتهم يوم القيامة ، وهذه الصورة تؤثر بشدة فى العرب الذين نزل فيهم القرآن حيث كانت الثروات لا تقدر بعدد الدولارات ، ولكن بأعداد الإبل التى يمتلكها كل منهم. ولا يعيب القرآن إبداء اهتمام نسبي بالعرب الذين نزل فيهم ، فهذا أمر طبيعى جدا. وماذا كنتم تريدون؟ إن الله تعالى لو ذكر بدلا من إهمال العشار (الإبل) إهمال رجال الأعمال يوم القيامة للبورصة لقال عمال النظافة أن هذا أمر لا يعنيهم. ولو ذكر القرآن إهمال الفلاسفة يوم القيامة لفعاليات معرض الكتاب لاندهش لاعبى كرة القدم من اهتمام القرآن بأشياء لا تخصهم. ولو تحدث القرآن عن هروب نجوم السينيما يوم القيامة من الاستديوهات التى يصورون فيها أفلامهم فسيشعر علماء وكالة ناسا للفضاء بأن الأمر لا يعنيهم. ولو ذكر القرآن أن الفلاح سيترك قمحه فى الحقل ، ويهرب يوم القيامة لقالت عارضات الأزياء أن القرآن يهتم بأمور سطحية. وهكذا سيكون من المستحيل أن يتكلم القرآن عن اهتمامات

كل إنسان ، ولهذا اكتفى بذكر مثال واحد يقيس عليه كل إنسان ما يخصه. وطبيعى أن يكون المثال مستمدا من بيئة الرعى التى نزل فيها القرآن.

يمكننا إذن أن نقول أن الله تعالى وعدنا بالملابس الخضراء فى الجنة لأن هذا كان اللون المفضل لدى العرب ، وربما كان اللون الأخضر هو السائد فى ذلك العصر بسبب بدائية تقنيات صباغة الملابس التى لا تتيح تنوعا كبيرا فى الألوان ، ولكن هذا لا ينفى وجود ألوان أخرى فى الجنة ، فمبدأ القياس يوجب على المرء أن يوسع من أفق فكره ، وأن يستخلص من الكلام مبدأ أو قاعدة تسرى على حالات أخرى مشابهة ، وسيكون من البديهى طبقا لذلك أن نفهم أن كل إنسان سيجد فى الجنة الألوان التى يحبها ، ومن المستحيل أن يكون أحد أهل الجنة عاشقا للون الأزرق ، فيحرمه الله تعالى منه ، فلا مكان للحرمان والحزن داخل الجنة ، مصداقا لقوله تعالى:
{وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ} [فاطر: 34]

7- هل فى الجنة بطاطس؟!

فى أحد الأيام كنت أكلم ابنتى الصغيرة عن الجنة ، فحاولت إغراءها بما فى الجنة من لحوم وطيور وفواكه ولبن وعسل ، فلم تُبد اهتماما يذكر ، ووجدتها تسألنى فجأة: هل فى الجنة بطاطس؟ كان السؤال مباغتا ، فانفجرت من الضحك ؛ لقد نسيت أن الأطفال يحبون البطاطس أكثر من أى شىء آخر.

ولما خلوت بنفسى تساءلت: هل هناك دليل على وجود البطاطس فى الجنة؟ وهل هناك دليل على وجود وسائل أخرى للترفيه مثل مشاهدة الأفلام وقراءة القصص والرسم والغناء والموسيقى وكرة القدم والسباحة والتزلج على الجليد واللعب فى الملاهى؟ لقد كنت أَعِد أولادى بمثل هذه الأشياء دون وجود دليل من القرآن أو السنة ، فهل كنت مخطئا؟

وبعد قليل وجدت أننى كنت مصيبا ، فقد ذكر القرآن قاعدة عامة عن الجنة تقول أن الله تعالى لا يحدد وحده متع الجنة ، بل يشارك الإنسان فى الاختيار بنفسه. والآيات التالية تدل على ذلك:

{وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ} [الزخرف: 71].

{لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} [ق: 35]

{ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا } [الفرقان: 16]

{لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ} [الزمر: 34]

{لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ } [الشورى: 22].

{لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ} [يس: 57]. وكلمة (يَدَّعُونَ) مشتقة من الدعاء ، بمعنى أن ما يطلبه أهل الجنة من الله سيأتيهم[159].

ومن هذه الآيات نعرف أن **كل ما يريده الإنسان سيجده فى الجنة ، فقط عليك أن تطلب.**

وروى البخارى فى صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: قَالَ اللَّهُ «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ»[160]

لقد كان عليَّ أن ألاحظ أن القرآن لما ذكر الأطعمة الموجودة فى الجنة أورد الفاكهة والرمان والعنب والموز والتمر ولحم الطير ، لكنه لم يذكر المايونيز والكافيار والسيمون فيميه والكانيلونى والمحشى والكريب والكريم كراميل ، كما تجاهل القرآن أكلات المطبخ الصينى والأمريكى والمغربى والسورى. وعدم ذكر القرآن للتورتة والجاتوه والبقلاوة والكنافة لا يعنى أنها لن تكون موجودة فى الجنة. **ولو حرص الله تعالى على إرضاء كل الأذواق ومراعاة كل البيئات لتضاعف**

---

159) قال القرطبى عن كلمة (يدَّعون): الدَّالُ الثَّانِيَةُ مُبْدَلَةٌ مِنْ تَاءٍ، لِأَنَّهُ يَفْتَعِلُونَ مِنْ دَعَا أَيْ مَنْ دَعَا بِشَيْءٍ أُعْطِيهِ. وقال الزمخشرى: يَدَّعُونَ يفتعلون من الدعاء، أى: يدعون به لأنفسهم، كقولك: اشتوى واجتمل، إذا شوى وجمل لنفسه. قال لبيد: فاشتوى ليلة ريح واجتمل. انظر **تفسير القرطبى** (15/ 45) ، **وتفسير الزمخشري** (4/ 22)

160) قد يزعم البعض أن الرسول عليه الصلاة والسلام اقتبس هذا الكلام من العهد الجديد ، وذلك لتشابهه مع فقرة من الإصحاح الأول من رسالة بولس الأولى إلى أَهْلِ كُورِنْثُوسَ: [بَلْ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ»]. وزعم النصارى سخيف فعلا لأن الرسول محمد عليه الصلاة لم يقل يوما أنه أتى بدين جديد لم يسبق له مثيل ، بل بالعكس أكد أن دينه مجرد إكمال وختام لمسيرة طويلة بدأت من آدم حتى عيسى ، وكل واحد من الرسل السابقين كان يأتى للناس بنفس المحتوى ونفس الجوهر. قال تعالى: {مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ } [فصلت: 43]. وفى آية أخرى يقول عز وجل: {إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (18) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى} [الأعلى: 18، 19]. القرآن يعترف أن به نصوصا مقتبسة من كتب سابقة. وهذا تصرف علمى تماما ، فطالما أنك تذكر المرجع الذى أخذت منه فهذه لا تسمى سرقة ولا اقتباسا. وفضلا عن ذلك فمؤلف القرآن ومؤلف الإنجيل الأصلى واحد ، وهو الله تعالى ، ويذكر القرآن فى مواضع عديدة أن القرآن مصدق للكتب السابقة (كما فى قوله: "مصدقا لما بين يديه"- فاطر 31). واقتباس مؤلف من كتاب سابق له لا يسمى سرقة ، وقد كان عباس العقاد مثلا يفعل ذلك ، بل إن القرآن نفسه يحتوى على عبارات مكررة فى أكثر من سورة مثل قوله: {لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} الذى ورد فى آية التوبة 33 والصف 9. وبالمثل تكررت عبارات أخرى مثل (إن الله سميع عليم) و (وهو العزيز الحكيم). ثم ألم يلاحظ النصارى أن العبارة السابقة للفقرة المذكورة تتكلم عن صلب المسيح: (لأَنْ لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ) كما يتكلم بولس بعد الفقرة المذكورة عن الروح القدس قائلا: (فَأَعْلَنَهُ اللهُ لَنَا نَحْنُ بِرُوحِهِ. لأَنَّ الرُّوحَ يَفْحَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ اللهِ)؟ معنى هذا أن الفقرة الواردة عن الجنة فى رسالة بولس يسبقها ويعقبها كلام يدخل فى باب الكفر من وجهة نظر الإسلام ، فلماذا لم يتأثر رسولنا محمد ببولس إلا فى هذه الفقرة؟ ولاحظ كذلك أن بولس يقول "كما هو مكتوب" ، اى أن بولس هو الآخر يقتبس من موضع آخر من الكتاب المقدس ، رأى البعض أنه نص من أحد كتب الأبوكريفا أو أنه – كما يقول جون جيل – مقتبس من آية وردت فى سفر إشعياء (64: 4) نصها هو: "وَمُنْذُ الأَزَلِ لَمْ يَسْمَعُوا وَلَمْ يُصْغُوا. لَمْ تَرَ عَيْنٌ إِلَهاً غَيْرَكَ يَصْنَعُ لِمَنْ يَنْتَظِرُهُ".

حجم القرآن ألف مرة ، ولصار مثل التوراة التى تمتلىء بتفاصيل كثيرة تافهة تحجب عن القارىء الأفكار الجوهرية.

وطالما أن من المستحيل على القرآن أن يتضمن الأشياء التى يهتم بها كل الناس فى كل البلاد وكل العصور ، فلذلك كان من المنطقى أن يختار الله تعالى تلك الشئون التى يهتم بها سكان البادية الذين نزل فيهم الوحى. وهذا الطابع المحلى للقرآن لا يتناقض أبدا مع عالميته وصلاحيته لكل زمان ومكان ، فالإنسان المعاصر لا يزال يقرأ كتابات أرسطو والغزالى وابن رشد وابن تيمية وديكارت وروسو وكانط وسارتر ، ويتأثر بها ، ويستفيد منها رغم أنها كتبت فى ظروف تختلف بشكل كبير عن ظروف عصرنا الحاضر ، ففى عالم الفكر هناك الكثير مما يتعالى على الزمان والمكان ، ولا مفر من استخدام مبدأ القياس.

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

دفاع أوروبى عن جنة الإسلام

يعتبر الكاتب الإنجليزى توماس كارلايل من أشهر من كتبوا عن الإسلام. كان الرجل متعاطفا مع الإسلام والمسلمين لأقصى حد ، وذلك فى كتابه المعروف "البطولة والأبطال" الذى خصص فيه فصلا مهما للكلام عن رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام. وفى سياق الكلام تطرق كارلايل إلى مسألة الطابع الحسى للجنة والنار فى الإسلام ، فاعترف بهذا الطابع ، لكنه جعل يدافع عنه ، مبديا تعاطفا يدعو للدهشة ، وواضعا يده على نقاط لم يلتفت إليها أعداء الإسلام وأنصاره على حد سواء. وهاكم بعض كلماته[161]:

[**إن جنة محمد حسية ، وناره حسية: صحيح ؛ فى هذه وتلك هناك ما يكفى لإحداث صدمة لكل المشاعر الروحية داخلنا.** لكن علينا أن نتذكر أنها كانت كذلك بالفعل لدى العرب : وأن محمدا – فى كل ما غير منها – خفف من كل ذلك وقلل. وأسوأ الحسيات هى من عمل العلماء – أتباع عمله– وليس من عمله. **فى القرآن يوجد حقا القليل جدا مما يقال عن متع الجنة ؛ وهذه المتع يشار إليها تلميحا** دون إصرار عليها. ولا يُنسى أن **أعلى المتع الموجودة هناك ستكون روحية: إنه الحضور الخالص للإله الأعلى ، وهذا سيتجاوز بشكل لا نهائى كل المتع الأخرى.** ويقول الله: "وتحيتهم فيها سلام". "**خذ السلام"! – الشىء الذى تتوق إليه كل النفوس العاقلة– وتنشده – بشكل عبثى هنا فى الدنيا–** باعتباره النعمة الوحيدة. {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ} [الحجر: 47]. **كل الغل! سيحب بعضكم بعضا بحرية** ؛ سيكون هناك لكل منكم فى أعين إخوته من الجنة ما يكفى..... لكن هناك شيئا آخر يجب أن يقال عن جنة محمد وجحيمه ، ألا وهو أنه **مهما يكن من أمر فظاظتهما وماديتهما إلا أنهما شعار لحقية خالدة لا تُذكر دائما بشكل جيد فى مكان آخر**. إن جنته الحسية الفظة تلك ؛ وهذا الجحيم المريع الملتهب ؛ ويوم القيامة العظيم الهائل الذى يصر دائما عليه ؛ ما كل هذا إن لم يكن ظلا خاما –فى الخيال البدوى الخام – **لتلك الحقيقة الروحية الكبرى** و"مبدأ الحقائق" التى هى بالنسبة لنا أيضا مضرة إن لم نعلمها كلنا ونشعر بها: **الطابع اللانهائى للواجب؟ أن أعمال الإنسان هنا فى الدنيا لها أهمية لا نهائية بالنسبة له ، ولا تموت أبدا ، ولا تنتهى على**

---

161) **Heroes and hero worship.** By Thomas Carlyle. Page 101-103. Philadelphia, Henry Altemus;1899

الإطلاق؛ وأن الإنسان بحياته الصغيرة يصل إلى الأعالى فى الجنة ، ويهبط إلى الحضيض فى الجحيم ، وفى أعوام عمره الستين يمسك بخلود خفى بشكل مخيف وعجيب.]

ويمكننا أن نستخلص نقاطا مهمة من كلام كارلايل:

1. الجنة والنار فى الإسلام لهما طابع حسى فج
2. السعادة العظمى فى الجنة ليست بسبب متعة حسية ، بل بسبب متعة روحية ، تتمثل فى رؤية الله.
3. النعم الروحية موجودة فى الجنة ، وهى تتمثل فى السلام ، وفى اختفاء الضغائن والأحقاد بين الناس.
4. برغم حسية الجنة والنار فى الإسلام إلا أنهما يرمزان إلى حقيقة روحية كبرى هى أن الواجب ذو طابع لا نهائى ، وأن عمل الإنسان فى هذه الدنيا لن يذهب سُدى ، بل يُرد إليه فى الآخرة ، فيرفعه إلى أعلى عليين ، أو يسقطه إلى أسفل سافلين.

وهكذا تجد أن مفكرا أوربيا كبيرا يرى أن جنة الإسلام لا تخلو من النعم الروحية ، وأن الطابع الحسى الواضح للجنة والنار فى الإسلام لا يوجب الاشمئزاز ، ولا يستحق السخرية ، ولكنه جدير بكل تقدير لأنه يرمز إلى أن الإنسان قادر بعمله على صنع مستقبله ، والارتقاء بنفسه إلى الأعالى أو النزول بها إلى الحضيض[162].

[162]) يبدو من مجمل كلام توماس كارلايل أنه ينظر إلى محمد صلى الله عليه وسلم على أنه نبى فاضل صادق مخلص ، أراد التعبير عن مبدأ فلسفى رفيع بطريقة بدوية بسيطة تتمثل فى الجنة والنار ، وهذا أمر يستحق - من حيث المبدأ- الإشادة فى نظره بصرف النظرف عن طريقة التعبير. وطبعا لا يمكن للمسلم قبول هذا الكلام لأن محمدا عليه السلام لم يأت بالقرآن من فكره وفلسفته ، بل كان مجرد ناقل لما جاءه من السماء. والله عز وجل لا يمكن أن يكون قد عبر عن فكرة خالدة بطريقة ساذجة. ويبدو بشكل عام أن معنى النبوة لدى كارلايل يعتريه شىء من الغموض ، فهو يقول فى صفحة 79 عن الوحى الذى نزل على رسول الله: (.....الإسلام يعنى بطريقته إنكار النفس ، محو النفس. وهذه بالرغم من ذلك أسمى حكمة أوحت بها السماء إلى أرضنا. مثل هذا الضوء أتى بقدر استطاعته لينير ظلام هذه النفس العربية الجامحة. روعة مبهرة مشوشة مثل الحياة والسماء ، فى الظلام العظيم الذى هدد بالموت: أسماه الوحى والملاك جبريل. ولكن من منا يقدر على أن يعرف بم يسميه؟ إن إلهام الإله القدير هو ما يمنحنا الفهم. وأن نعرف وأن نصل إلى حقيقة أى شىء هو دائما عمل صوفى لا يمكن لأفضل أشكال المنطق إلا أن يثرثر على سطحه.)
ومع ذلك فما يهمنا هنا ليس تقييم عقيدة كارلايل ، ولا موقفه الدقيق من الإسلام. ما يعنينا شىء واحد: تقديره واحترامه للطابع الحسى للجنة والنار فى الإسلام.

لماذا يهاجمون الإسلام وحده؟

النصارى الذين يهاجمون حسية الجنة فى الإسلام يوهموننا أن الحياة فى جنة النصرانية كلها حياة روحية ، لكن الحقيقة أن **العهد الجديد لا يَعد النصارى فقط بنعيم روحى ، بل يعدهم كذلك بثواب حسى وعقاب حسى** ، وهذا ما تؤكده النصوص التالية:

- [«طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. طُوبَى لِلْحَزَانَى، لأَنَّهُمْ يَتَعَزَّوْنَ. طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ، **لأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ. طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ إِلَى الْبِرِّ، لأَنَّهُمْ يُشْبَعُونَ**. طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ، لأَنَّهُمْ **يُرْحَمُونَ**.] (متى 5: 3-7)

وهنا نجد المسيح يعد الصالحين بنعم روحية ، لكنه يعدهم أيضا بدخول مملكة السماء ووراثة الأرض. ووراثة الأرض نعمة مادية. كما أن وعدهم بنيل الرحمة فى الآخرة يمثل نعمة مادية أيضا لأن الرحمة هى النجاة من الألم ، وهذا فى الغالب ذو طابع مادى.

- [فَقَالَ يَسُوعُ لِتَلاَمِيذِهِ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يَعْسُرُ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ! .... **وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ بُيُوتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَدًا أَوْ حُقُولاً مِنْ أَجْلِ اسْمِي، يَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ**.] (متى 19: 23-29).

هنا نجد أن من يترك متع الحياة المادية كالأهل والأولاد والنساء والحقول يحصل فى الآخرة على نفس المتع المادية ، لكنها ستكون أكثر بمقدار مائة مرة. ولاحظ أن المسيح لا يقول مثلا: (كل من ترك بيوتا أو إخوة.... سيحيا سعيدا مع الله). وفى إنجيل مرقس نجد أن المائة ضعف مقصود بها مائة ضعف من نفس نوع ممتلكات الدنيا التى زهد فيها الغنى ، وهذا لعمرى أشد إيغالا فى الحسية ، فلا شك أن الإيمان بثواب حسى فى الدنيا المحسوسة أقل روحانية من الإيمان بثواب حسى فى الآخرة الغيبية: [«الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَيْسَ أَحَدٌ تَرَكَ بَيْتاً أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَباً أَوْ أُمّاً أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَداً أَوْ حُقُولاً، لأَجْلِي وَلأَجْلِ الإِنْجِيلِ، 30إِلاَّ وَيَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ **الآنَ فِي هَذَا الزَّمَانِ**، بُيُوتاً وَإِخْوَةً وَأَخَوَاتٍ وَأُمَّهَاتٍ وَأَوْلاَداً وَحُقُولاً، مَعَ اضْطِهَادَاتٍ، وَفِي الدَّهْرِ الآتِي الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ.][163]

[163] إنجيل مرقص 10: 29-30

- [وَإِذَا وَاحِدٌ تَقَدَّمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، أَيَّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ **لِتَكُونَ لِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ؟**» ...... قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً فَاذْهَبْ وَبعْ أَمْلاَكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، **فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ**، وَتَعَالَ اتْبَعْنِي».] (متى 19: 16-21)

وهنا نجد يسوع يعد الغنى بالحصول على كنز فى السماء إن هو تنازل عن أمواله فى الدنيا للفقراء. والكنز طبعا جزاء مادى حسى. وإن أحب أحدهم أن يفسر الكنز بالسعادة الروحية فى الآخرة فهذا تفسيره الخاص ، الذى لا يملك أن يلزمنا به لأنه لا دليل عليه.

- [وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِب وَيَتَّكِئُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، وَأَمَّا بَنُو الْمَلَكُوتِ **فَيُطْرَحُونَ إِلَى الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ».**] (متى 8: 11-12)

هنا نجد عقابا ماديا فى الآخرة للمذنبين يتمثل فى طرحهم فى الظلام حيث يُسمع البكاء وصرير الأسنان (الضغط على الأسنان بسبب الغضب) ، وهذا عقاب مادى حسى. وعبارة (بنو الملكوت) تشير إلى اليهود الذين كانوا يعتبرون أنفسهم أبناء الله وأحباؤه وأعضاء مملكته الموعودة التى سيؤسسها مسيحه المنتظر على الأرض.

- [«يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ إِنْسَانًا مَلِكًا صَنَعَ عُرْسًا لابْنِهِ، وَأَرْسَلَ عَبِيدَهُ لِيَدْعُوا الْمَدْعُوِّينَ إِلَى الْعُرْسِ....... فَلَمَّا دَخَلَ الْمَلِكُ لِيَنْظُرَ الْمُتَّكِئِينَ، رَأَى هُنَاكَ إِنْسَانًا لَمْ يَكُنْ لاَبِسًا لِبَاسَ الْعُرْسِ. فَقَالَ لَهُ: يَا صَاحِبُ، كَيْفَ دَخَلْتَ إِلَى هُنَا وَلَيْسَ عَلَيْكَ لِبَاسُ الْعُرْسِ؟ فَسَكَتَ. حِينَئِذٍ قَالَ الْمَلِكُ لِلْخُدَّامِ: **ارْبُطُوا رِجْلَيْهِ وَيَدَيْهِ، وَخُذُوهُ وَاطْرَحُوهُ فِي الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ.**] (متى 22: 2-13).

هنا نجد الرجل الذى حضر العرس دون أن يرتدى ملابسه يرمز –كما يقول أنطونيوس فكرى– إلى "أولئك الذين اكتفوا من المسيحية بالإسم دون أن يعملوا أعمالاً صالحة". ومثل هذا الشخص سيُلقى يوم القيامة فى الظلمة الخارجية بعد أن تربط رجليه ويديه ، فيسمع البكاء وصرير الأسنان. وهذا طبعا عذاب مادى حسى ؛ يقول أنطونيوس فكرى: "أمّا البكاء

وصرير الأسنان فيشير لأن الجسد سيقوم ليشترك مع النفس في مرارة الظلمة الخارجية". وقوله "الخارجية" يقصد به خارج مدينة أورشليم السماوية التي نورها هو المسيح نفسه".[164]

- [«يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ إِنْسَانًا زَرَعَ زَرْعًا جَيِّدًا فِي حَقْلِهِ....هكَذَا يَكُونُ فِي انْقِضَاءِ هذَا الْعَالَمِ: يُرْسِلُ ابْنُ الإِنْسَانِ **مَلاَئِكَتَهُ فَيَجْمَعُونَ مِنْ مَلَكُوتِهِ جَمِيعَ الْمَعَاثِرِ وَفَاعِلِي الإِثْمِ، وَيَطْرَحُونَهُمْ فِي أَتُونِ النَّارِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ.** حِينَئِذٍ يُضِيءُ الأَبْرَارُ كَالشَّمْسِ فِي مَلَكُوتِ أَبِيهِمْ.] (متى 13: 24-43).

هنا نجد أنه حين ينقضى هذا العالم (يوم القيامة) تقوم الملائكة بجمع الآثمين ، وإلقائهم فى أتون النار حيث البكاء وصرير الأسنان. وهذا بلا شك عذاب مادى حسى.

- [فَإِنْ أَعْثَرَتْكَ يَدُكَ أَوْ رِجْلُكَ فَاقْطَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَعْرَجَ أَوْ أَقْطَعَ **مِنْ أَنْ تُلْقَى فِي النَّارِ الأَبَدِيَّةِ** وَلَكَ يَدَانِ أَوْ رِجْلاَنِ. وَإِنْ أَعْثَرَتْكَ عَيْنُكَ فَاقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَعْوَرَ مِنْ أَنْ **تُلْقَى فِي جَهَنَّمِ النَّارِ** وَلَكَ عَيْنَانِ] (متى 18: 8-9).

هنا نجد المسيح يحذر الناس من عذاب النار فى الآخرة. وطبعا عذاب النار مادى حسى.

وإضافة إلى هذه النصوص يمتلىء سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى بتفاصيل كثيرة مخيفة عن يوم القيامة الذى سيجلب الدمار والموت والخراب للعالم. ومن قبيل ذلك:

[وَإِذَا **زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ** حَدَثَتْ، **وَالشَّمْسُ صَارَتْ سَوْدَاءَ** كَمِسْحٍ مِنْ شَعْرٍ، **وَالْقَمَرُ صَارَ كَالدَّمِ، وَنُجُومُ السَّمَاءِ سَقَطَتْ** إِلَى الأَرْضِ كَمَا تَطْرَحُ شَجَرَةُ التِّينِ سُقَاطَهَا إِذَا هَزَّتْهَا رِيحٌ عَظِيمَةٌ. **وَالسَّمَاءُ انْفَلَقَتْ** كَدَرْجٍ مُلْتَفّ، **وَكُلُّ جَبَل وَجَزِيرَةٍ تَزَحْزَحَا مِنْ مَوْضِعِهِمَا.** وَمُلُوكُ الأَرْضِ وَالْعُظَمَاءُ وَالأَغْنِيَاءُ وَالأُمَرَاءُ وَالأَقْوِيَاءُ وَكُلُّ عَبْدٍ وَكُلُّ حُرّ، **أَخْفَوْا أَنْفُسَهُمْ فِي الْمَغَايِرِ وَفِي صُخُورِ الْجِبَالِ]** (رؤيا 6: 12-15)

[164]) نص الآيات كاملة كما يلى: [1وَجَعَلَ يَسُوعُ يُكَلِّمُهُمْ أَيْضًا بِأَمْثَال قَائِلاً: 2 «يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ إِنْسَانًا مَلِكًا صَنَعَ عُرْسًا لابْنِهِ، 3وَأَرْسَلَ عَبِيدَهُ لِيَدْعُوا الْمَدْعُوِّينَ إِلَى الْعُرْسِ، فَلَمْ يُرِيدُوا أَنْ يَأْتُوا. 4فَأَرْسَلَ أَيْضًا عَبِيدًا آخَرِينَ قَائِلاً: قُولُوا لِلْمَدْعُوِّينَ: هُوَذَا غَدَائِي أَعْدَدْتُهُ. ثِيرَانِي وَمُسَمَّنَاتِي قَدْ ذُبِحَتْ، وَكُلُّ شَيْءٍ مُعَدٌّ. تَعَالَوْا إِلَى الْعُرْسِ! 5وَلكِنَّهُمْ تَهَاوَنُوا وَمَضَوْا، وَاحِدٌ إِلَى حَقْلِهِ، وَآخَرُ إِلَى تِجَارَتِهِ، 6وَالْبَاقُونَ أَمْسَكُوا عَبِيدَهُ وَشَتَمُوهُمْ وَقَتَلُوهُمْ. 7فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ غَضِبَ، وَأَرْسَلَ جُنُودَهُ وَأَهْلَكَ أُولئِكَ الْقَاتِلِينَ وَأَحْرَقَ مَدِينَتَهُمْ. 8ثُمَّ قَالَ لِعَبِيدِهِ: أَمَّا الْعُرْسُ فَمُسْتَعَدٌّ، وَأَمَّا الْمَدْعُوُّونَ فَلَمْ يَكُونُوا مُسْتَحِقِّينَ. 9فَاذْهَبُوا إِلَى مَفَارِقِ الطُّرُقِ، وَكُلُّ مَنْ وَجَدْتُمُوهُ فَادْعُوهُ إِلَى الْعُرْسِ. 10فَخَرَجَ أُولئِكَ الْعَبِيدُ إِلَى الطُّرُقِ، وَجَمَعُوا كُلَّ الَّذِينَ وَجَدُوهُمْ أَشْرَارًا وَصَالِحِينَ. فَامْتَلأَ الْعُرْسُ مِنَ الْمُتَّكِئِينَ. 11فَلَمَّا دَخَلَ الْمَلِكُ لِيَنْظُرَ الْمُتَّكِئِينَ، رَأَى هُنَاكَ إِنْسَانًا لَمْ يَكُنْ لاَبِسًا لِبَاسَ الْعُرْسِ. 12فَقَالَ لَهُ: يَا صَاحِبُ، كَيْفَ دَخَلْتَ إِلَى هُنَا وَلَيْسَ عَلَيْكَ لِبَاسُ الْعُرْسِ؟ فَسَكَتَ. 13حِينَئِذٍ قَالَ الْمَلِكُ لِلْخُدَّامِ: ارْبُطُوا رِجْلَيْهِ وَيَدَيْهِ، وَخُذُوهُ وَاطْرَحُوهُ فِي الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ. 14لأَنَّ كَثِيرِينَ يُدْعَوْنَ وَقَلِيلِينَ يُنْتَخَبُونَ».]

وهنا نسأل: **هل الزلازل وانشقاق السماء وتطاير الجبال التى وردت فى النص الأخير من قبيل العذاب الروحى؟ أليست هذه أحداثا مادية حسية مخيفة؟** وليس هذا فقط ، فهناك مقاطع أخرى وردت فى سفر الرؤيا تشير إلى ألوان من العذاب المادى الحسى الرهيب الذى يضرب الناس يوم القيامة ، ومنها:

[فَبَوَّقَ الْمَلاَكُ الأَوَّلُ، فَحَدَثَ **بَرَدٌ وَنَارٌ مَخْلُوطَانِ بِدَمٍ**، وَأُلْقِيَا إِلَى الأَرْضِ، **فَاحْتَرَقَ ثُلْثُ الأَشْجَارِ، وَاحْتَرَقَ كُلُّ عُشْبٍ أَخْضَرَ**. ثُمَّ بَوَّقَ الْمَلاَكُ الثَّانِي، فَكَأَنَّ **جَبَلاً عَظِيمًا مُتَّقِدًا بِالنَّارِ أُلْقِيَ إِلَى الْبَحْرِ، فَصَارَ ثُلْثُ الْبَحْرِ دَمًا**. وَمَاتَ ثُلْثُ الْخَلاَئِقِ الَّتِي فِي الْبَحْرِ الَّتِي لَهَا حَيَاةٌ، **وَأُهْلِكَ ثُلْثُ السُّفُنِ**. ثُمَّ بَوَّقَ الْمَلاَكُ الثَّالِثُ، **فَسَقَطَ مِنَ السَّمَاءِ كَوْكَبٌ عَظِيمٌ** مُتَّقِدٌ كَمِصْبَاحٍ، وَوَقَعَ عَلَى ثُلْثِ الأَنْهَارِ وَعَلَى يَنَابِيعِ الْمِيَاهِ. وَاسْمُ الْكَوْكَبِ يُدْعَى «الأَفْسَنْتِينُ». فَصَارَ ثُلْثُ الْمِيَاهِ أَفْسَنْتِينًا، **وَمَاتَ كَثِيرُونَ مِنَ النَّاسِ مِنَ الْمِيَاهِ لأَنَّهَا صَارَتْ مُرَّةً**.] (رؤيا 8: 7-11)

كما ورد فى سفر الرؤيا كلام عن **بحيرة النار والكبريت التى سيلقَى فيها التنين (إبليس) والوحش والنبى الكاذب** ، **فهل العذاب فى النار والكبريت عذاب روحى أم حسى؟** اقرأ معى:

[فَنَزَلَتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ السَّمَاءِ وَأَكَلَتْهُمْ. 10 وَإِبْلِيسُ الَّذِي كَانَ يُضِلُّهُمْ طُرِحَ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ وَالْكِبْرِيتِ، حَيْثُ الْوَحْشُ وَالنَّبِيُّ الْكَذَّابُ. وَسَيُعَذَّبُونَ نَهَارًا وَلَيْلاً إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ.] (رؤيا 20: 9-10)

وفى المقابل **حين تكلم سفر الرؤيا عما يحدث للمؤمنين قال أنهم لن يجوعوا ، ولن يعطشوا ، ولن يشعروا بحرارة الشمس، وهذه كلها نعم مادية حسية** تضاف إلى النعم الروحية :

[«هؤُلاَءِ هُمُ الَّذِينَ أَتَوْا مِنَ الضِّيقَةِ الْعَظِيمَةِ، وَقَدْ غَسَّلُوا ثِيَابَهُمْ وَبَيَّضُوا ثِيَابَهُمْ فِي دَمِ الْخَرُوفِ مِنْ أَجْلِ ذلِكَ هُمْ أَمَامَ عَرْشِ اللهِ، وَيَخْدِمُونَهُ نَهَارًا وَلَيْلاً فِي هَيْكَلِهِ، وَالْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ يَحِلُّ فَوْقَهُمْ. **لَنْ يَجُوعُوا بَعْدُ، وَلَنْ يَعْطَشُوا بَعْدُ، وَلاَ تَقَعُ عَلَيْهِمِ الشَّمْسُ وَلاَ شَيْءٌ مِنَ الْحَرِّ**، لأَنَّ الْخَرُوفَ الَّذِي فِي وَسَطِ الْعَرْشِ يَرْعَاهُمْ، **وَيَقْتَادُهُمْ إِلَى يَنَابِيعِ مَاءٍ حَيَّةٍ**، وَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ».] (رؤيا: 7: 14-17)

ووصف سفر الرؤيا مدينة أورشليم التى سيسكن فيها المؤمنون مع الله فى الآخرة ، فذكر أنها ستكون فى غاية الجمال والفخامة ، وستكون مبنية من الذهب الخالص ، وسيكون سورها مزينا بالأحجار الكريمة. **أوليس الذهب والأحجار الكريمة من قبيل النعيم المادى الحسى؟**

[وَذَهَبَ بِي بِالرُّوحِ إِلَى جَبَل عَظِيمٍ عَال، وَأَرَانِي الْمَدِينَةَ الْعَظِيمَةَ أُورُشَلِيمَ الْمُقَدَّسَةَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، لَهَا مَجْدُ اللهِ، **وَلَمَعَانُهَا شِبْهُ أَكْرَمِ حَجَرٍ كَحَجَرِ يَشْبٍ بَلُّورِيٍّ**. وَكَانَ لَهَا سُورٌ عَظِيمٌ وَعَال، وَكَانَ لَهَا اثْنَا عَشَرَ بَابًا..... وَكَانَ بِنَاءُ سُورِهَا مِنْ يَشْبٍ، **وَالْمَدِينَةُ ذَهَبٌ نَقِيٌّ شِبْهُ زُجَاجٍ نَقِيٍّ**. وَأَسَاسَاتُ سُورِ الْمَدِينَةِ **مُزَيَّنَةٌ بِكُلِّ حَجَرٍ كَرِيمٍ**. الأَسَاسُ الأَوَّلُ يَشْبٌ.] (رؤيا 21: 10-19)

وكما ترون فالآخرة فى المسيحية لا تخلو من الطابع الحسى ، فلماذا يتم تسليط الضوء على الإسلام وحده ، هذا بفرض أن حسية الآخرة أمر مشين؟

هل ظُلمت المرأة فى الجنة؟

كثيرا ما يسأل الملحدون: لماذا أهمل الله النساء فى الجنة ، بينما اهتم بتوفير المتع للرجال ، فوعدهم بالحور العين؟ هذا السؤال ينبع من تبسيط مشين للأمور. وإليكم الرد:

أولا: الإسلام يسوى بين المرأة والرجل فى الثواب

كيف يُتهم الإسلام بظلم المرأة فى الجنة ، وقد أكد الله تعالى فى أكثر من آية أنه لا يفرق بين الذكر والأنثى فى الثواب؟ اقرأوا تلك الآيات:

- {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ} [آل عمران: 195]
- {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا} [النساء: 124]
- {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: 97]
- {مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ} [غافر: 40]
- {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 35]

كل هذه الآيات تتكلم عن المساواة بين الجنسين فى ثواب الآخرة ، فكيف غفل عنها أولئك الذين ينوحون على ظلم الإسلام للمرأة فى الجنة؟ إن هذه الآيات تحتم علينا أن نبحث فى تلك المسألة على الأقل بشيء من حسن الظن ، ونفكر مليا قبل أن نضع الإسلام فى قفص الاتهام.

وعلينا أن نلاحظ **أن أسوأ إنسان ورد ذكره فى القرآن كان رجلا اسمه فرعون. هذا الرجل الشرير أخبرنا الله تعالى أن امرأته من أهل الجنة.** وهذا موقف عملى يظهر كيف انحاز القرآن للمرأة دون الرجل، فالله تعالى لا يعنيه من الإنسان إلا عمله الصالح ، فمن اتقى الله رضى عنه الله وأثابه مهما كان جنسه أو لونه أو وطنه ، قال تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ

وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: 13]

ثانيا: اشتراك الرجال والنساء فى أغلب متع الجنة

يشترك الرجال والنساء فى الغالبية العظمى من ألوان النعيم فى الجنة ، فكلاهما يستمتع بالطعام والشراب والأنهار والظلال والقصور وكل ما فى الجنة من متع حسية ونفسية. إن الله تعالى لو أنعم على الرجال فى الجنة ببعض الأطعمة ، وحرم منها النساء لجاز لهم أن يتهموا الإسلام بظلم المرأة. ولو منع الله النساء فى الجنة من سكنى القصور ، أو النوم على الأَسِرة ، أو حرمهن من التنزه فى الحدائق لكان من حق الملحدين أن يتهموا الإسلام بمحاباة الذكور.

وانظر إلى القرآن وهو يعرض مشهد الرجل وامرأته وهما يتكئان معا على الأرائك تحت الظل: {هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ} [يس: 56]. لو كان القرآن يقول أن الرجل سيتكىء ، وأن زوجته ستظل واقفة بجواره دون أن يكون لها حق الجلوس ، لجاز لهم أن يطعنوا فى الإسلام.

أوليس من التضليل إذن اتهام الإسلام بظلم المرأة لمجرد اختلافها عن الرجل فى جانب واحد فقط من متع الجنة (الحور العين) مع إغفال اتفاقهما فى كل المتع الأخرى؟

ثالثا: فى الجنة متع خاصة بالنساء

متع الجنة متنوعة ، **وكل إنسان يقرأ القرآن سيميل لبعض المتع أكثر من غيرها**. على سبيل المثال سيكون أفضل شىء بالنسبة للفقراء فى الجنة الطعام والشراب واللحوم والطيور والفواكه. وبالنسبة لسكان الصحراء سيكون أفضل شىء الحدائق والأنهار وعيون الماء. وبالنسبة للشباب سيكون أكثر ما يعجبهم الحور العين. ومن حُرموا من نعمة الأولاد سيكون أكثر ما يعجبهم الولدان المخلدون ، أى الأطفال الذين يبقون على طفولتهم دون أن يكبروا. وخمر الجنة ستكون أملا لرجل اضطر للتوقف عن شربها فى الدنيا بعد اعتناقه الإسلام.

أما عن **النساء فستكون أهم متع الجنة فى نظرهن ما يلى:**

1- الجمال والشباب:

ذكر القرآن أن المؤمنات فى الجنة سيعاد خلقهن بحيث يكنَّ صغيرات فى السن. وكلنا نعرف أن الجمال بالنسبة للمرأة مسألة حياة أو موت ، حتى أننى قرأت ذات مرة فى مجلة أجنبية حوارا مع امرأة مصابة بمرض الإيدز القاتل ، فذكرت أنها لا تتناول العلاج بانتظام لأنه يسبب زيادة الوزن، فتعجبت من هذه المرأة التى تعرض حياتها للخطر من أجل أن تبقى جميلة. ولإرضاء هذه الغريزة عند المرأة وعدها الله تعالى بالجمال والشباب فى الجنة: {إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (35) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (36) عُرُبًا أَتْرَابًا (37) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ} [الواقعة: 35 – 38].

وقد أورد ابن كثير فى تفسير هذه الآية عدة أحاديث يشد بعضها بعضا ، ويمكن الاستئناس بها لأنها تتناغم مع لفظ الآية ، ومن قبيل ذلك ما روى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّا أَنْشَأْناهُنَّ إِنْشاءً قَالَ نِسَاءٌ عَجَائِزُ كُنَّ فِي الدُّنْيَا عُمْشًا رُمْصًا». وعَنِ الْحَسَنِ قَالَ: أَتَتْ عَجُوزٌ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ الله تعالى أَنْ يُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ فَقَالَ: «يَا أُمَّ فُلَانٍ إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تَدْخُلُهَا عَجُوزٌ» قَالَ: فَوَلَّتْ تَبْكِي. قَالَ: «أَخْبِرُوهَا أَنَّهَا لَا تَدْخُلُهَا وَهِيَ عَجُوزٌ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ إِنَّا أَنْشَأْناهُنَّ إِنْشاءً فَجَعَلْناهُنَّ أَبْكاراً».

2- الذهب والحُلى.

3- الملابس الفخمة الجميلة.

وهذان النوعان من المتع من أهم ما يشغل فكر النساء فى الدنيا ، وأهميتهما تنبع من حرص المرأة على الجمال. ويمكن للرجل أن يكتفى بعدد محدود من الملابس ، أما المرأة فلا تشبع من الثياب الجديدة. وبعض النساء ترتدى ثوبا جديدا كل يوم دون تكرار. ومحلات الملابس النسائية أكثر عددا وأشد رواجا من محلات أزياء الرجال. وعشق النساء للذهب والحلى أشهر من أن نستفيض فيه. وقد ورد ذكر متعة الأزياء والحلى فى الجنة فى الآيات التالية:

- {يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ} [الكهف: 31].
- {عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ} [الإنسان: 21].

- {يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ} [الحج: 23]
- {يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ} [فاطر: 33]
- {يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ} [الدخان: 53].

4- الأثاث الفخم وتجهيزات البيت الغالية

من أكثر الأشياء التى تشغل بال الإنسان المعاصر الأثاث والديكور. كل الأغنياء يتنافسون على جعل بيوتهم أكثر فخامة وأجمل أثاثا. والنساء بشكل خاص يحرصن على متابعة كل جديد فى هذه الأمور. ونحن نبشر هؤلاء بأن الجنة بها أفخم التجهيزات المنزلية. الجنة بها أوان مصنوعة من الذهب: قال تعالى:{يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ} [الزخرف: 71]. وفى الجنة سيتكىء المؤمن على فراش مبطن بالحرير[165]: {مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ} [الرحمن: 54]. وقال تعالى فى آية أخرى أن المؤمنين فى الجنة سيتكئون على بسط ووسائد خضراء عبقرية فريدة لا نظير لها فى الفخامة: {مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ} [الرحمن: 76]. وفى آية أخرى تكلم القرآن عن السابقين من أهل الجنة ، فقال:{عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (15) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ} [الواقعة: 15، 16]. وكلمة (موضونة) قد يكون معناها منسوجة بالذهب ، مشبكة بالدرّ والياقوت. وفى الجنة ستكون الأوانى والأكواب من الفضة: {وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا (15) قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا} [الإنسان: 15، 16]. ومعنى قوارير من فِضَّةٍ أنها مصنوعة من فضة، وهي مع بياض الفضة وحسنها في صفاء القوارير ، أى الأوعية الزجاجية.

والآن نقدم مفاجأة: إن **عدد الآيات التى تتكلم عن متع النساء فى الجنة يبلغ 11 آية ، وهو أكثر من عدد الآيات التى تخص متع الرجال ، والتى يبلغ عددها تسعة.** والآيات التى تخص النساء ذكرناها للتو ، أما الآيات التى تخص الرجال فهى:

---

165) قلنا من قبل أن الْعَرَبُ كَانُوا يَجْعَلُونَ الْفِرَاشَ حَشِيَّةً، أَيْ شَيْئًا مَحْشُوًّا بِصُوفٍ أَوْ قُطْنٍ أَوْ لِيفٍ لِيَكُونَ أَوْثَرَ لِلْجَنْبِ، فَإِذَا وَضَعُوا عَلَى الْحَشِيَّةِ ثَوْبًا أَوْ خَاطُوهَا بِثَوْبٍ فَهُوَ الْبِطَانَةُ، وَإِذَا غَطَّوْا ذَلِكَ بِثَوْبٍ أَحْسَنَ مِنْهُ فَهُوَ الظِّهَارَةُ. فَالْمَعْنَى هُنَا: أَنَّ بَطَائِنَ فُرُشِ الْجَنَّةِ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ فَلَا تَسْأَلُ عَنْ ظَهَائِرِهَا فَإِنَّهَا أَجْوَدُ مِنْ ذَلِكَ [انظر: **تفسير التحرير والتنوير** (27/ 268) لابن عاشور]

- {وَحُورٌ عِينٌ (22) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ} [الواقعة: 22، 23]. وكلمة (حُور) جمع (حَوْرَاءَ) وَهِيَ ذَاتُ الْحَوَرِ ، أى لديها شدة فى بياض الجزء الأبيض من العين ، وشدة فى سواد الجزء الأسود منها وهو من علامات جمال المرأة. قَالَ الأَزهري: لَا تُسَمَّى حَوْرَاءَ حَتَّى تَكُونَ مَعَ حَوَرِ عَيْنَيْهَا بيضاءَ لَوْنِ الجَسَدِ[166]. وكلمة (عِين) جمع (عَيناء) أى واسعات العيون.
- {حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ} [الرحمن: 72].
- {فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ} [الرحمن: 56]
- {وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (48) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ} [الصافات: 48، 49]
- {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (31) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (32) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا} [النبأ: 31 – 33]. وكلمة (كواعب) جمع (كاعب) ، وهى الجارية التى استدار ثديها.
- إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (35) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (36) عُرُبًا أَتْرَابًا (37) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ} [الواقعة: 35 – 38]. وكلمة (عربا) كما قال القرطبى مشتقة مِنْ أَعْرَبَ إِذَا بَيَّنَ، فَالْعَرُوبُ تُبَيِّنُ مَحَبَّتَهَا لِزَوْجِهَا بِشَكْلٍ وَغُنْجٍ وَحُسْنِ كَلَامٍ.
- {قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} [آل عمران: 15]
- {لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا} [النساء: 57]
- {وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: 25]

معنى هذا أن **القرآن اهتم فى الجنة بالنساء أكثر من اهتمامه بالرجال** ، **فمن يحق له أن يشكو من الجنة: النساء أم الرجال؟** هذا بفرض أن أحدا من أهل الجنة سيشكو من الحرمان.

)166 يبدو لنا أن الحور وصف يدل فى الأساس على بياض البشرة ، ففى لسان العرب أن الحَوْراءُ: الْبَيْضَاء. والأَعْرابُ تُسَمِّي نِسَاءَ الأَمصار حَوَارِيَّاتٍ لِبَيَاضِهِنَّ وَتَبَاعُدِهِنَّ عَنْ قَشَفِ الأَعراب بِنَظَافَتِهِنَّ. والحَوارِيَّاتُ مِنَ النِّسَاءِ: النَّقِيَّاتُ الأَلوان وَالْجُلُودِ لِبَيَاضِهِنَّ. والتَّحْوِيرُ: التَّبْيِيضُ. وَقِيلَ لأَصحاب عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْحَوَارِيُّونَ لِلْبَيَاضِ، لأَنهم كَانُوا قَصَّارين. والحَوارِيُّ: البَيَّاضُ، وَهَذَا أَصل قَوْلُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي الزُّبَيْرِ: حَوارِيَّ مِنْ أُمَّتي، وَهَذَا كَانَ بدأَه لأَنهم كَانُوا خُلَصَاءَ عِيسَى وأَنصاره، وأَصله مِنَ التَّحْوِيرِ التَّبْيِيضُ، وإِنما سُمُّوا حَوَارِيِّينَ لأَنهم كَانُوا يَغْسِلُونَ الثِّيَابَ أَي يُحَوِّرُونَها، وَهُوَ التَّبْيِيضُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: امرأَة حَوارِيَّةٌ إِذا كَانَتْ بَيْضَاءَ.والحَوارِيُّ النَّاصِحُ وأَصله الشَّيْءُ الْخَالِصُ، وَكُلُّ شَيْءٍ خَلَصَ لَوْنُه، فَهُوَ حَوارِيٌّ. والأَحْوَرِيُّ: الأَبيض النَّاعِمُ. والاحْوِرَارُ: الابْيِضاضُ. وقَصْعَةٌ مُحْوَرَّةٌ: مُبْيَضَّةٌ بالسَّنَامِ؛ يَعْنِي المُبْيَضَّةَ. والحَوَرُ: خَشَبَةٌ يُقَالُ لَهَا البَيْضاءُ. والحُوَّارَى: الدَّقِيقُ الأَبيض، وَهُوَ لُبَابُ الدَّقِيقِ وأَجوده وأَخلصه. والحُوَّارَى، بِالضَّمِّ وَتَشْدِيدِ الْوَاوِ وَالرَّاءُ مَفْتُوحَةٌ، مَا حُوِّرَ مِنَ الطَّعَامِ أَي بُيِّضَ. وَهَذَا دَقِيقٌ حُوَّارَى، وَقَدْ حُوِّرَ الدقيقُ وحَوَّرْتُه فاحْوَرَّ أَي ابْيَضَّ. والأَحْوَرِيّ: الأَبيض النَّاعِمُ مِنْ أَهل الْقُرَى.

إذن كما ذكر القرآن متعة خالصة للرجال (الحور العين) فإنه قدم كذلك متعا خاصة بالنساء ، أهمها الزينة والجمال ، وهذا لأن **الله تعالى أدرى بطبائع النفوس البشرية** ، **فهو يعلم أن المرأة أكثر حرصا من الرجل على أن تبدو جميلة وأنيقة وجذابة** ، وهذه ظاهرة واضحة كالشمس.

رابعا: اختلاف الرجل والمرأة فى الطبيعة النفسية

من معرفتنا بالطبيعة البشرية نعلم أن المرأة تنجذب للرجل ، وتحاول أن تجذبه إليها. والرجل أيضا ينجذب للمرأة ، ويحاول أن يجذبها إليها ، لكن بين الجنسين فرقا شديد الأهمية، ألا وهو أن المرأة تحاول أن تجذب الرجل من خلال اهتمامها بشكلها وزينتها ، أما إن بالغ الرجل فى الاهتمام بشكله وزينته فسيشك الناس فى رجولته. إن الرجل إن حاول تجميل صورته إلى الحد الأقصى فسيحلق لحيته وشاربه تماما ، ويطيل شعر رأسه ويصففه كالنساء أو يصنع منه ضفائر. وإن استمر الرجل على نفس الطريق لرقق صوته ، ولوضع مساحيق التجميل على وجهه. وكل هذا سيحول الرجل إلى امرأة ، وهذا عار لأن كل جنس له خصائص معينة وصفات مثالية عليه أن يحاول الاقتراب منها ، فعلى الرجل أن يحاول أن يكون أكثر رجولة ، وعلى المرأة أن تحاول أن تكون أكثر أنوثة. ولكى يلفت الرجل نظر المرأة فإن يلجأ إلى أساليب أخرى ، كأن يظهر ذكاءه وخبرته وشجاعته وقوته وبأسه وشدة عضلاته ، ولو سلكت المرأة نفس مسلكه لقوبلت بعاصفة من السخرية بسبب شذوذها عن بنات جنسها. إن جسد الرجل يتميز عن جسد المرأة بالقوة والبأس ، وجسد المرأة يتميز عن جسد الرجل بالجمال والرقة. وإن حاول الرجل أن يصبح رقيقا كالمرأة لأخفق ، وإن حاولت المرأة أن تصبح قوية كالرجل لأخفقت ، ولذا صار من المتفق عليه أن يحاول كل منهما الاستزادة من الجانب الذى يتميز فيه، **فصارت المرأة أكثر حرصا على تجميل جسدها ، وصار الرجل أكثر حرصا على تقوية جسده.**

وقد ترتب على هذا أن أصبحت **المرأة أكثر قدرة على جذب الرجل مقارنة بقدرة الرجل على جذب المرأة ، فمجرد النظر للمرأة من بعيد كاف للفت نظر الرجل ، أما الرجل ففرصته أقل فى إظهار مواهبه** كالقوة والشجاعة والجرأة والخبرة والمنصب والكرم لأن هذه الصفات كثيرا ما تكون غير ظاهرة بذاتها ، فمثلا لكى يثبت الرجل قوته للمرأة عليه أن يصطنع شجارا يضرب فيه خصمه ، ولكى يثبت خبرته عليه أن يوضع فى مأزق يخرج منه بلباقة. **إن هناك القليل مما**

يمكن أن يلفت نظر المرأة إلى الرجل بسرعة ، أما الرجل فما أن يقع بصره على جسد المرأة حتى يخر منهارا. كما يسهل ملاحظة أن **المرأة لا تنجذب للرجل الذى يهتم بشكله بقدر ما تنجذب للرجل الذى يهتم بشكلها ويمدح زينتها ، وبالعكس ينجذب الرجل لأى امرأة جميلة حتى لو قالت له أنت قبيح ومثير للاشمئزاز** ، بينما لو قيل للمرأة: "أنت قبيحة" لبكت بشدة ، وأغلقت عليها بابها.

وعلى ذلك فالمرأة تحاول لفت نظر الرجل وإغرائه من خلال فنون التزين والتجمل ، وقد تقضى الساعات الطوال أمام المرآة لإصلاح صورتها ، وكل امرأة تحمل فى حقيبتها مرآة لا تفارقها أينما ذهبت. أما الرجل فقليلا ما يلجأ لأدوات التجميل ، أو يقف أمام المرآة لأكثر من بضع ثوان ، وهو فى الغالب لا يحاول إخفاء سنه الحقيقى ، ولا يخجل إن كبر أولاده، ولا يقلق كثيرا إن ظهر بياض فى شعره ، أو ارتسمت التجاعيد على وجهه.

ومن الأدلة الأخرى على أن انجذاب الرجل للمرأة أقوى من انجذاب المرأة للرجل انتشار مسابقات ملكات الجمال ، بينما لا توجد مسابقات مماثلة للرجال ، وإن وُجدت لا يهتم بها أحد إلا لكى ينتقدها ويسخر منها. وبالمثل عروض أزياء النساء أكثر وأشهر. ومحلات أزياء النساء أكثر عددا. والمرأة هى الأداة الأساسية التى تستخدمها شركات الدعاية للترويج للسلع ، وصور الجميلات هى المادة التى لا تستغنى عنها الصحف والمجلات ومواقع الإنترنيت. وما كان لهذا أن يحدث لو لم يكن الرجال ينجذبون للنساء بسهولة أكبر من سهولة انجذاب النساء لهم. ويؤكد ذلك ما نلاحظه جميعا من أن غض البصر أمر صعب جدا على الرجل ، لكنه أسهل كثيرا على المرأة ، ولهذا أمر الله تعالى الرجال أولا بغض البصر ، وبعد ذلك أمر النساء بنفس الشىء ، كما فرض الله قيودا على إظهار المرأة لجسدها أكثر من القيود المفروضة على جسد الرجل:

{قلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ

النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور : 30، 31]

إن الرجل لا يجيد فنون الإغراء مثل المرأة ، بل إن الرجل الذى يفرط فى الحرص على مظهره يفقد كثيرا من رجولته ، وقد سمعت يوما فى أحد البرامج أن مسابقة لاختيار أجمل شاب أجريت فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر ، فغضب ، وأمر بإلحاق هؤلاء الشباب بالجيش. حقا ليس هناك ما يدعو للاشمئزاز أكثر من رجل يقف أمام المرآة بالساعات ، أما إن فعلت المرأة نفس الشيء لقيل أنها أنثى كاملة.

إن المرأة هى التى تحاول إغراء الرجل ولفت نظره ؛ المرأة هى التى تبدأ ؛ المرأة هى الفاعل ، والرجل مفعول به ؛ المرأة تصنع الجمال ، والرجل يستهلكه.

والآن إن سألك سائل: ماذا أعد الله للنساء فى الجنة؟ فقل له: لقد **أعد لهن الزينة والملابس والحلى ، ولم يكلمهن عن الرجال لأن المرأة همها الأول – بحكم طبيعتها– أن تكون محبوبة ، لا أن تقابل الرجل المحبوب. المرأة تحرص على وجود رجل ينجذب إليها أكثر من حرصها على وجود رجل تنجذب إليه. أما الرجل فأعد الله له الحور العين لأن هَمَّ الرجل الأول أن يرى الجمال ، لا أن يجعل نفسه جميلا.** ويؤكد كلامنا أن الرجل إذا أراد أن يتزوج المرأة فإنه يدفع لها مهرا ، وإذا دخل الرجل بيت دعارة فإنه يدفع مالا للبغايا وفتيات الليل ، وما ذلك إلا لأن محصلة الجذب المتبادل تميل ناحية المرأة. إن الرجل يجذب المرأة ، وينجذب إليها ، وفى نفس الوقت المرأة تجذب الرجل ، وتنجذب إليه ، لكن قوة شد المرأة للرجل أكبر ، ولهذا لا تتم صفقة الزواج أو الزنا بين الاثنين فى الغالب إلا إذا دفع الرجل مالا أو قدم هدية لمحبوبته.

خامسا: تفاوت الرغبة الجنسية بين الرجل والمرأة

نأتى الآن إلى نقطة فى غاية الأهمية ، وهى أن **الرغبة الجنسية لدى الرجل أقوى من الرغبة الجنسية لدى المرأة ، ولذا كان من الطبيعى جدا أن يكلم الله تعالى الرجال فى القرآن عن الحور العين ، ولا يفعل ذلك مع النساء ، فالمسألة بالنسبة للمرأة أقل أهمية.**

ونحن لا ننكر أن لدى المرأة رغبة تدفعها للجماع ، بل نقصد أن رغبتها فى الجماع وشوقها إليه أقل بشكل ملحوظ من الرجل. وانتشار البرود الجنسى بين النساء أكبر من انتشاره بين الرجال. كما أن **شعور المرأة بالإرهاق الجسدى يقلل من رغبتها فى للجماع** ، بينما يظل الرجل فى أحيان كثيرة راغبا فى الجماع رغم ما يبذله من جهد بدنى وعضلى. سنجد كذلك أن المرأة تتميز بسرعة الانفعالات وتقلب العواطف ، وسهولة الانزلاق إلى الحزن والغضب والاكتئاب. **والحالة النفسية السيئة للمرأة تقلل هى الأخرى من رغبتها فى الجماع.** ومن المعروف أيضا أن أغلب النساء لا يشتقن إلى الجماع إلا بعد مقدمات يقوم بها الرجل لاستمالتهن. ولإيقاظ الرغبة الجنسية لدى المرأة فلا بد أولا من التواصل والقرب والحب والغزل وسماع الكلام الرقيق ، أما الرجل فلا يحتاج لمثل هذه المقدمات ، فهو يقبل على الجماع مباشرة دون إضاعة وقت ، وهذه أمور يعرفها كل زوجين ، ولا داعى للبرهنة عليها.

ولا خلاف بين العلماء على أن الدافع لممارسة الجنس أقوى عند الرجل. ونقدم للقارىء مقتطفات من مقال علمى كبير وشامل ، نقب فيه الباحثون عن أهم الدراسات التى قارنت بين الرغبة الجنسية لدى كل من الرجل والمرأة. وهذا البحث ليس مجرد صفحة من صفحات الإنترنيت الشعبية الموجهة لعامة القراء ، ولكنه بحث علمى متخصص ، كتبه باحثون محترفون، ونشر فى مجلة علمية متخصصة ، ويمكن للقارىء الاطلاع عليه بسهولة [167].

ذُكر فى هذا البحث مثلا أن إحدى الدراسات أظهرت أن 91% من الرجال يحسون بالرغبة الجنسية عدة مرات فى الأسبوع ، بينما كانت نسبة النساء اللائى أحسسن برغبة مماثلة 52% فقط. وفى دراسة أخرى وُجد أن نصف الرجال يفكرون فى الجنس كل يوم ، بينما أكد خُمس النساء فقط أنهم يفكرون فى الجنس بنفس المعدل. وفى إحدى الدراسات قام جونز وبارلو بمتابعة المشاعر الجنسية لدى عينة من الرجال والنساء لمدة 7 أيام ، فوجدوا أن **الرغبة الجنسية راودت الرجال فى المتوسط ضعف مراودتها للنساء** (4.7 مرة لدى الرجال مقابل مرتين لدى النساء).

[167]) **Roy F. Baumeister, Kathleen R.Catanese, and Kathleen D. Vohs.** Is there a gender difference in strength of sex drive? Theoretical views, conceptual distinctions, and a review of relevant evidence. *Personality and Social Psycheology Review*. 2001; 5 (3): 242-273.

وفى دراسة تحليلية بَعدية Meta-analysis أجريت عام 1995 وجد أن **التخيلات الجنسية تحدث بعدد أكبر وتنوع أكبر لدى الرجال مقارنة بالنساء** ، وهذا يشمل تخيل الرجل لعلاقات جنسية مع عدد أكبر من النساء ، كما يشمل تنوعا فى العملية الجنسية نفسها. وفى دراسة أجراها إليس وسيمونز سئل كل من الرجال والنساء السؤال التالى: "هل مارست الجنس فى خيالك مع أكثر من ألف شخص؟" فكان عدد الرجال الذين أجابوا بالإيجاب أربعة أضعاف عدد النساء.

وفى دراسة أجريت على أزواج ارتبطوا معا لأكثر من عشرين عاما **أكد غالبية الرجال (60%) أنهم يريدون زيادة معدل ممارسة الجنس مع زوجاتهم** ، بينما أعربت قلة من النساء (32%) عن رغبتهن فى ممارسة الجنس مرات أكثر.

وفى دراسة أجراها باس وشميت عام 1993م **سئل الرجل عن عدد النساء اللائى يريد أن يقيم معهن علاقة جنسية** فى العامين القادمين ، وسئلت المرأة عن عدد الرجال الذين تريد أن تقيم معهم علاقة جنسية فى نفس الفترة ، فكانت النتيجة أن الرجال فى المتوسط رغبوا فى ثمانية نساء ، بينما رغبت النساء فى المتوسط فى رجل واحد خلال العامين. وحين امتد السؤال إلى بقية العمر وجد أن الرجال يرغبون فى المتوسط فى إقامة علاقة جنسية مع 18 امرأة طوال عمرهم ، بينما رغبت النساء فى 5 رجال فقط.

ووجد العلماء أيضا أن **الرجال أكثر استعدادا من النساء لإقامة علاقة جنسية مع أى امرأة دون سابق معرفة بها ، وهو ما يعرف بالجنس العابر أو العارض** Casual sex. وفى دراسة أجراها لومان وفريقه وجد أن معدل إقامة الرجال لعلاقات جنسية مع نساء قابلوهن منذ قليل كان أكبر من معدل إقامة النساء لعلاقات جنسية مع رجال عرفوهم منذ قليل.

وفى دراسة أخرى وجد أن **أعداد الرجال الذين يقيمون علاقات جنسية خارج الزواج أكثر من أعداد النساء اللائى يفعلن نفس الشىء** ، كما أن الرجال الذين خانوا زوجاتهم فعلوا ذلك مع عدد أكبر من النساء مقارنة بأعداد الرجال الذين أقامت معهم النساء الخائنات علاقات جنسية خارج الزواج.

وإضافة إلى ذلك تتفق الدراسات على أن **نسبة الرجال الذين يمارسون العادة السرية أكبر من نسبة النساء اللائى يمارسنها** ، كما أن الرجال يمارسونها بعدد مرات أكبر. وقد وجدت إحدى الدراسات مثلا أن 45% من الرجال أكدوا أنهم يمارسون العادة السرية مرة واحدة على الأقل فى الأسبوع مقابل 15% فقط من النساء. كما وُجد أن 47% من النساء لم يمارسن العادة السرية قط ، بينما ذكر 16% فقط من الرجال أن لم يمارسوها على الإطلاق. وقد أكدت الدراسات التحليلية البعدية meta-analyses هذه النتائج بوضوح.

ولدينا دراسة مهمة أجريت على الرهبان والراهبات الكاثوليك الذين يأخذون على أنفسهم عهودا مغلظة بألا يمارسوا أى نوع من أنواع الجنس مدى الحياة. وقد وجد الباحثون فى هذه الدراسة أن **الراهبات أقل ميلا للجنس من الرهبان** ، فقد اعترف 62% من الرهبان بممارسة الجنس ، بينما اعترف 49% من الراهبات بممارسته ، كما وجد أن عدد النساء اللائى زنى بهن الرهبان كان أكبر من عدد الرجال الذين زنت معهن الراهبات ، فقد ذكر 24% من الرهبان الذين مارسوا الجنس أنهم ارتبطوا بأكثر من خمس نساء منذ بداية انخراطهم فى سلك الرهبنة ، بينما ذكر 3% فقط من النساء اللائى مارسن الجنس أنهن ارتبطن مع أكثر من خمسة رجال.

ولاحظ الباحثون كذلك أن **الذكور يبدأون فى ممارسة الجنس فى سن أصغر من الإناث** مع أن المتوقع هو العكس لأن الإناث يصلن إلى سن البلوغ قبل الذكور. على سبيل المثال وجدت دراسة أمريكية أجريت فى السبعينيات من القرن العشرين أن 52% من الذكور فى سن السابعة عشرة ذكروا أنهم مارسوا الجنس ، بينما كانت النسبة بين الإناث 16% فقط. وأظهرت دراسة أخرى أجريت فى اليابان أن 80% من الذكور مارسوا العادة السرية قبل سن 21 عاما ، بينما كانت النسبة لدى النساء 12% فقط.

وتجمع الدراسات على أن **الرجال ينفقون أموالهم على الأنشطة الجنسية أكثر من النساء** ، فالرجل هو الذى يدفع للمرأة كى تمارس الجنس معه ، بينما المرأة نادرا ما تفعل ذلك. كذلك ينفق الرجال كثيرا على شراء المجلات والصور الإباحية.

وقد حاولت صناعة الجنس Sex industry استمالة النساء ، لكنها منيت بفشل ذريع متكرر. على سبيل المثال صدر فى السبعينات من القرن العشرين مجلة جنسية اسمها بلاى

جيرل Playgirl (على غرار المجلة الشهيرة بلاى بوى Playboy) ، وصاحبها ضجة كبيرة لأنها كانت تنشر صورا عارية للرجال ، فلم تستهو مثل هذه المواد النساء ، ولم تحقق المجلة المبيعات المطلوبة ، وتحولت إلى موضوعات أخرى لجذب القراء. كما صدرت مجلة أخرى اسمها فيفا Viva كانت تعرض صور الأعضاء التناسلية للرجال ، لكنها فشلت هى الأخرى ، وأغلقت بعد ثلاث سنوات فقط.

لاحظ الباحثون أيضا أن نسبة **انتشار البرود الجنسى** (فقدان الرغبة فى ممارسة الجنس) بين النساء أكبر منها لدى الرجال ، حيث أن 81% من هؤلاء المرضى من النساء.

ومن أدق المؤشرات على شدة الرغبة الجنسية لدى الرجل مقارنة بالمرأة هو ما يعرف بالخروج الكامل من الجنس Total sexual outlet ، أى التوقف التام عن ممارسة كل شكل من أشكال الجنس. وقد وجدت الدراسات أن **من السهل على المرأة -إن فقدت زوجها أو رفيقها- أن تتوقف تماما عن ممارسة الجنس إلى أن تعثر على رفيق آخر ، فتعود حينئذ للجنس ، بينما يجد الرجل صعوبة فى التأقلم مع توقف الجنس** ، فيلجأ بسرعة إلى البحث عن امرأة أخرى ، أو يمارس العادة السرية، لكنه لا يطيق البعد التام عن الجنس طويلا (وليس هذا تشجيعا منا على ممارسة العادة السرية ، ولكنه مجرد وصف لما يفعله الناس).

وتتأثر الرغبة الجنسية بعوامل عديدة ، بيولوجية واجتماعية ، لكن حظى هرمون الذكورة "التستوستيرون" باهتمام كبير كسبب رئيسى لحدوث الرغبة الجنسية ، ومن المعروف أن نسبة التستوستيرون لدى المرأة أقل كثيرا من نسبته لدى الرجل ، ولهذا استخدم هذا الهرمون لعلاج النساء اللائى يعانين من البرود الجنسى.

ويمكن للقارىء أن يتجاهل الدراسات والأرقام ، **وينظر إلى ظاهرة الدعارة** ، ليلاحظ أن الرجال هم الذين يذهبون إلى بيوت الدعارة دون النساء. ولو كانت رغبة المرأة أكبر لوجدت بيوت دعارة يعمل بها رجال ، ويتردد عليهم زبائن من النساء. وعدم إنشاء مثل هذه البيوت سببه أنها ستعانى من الكساد لأن حرص النساء على الجنس أقل بكثير من الرجال. حقا سيتردد على تلك البيوت بعض النساء ، لكن الإقبال سيكون أقل كثيرا ، ولن تحقق الربح الكافى لأصحابها.

النتيجة التى لا غبار عليها أن **رغبة الرجل فى الجماع أكبر من رغبة المرأة ، وهذا سبب مهم جعل الله تعالى يذكر الحور العين فى الجنة ، فالرجل مهووس بالجنس باستمرار ، أما المرأة فقليلا ما تفكر فيه**. إن أمنية كل رجل – مهما كان تدينه وغضه للبصر– أن يعرف عددا لا نهائيا من النساء ، أما المرأة فهى تميل بحكم فطرتها إلى رجل واحد فقط أو عدد قليل جدا من الرجال. ونحن نتكلم الآن بشكل عام ، لكن لكل قاعدة شواذ ، فمن النساء من يتمتعن برغبة جامحة، وهؤلاء لا يمثلن القاعدة العريضة ، ولا تبنى عليهن الأحكام.

هذه هى الفطرة التى راعاها الله ، وغفل عنها أعداء الإسلام ، فليذهب الحمقى إلى الجحيم.

ملحوظة: زيادة الرغبة الجنسية لدى الرجل تمثل أحد الأسباب التى تفسر إباحة الإسلام لتعدد الزوجات. وهناك أسباب أخرى كثيرة ، لا مجال لذكرها الآن.

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

سادسا: السكوت لا يعنى الإهمال

من الأمور التى غفل عنها المغرضون أن **القرآن لا يتضمن ذكرا لكل متع الجنة. ولو أخبرنا الله تعالى أنه قد أحصى فى القرآن كل هذه المتع فربما جاز لهم اتهام الإسلام بظلم النساء فى الآخرة**. على سبيل المثال لا يخبرنا القرآن كيف ستكون المتعة الجنسية فى الجنة لفتاة لم تتزوج فى الدنيا، وهؤلاء كثيرات جدا. وبالمثل لم يخبرنا الله تعالى عن تلك المرأة التى أرغمت فى الدنيا على الزواج من رجل لا تحبه ، أو تزوجت رجلا أساء معاملتها دون ذنب فعلته ، ومن هذا النوع امرأة فرعون التى دعت الله تعالى أن ينجيها من فرعون وعمله: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [التحريم: 11]. ولا نجد فى القرآن تفاصيل عن هؤلاء النسوة اللائى حرمن من الزواج أو من السعادة الزوجية. ويمكن بقليل من الخيال أن يتوقع المرء أن يزوجهن الله تعالى بشباب طيبين من البشر ، أو يخلق لهن خصيصا ذكورا لم يعيشوا من قبل على الأرض مثلما خلق الحور العين للرجال. ولا نجد كذلك شيئا ثابتا بخصوص المرأة التى تزوجت بأكثر من رجل

فى الدنيا ، وإن كان هناك رواية ضعيفة تقول أنها ستخير بينهم فى الجنة ، فتختار أحسنهم خلقا ، لتكون زوجة له وحده[168].

وعلى ذلك فعدم ذكر القرآن للمتع الجنسية للمرأة فى الجنة لا يعنى أنه أهمل أمرها أو أن هذه المتع لن يكون لها وجود لأن القرآن سكت عن كثير من أشكال النعيم فى الجنة ، والسكوت عن بعض الأمور لا ينفى وجودها ، ومن عادة القرآن إبراز الخطوط العريضة ، والتغاضى عن كثير من التفاصيل التى يستحيل ملاحقتها جميعا.

ويمكن للمرءِ أن يطلق العنان لخياله فى إطار مبدأ كمال السعادة فى الجنة الذى عبر عنه قوله تعالى: {وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ} [فصلت: 31]. لك الحق عزيزى القارىء أن تتخيل كما تشاء طبيعة الأشياء التى سكت عنها الله. أما بالنسبة لى شخصيا فالآية الأخيرة تكفينى. يكفى أن أعلم أن **كل من يبحث عن نوع من أنواع السعادة سيجده فى الجنة ، أما السعى وراء التفاصيل فأمر لا طائل من ورائه. والعاقل هو من يركز جهده على العمل ، ويترك الجزاء لصاحب الأمر** ، فالعالم الجاد يجتهد فى معمله ليحل مشكلة علمية عويصة دون أن يكون فى ذهنه تصور محدد عن طبيعة التكريم الذى سيلقاه، وعدد الجوائز التى ستقدمها له الدولة ، وأسماء القنوات الفضائية التى ستجرى حوارات معه ، وعدد الاقتباسات التى سيحصدها بحثه المنشور فى مجلة نيتشر. إن **الإصرار على السؤال عن طبيعة المتعة الجنسية للنساء فى الجنة يدخل فى باب التفاهة وقلة العقل.** اتركوا الأمر لله تعالى ، ولن يخذلكم قط. آمنوا بوجود إله للكون ، وآمنوا بأن هذا الإله سيثيب الطائعين بصرف النظر عن جنسهم ، وركزوا جهودكم على العمل الصالح.

قلت هذا الكلام مرة لأحد الأشخاص ، فظل مصرا على معرفة شكل المتعة الجنسية للمرأة فى الجنة ، فقلت له وصبرى يكاد ينفد: "لا تضطرنى للكلام عن أمور أكره الخوض فيها. يا أخى شغل مخك ، فالأمر ليس صعبا ؛ **يمكنك أن تتخيل أن الله تعالى قد يزيد من طول فترة الجماع،** و**من المتعة الناشئة عنه** بحيث تزيد سعادة المرأة مع نفس الزوج. ولاحظ معى أن

168) روى الطبرانى فى المعجم الكبير والأوسط: قالت أم سلمة: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ الْمَرْأَةُ مِنَّا تَتَزَوَّجُ الزَّوْجَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ وَالْأَرْبَعَةَ ثُمَّ تَمُوتُ فَتَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَيَدْخُلُونَ مَعَهَا مَنْ يَكُونُ زَوْجُهَا؟، قَالَ: " يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهَا تُخَيَّرُ فَتَخْتَارُ أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا فَتَقُولُ: أَيْ رَبِّ إِنَّ هَذَا كَانَ أَحْسَنَهُمْ مَعِي خُلُقًا فِي دَارِ الدُّنْيَا فَزَوِّجْنِيهِ". وفى سنده سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي كَرِيمَةَ ، وهو ضعيف: قَالَ ابْنُ عَدِيٍّ: عَامَّةُ أَحَادِيثِهِ مَنَاكِيرُ، وَلَمْ أَرَ لِلْمُتَقَدِّمِينَ فِيهِ كَلامًا. قال الذهبى: ضَعَّفَهُ أَبُو حَاتِمٍ، وَمَا وَثَّقَهُ أَحَدٌ. انظر: **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام** (4/ 401) لشمس الدين الذهبي.

الرجل سيكون مختلفا جدا فى طباعه يوم القيامة ، فهو لن يكون مشغولا بأى مشاكل أو هموم تقلل من كفاءته البدنية ، ولن يكون لديه ضيق فى الوقت ، ولن يحمل فى قلبه أى ضغينه تجاه زوجته بعد أن نزع الله تعالى كل ما فى قلوب الناس من غل ، وهذا **سيجعله أفضل خلقا ورقة مع زوجته** ، خاصة وأنها **ستبدو فى عينيه أكثر جمالا وشبابا وطهارة.** كما أن **المرأة هى الأخرى لن تحمل فى قلبها أى غضب من زوجها** بسبب أى مطالب مالية أو خلافات مع أمه وإخوته.

ومن الممكن أن يغير الله تعالى من طباع المرأة فى الجنة بحيث يكون إقبالها على الجماع مثل إقبال الرجل ، فمن المعروف أن الرجل سهل الاستثارة ، ويشتاق للجماع بمجرد رؤية مفاتن المرأة، أما المرأة ففى العادة لا تشعر بالرغبة فى الجماع إلا بعد حدوث مقدمات وتمهيد من طرف الرجل. **ومن المحتمل أن يغير الله تعالى من الخصائص النفسية للمرأة يوم القيامة بحيث تشعر بالإقبال على الجماع دون حاجة لمقدمات أو تمهيد.** ويضاف إلى ذلك أن **المرأة ستكون فى الجنة بلا مشاكل ولا متاعب ، وستكون متفرغة بشكل كامل للمتعة** ، فهى لا تحمل هم الطبخ ولا النظافة ولا دروس الأولاد ولا أدوية ابنها المريض.

وفضلا عن ذلك **ففى الجنة لن تشعر المرأة بالنفور من الجماع ، ولا من طول مدته** لأن الجماع لن يسبب لها أى ألم أو إرهاق كما يحدث فى الدنيا لأن الجنة كما قلنا دار بلا أى تعب لقوله تعالى: {لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ} [الحجر: 48] ، وقوله: {الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ} [فاطر: 35].

كل هذه الأمور ستجعل متعة المرأة أضعافا مضاعفة فى الجنة. وهذا يكفى تماما للرد على الملحدين.

وإن قال قائل: **وهل سيُسمح للمرأة فى الجنة بالزواج من أكثر من رجل** مع العلم أن الأضرار الناشئة عن تعدد الأزواج لن يكون لها وجود فى الجنة؟ قلنا: ليس فى القرآن ما يثبت ذلك أو ينفيه ، وأى رأى فى تلك المسألة يدخل فى باب الظنون ، ويغنى عن هذا أن نعلم أن الله تعالى أعد للمؤمنين فى الجنة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر. يكفى أن

تدرك المرأة أنها لن تحرم من المتعة الجنسية ، لكن كيف يحدث ذلك ، لا نعلم ، ولا يهم عاقل أن يعلم.

سابعا: مراعاة حياء المرأة

المرأة السوية **تخجل بطبعها من الإفصاح عن رغبتها الجنسية ، وتخجل من أن تسمع من يحدثها عنها** ، أو يصف لها تفاصيل ما ينتظرها من لذة. **ولا يرضى رجل فاضل أن تسمع زوجته أو ابنته كلاما من هذا النوع** ، فيجمح خيالها فى أمور يعف اللسان عن ذكرها. إن **المجتمع الفاضل لا يرضى أبدا بإثارة شهوة المرأة علنا ، والمرأة الفاضلة لا تقبل أن تسمع على الملأ ما يثير شبقها ، ولو تضمن القرآن شيئا من ذلك ولو تلميحا لسبب إحراجا كبيرا للأسر الفاضلة خاصة أنه كتاب يتلى فى كل بيت وكل وقت.** وهذا يكفى تماما كى نغلق هذا الباب الذى لا يليق بنا أن نفتحه ، لكن الملحد الذى لا يعرف قيمة اسمها الخجل يريد أن يسمع من المسلم كلاما مستفيضا وتفاصيل دقيقة ، **فليعلم هؤلاء أن العيب فيهم ، لا فى الإسلام ، فنحن نعيش فى عصر فسدت فيه الفطرة** ، وهب العالم كله لنصرة الشذوذ الجنسى ، والدفاع عن الزنا والعرى والإلحاد. وحتى فى بلاد المسلمين أصبح من المعتاد أن تطل علينا مقدمة برامج منحطة لتتكلم فى أخصص خصائص العلاقة بين الرجل وزوجته دون ذرة حياء مع أن طرح هذه الموضوعات على الشاشة كان ضربا من ضروب الخيال منذ عهد غير بعيد. **لقد فسدت فطرتكم ، فلا تحاسبوا الإسلام قبل أن تصلحوا ما أفسدتم.**

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

العذاب النفسى فى الآخرة

من أسوأ أنواع البشر جاهل يظن نفسه مثقفا. ومن أسوأ أنواع المثقفين مثقف يظن نفسه عميق الفكر. وكل أولئك الذين انتقدوا الآخرة فى الإسلام ، وعابوا عليها وجود العذاب الحسى فى جهنم هم من هذه النوعيات لأنهم فى الحقيقة لا يرددون إلا ما يقوله الآخرون دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث فيما وراء الظاهر. والحقيقة أن الأمر لا يتطلب أكثر من حسن النية كى يكتشف المرء بقليل من التأمل أن الكافر فى الآخرة ستحيق به صنوف من العذاب النفسى لا تقل بشاعة عن العذاب الحسى. وقد حاولنا تصنيف ألوان هذا العذاب النفسى ، ولنترك القرآن يتكلم ، ونستمتع ببلاغته التى أرجو ألا تفسدها تعليقاتى:

1- الخزى والإهانة والذل

ما أقسى أن يهان الكريم أو يذل العزيز! هذا ما سيحدث يوم القيامة إذ سترى **المجرمين واقفين أمام الله ، وكل منهم قد طأطأ رأسه فى ذل ومهانة** ، كما لو كان موظفا منحه مدير الشركة فرصة ذهبية ليثبت كفاءته ، ويترقى إلى منصب أعلى ، فأخفق ، وتسبب فى خسارة الشركة ، فاستدعاه المدير كى يفصله ، فوقف منكس الرأس ، ولم يجد شيئا يقوله إلا أن يستجدى فرصة أخرى يثبت بها جدارته. وفى هذا المعنى قال عز وجل: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ} [السجدة: 12].

وفى آية أخرى نجد الكافر يغشاه الذل ، وقد وقف أمام الله ، خافضا بصره بعد أن كان فى الدنيا شامخا مرفوع الرأس: {خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ} [المعارج: 44]. أتذكر الآن نجوم الإلحاد الذين كان يشار إليهم بالبنان مثل ريتشارد دوكينز وسام هاريس وستيفن هوكنج وسيد القمنى. كيف يكون منظرهم فى ذلك اليوم؟ لكم أن تتخيلوا.

ومن أروع الآيات التى تصور إهانة الكافر يوم القيامة تلك التى نجد فيها الكفار يؤمرون بالسجود لله ، فيحاولون السجود ، فلا تنحنى ظهورهم: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (42) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ} [القلم: 42- 43]. يا لها من لحظة صعبة تلك التى يتمنى فيها الكافر أن يذل نفسه لله، فلا يستطيع! إن الكافر لو سجد لله فى الآخرة لكان فى هذا إهانة شديدة له بعد أن كان فى

الدنيا يكذب بالله ، ويستخف بدينه ، ويتعالى على عباده ، **ولكن ما سيحدث أكثر خزيا ، فنحن أمام كافر يتمنى الذل ، ولا يجده** ، كافر منتهى أمله أن يظهر الخضوع لله ، فلا تطاوعه أعضاؤه. **إنها إهانة مُركبة** ؛ فالكافر من ناحية على استعداد تام لإذلال نفسه لله درءا للعذاب ، ولكنه من ناحية أخرى ممنوع من تحقيق رغبته فى الذل ، فكأنه غريق يوشك على الموت ، وهو لا يعرف السباحة ، فرأى رجلا على ظهر سفينة ، فاستغاث به ، فألقى إليه الرجل بطوق نجاة ، ولكن فى مكان شديد البعد قائلا: "خذ الطوق ، ونج نفسك" ، فعجز صاحبنا بالطبع عن السباحة، ومات شر موتة.

وفى آية أخرى يهدد الله تعالى الكافر الذى ينهى الناس عن الصلاة بعذاب مهين فى الآخرة ، حيث سيؤخذ هذا المتكبر إلى النار، والملائكة تجذبه جذبا شديدا من مقدمة رأسه: {كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (15) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ} [العلق: 15، 16]. وكلمة (لنسفعاً) مأخوذة من "السفع" ، وهو الجذب بشدة. و"الناصية" هى مقدمة الرأس[169]. وهذا جزاء من بلغ به التكبر حدا جعله لا يكتفى بالامتناع عن الصلاة ، بل حاول أيضا منع المؤمنين من أدائها. روى البخارى فى صحيحه فى سبب نزول هذه الآية أن أبا جهل قال: لَئِنْ رَأَيْتُ مُحَمَّدًا يُصَلِّي عِنْدَ الكَعْبَةِ لَأَطَأَنَّ عَلَى عُنُقِهِ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «لَوْ فَعَلَهُ لَأَخَذَتْهُ المَلاَئِكَةُ». وفى عصرنا الحديث رأينا مسلمى الصين تمنعهم الحكومة من الصلاة والصيام وممارسة شعائر الإسلام ، ورأينا حكومات بعض الدول الإسلامية ، وهى تشن حملات مسعورة لهدم المساجد. ومن قَبل مُنع مسلمو الأندلس من الصلاة ، وأُكرهوا على اعتناق النصرانية. كل هؤلاء المتكبرين سيلاقون يوم القيامة من الإهانة ما يشفى صدور قوم مؤمنين.

وفى إحدى الآيات **يأمر الله عز وجل الملائكة بأن "تَعتِل" فاعل الإثم ، أى تجره أو تدفعه أو تسوقه بعنف إلى وسط الجحيم ، كما يحدث مع المجرمين** حين يقتادهم رجال الشرطة بعد القبض عليهم متلبسين[170]. وبعد القبض علي المجرم تصب الملائكة فوق رأسه ماء شديد الحرارة: {خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (47) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (48) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} [الدخان: 47 – 49]. وليست المشكلة فقط فى أن الماء مغلى ، ولكن

---

169) قَالَ الأَزهري: النَّاصِيَة عِنْدَ الْعَرَبِ مَنْبِتُ الشَّعْرِ فِي مقدَّم الرأْس، لَا الشعَرُ الَّذِي تُسَمِّيهِ الْعَامَّةُ النَّاصِيَة، وَسُمِّيَ الشَّعْرُ نَاصِيَةً لِنَبَاتِهِ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ (نقلا عن معجم لسان العرب)

170) ورد فى لسان العرب أيضا: "وَقِيلَ: العَتْلُ أَن تأْخُذَ بتَلْبيبِ الرَّجُل فتَعْتِله أَي تَجُرّه إِليك وتَذْهَب بِهِ إِلى حَبس أَو بَلِيَّة".

سقوط أى ماء على الرأس فى وقت غير متوقع يضايق الإنسان إلى أقصى حد ، كما أنه يدخل فى العين والأنف ، فيهيجهما ، وقد يصيب الإنسان بالاختناق. كما أن الماء الحار يلقى عليهم وهم فى سواء الجحيم ، أى وسط النار حيث الحرارة أشد ما يمكن ، فهو عذاب فوق عذاب. وانظر إلى قوله تعالى: (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) الذى يمثل صفعة عنيفة على وجه الكافر لأنه يجعله يستحضر قوته وعزته وجاهه فى الدنيا ، فيشعر بهول الفارق بين ما كان وما هو كائن. وأتخيل الآن صاحب منصب ، دخل على أحد المسلمين فى سجنه ، ونظر إليه فى شماتة، وساومه كى يبيع دينه ، فرفض الرجل ، فأومأ الشيطان برأسه ، فانهالت زبانية إبليس على السجين ، وأشبعته ضربا وإهانة حتى خر مغشيا عليه. هذا الرجل المهم سيهان فى الآخرة كما أهان هذا البرىء.

ولما تقوم الساعة ، وتنشق السماء ، تقبض الملائكة على المجرمين ، وتأخذهم من نواصيهم (مقدمات رءوسهم) وأقدامهم: {يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ} [الرحمن: 41]. وتخيل مخرجا عالميا أو ممثلة حاصلة على الأوسكار أو كاتبا من الحائزين على نوبل ، والملائكة تجرهم على الأرض من أقدامهم دون اعتبار لمقاماتهم. ما أشدها من إهانة!

2- الحرمان من الدفاع عن النفس

كل إنسان يحرص على الدفاع عن نفسه ، إما لأنه يريد أن ينجو من العقاب ، أو لأنه يكره أن تكون صورته قبيحة فى أعين الآخرين. **ومن يُحرم من الدفاع عن نفسه فقد ينفجر ، أو يصاب بالجنون.**

ويوم القيامة سيمنع الله تعالى بعض الكفار من الاعتذار والدفاع عن النفس ، وسيكون هذا صنفا من صنوف العذاب النفسى ، يضاف إلى العذاب الحسى. قال تعالى: {هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ (35) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ} [المرسلات: 35، 36]. ويوم القيامة لن يكون الكلام مع الله متاحا لكل من أراد: {رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا} [النبأ: 37]. وقال تعالى فى آية أخرى: {وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ} [النحل: 84]. وقوله (لا يؤذن) أى لا يؤذن للكافرين فى الاعتذار. لقد كانوا يظنون أن حق الدفاع سيكون مكفولا لهم كما كان الأمر فى محاكم الدنيا ، ولكنهم سيفاجأون بأنهم محرومون

من حق الكلام. يا لها من لحظة صعبة حين تفقد الوسيلة الوحيدة التى كنت تأمل أن تنجيك من مصيرك الأسود بعد أن تبين لك أنه لا أحد يقدر على إنقاذك من عذاب الله إلا الله!

وبعد أن يدخل الكفار النار ، ويطلبون من الله عز وجل الصفح فإنه سينهرهم ، ويأمرهم بلهجة حادة أن يسكتوا: {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (107) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ} [المؤمنون: 107، 108].

وفى آية أخرى يسأل الله الكفار عن سبب تكذيبهم ، فلا ينطقون: {حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (84) وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ} [النمل: 84، 85]. وعدم النطق هنا قد يكون سببه أن الله تعالى أفقدهم القدرة على الكلام ، أو أنه جعلهم ينسون أحداث الدنيا التى يمكن أن يستخلصوا منها براهين على براءتهم ، كما فى قوله: {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (65) فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ} [القصص: 65، 66]. وربما يكون سبب عدم النطق – كما يقول الرازى– أن الْعَذَابَ يَغْشَاهُمْ بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ بِآيَاتِ اللَّه فَيَشْغَلُهُمْ عَنِ النُّطْقِ وَالِاعْتِذَارِ.[171]وفى جميع الأحوال سيحترق قلب الكافر من الغيظ كما احترق جسده من النار. اللهم إنا نسالك السلامة.

3- سماع اللعنات

اللعنة هى الطرد والإبعاد عن الخير. ويوم القيامة ستنصب اللعنات على الكفار من الناس والملائكة على حد سواء ، وسيستجيب الله تعالى لهم. ولا شك أن مما يؤلم الإنسان ويجرحه أن يسمع كل الخلائق تسبه وتدعو عليه ، وتطالب الله بأن يطرده من رحمته. إنه سيشعر أنه منبوذ من الجميع. اقرأوا معى كلام القرآن:

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [البقرة: 161].
{أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [آل عمران: 87]
{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ } [هود: 18]

---

[171]) **تفسير الرازي** (24/ 573)

{وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [الأعراف: 44]
{وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا} [العنكبوت: 25]

ويلاحظ فى آية البقرة 161 أن كل الناس ستلعن الكافر ، وهذا غريب لأنه إذا كان من الطبيعى أن يتلقى الكافر اللعنات من المؤمنين ، فلماذا يلعنه الكفار أيضا؟

إن الكفار سيلعنونه لأنه أضلهم ، وتسبب فى هلاكهم ، فمثلا يعتبر نيتشه أشهر ملحد فى العصر الحديث ، وقد أضل هذا الرجل آلاف الناس ، وسمى أتباعه بالعدميين. كما يعد نيتشه الأب الروحى لفلاسفة ما بعد الحداثة الذين يهيمنون على الثقافة والمجتمع فى العالم منذ عدة عقود. ويوم القيامة ستنصب اللعنات على نيتشه بالتوازى مع كثرة أتباعه. قال تعالى: {ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا} [العنكبوت: 25]. وإضافة إلى ذلك سيحاول الكفار التقرب إلى الله عن طريق لعن أصدقائهم ، وإظهار البراءة منهم ، والندم على صحبتهم. فمن ذا الذى يفرح إن لعنته كل الخلائق؟ أليس هذا عذابا نفسيا يضاف إلى عذاب النار؟

4- الندم

فى كثير من الأحيان لا يتألم الإنسان فقط بسبب مصيبة ألمت به ، ولكن يتألم أيضا بسبب إدراكه أنه اتخذ القرار الخاطىء. الندم يتسبب فى مضاعفة الألم. ولا ندم أكبر من ندم الكفار يوم القيامة. **وأروع ما يمكن أن يقرأه الإنسان عن الندم** قوله تعالى: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27) يَاوَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (28) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا} [الفرقان: 27 – 29].

وسيبلغ الندم منتهاه حين يكتشف الكفار يوم القيامة أن آلهتهم التى كان حبها يملأ قلوبهم لا تسمن ولا تغنى من جوع ، وأنها تتبرأ منهم ، فيتمنون لو عادوا إلى الدنيا مرة أخرى كى يتبرأوا منها كما تبرأت منهم: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (165) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (166) وَقَالَ

الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} [البقرة: 165 – 167]

وتكلم القرآن عن اعتراف الكفار بالحسرة والندامة يوم القيامة ، فقال: {قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَاحَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ} [الأنعام: 31]. وقال: {أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (56) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (57) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [الزمر: 56، 58].

وانظر كذلك إليهم ، **وهم يعترفون بالخطأ** ، **ويستجدون من الله فرصة أخرى**. قال تعالى: {قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (106) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ} [المؤمنون: 106، 107]. وقال: {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (27)} [الأنعام: 28].

5- انفضاض الأتباع

من أقسى اللحظات التى يمكن أن يمر بها الإنسان أن **يجد أهل بيته ينفضون من حوله**. قال تعالى: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (36) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ} [عبس: 34 – 37]. تصور الأم التى كانت تسهر على ابنها المريض كى ترضعه وتعطيه الدواء ستفر منه يوم القيامة ، وتنشغل بمصيرها أولا. **وإذا تبرأ أفراد الأسرة الواحدة من بعضهم البعض فلا غرابة فى أن يتبرأ الصديق من صديقه:** {الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} [الزخرف: 67]. والأخلاء هم الأصدقاء. وأهل الباطل فى العادة يصاحبون الآخرين من أجل المصالح والمنافع ، فإذا زالت المصالح يوم القيامة لم يعد للصداقة معنى لديهم.

ومن أكثر اللحظات التى أثارت الحزن فى القلوب لقاء على إحدى الفضائيات مع ممثلة كانت يوما ما نجمة السينما الأولى فى مصر ، لكنها اختفت تماما بعد أن كست التجاعيد وجهها ، وضعفت صحتها ، فشعرنا أن قلبها يحترق لأنه لا أحد من الناس صار يتقرب إليها. ولا زلت أذكر كيف تكلم الممثل فؤاد المهندس قبيل وفاته عن حزنه بسبب انصراف المخرجين عنه بعد أن ظل نجم مصر الأول لسنوات طويلة. وفى كثير من الدول يترك الوزير منصبه ، فيبتعد عنه

كل المنتفعين الذين كانوا يتسابقون لخطب وده. ويوم القيامة سيشعر الكافر بهذا الألم النفسى حين يجد أنه لا أحد ممن كانوا مقربين منه يدافع عنه ، أو يبدى نحوه التعاطف والشفقة.

وحذر نبى الله إبراهيم قومه من يوم القيامة الذى تنقطع فيه كل أواصر الصداقة والمودة: {وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} [العنكبوت: 25]. واتخاذ الأصنام على سبيل المودة فى الآية السابقة قد يكون معناه أن الرجل إذا دخل بيت صديقه سجد للأصنام الموجودة هناك كما لو كانت الأصنام تستحق التحية كغيرها من آل البيت. وقد يكون المعنى أن الرجل الذى يحب أباه أو أمه أو زعيم قبيلته يسجد لنفس الصنم الذى يعبدونه على سبيل المجاملة وإظهار الود والولاء ، طبقا لقاعدة "محبوب حبيبك يجب أن يكون محبوبك". لكن إذا أتى يوم القيامة تبرأ الصديق من صديقه والحبيب من حبيبه.

وبين القرآن فى مواضع أخرى **حسرة الكفار الذين لا يجدون حولهم صديقا حميما ولا شفيعا:** {فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (100) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ} [الشعراء: 100 – 101]. وقال أيضا عن غياب الأصدقاء والشفعاء: {مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ} [غافر: 18]. وتصور مغنية مشهورة كان ملايين المعجبين يجرون وراءها فى الدنيا ، فإذا بها تجد نفسها فى قلب الجحيم مع المجرمين ، الذين يضربونها ، ويدفعونها ، وهم يتسابقون للفرار مما يلاحقهم من عذاب.

كان هذا حال العصاة والمذنين ، أما المؤمنون فسيلقون تأييدا من أصدقاء غير متوقعين، وذلك أن الملائكة ستشفع لهم ، وتلتمس لهم الصفح والغفران من الله: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (7) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (8) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [غافر: 7– 9]

6- سوء الاستقبال

حين تهم الملائكة بإلقاء فوج جديد من الكفار فى النار فإنها تخبر الفوج السابق بأصحابهم الجدد الذين سيقتحمون النار معهم لأنهم على شاكلتهم ، فيقول الكفار: (لا مرحبا بهم). تصور أنك تدخل إلى مكان فبدلا من كلمة (أهلا وسهلا) تجد من يعلن نفوره منك وعدم ترحيبه بزيارتك:

{هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ (59) قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ (60) قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ} [ص: 59 – 61]. وقوله (هذا فوج مقتحم معكم) هو قول الملائكة مخاطبة بعضا من أهل النار. وقوله (لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار) هو قول أهل النار بخصوص الضيوف القادمين عليهم. وقوله (بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار) هو قول فوج الكفار القادم إلى النار متهما سكان النار الذين سبقوهم بأنهم كانوا سبب ضلالهم فى الدنيا.

7- الخداع

من أشق الأمور على النفس أن **يكتشف المجرم يوم القيامة أن نجاحه الكبير فى الحياة لم يكن أكثر من فخ نصبه الله له**. لقد منحه الله المال والجاه والجمال والثقافة ليس لأنه يحبه ، ولكن لكى يغتر ، ويزداد طغيانا: {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} [آل عمران: 178]. والله تعالى يضل من يستحق الضلال ، ويهدى من يستحق الهداية: {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا} [البقرة: 10]

ومن صور الخداع يوم القيامة أن **الله تعالى سيوهم المنافقين بأنه يصدق إيمانهم وولاءهم للإسلام ، ولن يخبرهم بأنهم من أهل النار** ، حتى إذا رأى المنافقون نورا جميلا على وجوه المؤمنين ، طلبوا منهم أن يمنحوهم بعضا منه ، فيقال لهم: "ارجعوا إلى الخلف ، وهناك ستجدون النور" ، فيرجع المنافقون ، لكنهم يفاجأون بسور يقام بينهم وبين المؤمنين ، ومن يحاول من المنافقين النفاذ من باب السور سيهب عليه عذاب من جهة السور ، بينما المؤمنون على الجانب الآخر يتمتعون بكل الخيرات: {يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ} [الحديد: 13]. لقد كانت خدعة كى يفصل الله بين أهل الإيمان وأهل النفاق ، ويا لها من خدعة مؤلمة! ولكن هكذا يجب أن يكون الجزاء من جنس العمل.

8- غياب النصير

من المؤلم أن يتعرض الإنسان لهجوم من الجميع ، ولا يجد حوله من يؤيده وينصره ويتبنى قضيته. إن مجرد الشعور بأن هناك من يحارب فى صفك يكسبك بعض القوة ، ويجلب لك قدرا من العزاء. أما يوم القيامة فلن يقدر أحد على نصر أحد ، بل لن يجروء أحد على محاولة إنقاذ

أحد من العذاب. قال تعالى: {وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ} [الزمر: 54]. وقال: {لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ} [الأنبياء: 39]. وقال: {بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا} [الكهف: 58]. و(موئلا) تعنى (ملجأ).

9- اكتشاف فساد الاعتقاد

من صور العذاب النفسى أن **يكتشف الإنسان أنه كان يؤمن بأوهام ، ويعتقد فى أباطيل بلا أساس.** وتخيل رجلا اكتشف فجأة فى سن الأربعين أن أباه ليس أباه. يالها من صدمة!

لقد كان الكفار فى الدنيا يعبدون الأصنام ، ويظنون أنها تقربهم إلى الله ، بل كانوا يظنون أن الله تعالى أوكل لها كل شىء ، وترك لها مهمة إدارة كل شئون الكون ، وجلس على عرشه دون عمل. وليس هذا فقط شأن عبدة الأوثان ، فالنصارى أيضا أشركوا بالله حين اتجهوا بكل قلوبهم ودعائهم إلى يسوع ، ونسوا الله نفسه[172]. والشيعة اتخذوا عمليا الحسين وذريته آلهة من دون الله[173]. وفعل الصوفية نفس ما فعله الشيعة حين اعتقدوا بقدرة الأولياء على جلب الخير ودفع الضر. كل هؤلاء سيشاهدون يوم القيامة الرجال الصالحين الذين عبدوهم من دون الله ، لكن هؤلاء الشركاء سيتبرأون من تلك العبادة ، وسيعلنون خضوعهم التام لله: {وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ (86) وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (87)} [النحل: 86، 87]. وقال تعالى: {وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (28) فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (29)} [يونس: 28، 29]. وقال أيضا: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ

---

[172]) رغم أن القرآن لا يستخدم فى العادة مصطلح (المشركين) للإشارة إلى النصارى إلا أنه عدَّ عقيدتهم داخلة فى باب الشرك ، وذلك حين استخدم عبارة (إنه من يشرك بالله) فى قوله تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} [المائدة: 72]. وقال: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (47) إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا} [النساء: 47، 48].

[173]) يقول الشيعة بألسنتهم أنهم يعبدون الله الإله الواحد ، ويؤمنون بآخر الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام ، لكن الواقع يؤكد أن الشيعة يبالغون فى تعظيم أئمتهم الاثنى عشر ، ويرفعونهم إلى مقام يفوق مقام الأنبياء والملائكة ، ويجعلونهم شركاء لله فى الملك. وقد سمعت على إحدى القنوات الإخبارية المعروفة يوما أحد المحاربين الشيعة فى العراق يدعو قائلا: (يا الله ، يا محمد ، يا على ، يا حسين ، يا مهدى) ، فهو هنا يستعين على إصابة هدفه بدعاء الله مع أربعة من البشر ، وهذا شرك عملى. وأى متابع للشيعة يعرف جيدا أن المهدى والحسين بالنسبة لهم أهم من كل الأنبياء.

(165) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (166)} [البقرة: 166 - 165]

10- سواد الوجه

الوجه أهم أعضاء الإنسان. والحضارة الحديثة لا تهتم بشيء أكثر من اهتمامها بالجمال والنضارة وحلاوة الشعر والعيون والجفون؟ لكن **يوم القيامة ستتغير وجوه الكفار حيث يذكر القرآن أنها ستكون سوداء أو زرقاء ، وكلاهما لون مقيت:** قال تعالى: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} [آل عمران: 106]. وقال كذلك: {يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا } [طه: 102]. وقال أيضا: {وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [يونس: 27]. وفى آية أخرى نجد أن وجوه الكفار يعلوها غبار وسواد: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (38) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (39) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (40) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (41) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ} [عبس: 38، 42]. وكلمة (غبرة) تعنى (الغبار) ، وكلمة (قترة) تعنى (سوادا وظلمة)[174].

ويجوز لنا القول بأن الله تعالى سيغير ألوان وجوه الكفار ، ويكسبها بشكل حقيقى لونا أسود كى يشوه جمالها. ومن الجائز أيضا أن نفهم السواد بشكل مجازى ، فنقول أن سواد الوجه وصف لحالة الوجه وقت شعور الكافر بالألم والندم والخوف. ومن المعروف أن المشاعر النفسية السيئة تنعكس على الوجه ، فتنزع منه النضارة ، وتسلب منه البهاء ، فيمكن حينئذ وصفه مجازا بالسواد. وكثير من الناس حتى أيامنا هذه يصفون الإنسان الذى تعرض لموقف محرج أو مهين بأن وجهه كان أسود.

واللون الأزرق قد يكون هو الآخر لونا حقيقيا لوجوه الكفار يوم القيامة ، وقد يكون سببه ضرب الملائكة للكفار ضربا شديدا على وجوههم ، بما يؤدى لحدوث كدمات زرقاء. وقد يكون سبب الزرقة حدوث نقص شديد فى الأكسجين بالدم بسبب حشر الكفار جميعا فى مكان ضيق شديد

---

[174]) قال الآلوسى: (وسوى الفيروزأبادي والجوهري بين الغبرة والقترة فقيل المراد بالقترة الغبار حقيقة وبالغبرة ما يغشاهم من العبوس من الهم. وقيل هما على حقيقتهما والمعنى أن عليها غباراً وكدورة فوق غبار وكدورة. وقال زيد بن أسلم الغبرة ما انحطت إلى الأرض والقترة ما ارتفع إلى السماء ، والمراد وصول الغبار إلى وجوههم من فوق ومن تحت).

الازدحام ، أو لأن الله تعالى قلل من نسبة الأكسجين فى هواء المنطقة التى يقفون فيها حتى يشعروا بالضيق والاختناق.

11- تبدد الثروة

كثير من المجرمين كانوا يمتلكون فى الدنيا ثروات طائلة. ويوم القيامة سينهار الكون ، وتتبدد العقارات ، وتضيع الأموال ، وتختفى البنوك ، وتتوقف البورصات. وحتى لو بقيت الأموال ، وعرضها المجرمون ثمنا للفداء من النار ما قبلت منهم. قال تعالى: {فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [الحديد: 15]. وقال: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} [آل عمران: 91]. وقال أيضا: {وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ} [البقرة: 48]. إن وقْع هذه الخسارة عليهم سيكون فى غاية الألم ، وسيكونون أشبه بمحمود عبد العزيز فى فيلم "العار"[175] الذى فقد عقله حين اكتشف أن المخدرات التى كانت تمثل كل ثروته قد تلفت ، وأصبح مفلسا.

وبالإجمال ستتبدد كل أعمال الكفار التى عملوها فى الدنيا: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا } [الفرقان: 23]. وقال: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزمر: 65]. وقال: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [النور: 39]. هناك أناس أفنوا أعمارهم فى الفن أو الأزياء أو الكرة أو الشعر أو الأدب أو التجارة أو البحث العلمى. ويوم القيامة سيكتشفون جميعا أن كل هذا عدم وخواء ، وأن العملة الوحيدة القابلة للتدول هى التقوى.

12- التسول

من أشد ما يؤلم الإنسان أن يفتقر ، ويمده يده طالبا المساعدة من الآخرين. وقد شاهدا بأعيننا كثيرا من كرام الناس الذين حولهم الارتفاع المفاجىء فى الأسعار إلى فقراء يستجدون المال.

175) هذا المثال لتقريب الفكرة للأذهان ، لكنه لا يعبر عن موقفنا من السينيما. ورغم أن الفيلم المذكور من الأفلام الجادة التى تحمل موعظة بالغة إلا أنه يتضمن مخالفات شرعية عديدة.

ويوم القيامة سيضطر الكفار للتسول ومد اليد للمؤمنين: {وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ} [الأعراف: 50]. وسيتسول المنافقون النور والبهاء كما سبق أن أوضحنا: {يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ} [الحديد: 13].

أليس التسول ضربا من ضروب العذاب النفسى؟ هل يتحمل أحدكم أن يمد يده للمارة فى الشوارع، فيقابل بالصد أو الإعراض؟

13- النذالة

النَذالَةُ هى السَفالةُ. والنَذْلٌ هو الخسيس. ومن أكثر ما يمزق النفس أن يتعرض الإنسان لموقف خسيس من صديق. ولن تجد يوم القيامة خسة أكبر من تلك التى سيبديها إبليس ، وهو يتبرأ من بلايين البشر الذى اتبعوه وعبدوه. وقد عبر القرآن بأسلوب بديع عن موقف الشيطان من أتباعه ، فقال:

{وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [إبراهيم: 22].

وفى آية أخرى يتبرأ الشيطان من الكافر بعد أن أطاعه: {كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ} [الحشر: 16]

وحين يَمثُل كل إنسان وقرينه من الجن أمام الله سيتنكر القرين لصاحبه الإنسى ، ويتهمه بأنه كان فى الأساس ضالا منحرفا: {قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ} [ق: 27].

امتزاج العذاب الحسى بالعذاب النفسى

من الصعب الفصل بشكل كامل بين العذاب الحسى والنفسى ، ففى كثير من الأحيان يجتمع الاثنان ، أو يتسبب أحدهما فى حدوث الآخر. انظر مثلا إلى المجرمين حين يجدون أن العذاب فى النار لا يخفف عنهم ولو ليوم أو بعض يوم. إن هذا سيجعلهم يشعرون باليأس ، وهذا معنى

كلمة "مبلسون" فى قوله: {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (74) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ} [الزخرف: 74، 75]. وهنا نجد أن عذاب الجسد بالنار صاحبه عذاب النفس باليأس.

وحين يُلقى الكفار فى النار ، ويطلبون من الله الخروج ، سيخاطبهم المولى عز وجل بطريقة مهينة تحطم ما بقى لهم من كرامة: (قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ) ، وفى هذا اجتماع للألم البدنى والنفسى:

{تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (104) أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (105) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (106) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (107) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (108) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (109) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (110) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ} [المؤمنون: 105- 111]

ونفس الأمر نجده فى آية أخرى حين يعذَّب الكافر فى النار ، وفى نفس الوقت يقال له: (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) ، وهو قول يحمل تهكما شديدا ، يمزق قلب من كان فى يوم من الأيام عزيزا فى الباطل:

{إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (43) طَعَامُ الْأَثِيمِ (44) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (45) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (46) خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (47) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (48) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (49) إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ } [الدخان: 43 – 50]

حياة القبر (حياة البرزخ)

كلنا نعرف الحياة الدنيا. والحياة الآخرة أيضا أمرها مشهور ، لكن هناك نوعا غامضا من الحياة بين الاثنين ، هو حياة البرزخ التى تعقب موت الإنسان حتى قيام الساعة. وكلمة "برزخ" فى اللغة تعنى: مَا بَيْنَ كُلِّ شَيْئَيْنِ، أو الْحَاجِزُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ. وقد استُخدِمت تلك الكلمة للدلالة على الحياة التى توجد بين الدنيا والآخرة.

ونحن نرى أن مصطلحات "حياة البرزخ" و"عذاب البرزخ" و"نعيم البرزخ" أدق من مصطلحات "حياة القبر" و"عذاب القبر" و "نعيم القبر" ، وذلك لأن كثيرا من الموتى لا يدفنون فى قبور ، فهناك من غرقوا فى البحار ، فالتهمتهم الأسماك المفترسة ، وهناك من حُرقت جثثهم بعد الوفاة متحولة إلى رماد ودخان ، وهناك من تحولوا لأشلاء بسبب الألغام. وتحدثت الصحف يوما عن امرأة قتلت زوجها ، ومزقت جثته ، ووضعت كل قطعة فى كيس من البلاستيك ، وألقت به فى مكان مختلف. وعلى ذلك **فكلمة (البرزخ) أوسع مكانا وزمانا من كلمة (القبر)** ؛ "البرزخ" أوسع "مكانا" لما قلناه من أن كثيرا من الموتى لا يدفنون فى قبور على الإطلاق. و"البرزخ" أوسع "زمانا" لأن الميت يدخل فى عالم البرزخ بمجرد خروج الروح حتى لو تأخر دفنه.

وفى السنوات الأخيرة ارتفعت بعض الأصوات التى تنكر حياة القبر وعذاب القبر. وهذا الخلاف قديم ، فقد قال عنه أبو الحسن الأشعرى: "واختلفوا في عذاب القبر: فمنهم من نفاه وهم المعتزلة والخوارج، ومنهم من أثبته وهم أكثر أهل الإسلام، ومنهم من زعم أن الله ينعم الأرواح ويؤلمها فأما الأجساد التي في قبورهم فلا يصل ذلك إليها وهي في القبور".[176]

والجديد أن من ينكرون عذاب القبر فى أيامنا هذه هم من العلمانيين الذين يريدون أن يخمدوا كل صوت يحاول تحذير الناس من عقاب الله. وسنقوم الآن بفحص حياة البرزخ، وسنقدم من الأدلة ما ينهى الجدال حولها بإذن الله.

---

[176]) **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**. تأليف أبو الحسن الأشعري. عنى بتصحيحه: هلموت ريتر صفحة 430. دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا). الطبعة الثالثة، 1400 هـ - 1980 م.

حياة البرزخ تتسق مع المنطق

الإنسان جسد وروح. وإذا مات الإنسان بلى جسده ، أما الروح فتبقى بعد الموت. ولو كان الإنسان مكونا من جسد فقط لكان من حقنا أن ننكر حياة البرزخ ، لكن طالما أن الإنسان روح وجسد ، وطالما أن الروح ذات طبيعة تختلف عن طبيعة الجسد ، فمن البديهى أن ما يصيب الجسد من تحلل بعد الموت لن يطول الروح. وهنا لا بد أن نتساءل: وأين تذهب الروح عقب الوفاة؟ لا تهمنا الإجابة الآن بالتفصيل ، لكن يكفى أن نؤكد أن الروح تبقى ، ومن حقنا أن نسمى حياة الروح بعد الموت بحياة البرزخ.

ويقودنا المنطق البسيط أيضا إلى أن الله تعالى إله عادل ، ولئن قرر الإله العادل أن يثيب الأبرار ويعاقب الأشرار فى أى وقت وبأي طريقة شاء فهذا حقه ، فما الغرابة إذن فى القول بأن القبر سيكون جنة مصغرة للصالحين ، وجحيما مصغرا للفاسدين؟ ما العجيب فى أن تقوم فى القبر قيامة مصغرة عقب الوفاة مباشرة ، فتتضمن حسابا عاما خاليا من التفاصيل ، وثوابا وعقابا خفيفين ، انتظارا للثواب الأعظم والعقاب الأكبر يوم القيامة؟

ألا نرى كيف يعاقب الله تعالى المجرمين فى الدنيا بالخزى والمرض والقلق والاكتئاب والزلازل والحروب الأهلية؟ ألا نرى الله وهو يثيب الصالحين بالبركة فى الرزق والأولاد والعمل والراحة النفسية؟ **وإذا كان من الممكن أن نرى فى الدنيا ثوابا نسبيا وعقابا نسبيا (مع أن الدنيا فى الأساس دار اختبار لا دار جزاء) ، فما الصعوبة فى تصديق وجود شكل ما من أشكال الحساب والثواب والعقاب فى القبر؟ ما الغريب فى أن يعمل الله عز وجل على تكدير النفوس الخبيثة فى كل لحظة تمر بها ، وإسعاد النفوس الطيبة فى كل لحظة تمر بها بما فى ذلك الفترة التى تفصل بين الدنيا والآخرة ؟**

إن هذا يشبه أمر سفاح ارتكب سلسلة بشعة من جرائم القتل والاغتصاب ، وبث على الإنترنت فيديوهات تصور ارتكابه للجريمة بالتفصيل ، فلما وقع المجرم فى قبضة رجال الشرطة لم ينكر ما فعل ، فاقتادوه إلى السجن. ورغم يقينهم بأن حكم الإعدام ينتظره إلا أنهم ظلوا طوال الطريق يوجهون إليه الشتائم ويصبون عليه اللعنات ، ويجُرونه بطريقة مهينة ، ويتوعدونه بالويل والثبور وعظائم الأمور. فهل هناك غرابة فى استغلال الشرطة للفترة القصيرة التى اصطحبوه فيها فى

سياراتهم كى ينتقموا منه؟ طبعا لا. **إن انتقام أفراد الشرطة خفيف مقارنة بالانتقام الكبير الذى ينتظر المجرم (حكم الإعدام) إلا أنك لا يمكن أن تندهش من هذا الانتقام الخفيف ، أو تلومهم عليه. وبالمثل لا غرابة فى عقاب الله تعالى للمجرمين فى قبورهم عقابا خفيفا قبل العقاب الرهيب يوم القيامة.**

أنا لا أرى أى داع للضجة التى يثيرها البعض حول عذاب القبر ، وعلى العاقل أن يشك فى نواياهم. إنهم يحاولون نسف كل ما يخيف الإنسان المعاصر من عاقبة الفسوق ، ولا شك أن عذاب القبر قادر على إدخال الرعب إلى قلوب العصاة. وفضلا عن ذلك فهم يحاولون خلق نموذج للتناقض بين القرآن والسنة ، يتخذونه ذريعة للتخلى الكامل عن السنة النبوية ، وذلك من خلال قولهم أن عذاب القبر ورد ذكره فقط فى الأحاديث النبوية دون القرآن. وسنرى الآن بإذن الله أن قولهم هذا عين الجهل.

القرآن يؤكد وجود حياة البرزخ

إذا ذهبنا لنصوص القرآن لوجدنا أنها تشير بشكل لا لبس فيه إلى وجود شكل ما من أشكال الحياة بعد الموت وقبل قيام الساعة. ومن أوضح الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى عن الشهداء: **{وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ}** [البقرة: 154]. إن هذه الآية تقول بوضوح أن الشهداء أحياء ، وأن اعتبارهم موتى هو محض وهْم وعجز من الحواس.

وفى آية أخرى نجد أن الشهداء بعد موتهم يحيون حياة يتمتعون فيها برزق من الله ، ويفرحون بجزاء عملهم الصالح ، ويستبشرون لما ينتظر إخوانهم المؤمنين من نعيم مماثل عقب الموت: **{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (170) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ}** [آل عمران: 169 – 171].

ويروى القرآن قصة أحد الصالحين الذى دعا قومه للإيمان ، فقتلوه ، ولما دُعى هذا الشهيد لدخول الجنة عبَّر عن تمنيه أن يعلم قومه بما لقيه عند ربه من مغفرة وتكريم: **{قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (26) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ}** [يس: 26، 27]

ومن خلال مجموعة أخرى من الآيات يمكننا أن نلاحظ كيف **يؤكد القرآن على وجود أحداث حقيقية تجرى على أرض الواقع ، ورغم ذلك لا يراها أحد من الناس باستثناء الميت. ومن هذه الآيات نستنتج وجود "حياة البرزخ" ، و"حساب البرزخ" ، و"عذاب البرزخ"** ، فالملائكة ستقوم باستجواب الميت ، وحسابه على أعماله ، ثم تبشره بالجنة أو تنذره بالنار. كما يمكن للملائكة أن توجه للكفار إهانات من قبيل ضرب الوجوه والأدبار. ومن هذه الآيات:

- **{وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (50) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}** [الأنفال: 50، 51].

ولاحظ هنا كيف تؤكد الآية أن الملائكة تضرب الكفار على وجوههم وأدبارهم أثناء قبضها لأرواحهم ، ورغم ذلك فلا أحد منا شاهد ميتا يُضرب بهذا الشكل ، ولا رأى كافرا يدير وجهه يمنة ويسرة وكأن أحدا يصفعه على وجهه. ولم نشاهد الكافر وهو يضع يديه على مؤخرته وكأن شخصا قد ضربه عليها. كل هذه أحداث غيبية ، لكن القرآن يؤكدها ، ونحن كمؤمنين نصدقها ، وهى تثبت وجود نوع مختلف من الحياة بعد الموت يتضمن عقابا للمجرم ، وهو ما يمكن أن نسميه "عذاب القبر". ولاحظ معى كيف تدل هذه الآية على أن عذاب القبر لا يشترط أن يتم داخل القبر بالذات ، ولكنه يحدث فى أي لحظة أثناء الوفاة وبعدها ، فحياة البرزخ أعم من حياة القبر كما قلنا.

- **{فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ}** [محمد: 27].

هنا أيضا نجد الملائكة تضرب وجوه الكفار وأدبارهم كما فى الآية السابقة ، وهذا شكل من أشكال "عذاب القبر".

- **{وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ}** [الأنعام: 93].

وهذه الآية تصور مشهدا مريعا يحدث فى ذروة عملية الوفاة ، حيث ستأتى ملائكة الموت لتحيط بالكافر كى تقبض روحه ، وسيمد كل ملاك يديه نحو الكافر الذى يتلفت حوله باحثا عن مفر ، لكن ستكون الحلقة ضيقة ، والدائرة فى غاية الإحكام. يا لها من نهاية بائسة! وفى هذه اللحظة ستقول الملائكة للكافر: (أخرج نفسك من هذا الحصار إن استطعت).

- **{حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ}** [الأعراف: 37].

وهنا نجد ما يمكن أن نسميه "حساب القبر" فى القرآن ، والحساب هنا تقوم به الملائكة التى تسأل الكفار عن الآلهة التى كانوا يعبدونها من دون الله. والهدف من السؤال هو التقريع والتوبيخ والإذلال ، والحصول على اعتراف من الكافر بالكفر.

- **{إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}** [النساء: 97]

وهذه الآية تؤكد بوضوح فكرة "حساب القبر" حيث تسأل الملائكة بعض الكفار الضعفاء عن سبب انضمامهم لمعسكر الكفر ، فيتعللون بالهوان والخوف من اضطهاد الكفار الأقوياء ، فترد الملائكة قائلة لهم: لماذا لم تهاجروا من أرض الكفر لتحتموا بدولة الإيمان ، وتعبدوا ربكم بحرية؟

- **{الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (28) فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ}** [النحل: 28، 29]

وفى هذه الآية نجد أنه حين تحين لحظة الوفاة يستسلم الظالمون للملائكة الذين لا قِبل لهم بمقاومتهم ، وكأنهم لصوص داهمت الشرطة أوكارهم ، فلم يكن أمامهم إلا أن يرفعوا أيديهم مستسلمين ومنكرين لجرائمهم ، فترد الملائكة مكذبة لهم ، ومؤكدة أن الله تعالى أعلم بأعمالهم ، وأنهم سيكونون من أهل النار حين تقوم الساعة.

- **{الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}** [النحل: 32]

فى هذه الآية نجد الملائكة تبشر المؤمنين بعد الموت بأنهم سيكونون من أهل الجنة حين تقوم القيامة.

وكما ترون فالآيات السابقة تمدنا بأدلة قاطعة على وجود شكل آخر من أشكال الحياة الروحية بالتزامن مع الموت. وهذه هى "حياة البرزخ" أو "حياة القبر".

وفى آية أخرى شديدة الأهمية يكلمنا القرآن عن عذاب القبر ، فيقول عن آل فرعون: **{النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ}** [غافر: 46]. وإذا تأملنا هذه الآية لوجدناها تخبرنا أن آل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا ، أى فى الصباح والمساء. وعرضهم على النار يعنى إحضارهم إليها ليروها[177]. وقوله (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا) **يعنى أنهم فقط سيذهبون ليروا النار صباحا ومساء ، لكنهم لن يعذبوا فيها.** أما العذاب فتحدثنا عنه العبارة التالية لهذه: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ). وهذه العبارة الأخيرة تفيد أن دخول آل فرعون فى عذاب جهنم سيكون فقط يوم القيامة. وبشكل عام سيُعرض الصالحون على الجنة ويعرض الكفار على النار بعد الموت طبقا لما رواه عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "**إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**". رواه البخارى ومسلم.

177) الْعَرْضُ إِذَا عُدِّيَ بِحَرْفِ (عَلَى) أَفَادَ معنى الْإِحْضَار بإراءة. انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ، 12/ 33)

إذن هناك مرحلتان: **المرحلة الأولى** يتم فيها عرض آل فرعون على النار دون أن يعذَّبوا فيها ، **والمرحلة الثانية** يتم فيها تعذيبهم داخل النار. والمرحلة الأولى تمثل حياة القبر ، أما المرحلة الثانية فتأتى يوم القيامة.

وقال الرازى فى تفسيره لهذه الآية الأخيرة: (احْتَجَّ أَصْحَابُنَا بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى إِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ قَالُوا الْآيَةُ تَقْتَضِي عَرْضَ النَّارِ عَلَيْهِمْ غُدُوًّا وَعَشِيًّا، وَلَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَنَّهُ قَالَ: وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذابِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهُ أَيْضًا الدُّنْيَا لِأَنَّ عَرْضَ النَّارِ عَلَيْهِمْ غُدُوًّا وَعَشِيًّا مَا كَانَ حَاصِلًا فِي الدُّنْيَا، فَثَبَتَ أَنَّ هَذَا الْعَرْضَ إِنَّمَا حَصَلَ بَعْدَ الْمَوْتِ وَقَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى إِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ فِي حَقِّ هؤلاء، وإِذ ثَبَتَ فِي حَقِّهِمْ ثَبَتَ فِي حَقِّ غَيْرِهِمْ لِأَنَّهُ لَا قَائِلَ بِالْفَرْقِ)

وهناك آية أخرى مهمة تشير إلى عذاب القبر هى: **{وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ}** [التوبة: 101]

وفى هذه الآية الأخيرة يتكلم القرآن عن عذاب سينزله الله تعالى بالمنافقين ، وأن هذا **العذاب سيكون "مرتين" ، وبعد ذلك سيكون هناك عذاب عظيم.** وأرجح الأراء فى تفسير ذلك هى أن **العذاب الأول** سيكون فى الدنيا عن طريق رميهم بالهم والذل والمرض والهزيمة ، مصداقا لقوله: {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [السجدة: 21]. أما **العذاب الثانى** فهو بلا شك عذاب القبر. **وأخيرا يأتى العذاب العظيم** يوم القيامة. يقول الرازى فى تفسيره: (وَالْأَوْلَى أَنْ يُقَالَ مَرَاتِبُ الْحَيَاةِ ثَلَاثَةٌ: حَيَاةُ الدُّنْيَا، وَحَيَاةُ الْقَبْرِ، وَحَيَاةُ الْقِيَامَةِ، فَقَوْلُهُ: سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ الْمُرَادُ مِنْهُ عَذَابُ الدُّنْيَا بِجَمِيعِ أَقْسَامِهِ، وَعَذَابُ الْقَبْرِ. وَقَوْلُهُ: ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلى عَذابٍ عَظِيمٍ الْمُرَادُ مِنْهُ الْعَذَابُ فِي الْحَيَاةِ الثَّالِثَةِ، وَهِيَ الْحَيَاةُ فِي الْقِيَامَةِ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى فِي آخِرِ الْآيَةِ: ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلى عَذابٍ عَظِيمٍ يعني النار المخلدة المؤبدة).

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

طبيعة عذاب القبر

من السهل أن نلاحظ من خلال الآيات التى عرضناها آنفا أن **عذاب القبر أو البرزخ يعتبر خفيفا "بالنسبة" لعذاب يوم القيامة** ، فالقرآن لا يذكر من أشكاله سوى أن الملائكة ستضرب وجوه الكفار وأدبارهم لحظة خروج الروح ، وأنها ستوجه لهم كلمات التعنيف والتقريع ، وتخبرهم بالمصير السيء الذين ينتظرهم فى الآخرة. كما سيُحمَل الكفار صباحا ومساء لمشاهدة جهنم التى أعدها الله لهم يوم القيامة. ولا يوجد نص يُفهم منه أن الميت سيعذب بالنار أو الحميم أو الدخان أو الصديد أو الشوك أو غير ذلك مما يوجد فى الآخرة من ألوان العذاب. وأحذر من أن يفهم البعض كلامى على أنه تهوين من عذاب القبر الذى ثبت أن الرسول عليه السلام كان يستعيذ منه ، فأنا فقط أقول أنه خفيف "نسبيا" ، مقارنة بعذاب الآخرة ، لكنك إن نظرت إليه فى ذاته لوجدته مريعا ، وهذا يشبه قنبلة عادية سقطت على بيت ، فسوته بالأرض ، فنظر الناس إلى هذه القنبلة على أنها سلاح فتاك ، لكنهم لو شاهدوا قنبلة نووية ، وهى تدمر مدينة عن آخرها لأدركوا أن الفرق بين الاثنين هائل.

أما الصفة الثانية التى تميز عذاب القبر فهى أنه عذاب نفسى أو روحى ، وهذا شيء بديهى لأن الأجساد بعد الموت تتحول إلى تراب ، أو تحترق متحولة إلى دخان ورماد ، أو تأكلها السباع ، وهذا يعنى أن الحياة فى البرزخ روحية ، وعذاب البرزخ روحي لأنه لا يوجد جسد ليتألم، ولا توجد أذن لتسمع أصوات الملائكة ، ولا توجد عين لترى جهنم فى القبر كما فى قوله: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا} [غافر: 46]. إن العذاب فى القبر لو كان جسديا لتحتم بقاء الأجساد سليمة بعد الموت ، وهذا خلاف الواقع. وإن ادعى أحد أن القبور تحتوى على أجساد سليمة لا نراها ، فنحن نقول له أن الجسد الذى لا نراه بأعيننا هو كيان غير مادى ، أى كيان روحى أو نفسى ، فأنت تهدم ذاتك. ثم إن الملائكة التى تحاسب الميت مخلوقات روحية لا تُرى بالعين ، ولا تُسمع بالأذن ، ولا يمكن للإنسان أن يدركها على حقيقتها إلا بطرق روحية غير جسدية ، فما الداعى إذن لبقاء جسد لن تكون له فائدة؟

حقا الله تعالى قادر على أن يخلق أجسادا جديدة عقب الموت مباشرة لتدخل فيها الأرواح أثناء حياة البرزخ ، **لكن المولى عز وجل أجل عملية بعث الموتى لوقت معين هو يوم القيامة** ، قال

تعالى: {ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (15) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ} [المؤمنون: 15، 16]. وهذه الآية تقول بوضوح أن البعث سيقع يوم القيامة ، ولاحظ كلمة (ثم) الثانية التى تفيد وجود زمن طويل بين الموت والبعث، وهذا ينفى رد الروح للجسد فى حياة البرزخ لأن حياة البرزخ تعقب الموت مباشرة حتى لو لم يدفن المرء. وفى آية أخرى قال عز وجل: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (55) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [الروم: 55، 56]. وهنا نجد القرآن يسمى يوم القيامة "بالساعة" ، وبعد ذلك يسميه "بيوم البعث" ، وهذا يؤكد ارتباط البعث بالقيامة ، وبالتالى فعذاب القبر ذو طابع روحى لأن الجسد لا يُبعث هناك.

ومن أقوى الأدلة على أن عذاب القبر سيكون روحيا محضا تلك الآيات التى تكلمت عما يحدث لحظة قبض الروح ، ففى هذه اللحظة يكون الإنسان مستلقيا على فراشه ، ولكنه يرى وحده – من دون الناس– ملائكة الموت ، ويتكلم معهم ، ويتلقى منهم الضربات والإهانات. قال تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (50) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} [الأنفال: 50، 51] ، وقال:{فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ} [محمد: 27] ، وقال كذلك: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} [الأنعام: 93]. إن هذه الآيات تدل بشكل قاطع على أن حياة البرزخ بما فيها من حساب وعقاب هى حياة روحية محضة ، فلا أحد يسمع صوت الصفعات التى يتلقاها الميت على وجهه ، ولا أحد يسمع صوت الضربات التى توجه إلى دبره ، ولا أحد يشاهد كدمة فى ظهره أو كسرا فى ساقه.

ومما يؤكد بشكل قاطع الطبيعة النفسية لعذاب القبر قوله تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (51) قَالُوا يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ} [يس: 51، 52]. إن هذه الآية تخبرنا أنه فى يوم القيامة سينفخ فى الصور[178] ، وفى

[178]) تفيد نصوص القرآن أن هناك ثلاث نفخات فى الصور: النفخة الأولى تؤدى لإحياء الموتى وخروجهم من القبور ، والنفخة الثانية تؤدى إلى موت كل الخلائق فى السماوات والأرض ، والنفخة الثالثة تؤدى إلى استيقاظ كل من مات من أثر النفخة الثانية. والنفخة الأولى عبر عنها قوله تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ} [يس: 51] ، وكذلك قوله: {وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (41) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (42) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (43) يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ} [ق: 41 - 44]. وأيضا قوله: {فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ (19) وَقَالُوا يَاوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ} [الصافات: 19، 20] ، وهذه الآية الأخيرة قيلت كرد على

هذه اللحظة سيخرج كل الموتى من أول آدم حتى نهاية العالم من الأجداث (القبور) ينسلون (يسرعون)، وكأنهم قد انزعجوا من هول الصوت. وخروج الموتى من القبور معناه أن أرواحهم دخلت فى أجساد جديدة خلقها الله تعالى لهم. وفى هذه اللحظة سيحس الكفار بالكارثة ، ويقولون: (يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا) ، أى من الذى رد أرواحنا إلى أجساد جديدة ، وأعاد خلقنا فى الصورة البشرية الدنيوية المعتادة؟ **ومن المستحيل أن يندهش الكفار من البعث يوم القيامة لو كانوا قد جربوه قبل ذلك ، وعُذبوا بأجسادهم فى القبر ، فلو حدث هذا مرة لما تعجبوا من حدوثه مرة أخرى.**

ولحسم القضية بدرجة أكبر نسوق رواية أخرى يقول فيها الرسول عليه السلام بصراحة أن ما يصعد من الإنسان بعد الموت إلى السماء هى روحه المنفصلة عن جسده ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: [«إِذَا خَرَجَتْ رُوحُ الْمُؤْمِنِ تَلَقَّاهَا مَلَكَانِ يُصْعِدَانِهَا» – قَالَ حَمَّادٌ: فَذَكَرَ مِنْ طِيبِ رِيحِهَا وَذَكَرَ الْمِسْكَ – قَالَ: " وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: **رُوحٌ** طَيِّبَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ، **صَلَّى الله عَلَيْكِ وَعَلَى جَسَدٍ كُنْتِ تَعْمُرِينَهُ**، فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَقُولُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ "، قَالَ: " وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا خَرَجَتْ **رُوحُهُ** – قَالَ حَمَّادٌ وَذَكَرَ مِنْ نَتْنِهَا، وَذَكَرَ لَعْنًا – وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ رُوحٌ: خَبِيثَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ. قَالَ فَيُقَالُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ"، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَرَدَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَيْطَةً كَانَتْ عَلَيْهِ، عَلَى أَنْفِهِ، هَكَذَا].

ولاحظ معنا تكرار كلمة (روح) فى هذا الحديث ، وهو ما ينفى تماما وجود العذاب الجسدى فى البرزخ. **ولاحظ عبارة: (صَلَّى الله عَلَيْكِ وَعَلَى جَسَدٍ كُنْتِ تَعْمُرِينَهُ) ، وهو يفيد بصراحة أن الروح بعد الموت تكون فى حالة انفصال عن الجسد.**

ولكن كيف يكون عذاب القبر روحيا؟

يمكننا أن نقول بقدر كبير من الثقة أن هذا العذاب الروحى **شبيه بما نراه فى الأحلام**. كلنا جربنا أن نرى رؤى مفزعة أثناء النوم ، فهناك من يرى لصا يتسلل إلى بيته ، وهناك من يرى

منكرى البعث الذين قالوا: {أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (16) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ} [الصافات: 16 - 19] ، فرد القرآن ليؤكد أن الأمر لن يتطلب أكثر من نفخة واحدة فى الصور ليبعث كل من فى القبور. أما النفخة الثانية والثالثة فنجدها فى قوله تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} [الزمر: 68]

مجرما يطارده ، وهناك من يرى ثعبانا ، وهناك من يوشك على السقوط من مكان شاهق. كلنا جربنا أشياء من هذا القبيل ، واستيقظنا من نومنا ونحن فى غاية الخوف. ومن أكثر الأحلام التى تخيفنى حلما أجد نفسى فيه طالبا فى مرحلة الدراسة الثانوية ، وأمامى كثير من الكتب لمادة الأحياء والكيمياء والرياضيات واللغة الفرنسية التى لم أقرأ أي كلمة فى أى منها مع أن موعد الامتحان قد اقترب ، فأشعر بخوف شديد من التعثر فى الامتحان. وهذا الحلم يصيبنى بالرعب[179]. وبعض الناس تتكرر معه رؤيا معينة بشكل مستمر فتحول حياته لجحيم لا يطاق. وبعض الناس يستيقظ من نومه على رؤيا مفزعة وضيق شديد فى الصدر ، وقد يبقى طوال اليوم فى حالة تشاؤم ونكد بسبب ما رأى.

وما يحدث أثناء المنام يشبه ما يحدث بعد الموت فى حياة البرزخ ، وليس هذا توقعا منى ، ولكنها معلومة وردت فى القرآن حيث أخبرنا الله عز وجل أنه يتوفى الأنفس فى حالتين: أثناء النوم وبعد الموت. والفرق بينهما أنه فى حالة الموت يمسك الله تعالى النفس ، ولا يعيدها للجسد إلا يوم القيامة ، أما فى حالة النوم فتنفصل النفس عن الجسد لعدة ساعات ، ثم تعود مرة أخرى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الزمر: 42].

وبما أن الموت يشبه النوم ، وبما أن الإنسان يمكن أن يتعرض لعذاب حقيقى أثناء النوم فى الأحلام ، فكذلك يمكننا أن نقول قياسا على ذلك أن عذاب القبر هو عذاب نفسى مشابه لما نراه فى الأحلام. أعلم أن هناك من سيرى فى هذا الكلام تهوينا من عذاب القبر ، ولكن نحن نؤكد أن العذاب النفسى أمر فى غاية السوء ، ولعلكم تذكرون فيلما لأحمد ذكى ، لعب فيه دور وزير فاسد ، كانت تطارده الرؤى المفزعة ، وتقض مضجعه ، وتفسد عليه ليله ونهاره. ومن تجربتى الشخصية يمكننى أن أؤكد قسوة العذاب النفسى ، فقد ظللت منذ عمر ست سنوات أرى بشكل متكرر فى المنام صورا لوجوه شياطين فى غاية القبح ، وكانت هذه الرؤى بشعة ، حتى

179) الغريب فى هذا الحلم أن هذه المواد التى أخاف منها لم أكن فى يوم من الأيام أهمل مذاكرتها ، وكنت أعطيها من وقتى ما يكفى وزيادة. إذن هذا الحلم لا يمكن أن يكون تعبيرا عن خوف قديم من بعض المواد الدراسية ظل كامنا فى عقلى الباطن. والشى الثانى الغريب أن هذا الحلم لم أره إلا بعد أن كبرت وجاوزت الثلاثين من العمر ، وتوقفت عن دخول الامتحانات. ما تفسير ذلك إذن؟ أشعر بقوة أن هذا الحلم تنبيه من الله عز وجل ، وكأنه تعالى يقول لى: "انتبه ، فحياتك فى الدنيا قد اقتربت من نهايتها ، ويوم الحساب قد أوشك ، ورغم أنك الآن تكرس حياتك كلها للدراسات الدينية والدعوة فأنت مقصر فى دينك مقارنة بما لديك من معرفة به ، وهناك خطر عليك ، فحاول أن تعوض ما فاتك فى الأيام القليلة المتبقية لك فى الدنيا ، فأنت لم تعد صغيرا". أستغفر الله العظيم ، وأعوذ به من خسارة الآخرة.

إننى كنت أخاف أحيانا من الذهاب للفراش لأنى أعلم أننى سأشاهد ما لا يسر. وقد ظللت أعانى من هذه الرؤى لما يقرب من ثلاثين عاما إلى أنعم الله تعالى علىَّ ، فانقطعت فجأة، فلله الفضل والمنة.

إن **البعض يستهين بالعذاب النفسى الناشىء عن الأحلام ليس لأن هذا العذاب هين ، ولكن لأنه فى اللحظة التى يستهين به فيها يكون فى حالة يقظة** ، ولم تعد الرؤيا المخيفة أكثر من ذكرى ، **ولو قدر له أن يقضى حياته كلها فى أحلام مفزعة دون أن يستيقظ لما استخف بكلامنا عن قسوة العذاب النفسى فى البرزخ.** إن عدم إحساسك الآن بألم فى ساقك لا يعنى أن ساقك لما كسرت منذ خمس سنوات لم تكن تؤلمك. **ويؤكد كلامنا أن الإنسان كثيرا ما يدرك فى منامه أنه نائم ويحلم ، فيحاول أن يستيقظ كى يتخلص من المشاهد المخيفة التى يراها. وأنا أدعو الذين يمكن أن يستخفوا بالعذاب النفسى فى الأحلام (وبالتالى العذاب النفسى فى القبر) أن يتمتعوا بالشجاعة ، ويواصلوا مجابهة الأخطار التى يرونها فى منامهم دون أن يحاولوا الاستيقاظ** ، أو على الأقل أن يبدوا لنا حزنا لأنهم استيقظوا قبل أن يدمروا الشياطين والمجرمين والوحوش التى كانت تطاردهم أثناء النوم.

والآن يمكننا أن نقول أن العذاب النفسى فى القبر سيكون بهذا الشكل ، فنفوس الكفار والمجرمين سترى وتسمع كل ما لا يسر ، **وكأنها فى حلم مخيف طويل ، يستمر لآلاف السنين.** ومن قبيل الأشياء غير السارة أن نفوس الكفار ستُنقَل لتطلع على العذاب الذى ينتظرها فى الآخرة ، وسيتكرر هذا العرض على النار طوال فترة المكوث فى القبر ، وهذا سيجعل حياة البرزخ جحيما، فانتظار البلاء أمر صعب ، وما رأيك إن قال لك الأطباء مثلا أنك ستصاب بالشلل والعجز عن الكلام فى خلال عام واحد بسبب وجود ورم بالمخ ، لن يجدى معه العلاج كثيرا؟ قطعا ستعيش فى غم ونكد طوال العام انتظارا لهذا اليوم السىء.

ومن الأمور التى تقرب حياة البرزخ إلى الأفهام ظاهرة "تجربة الموت القريب" Near-death experience التى تكلمنا عنها من قبل ، وقلنا أنها تحدث لدى بعض الأشخاص إثر فقدهم للوعى لعدة دقائق بسبب إصابتهم بسكتة قلبية. وبعد عودة القلب إلى العمل يفيق هؤلاء المرضى، فيروون وقائع رأوها. وهذه الرؤى تكون فى الغالب سعيدة ، لكن فى 10-14% من

الحالات تكون الرؤى مفزعة[180]. ومن هذه الرؤى المفزعة ما روته سيدة عمرها 42 عاما ، فلنقرأ ما قالته بعبارات (تفتقر للتنظيم والترابط) ، لنرى كم كان عذابها وهى فى حالة تشبه حياة البرزخ:

[هناك أشياء أكثر وأكثر تحيط بى. هذه البيئة المظلمة لا تطاق. الضوضاء التى تصم الآذان تغزو الفضاء الذى يزداد ظلاما. وددت لو توقفت هذه الضوضاء. وقعت فى دوامة ، والضباب الرمادى الداكن المحيط بى كثيف ، والرائحة والصوت يصيران غير محتملين بشكل متزايد... وبدأت أميز أشكالا فى هذا الضباب ذى الكثافة غير المعقولة: بشر ووحوش. أنا أسبح فى مكان منتن ملىء بكائنات فظيعة وماكرة ، وأشعر بالألم يغلبنى ، يصيب كل مكان ، لا ، بل اسوأ ، أنا أتحول إلى ألم. أفهم أن معاناتى لا تزال فى بدايتها ، وأنا مذعورة. خوف متزايد ، مفزع. وددت لو أغلقت عينى ، وتوقفت عن السماع والشعور ، لكن هذا مستحيل. إن حلمى عريض ، أنا أرى كل مكان فى نفس الوقت ، أرى أمامى ، وفوقى وتحتى وعلى جانبى. فقط جزء صغير من الخلف لا يمكن رؤيته. وكلما أردت أن أسمع وأرى وأشعر بدرجة أقل كلما صرت أكثر إدراكا. إنه أمر فظيع ، أشبه بما لو كنت أمتص الألم والمعاناة التى لكل هذه الكائنات. أنا واع للغاية ، أشعر أننى واع كما لم يحدث من قبل قط. الزمن لم يعد موجودا. تمنيت لو استطعت الهروب من هذا المكان ، وأهرب من الزمان ، لكن ألمى كان كبيرا لدرجة أننى لا أقوى على الحركة.... كما لو كانت هذه الكائنات تمسك بى من الخلف....أفهم أننى بين عالمين ، وأن هذا المابين ليس إلا الجحيم][181].

وكما قلنا من قبل فإن تجربة الموت القريب ليست هى ما سيحدث لنا عقب الموت بالضبط ، وهى مجرد أحلام تقترب بدرجة ما من الواقع الذى سنحيا فيه بعد الموت. والمهم الآن أن نلاحظ مدى العذاب الذى تعرضت له هذه السيدة بسبب هذه الرؤيا المفزعة التى استمرت لعدة دقائق ،

---

180) يعتقد العلماء أن معدل حدوث الرؤى المفزعة أكبر من ذلك ، ولكن بعض الناس يحجمون عن الإفصاح عنها خوفا من أن يقال أن رؤيتهم لها دليل على أنهم أشرار ، وسيكون مصيرهم الجحيم فى الآخرة.

181) **Martial C, Cassol H, Charland-Verville V, Pallavicini C, Sanz C, Zamberlan F, Vivot RM, Erowid F, Erowid E, Laureys S, Greyson B, Tagliazucchi E.** Neurochemical models of near-death experiences: A large-scale study based on the semantic similarity of written reports. Conscious Cogn. 2019 Mar;69:52-69.

فما بالك بميت يظل منذ وفاته حتى قيام الساعة فى هذه الكوابيس. لقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام معه كل الحق حين استعاذ بالله كثيرا من عذاب القبر.

ورأينا هذا ليس جديدا ، فقد تكلم ابن حزم عن عذاب القبر ، فأكد على طبيعته الروحية:

[لأن **فتْنَة الْقَبْر وعذابه وَالْمَسْأَلَة إِنَّمَا هِيَ للروح فَقَط بعد فِرَاقه للجسد إِثْر ذَلِك** ، قبر أَو لم يقبر..... **وَأما من ظن أَن الْمَيِّت يحيى فِي قَبره فخطأ** لِأَن الْآيَات الَّتِي ذكرنَا تمنع من ذَلِك وَلَو كَانَ ذَلِك لَكَانَ تَعَالَى قد أماتنا ثَلَاثًا وَأَحْيَانا ثَلَاثًا وَهَذَا بَاطِل وَخلاف الْقُرْآن إِلَّا من أَحْيَاهُ الله تَعَالَى آيَة لنَبِيّ من الْأَنْبِيَاء و "الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ" و "الَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا" وَكَذَلِكَ الله قَوْله تَعَالَى **(**الله يتوفى الْأَنْفس حِين مَوتهَا**)** إِلَى قَوْله (إِلَى أجل مُسَمّى) **فصح بِنَصّ الْقُرْآن أَن روح من مَاتَ لَا يرجع إِلَى جسده إِلَّا إِلَى أجل مُسَمّى وَهُوَ يَوْم الْقِيَامَة** وَكَذَلِكَ أخبر رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم **أَنه رأى الْأَرْوَاح لَيْلَة أسرى بِهِ عِنْد سَمَاء الدُّنْيَا** عَن يَمِين آدم عَلَيْهِ السَّلَام أَرْوَاح أهل السَّعَادَة وَعَن شِمَاله أَرْوَاح أهل الشَّقَاء وَأخْبر عَلَيْهِ السَّلَام يَوْم بدر إِذْ خَاطب الْقَتْلَى وَأخْبر أَنهم وجدوا مَا توعدهم بِهِ حَقًّا قبل أَن يكون لَهُم قُبُور فَقَالَ الْمُسلمُونَ يَا رَسُول الله أتخاطب قوما قد جيفوا فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام مَا أَنْتُم بأسمع لما أَقُول مِنْهُم فَلم يُنكر عَلَيْهِ السَّلَام على الْمُسلمين قَوْلهم أَنهم قد جيفوا وأعلمهم أَنهم سامعون فصح أَن ذَلِك لأرواحهم فَقَط بِلَا شكّ وَأما الْجَسَد فَلَا حس لَهُ... **وَلم يَأْتِ قطّ عَن رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِي خبر يَصح أَن أَرْوَاح الْمَوْتَى ترد إِلَى أَجْسَادهم عِنْد الْمَسْأَلَة** وَلَو صَحَّ ذَلِك عَنهُ عَلَيْهِ السَّلَام لقلنا بِهِ فَإِذْ لَا يَصح فَلَا يحل لأحد أَن يَقُوله وَإِنَّمَا **انْفَرد بِهَذِهِ الزِّيَادَة من رد الْأَرْوَاح الْمنْهَال بن عَمْرو وَحده وَلَيْسَ بالقوى** تَركه شُعْبَة وَغَيره وَسَائِر الْأَخْبَار الثَّابِتَة على خلاف ذَلِك **وَهَذَا الَّذِي قُلْنَا هُوَ الَّذِي صَحَّ أَيْضا عَن الصَّحَابَة رَضِي الله عَنْهُم لم يَصح عَن أحد مِنْهُم غير مَا قُلْنَا** .... عَن أمه صَفِيَّة بنت شيبَة قَالَت دخل ابْن عمر الْمَسْجِد فَأبْصر ابْن الزبير مطروحا قبل أَن يصلب فَقيل لَهُ هَذِه أَسمَاء بنت أبي بكر الصّديق فَمَال إِلَيْهَا فعزاها وَقَالَ أَن هَذِه الجثث لَيست بِشَيْء وَأَن الْأَرْوَاح عِنْد

الله فَقَالَت أَسمَاء وَمَا يَمْنعنِي وَقد أهْدى رَأس يحيى بن زَكَرِيَّا إِلَى بغي من بَغَايَا بني إِسْرَائِيل... عَن ابْن مَسْعُود فِي قَول الله عز وَجل {رَبنَا أمتنَا اثْنَتَيْنِ وأحييتنا اثْنَتَيْنِ} قَالَ ابْن مَسْعُود هِيَ الَّتِي فِي الْبَقَرَة {وكنتم أَمْوَاتًا فأحياكم ثمَّ يميتكم ثمَّ يُحْيِيكُمْ} **فَهَذَا ابْن مَسْعُود وَأَسْمَاء بنت أبي بكر الصّديق وَابْن عمر رَضِي الله عَنْهُم وَلَا مُخَالف من الصَّحَابَة رَضِي الله عَنْهُم** تقطع أَسمَاء وَابْن عمر على أَن الْأَرْوَاح بَاقِيَة عِنْد الله وَأَن الجثث لَيست بِشَيْء وَيقطع ابْن مَسْعُود بِأَن الْحَيَاة مرَّتَانِ والوفاة كَذَلِك وَهَذَا قَوْلنَا وَبِاللَّهِ التَّوْفِيق... وَقد صَحَّ عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَنه رأى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام قَائِما فِي قَبره يُصَلِّي لَيْلَة الْإِسْرَاء وَأخْبر أَنه رَآهُ فِي السَّمَاء السَّادِسَة أَو السَّابِعَة وَبلا شكّ إِنَّمَا رأى روحه وَأما جسده فتوارى بِالتُّرَابِ بِلَا شكّ فعلى هَذَا أَن مَوضِع كل روح يُسمى قبراً فتعذب الْأَرْوَاح حِينَئِذٍ وَلَا تسْأَل حَيْثُ كَانَت وَبِاللَّهِ تَعَالَى التَّوْفِيق][182]

و**أكد الشيخ الشعراوى أيضا على هذا الطابع النفسى لعذاب القبر** فقال:

(والعذاب إنما يكون بأحد اثنين: إما عرض ما يعذب به ، أو دخول فيما يعذب به، وهذا يكون في الآخرة. أما عرض العذاب فهو القبر كأنه يقول لك: انظر ما ينتظرك. وما دام الإنسان يرى الشر الذي ينتظره، أليس هذا عذاباً؟ إنه عذاب مؤكد)[183].

كما أكد الشيخ **الألبانى أن عذاب القبر سيكون روحيا وليس جسديا**. يقول الألبانى عن الميت:

(هنا الآن سؤال: أين مصير روحه؟ الجواب: **يعذب أو ينعم بروحه لأن جسده ميت،** طريقة التنعيم والتعذيب طبعاً هذه الأمور الغيبية التي لا يجوز لمسلم أن يتعمق فيها، لأنه من باب الغيب وما نعلم الغيب ولا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى، ولكن عندنا بعض التفاصيل التي عرفناها من السنة الصحيحة، من ذلك مثلاً إذا كانت روح الميت مؤمنة يفتح له طاقة من القبر يطل منها على منزله في الجنة، من روحها، ونعيمها ولا يزال هكذا يتنعم إلى قيام الساعة.......فإذن **روح** المؤمن نعيمه إما في قبره وقد ينتقل في

---

[182]) **الفصل فى الملل والأهواء والنحل**. تأليف ابن حزم الظاهرى الأندلسى. (وبهامشه: الملل والنحل للشهرستانى). الجزء الرابع. صفحة 56-57. مكتبة السلام العالمية. قام بشرح معضلات ألفاظه وتبيين كلامه الشيخ عبد الرحمن خليفة. وقام بطبعه السيد محمد على صبيح. 1348 هجرية. مصر.

[183]) **تفسير الشعراوي** (9/ 5456). تأليف محمد متولي الشعراوي. الناشر: أخبار اليوم. 1997 م

الجنة **بروحه وليس بجسده**، أما إذا كان لا سمح الله فاسقا أو كافراً فيفتح له طاقة ويرى منزله في النار، في جهنم، يفتح له منها طاقة فيأتيه من ريحها ولهيبها ودخانها فلا يزال يعذب حتى تقوم الساعة[184]).

ويؤكد كلامنا ما روى عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر **بأن المؤمن تريه الملائكة فى القبر مقعده من الجنة:** قَالَ عليه السلام: " إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولاَنِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا المُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: **انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ**، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا – قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا: أَنَّهُ **يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ**، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ – قَالَ: وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ، **وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ** " رواه البخارى. وأورد مسلم الرواية باللفظ التالى: «إِنَّ الْعَبْدَ، إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ» قَالَ: " يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ " قَالَ: " فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ " قَالَ: " فَيُقَالُ لَهُ: **انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ** " قَالَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا» قَالَ قَتَادَةُ: "وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ **يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَيُمْلَأُ عَلَيْهِ خَضِرًا، إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**".

ولاحظ فى هذا الحديث أن نعيم القبر يتخذ شكلا روحيا يتمثل فى اطلاع المؤمن على مقعده فى الجنة ، واتساع قبره (يُفسح له فى قبره). واتساع القبر ليس اتساعا حقيقيا لأننا لا نرى القبور تتسع ، ولكنها كناية عن الشعور بالراحة والانبساط وغياب الضيق والاختناق. كما يرى المؤمن فى القبر مناظر حسنة كما لو كان فى حديقة جميلة ، وهذا مدلول قوله: (ويُملأ عليه خَضِرا) ، وطبعا هذه رؤية روحية لأننا نفتح القبور كل يوم ، فلا نرى بداخلها خضرة. وقال بعض العلماء

184) **موسوعة الألباني في العقيدة** (3/ 1076). تأليف محمد ناصر الدين الألباني «موسوعة تحتوي على أكثر من (50) عملاً ودراسة حول العلامة الألباني وتراثه الخالد». صَنَعَهُ: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان. مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء – اليمن. الطبعة الأولى، 1431 هـ - 2010 م

أن معنى العبارة الأخيرة: "نعما غضة ناعمة ، وأصله من خضرة الشجر"[185]. وكما ترى فالسعادة فى القبر سعادة روحية طبقا لهذا الحديث. أما عذاب القبر فى هذا الحديث فأول شىء فيه هو إهانة الكافر من خلال عبارة (لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ). وضرب الكافر فى القبر بمطارق من حديد لا يعنى بالضرورة أنه عذاب مادى ، وذلك لأن رجلا أحرقت جثته بعد وفاته ، وتحول إلى كوم من الرماد لا يمكن أن يضرب بمطرقة ، وإن ضُرب هذا الرماد فلن يتألم. ومن السهل جدا فهم ذلك على أنه عذاب نفسى ، فمثلا كثيرا ما يرى النائم (والنوم حالة نفسية مثل الموت كما أخبرنا القرآن) أن عدوا يخنقه ، فيشعر النائم فى هذه اللحظة أنه يكاد يختنق فعلا ، وذلك على الرغم من أن أخاه الجالس بجواره لا يرى حبلا يلتف حول عنقه. ونفس الشىء يمكن أن يحدث للميت فى القبر حيث يتألم بواسطة ضربات توجهها له الملائكة رغم أن جسده قد بلى وتحلل ولم يعد قادرا على الإحساس بالألم. والأمر هنا يشبه تماما تلك الآيات التى تكلمت عن ضرب الملائكة للميت وقت خروج الروح (الأنفال 50 ومحمد 27)، وهو ضرب يتحتم فهمه على أنه ضرب نفسى لأنه لا أحد من أهل الميت يرى للضرب أثرا.

ولكى تدرك مدى قسوة العذاب النفسى عليك أن تلاحظ أن القلق والاكتئاب واليأس والإحباط والوسواس القهرى والوحدة أمراض نفسية من يقع فى قبضتها يحيا تعيسا ، وقد يتمنى الموت ، أو ينتحر بالفعل.

ولكن ماذا عن الآيات التى تتحدث عن الشهداء؟ هل سينعم هؤلاء فى البرزخ بنعيم روحي أم مادي؟

طبقا للمنطق السابق يمكننا أن نقول أن هذا نعيم روحى نفسى خالص لأن أجسادهم قد ماتت وتحللت ، فلم يبق فى حياة البرزخ إلا الروح فقط ، وفى هذه الحالة سيكون الرزق المشار إليه فى قوله تعالى عن الشهداء: (عند ربهم يرزقون) معناه المتع النفسية التى يشعر بها الصالحون فى البرزخ ، وأهم هذه المتع هى معرفتهم بأنهم نالوا مغفرة الله ، وكُتبوا من أهل الجنة ، وتلك متعة عظيمة ، وهى تشبه السعادة التى تكتنف أحد العلماء إذا ما أبلغوه بنبأ حصوله على جائزة نوبل ، حيث ستجده فى غاية السعادة حتى قبل شهور من إقامة حفل التكريم الرسمى له. والمتع

---

[185]) **مطالع الأنوار على صحاح الآثار** (2/ 469). تأليف أبو إسحاق ابن قرقول. تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث. الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة قطر. الطبعة الأولى، 1433 هـ - 2012 م

النفسية تمثل ولا شك نوعا من أنواع الرزق ، والإنسان كثيرا ما يرى فى منامه أحلاما وردية ، تصاحبها لذة عارمة إلى درجة أن الإنسان يحزن إذا استيقظ. وإن بقي الشهيد فى هذه الأحلام لآلاف السنين حتى قيام الساعة لجلبت له سعادة عظمى.

ورغم ذلك يجوز القول بأن الله تعالى يستثنى الشهداء ، فيأخذ أرواحهم فى السماء ، ويخلق لها أجسادا جديدة ، فيحيون فى الجنة فى نعيم واقعي ، وليس مجرد نعيم نفسى، فتكون هذه خصوصية وكرامة لهم وحدهم دون غيرهم من الموتى. ونص القرآن يحتمل الأمرين ، والله أعلم.

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

إدراك الموتى لما حولهم

تنفى آيات القرآن نفيا قاطعا أي قدرة للموتى على إدراك ما يدور حولهم فى الدنيا. والآيات التالية تؤكد ذلك:

- {إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (80) وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ} [النمل: 80، 81]
- {فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (52) وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ} [الروم: 52، 53].
- {وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ} [فاطر: 22]

فى الآيات الثلاثة السابقة تشبيه للكفار الذين لا يستجيبون لما يقوله الرسول بالموتى. ولو كان الموتى يسمعون بدرجة تفوق الأحياء كما يتخيل البعض – أو حتى تساويهم– لكان القرآن مخطئا فى تشبيهه ، وسيكون هذا كمن يظن أن البومة طائر جميل ، فيقول لزوجته: "أنت جميلة كالبومة" أو كمن يمدح مطربا ، فيقول له: "صوتك عذب كنهيق الحمار" أو كمن أشاد بفارس مغوار ، فقال: "لقد كنت تصول وتجول فى المعركة كالفأر". ويقول الشيخ الألبانى فى هذا المعنى: [186]

[...لأن الموتى لما كانوا لا يسمعون حقيقة وكان ذلك معروفا عند المخاطبين شبه الله تعالى بهم الكفار الأحياء في عدم السماع فدل هذا التشبيه على أن المشبه بهم – وهم الموتى في قبورهم – لا يسمعون كما يدل مثلا تشبيه زيد في الشجاعة بالأسد على أن الأسد شجاع بل هو في ذلك أقوى من زيد ولذلك شبه به وإن كان الكلام لم يسق للتحدث عن شجاعة الأسد نفسه وإنما عن زيد وكذلك الآيتان السابقتان وإن كانتا تحدثتا عن الكفار الأحياء وشبهوا بموتى القبور فذلك لا ينفي أن موتى القبور لا يسمعون بل إن كل عربي سليم السليقة لا يفهم من تشبيه موتى الأحياء بهؤلاء إلا أن هؤلاء أقوى في عدم السماع منهم كما في المثال السابق وإذا الأمر كذلك فموتى القبور لا يسمعون]

---

[186]) **الآيات البينات في عدم سماع الأموات على مذهب الحنفية السادات** ، ص 21. تأليف: نعمان بن محمود الألوسي (المتوفى: 1317هـ). تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي – بيروت. الطبعة الرابعة.

- **{وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (28) فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ}** [يونس: 28، 29]

هذه الآية تنهى تماما أى شك فى عجز الموتى عن سماع ما يجرى حولهم فى الدنيا ، فهى تخبرنا أن المشركين يوم القيامة سيرون الأشخاص الصالحين الذين اتخذوهم آلهة من دون الله. فى هذه اللحظة سيندفع المشركون نحو معبوديهم ظنا منهم أنهم سينجونهم ، ولكنهم يسمعون صوتا حازما ، يأمر كل واحد (العابد والمعبود) بالتوقف مكانه ، ثم يقيم الله فاصلا بين الاثنين ، فتكون حسرة على المشركين الذين أفلت منهم الأمل الوحيد الذى كانوا يتعلقون به. وهنا **يقسم هؤلاء الرجال الصالحون أنهم كانوا غافلين تماما عن عبادة الناس لهم لأنهم كانوا موتى، لا يدرون شيئا عما يجرى فى الدنيا**. ومدلول هذه الآية قاطع كالسيف.

- **{يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ}** [المائدة: 109]

أورد المفسرون فى شرح هذه الآية معان عدة ، أرجحها فى رأينا هو أن الله تعالى سيسأل الرسل يوم القيامة عن الطريقة التى أجاب بها الناس على دعوتهم بعد أن فارقوهم (أى بعد وفاة الرسل). وهنا يجيب الرسل أنهم لا يعلمون لأنهم كانوا غافلين عما يجرى فى الدنيا بسبب الموت. **وهذا دليل على أن الميت لا يدرى بما يدور حوله فى الدنيا**. قال القرطبى: [وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: مَعْنَى قَوْلِهِ:" **مَاذَا أُجِبْتُمْ" مَاذَا عَمِلُوا بَعْدَكُمْ؟** قَالُوا:" لَا عِلْمَ لَنا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ". قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: وَيُشْبِهُ هَذَا حَدِيثَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:"يَرِدُ عَلَيَّ أَقْوَامٌ الْحَوْضَ فَيَخْتَلِجُونَ ، فَأَقُولُ أُمَّتِي فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ"].

وقد تبنى تفسير المنتخب الذى أعده المجلس الأعلى للشئون الإسلامية هذا التفسير ، فقال فى شرح الآية: [وتذكروا يوم القيامة حين يجمع الله أمامه كلَّ الرسل ، ويسألهم قائلا لهم: ماذا أجابتكم به أممكم الذين أرسلتكم إليها، أبالإيمان أم بالإنكار؟ والأمم حينئذ حاضرة لتقوم عليهم الحُجة بشهادة رسلهم، **بأننا لا نعلم ما كان بعدنا من أمر من أرسلنا إليهم،** وأنت – وحدك – الذى تعلم ذلك، لأنك الذى أحاط علمه بالخفايا كما أحاط بالظواهر].

ونقدم الآن مزيدا من التوضيح: إن **سؤال: (ماذا أُجبتم؟) سؤال موجز ، وأصله هو: (ماذا أُجبتم بعد موتكم؟) ، وما دعانا للقول بأن الله يسأل الرسل عما حدث بعد موتهم هو الإجابة المذكورة** (لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) ، **فالشىء الذى يجهله الرسل عن موقف الناس من دعواتهم هو ما حدث عقب وفاتهم ، أما ما حدث أثناء حياة الرسول ، وكيف أجاب قومه على دعوته فهو معلوم للرسول.**

وقد احتار بعض المفسرين دون داع فى فهم هذه الآية ، والمسألة تكمن ببساطة فى الطابع الموجز لأسلوب القرآن ، **فالله تعالى أوجز السؤال اعتمادا على أن من يقرأ الإجابة سيفهم المقصود من السؤال** ، وأقسم لكم أن هذا هو بالضبط ما حدث معى منذ سنوات طويلة قبل أن أقرأ ما كتبه المفسرون عن الآية. والقرآن يتضمن مئات الأمثلة المشابهة على مثل هذا الإيجاز.

ولقد تساءل البعض فى حيرة[187]: كيف يقول الله تعالى للرسل: (ما أُجبتم) إن كان يقصد الكلام عما حدث بعد وفاتهم؟ كيف يجيب الناس على الرسل مع أن الرسل ماتوا؟ والرد على هذا التساؤل يسير: إن كثيرا من الأفعال ينسبها الناس لشخص معين مع أن هذا الشخص لم يفعلها بنفسه ، بل فعلها أحد بالنيابة عنه ، فمثلا قد يبعث أحد الرؤساء برسالة مع أحد وزرائه إلى رئيس دولة صديقة تتضمن تهنئة بعيد الاستقلال ، فتقول الصحف فى اليوم التالى أن "رئيس دولة كذا هنأ رئيس دولة كذا" مع أن الرئيس الأول لم يقابل الرئيس الثانى مباشرة. وكذلك يمكن للمرء أن يقول: (لقد رفضت الشعوب الإسلامية فى القرن العشرين كارل ماركس) ، مع أن ماركس مات قبل بداية القرن العشرين ، والشيوعيون العرب هم الذين حملوا فكره للناس من بعده. وإن ذهب أحد الدعاة المسلمين اليوم إلى استراليا مثلا فلن يكون من الخطأ أن يقول لهم: (إن رسول الله يدعوكم إلى عبادة الإله الواحد ، ويأمركم بالمعروف ، وينهاكم عن المنكر) رغم أن رسول الله مات منذ أكثر من ألف سنة دون أن يخاطب أحدا من أهل استراليا. وبالمثل نقول أن الرسل يستمرون مجازا فى دعوة البشرية إلى الله حتى بعد وفاتهم ، وذلك من خلال تلاميذهم والمؤمنين بهم ، وبهذا ليس هناك أى غرابة فى عبارة (ما أُجبتم)[188] ، فمن الشائع نسبة عمل ما

[187]) قال ابن عطية فى تفسيره: "وقال ابن جريج: معنى ماذا أجبتم؟ ماذا عملوا بعدكم وما أحدثوا؟ فلذلك قالوا لا علم لنا. قال القاضي أبو محمد: وهذا معنى حسن في نفسه، ويؤيده قوله تعالى: إنك أنت علام الغيوب لكن لفظة أجبتم لا تساعد قول ابن جريج إلا على كره".

[188]) وقد اختار القرآن كلمة (أُجبتم) ، وكان من الممكن أن يقول: (ماذا قال قومكم) أو (بم آمن قومكم) ، وذلك لأن كلمة (أجبتم) فى رأينا تشير إلى علاقة بين طرفين: طرف سأل ، وطرف آخر أجاب: الرسل سألوا الناس أن يؤمنوا ، والناس أجابوا على سؤالهم وطلبهم بطريقة ما. فكلمة (أجبتم) دورها أن تعمل على أن يستحضر الرسل فى أذهانهم ما فعله كل منهم بجوار رد فعل قومه ، بحيث يتضح التناقض العنيف بين دعوة الرسل إلى

لشخص مع أنه لم يقم به مباشرة. إن تعاليم الرسل بقيت بعد وفاتهم على شكل روايات شفهية أو مدونة ، وبعد وفاة الرسل يقوم تلاميذهم بدعوة الناس باسم هؤلاء الرسل ، وعلى ذلك فيمكننا القول مجازا أن الرسل هم الذين يدعون الناس بعد وفاتهم.

- **{وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}** [المائدة: 116، 117]

وفى هذه الآية الأخيرة نجد – كما فى الآية السابقة لها– **إنكارا من عيسى بن مريم لمعرفة ما جرى من النصارى الذين عبدوه بعد أن توفاه الله.** إن عيسى يثبت أنه كان شاهدا على قومه لما كان حيا بينهم ، وأنه فقد صفة الشهادة لما مات ، وهذا يعنى أن الميت غافل عما يدور حوله. **وقد فسر رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام الآية بهذا المعنى** ، فقد أخبرنا أنه يوم القيامة سيشاهد أناسا من أمته ، كان يعتقد أنهم من أصحابه الصالحين ، ولكنه يفاجأ بأنهم من أهل النار ، فيتساءل عن ذلك ، فتأتيه الإجابة الواضحة أنهم انحرفوا وعصوا الله بعد وفاته (أى بعد وفاة الرسول) ، وأن الرسول لم يكن على علم بما وقعوا فيه من آثام ، فيستشهد الرسول حينئذ بالآية السابقة التى قيلت على لسان عيسى عليه السلام. **واقرأوا معى هذه الرواية الشديدة الأهمية** ، والتى نقلت عن طريق أكثر من صحابى ، واتفق عليها البخارى ومسلم ، وهذا يضعها على قمة الأحاديث الصحيحة:

روى البخارى ومسلم – واللفظ للبخارى– عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قال: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا .... أَلاَ وَإِنَّهُ يُجَاءُ

التوحيد وإجابة الناس على هذه الدعوة باتباع عقائد باطلة غير ما دعاهم إليها الرسل. لقد استوقفنى ذات مرة امرأة مسنة فى المستشفى وقالت لى: "أريد منك شيئا: إن زوجى توفى" ، فلم أدعها تكمل ، وأخرجت لها على الفور بعض المال ظنا منى أنها تطلب صدقة ، لكنها ردتها ، وقالت أنها تريد أن أدخلها لعيادة الأسنان قبل المرضى الآخرين بسبب ظروف وفاة زوجها. ما يهمنا هنا أن هناك تناقضا بين الشىء الذى طلبته السيدة وبين الإجابة التى تلقتها منى ، فقد كانت تريد خلع أسنانها ، فجاءت إجابتى على شكل مال. وبالمثل طلب الرسل من الناس الإيمان بالله الواحد ، فجاء رد الناس على شكل إيمان بإله بشر له شركاء. إن هذا يشبه رجلا مريضا استوقف أحد المارة ، وطلب منه أن يساعده على عبور الطريق ، فأمسك الرجل بيد المريض ، ودفعه بعنف كى تطيح به السيارات المارة ، فهنا نجد تناقضا عنيفا بين السؤال والإجابة. أريد أن أقول أن كلمة (أجبتم) تخلق فى الأذهان مشهدين متجاورين هما مشهد دعوة الرسل ، ومشهد إجابة الناس لدعوة الرسل ، فيتجلى التناقض الحاد بين الاثنين.

بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُصَيْحَابِي، فَيُقَالُ: **إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ: {وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [المائدة: 117] فَيُقَالُ: **إِنَّ هَؤُلاَءِ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ**»[189]

(أُصيحابى): تصغير "أصحابى". **(فيؤخذ بهم ذات الشمال):** يؤخذون مع أهل الشمال ، أى أهل النار. **(العبد الصالح):** عيسى عليه السلام. **(إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك):** أنت لا تعلم يا محمد ما فعلوه بعد موتك من ذنوب وجرائم.

وروى البخارى ومسلم – واللفظ للبخارى– عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، وَلَيُرْفَعَنَّ مَعِي رِجَالٌ مِنْكُمْ ثُمَّ لَيُخْتَلَجُنَّ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: **إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**" ، وَقَالَ حُصَيْنٌ: عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وفى رواية لمسلم عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَلَأُنَازِعَنَّ أَقْوَامًا ثُمَّ لَأُغْلَبَنَّ عَلَيْهِمْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: **إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**"

(فَرَطكم) هو الشخص الذي يتقدم القوم الذاهبين للمياه. يقال: فرَطْتُ القومَ إذا تقدَّمْتَهم **(ليُرفعن):** يظهرهم الله تعالى لي حتى أراهم. (ليُختلجن): يُجذبون بعيدا عنى. يقال خَلَجَهُ واخْتَلَجَهُ إذا جذبه وانتزعه.

وروى البخارى عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ» قَالَ أَبُو حَازِمٍ: فَسَمِعَنِي النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عَيَّاشٍ، فَقَالَ: هَكَذَا سَمِعْتَ مِنْ سَهْلٍ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، لَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَزِيدُ فِيهَا: " فَأَقُولُ

[189]) نص رواية البخارى كاملة كما يلى: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا»، ثُمَّ قَالَ: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ، وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ} [الأنبياء: 104] إِلَى آخِرِ الآيَةِ، ثُمَّ قَالَ: " أَلاَ وَإِنَّ أَوَّلَ الخَلاَئِقِ يُكْسَى يَوْمَ القِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ، أَلاَ وَإِنَّهُ يُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُصَيْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ: {وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [المائدة: 117] فَيُقَالُ: إِنَّ هَؤُلاَءِ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ " . ورواية مسلم كما يلى: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطِيبًا بِمَوْعِظَةٍ، فَقَالَ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ} [الأنبياء: 104] أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى، يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَلَا وَإِنَّهُ **سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**، فَأَقُولُ، كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: {وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ، إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ، فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [المائدة: 118] قَالَ: فَيُقَالُ لِي: **إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ** - وَفِي حَدِيثِ وَكِيعٍ وَمُعَاذٍ - فَيُقَالُ: **إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ** "

إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: **إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي " وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: سُحْقًا: بُعْدًا.

وروى مسلم عن عائشة قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: وَهُوَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَصْحَابِهِ " إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، فَوَاللهِ لَيُقْتَطَعَنَّ دُونِي رِجَالٌ، فَلَأَقُولَنَّ: أَيْ رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: «**إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، مَا زَالُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ**»

وروى مسلم عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الْحَوْضَ رِجَالٌ مِمَّنْ صَاحَبَنِي، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُهُمْ وَرُفِعُوا إِلَيَّ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَلَأَقُولَنَّ: أَيْ رَبِّ أُصَيْحَابِي، أُصَيْحَابِي، فَلَيُقَالَنَّ لِي: **إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ** "

وروى مسلم عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنِّي لَكُمْ فَرَطٌ عَلَى الْحَوْضِ، فَإِيَّايَ لَا يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ فَيُذَبُّ عَنِّي كَمَا يُذَبُّ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، فَأَقُولُ: فِيمَ هَذَا؟ فَيُقَالُ: **إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا**"[190]

وروى البخارى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " يَرِدُ عَلَيَّ يَوْمَ القِيَامَةِ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِي، فَيُحَلَّئُونَ عَنِ الحَوْضِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لاَ عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمُ القَهْقَرَى "

(فيحلؤون) يمنعون ويطردون. (ارتدوا على أدبارهم): رجعوا عن الهداية والحق. (القهقرى): الرجوع إلى الخلف

وروى البخارى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمْرَةٌ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ، فَقُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ، قُلْتُ: **وَمَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ القَهْقَرَى**. ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ، قُلْتُ أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ، قُلْتُ: **مَا**

[190]) نص الحديث كاملا:عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهَا قَالَتْ: كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَذْكُرُونَ الْحَوْضَ، وَلَمْ أَسْمَعْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمًا مِنْ ذَلِكَ، وَالْجَارِيَةُ تَمْشُطُنِي، فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَيُّهَا النَّاسُ» فَقُلْتُ لِلْجَارِيَةِ: اسْتَأْخِرِي عَنِّي، قَالَتْ: إِنَّمَا دَعَا الرِّجَالَ وَلَمْ يَدْعُ النِّسَاءَ، فَقُلْتُ: إِنِّي مِنَ النَّاسِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنِّي لَكُمْ فَرَطٌ عَلَى الْحَوْضِ، فَإِيَّايَ لَا يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ فَيُذَبُّ عَنِّي كَمَا يُذَبُّ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، فَأَقُولُ: فِيمَ هَذَا؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا "

شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمْ القَهْقَرَى، فَلاَ أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ "

(زمرة) جماعة. (خرج رجل): الملك الموكل بهم. (هلم) تعالوا. (أين) إلى أين تذهب بهم. (يخلص) ينجو. (همل النعم) ما يترك مهملا حتى يهلك ، والمقصود: لا ينجو من النار منهم إلا القليل.

وروى البخارى عن أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ ، قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنِّي عَلَى الحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي، فَيُقَالُ: **هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ،** وَاللَّهِ مَا بَرِحُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ "

ونكتفى بهذه الروايات ، ولن نواصل استقصاء طرق الحديث، فالعينة التى قدمناها من الصحيحين تظهر أننا أمام حديث متواتر[191] ، رواه عدد من الصحابة عن رسول الله منهم السيدة عائشة والسيدة أم سلمة وعبد الله بن عباس وأنس بن مالك وأسماء بنت أبى بكر وأبو هريرة رضى الله تعالى عنهم جميعا.

ولعلك لاحظت عزيزى القارىء كيف أن الروايات السابقة تتفق جميعها فى معنى واحد وهو أن **الرسول عليه الصلاة والسلام سيفاجأ يوم القيامة بأن بعض الناس ضلوا بعد موته.** وفضلا عن هذا التواتر المعنوى فهناك تواتر لفظى فى عبارة: **(**إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك**)**. وهذا يعنى أن **الرسول فى قبره لم يكن يعلم شيئا عما يدور فى الدنيا**. وأحد نتائج هذا الحديث الإبطال الكامل لفكرة التوسل بالنبى ، والاستعانة به على قضاء الحوائج لأن النبى ببساطه لا يسمع من يدعوه. وما ينطبق على النبى عليه الصلاة والسلام أولى أن ينطبق على كل من جاء بعده ممن يسمون بالأولياء ، الذين لا يمكن أن يعلموا شيئا عن توسلات الناس فى الأضرحة.

****

[191]) لا يشترط لاعتبار الحديث متواترا عدد معين من الرواة ، لكن قال بعضهم أن أقله خمسة. وتكلم السيوطى عن الحديث المتواتر فقال: "ولا يعتبر فيه عدد معين في الأصح. قال القاضي الباقلاني: ولا يكفي الأربعة وما فوقها صالح وتوقف في الخمسة ، وقال الاصطخري: أقله عشرة وهو المختار لأنه أول جموع الكثرة وقيل: أربعون وقيل: سبعون عدة أصحاب موسى عليه الصلاة والسلام وقيل ثلثمائة وبضعة عشر عدة أصحاب طالوت وأهل بدر". انظر: **تدريب الراوي في شرح تقريب النووي** (ص: 176). تأليف عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. دراسة وتحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف. دار الكتب الحديثة. الطبعة الثانية- 1385هـ/1966م

ها قد وجدنا فى القرآن إصرارا على نفى قدرة الموتى على معرفة ما يجرى فى الدنيا. والآن نترك "النص" ونذهب قليلا إلى "العقل القائم على النص".

لقد أخبرنا القرآن أن النوم والموت متشابهان فى الجوهر ، وهذا يمدنا بأساس معتبر لاستنتاج بعض أحوال الموت ، وهذا التشبيه القرآنى يتسق تماما مع المنطق ، ومن الحكمة البناء عليه. وفيما يتعلق بالإدراك فإننا نرى النائم لا يشعر بأغلب ما يدور حوله ، فهو لا يرى مَن دخل غرفته ، ولا يسمع مَن يهمس حوله ، ولا يشم الطعام الذى تعده أمه ، ولا يحس بأخيه الذى يرقد بجواره ملتصقا به ، ولا يحس بمرارة فمه. إذن النائم تتعطل حواسه بدرجة كبيرة. وإذا كان النوم عميقا مثل حالة حقن المريض بمخدر أو حالة الغيبوبة ، فإن غفلة الإنسان عما يدور حوله تصبح تامة.

وإذا ذهبنا إلى الميت لوجدنا أن غفلته عن المؤثرات المادية يجب أن تكون تامة لأن أعضاء الحس كالعين والأذن والأنف والجلد واللسان تتحلل ولا يبقى منها شىء ، كما يتلف المخ الذى يتلقى الإشارات العصبية من هذه الحواس ، وتتلف أيضا القنوات العصبية الناقلة لهذه الإشارات، ولا يتبقى لدى الإنسان وسائل أخرى لمعرفة ما يجرى حوله.

وبعض الناس يتصور أن تحرر الروح من الجسد – بعد الموت– ينقذها من أسر المادة ، ويجعلها أقدر على معرفة العالم المادى بدرجة تفوق قدرة الحواس ، على اعتبار أن الروح غير المادية ستكون أكثر قدرة على الحركة والتنقل والنفاذ من الجدران. ولكن خبرتنا بظاهرة النوم تؤكد خلاف ذلك ، فنحن نعلم أن النائم تتحرر نفسه من جسده وقت النوم ، ولكنه بالعكس يصبح أكثر عجزا عن معرفة ما يدور حوله حتى قيل لكل غافل: "هل أنت نائم؟" وغفلة الميت بلا شك أكبر من غفلة النائم ، ولهذا فالميت أكثر عجزا من الحى عن معرفة ما يدور خارج القبر. كما أن **أى إنسان حى لا يقدر على رؤية ما يحدث خارج غرفته المُحكمة الغلق ، فما بالك بالميت الذى لا يمتلك حواسا من الأصل؟**

إذن القرآن كان متسقا تماما مع نفسه حين اعتبر أن الميت غافل عما يجرى فى الدنيا ، فهذا يتفق تماما مع إخبار القرآن بأن النوم يشبه الموت فى الجوهر ، وأن كل الاختلاف بين الاثنين هو فى أن النوم قصير مؤقت ، بينما الموت أطول.

لقد أخطأ البعض حين ظنوا أن النفس مسجونة داخل الجسد ، وأنها إذا تتحررت من الجسد بعد الموت اكتسبت قدرة أفضل على المعرفة والإدراك ، لكننا الآن نؤكد أن هذا الكلام غير دقيق، فالنفس بدون الجسد تصبح جاهلة بشكل شبه تام **بما يجرى على الأرض** ، فالجسد هو الآلة التى بدونها لا ترى النفس ما يجرى على الأرض ، الجسد (بما فى ذلك المخ) يشبه النظارة أو المجهر الذى يعين على رؤية الأشياء غير الواضحة. وخلافا لذلك تصبح النفس بعد انفصالها عن الجسد **أكثر قدرة على إدراك الغيبيات. باختصار: النفس بعد الموت تصبح جاهلة بما يجرى على الأرض ، لكنها تصبح أكثر معرفة بعالم الغيب.** وعلى ذلك فمن الحماقة أن يتوسل الإنسان بمن يسمون "أولياء الله الصالحين" ، وذلك لأن هؤلاء الموتى غافلون عن مشاكلهم وحاجاتهم ، إنهم فى عالم آخر تماما.

****

والآن بعد أن حسمنا مسألة إدراك الأموات لما حولهم استنادا للقرآن والسنة والعقل تواجهنا مشكلة تلك الأحاديث النبوية التى تؤكد أن الموتى يدركون ما يجرى حولهم فى الدنيا.

من هذه الأحاديث ما روى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أن رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ، إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ» متفق عليه ، واللفظ لمسلم[192]. ومعناه أن الميت يسمع صوت خطوات أقدام الناس أثناء انصرافهم من المقابر بعد دفنه. وهذه الرواية يجب ألا تقتطع من سياقها ، ونص الحديث كاملا كما ورد فى البخارى[193]:

"العَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ، فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الكَافِرُ – أَوِ المُنَافِقُ –

---

[192]) نص الحديث كاملا فى مسلم كما يلى: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أن رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ، إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ» قَالَ: " يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ " قَالَ: " فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ " قَالَ: " فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ " قَالَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا» قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَيُمْلَأُ عَلَيْهِ خَضِرًا، إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ.

[193]) صحيح البخارى: باب الميت يسمع خفق النعال.

فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ "

لا أشك الآن بعد قراءة رواية البخارى كاملة فى أن **قول الرسول عليه السلام عن الميت (إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ) ، هذا القول مجازى ، فهو كناية عن سرعة بدء حساب الملكين بمجرد الموت** لأن الإنسان لا يمكن أن يسمع صوت خطوات من يفارقه إلا إذا كان قريبا منه. وسرعة الحساب أمر مهم لإقامة العدل يوم القيامة.

إن الفكرة الرئيسية فى الحديث هى إقرار وجود حساب وجزاء فى القبر ، ومن الشذوذ عن السياق إثبات قدرة الأموات على سماع ما يحدث على الأرض ، فهذا لا علاقة له بحساب الملائكة لهم لأن **تفاهم الموتى مع الملائكة لا يحتاج لمعرفة ما يجرى فى الدنيا بما فى ذلك سماع صوت النعال** ، فكوكب الأرض يعج ببلايين الناس الذى يسمعون بدقة ما يجرى على الأرض دون أن يسمعوا أى شىء تقوله الملائكة. **والحقيقة أن العكس هو الصحيح ، فتعطل الحواس (بما فى ذلك السمع) أثناء النوم أو الموت هو الذى يتيح للنفس الفرصة لإدراك بعض الغيبيات بما فى ذلك الملائكة.**

إننا نؤكد مرة أخرى أن كلمة (حتى) فى قول البخارى: (وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ) يقصد بها التأكيد على أن الحساب فى القبر يبدأ بسرعة بمجرد مغادرة الناس للقبر. وللبخارى رواية أخرى[194] تقول: (وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ) بدلا من: (حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ). والمدلول واحد ، وهو يختلف عن مدلول قول مسلم (إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ).

وعلى ذلك **فرواية البخارى التى تحتوى على حرف "حتى" وروايته التى تحتوى على حرف "الواو" فى رأينا هى الأدق ، بينما أدى خلو رواية مسلم من "حتى" و"الواو" إلى حدوث اللبس** رغم الاختلاف اليسير جدا بين الروايتين.

ونأتى الآن لما روى من مخاطبة الرسول عليه الصلاة والسلام لقتلى المشركين يوم بدر. وسنورد أولا الروايات التى وصلتنا عن هذه الواقعة فى الصحيحين ثم نقدم وجهة نظرنا حولها:

---

194) صحيح البخارى: باب ما جاء فى عذاب القبر. وسند رواية البخارى هنا يختلف جزئيا عن السند فى رواية باب "الميت يسمع خفق النعال:

عن ابن عمر: اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَهْلِ القَلِيبِ (قتلى المشركين يوم بدر)، فَقَالَ: «وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟» **فَقِيلَ لَهُ: تَدْعُو أَمْوَاتًا؟ فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ، وَلَكِنْ لاَ يُجِيبُونَ».** رواه البخارى. وعَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ: إِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّهُمْ لَيَعْلَمُونَ الآنَ أَنَّ مَا كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ حَقٌّ**» رواه البخارى.

وروى البخارى أيضا عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي طَلْحَةَ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، فَقُذِفُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ خَبِيثٍ مُخْبِثٍ، وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالعَرْصَةِ ثَلاَثَ لَيَالٍ، فَلَمَّا كَانَ بِبَدْرٍ اليَوْمَ الثَّالِثَ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشُدَّ عَلَيْهَا رَحْلُهَا، ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَالُوا: مَا نُرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكِيِّ، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ: «يَا فُلاَنُ بْنَ فُلاَنٍ، وَيَا فُلاَنُ بْنَ فُلاَنٍ، أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟» قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لاَ أَرْوَاحَ لَهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، **مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ**». قَالَ قَتَادَةُ: أَحْيَاهُمُ اللَّهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ، قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنَقِيمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَمًا.

وروى مسلم عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ[195]، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَرَكَ قَتْلَى بَدْرٍ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَامَ عَلَيْهِمْ فَنَادَاهُمْ، فَقَالَ: «يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا» فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: **يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يَسْمَعُوا وَأَنَّى يُجِيبُوا وَقَدْ جَيَّفُوا؟ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا».**

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أن عمر بن الخطاب قال له أن: "رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يُرِينَا مَصَارِعَ أَهْلِ بَدْرٍ، بِالْأَمْسِ، يَقُولُ: «هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا، إِنْ شَاءَ اللهُ»، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا أَخْطَئُوا الْحُدُودَ الَّتِي حَدَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَجُعِلُوا فِي بِئْرٍ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «يَا

---

[195]) الأرجح أن أنس بن مالك لم يشهد هذه الواقعة بنفسه لأنه كان صغير السن فى غزوة بدر حيث كان عمره حينئذ 10 أو 12 عاما ، فقد وقعت غزوة بدر فى العام الثانى للهجرة ، بينما كان عمر أنس حين هاجر الرسول ثمان أو عشر سنوات كما ذكر الذهبى (**سير أعلام النبلاء**. تأليف شمس الدين الذهبي. تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة. الطبعة الثالثة - 1405 هـ / 1985 م). ويؤكد كلامنا أن أنس بن مالك ذكر فى روايات أخرى لنفس الواقعة أنه سمعها من عمر بن الخطاب ومن أبى طلحة ، وهما أكبر منه سنا.

فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ وَيَا فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي اللهُ حَقًّا»، قَالَ عُمَرُ: **يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تُكَلِّمُ أَجْسَادًا لَا أَرْوَاحَ فِيهَا؟ قَالَ: «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيَّ شَيْئًا»** رواه مسلم.

هذه هى الروايات التى وصلتنا عن قتلى بدر. ويجب أن تفهم هذه الروايات على أنها **حالة خاصة واستثناء ومعجزة حدثت للرسول عليه السلام ، ولا تحدث مع غير هؤلاء من الناس ،** وهذا ما فهمه التابعى قَتَادَةُ الذى روى البخارى أنه قال: "أَحْيَاهُمُ اللَّهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ، قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنَقِيمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَمًا". ونحن لا نعتقد أن الله تعالى أحيا موتى قريش كما يقول قتادة، ولكن ربما أبقى الله تعالى لهؤلاء القتلى على وظائف حاسة السمع ومراكز السمع والفهم فى المخ لعدة دقائق أو سويعات عقب الوفاة بطريقة معجزة كى يتمكنوا من سماع ما يقال حولهم رغم موت مراكز المخ الحركية وبقية أعضاء الجسم ، بحيث يبدو الجسد أمام الناس بلا أى حراك ، بينما يوجد فى الحقيقة قدر من الإحساس بالصوت. والهدف من ذلك أن يحس المشركون بمزيد من الخزى والعار والصغار.

وعلينا أن نلاحظ أن **رواية أنس بن مالك تقول: (ما أنتم بأسمع منهم)** ، لكن روايتى عمر وأبى طلحة فى البخارى ومسلم والنسائى وأحمد وابن حبان والطبرانى والبيهقى والبزار وابن أبى شيبة وعبد بن حميد وغيرهم تقول: **(مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ).** وقوله **(لِمَا أَقُولُ)** يفيد أن سماع قتلى قريش ليس حالة عامة ، بل حالة خاصة تتعلق بخطاب الرسول لهم فقط ، وهذا يتفق مع الآيات والأحاديث الذى ذكرناها آنفا والتى تفيد عدم قدرة الموتى بشكل عام على معرفة ما يحدث للأحياء. ويؤيد ذلك رأى عائشة رضى الله تعالى عنها[196] ، التى أنكرت قدرة الموتى على سماع كلام الناس: روى البخارى عن عائشة أنها قالت: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ عَلَى القَلِيبِ وَفِيهِ قَتْلَى بَدْرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ، فَقَالَ لَهُمْ مَا قَالَ: «إِنَّهُمْ لَيَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ» إِنَّمَا قَالَ: «إِنَّهُمُ

---

[196]) نص الرواية كاملا: عن هشام بن عروة عن أبيه ، قال: ذُكِر عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَفَعَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ المَيِّتَ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ» فَقَالَتْ: وَهَلَ؟ إِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ لَيُعَذَّبُ بِخَطِيئَتِهِ وَذَنْبِهِ، وَإِنَّ أَهْلَهُ لَيَبْكُونَ عَلَيْهِ الآنَ»، قَالَتْ: وَذَاكَ مِثْلُ قَوْلِهِ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ عَلَى القَلِيبِ وَفِيهِ قَتْلَى بَدْرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ، فَقَالَ لَهُمْ مَا قَالَ: «إِنَّهُمْ لَيَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ» إِنَّمَا قَالَ: «إِنَّهُمُ الآنَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ مَا كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ حَقٌّ»، ثُمَّ قَرَأَتْ {إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ المَوْتَى} [النمل: 80]، {وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي القُبُورِ} [فاطر: 22] يَقُولُ حِينَ تَبَوَّءُوا مَقَاعِدَهُمْ مِنَ النَّارِ

الآنَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ مَا كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ حَقٌّ»، ثُمَّ قَرَأَتْ {إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ المَوْتَى} [النمل: 80]، {وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي القُبُورِ} [فاطر: 22] يَقُولُ حِينَ تَبَوَّءُوا مَقَاعِدَهُمْ مِنَ النَّارِ.

وربما كان الأرجح أن الله تعالى أسمع قتلى قريش كلام الرسول عن طريق الإلهام ، أى بطريقة روحية خالصة دون وساطة حاسة السمع أو مراكز المخ. وهذا يشبه سماع النائم لعبارة فى نومه ، فيستيقظ ، ويخرج من بيته فيسمع نفس العبارة –أو عبارة قريبة منها– فى الشارع. وقد يرى النائم مشهدا فيتكرر المشهد بطريقة مشابهة فى الواقع بعد أن يستيقظ. وهنا يحدث السماع والإبصار بطريقة روحية غامضة ، وليس بآلات الحس. ومن الممكن أن يسمع قتلى بدر كلام النبى بهذه الطريقة الروحية بعد الوفاة. وهناك أمران فيما يتعلق بالسماع بهذه الطرق الروحية:

أولا: هذا السماع الروحى لا يملك مقاليده أحد من الناس مهما عظم قدره. وإذا كان لا أحد من الناس يستطيع أن يحدد الشىء الذى يريد أن يسمعه أو يراه فى نومه ، بل يأتيه الإلهام من الله كما يشاء الله ، إذا كان الأمر كذلك فقدرة روح الميت على معرفة بعض الأشياء التى تجرى فى الدنيا بغير وساطة الحواس واقعة تحت تصرف الله تماما ، فإن شاء الله أسمعه ، وإن شاء تركه غافلا. وهذا يدخل فى باب معرفة الغيب ، وهو أمر أكد القرآن صراحة أنه خاف حتى عن الرسول نفسه: {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: 188]

ثانيا: القدرة الروحية على السماع ليست صفة شاملة تحدث بشكل روتينى ، ولكنها قدرة استثنائية نادرة. والدليل على ذلك أنه حتى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وهو حى ، كان يجهل أغلب تفاصيل حياة الناس فى عصره مما يجرى بعيدا عن بصره وسمعه ، فما بالك بالميت الذى تحللت أذناه وعيناه؟ وما بالك إذا كان هذا الميت أقل قربا إلى الله من الرسول؟ ولذلك أكد الرسول عليه الصلاة والسلام بوضوح شديد أنه بشر ، وأنه معرض للخداع من بعض الناس الذين يحسنون الكلام والدفاع عن النفس: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، بِقَوْلِهِ: فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلاَ يَأْخُذْهَا ". متفق عليه.

كما أكد الله تعالى أن الرسول عليه الصلاة والسلام لا يعلم أسماء كثير من المنافقين: {وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ} [التوبة: 101]. ولعلكم سمعتم عن القصة المعروفة التى تتعلق بنفر من قبيل عرينة ، جاءوا معلنين إسلامهم ، فوثق بهم الرسول عليه السلام ، فخانوه ، وقتلوه راعيه ، وسرقوا الإبل التى سلمها لهم، وارتدوا عن الإسلام. ولو كان الرسول يعلم بأمرهم لمنعهم قبل أن يرتكبوا جرائمهم[197]. وكلنا نعرف أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يعلم بما دبرته حفصة وعائشة ضده فى الخفاء حين أوهمتاه أن رائحة كريهة تنبعث منه إذا شرب العسل عند زينب بنت جحش، فصدقهما الرسول ، وانخدع بكلامهما ، وحلف ألا يشرب العسل مرة أخرى ، فنزلت سورة التحريم لتنهاه عن ذلك.[198] وفى غزوة حنين كان الرسول عليه السلام على قيادة الجيش ، لكنه لم يكن يعلم أن الكفار عملوا كمائن للمسلمين ، فأوقعوا فيهم القتل فى بداية المعركة[199].

ويجرنا هذا الكلام لمسألة أولياء الله الصالحين: إن القاعدة العامة التى قررت فى القرآن والسنة بوضوح شديد هى أن الموتى لا يقدرون على سماع كلام الأحياء فى الدنيا ، ولكن يستثنى من ذلك ما قد يحدث بشكل نادر من منح الله تعالى لبعضهم قدرة روحية على السماع بدون حاسة السمع فى ظروف خاصة جدا. وعلينا أن نتذكر أن **أنبياء الله – وهم أفضل الخلق– لم يخبرهم الله تعالى بكثير من الأمور الجسيمة التى وقعت فى حياتهم ، وبعد وفاتهم** كتحريف الناس للدين الذى أنزله الله ، فما بالك بمن يسميهم الصوفية بأولياء الله الصالحين كالسيدة نفيسة والسيد

---

[197]) روى البخارى ومسلم – واللفظ للبخارى- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ نَاسًا مِنْ عُكْلٍ وَعُرَيْنَةَ قَدِمُوا المَدِينَةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَكَلَّمُوا بِالإِسْلاَمِ، فَقَالُوا يَا نَبِيَّ اللَّهِ: إِنَّا كُنَّا أَهْلَ ضَرْعٍ، وَلَمْ نَكُنْ أَهْلَ رِيفٍ، وَاسْتَوْخَمُوا المَدِينَةَ، «فَأَمَرَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَوْدٍ وَرَاعٍ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا فِيهِ فَيَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا»، فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا نَاحِيَةَ الحَرَّةِ، كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ، وَقَتَلُوا رَاعِيَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاسْتَاقُوا الذَّوْدَ، «فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَعَثَ الطَّلَبَ فِي آثَارِهِمْ، فَأَمَرَ بِهِمْ فَسَمَرُوا أَعْيُنَهُمْ، وَقَطَعُوا أَيْدِيَهُمْ، وَتُرِكُوا فِي نَاحِيَةِ الحَرَّةِ حَتَّى مَاتُوا عَلَى حَالِهِمْ»

(عكل أو عرينة) أسماء قبائل. (أهل ضرع) أصحاب ماشية (ريف) أرض خصبة بها زرع (الحرة) (زود) الذَوْدُ: من الإبل: ما بين الثلاث إلى العشر (الحرة) أرض ذات حجارة سوداء خارج المدينة (سمروا أعينهم) فقئوها بحديدة محماة.

[198]) وروى البخارى – واللفظ له- ومسلم عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَيَمْكُثُ عِنْدَهَا، فَوَاطَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ عَلَى، أَيَّتُنَا دَخَلَ عَلَيْهَا فَلْتَقُلْ لَهُ: أَكَلْتَ مَغَافِيرَ، إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ، قَالَ: «لاَ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، فَلَنْ أَعُودَ لَهُ، وَقَدْ حَلَفْتُ، لاَ تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَدًا». وقوله : (فواطيت) اتفقت وتواطئت. (مغافير) صمغ حلو له رائحة كريهة يؤخذ من شجر يسمى العرفط.

[199]) روى ابن إسحاق فى السيرة بسند صحيح عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: (لَمَّا اسْتَقْبَلْنَا وَادِيَ حُنَيْنٍ انْحَدَرْنَا فِي وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ تِهَامَةَ أَجْوَفَ حَطُوطٍ ، إنَّمَا نَنْحَدِرُ فِيهِ انْحِدَارًا، قَالَ: وَفِي عَمَايَةِ الصُّبْحِ ، وَكَانَ الْقَوْمُ قَدْ سَبَقُونَا إلَى الْوَادِي، فَكَمَنُوا لَنَا فِي شِعَابِهِ وَأَحْنَائِهِ وَمَضَايِقِهِ ، وَقَدْ أَجْمَعُوا وتهيّئوا وأعدّوا، فو الله مَا رَاعَنَا وَنَحْنُ مُنْحَطُّونَ إلَّا الْكَتَائِبُ قَدْ شَدُّوا عَلَيْنَا شَدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَانْشَمَرَ النَّاسُ رَاجِعِينَ، لَا يَلْوِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ.)

تهَامَة: مَا انخفض من أَرض الْحجاز. وأجوف: متسع. وحطوط: منحدر. انظر:

السيرة النبوية لابن هشام (2/ 442). تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي. الناشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. الطبعة الثانية. 1375هـ - 1955 م

السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة (قراءة جديدة). تأليف أبو عمر، محمد بن حمد الصوياني. مكتبة العبيكان. الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2004 م

البدوى ومن يسميهم الشيعة بالأئمة الاثنى عشر؟ أيخبر الله هؤلاء الرجال بكل قول وكل فعل يصدر من كل إنسان فى كل مكان فى الدنيا وفى كل لحظة؟ مستحيل.

ثم إن **هؤلاء الأولياء لو كانوا يحبون الله تعالى فعلا لغضبوا إن رأوا الناس يطوفون بقبورهم ،** ويدعونهم ، ويذفون الدموع حول مقاماتهم ، وينسون الله ربهم الذى خلقهم وخلق أولياءهم. إن **أى إنسان لديه قدر ولو ضئيل من رهافة الحس لا يمكن أن يفرح إن رأى الناس يعجبون به وينصرفون عن أستاذه الذى علمه.** ولئن سُئل إنسان صالح: هل تحب أن أتضرع إلى الله أم أتضرع إليك؟ لأجاب على الفور: "تضرع إلى الله طبعا ، فمن أكون أنا بجوار الله؟"

إن من العبث افتراض أن الله عز وجل قد تنازل عن كل سلطاته ، وتخلى عن كل صلاحياته ، وأوكل مهمة إدارة الكون إلى أوليائه الصالحين ، ورضى بأن يتجه الناس إليهم بالدعاء ، فيستجيبون لهم، ويكون كل ما لله من دور أن يُوَقع على قرارات هؤلاء الأولياء دون أن يُغير منها حرفا. إن الله بهذا الشكل يملك ولا يحكم. حاشا لله.

ثم **كيف يوكل الله مهمة إدراة حياة الناس لأشخاص ، مهما بلغت حكمتهم ، فهم يفتقرون إلى الكمال فى العلم والفكر؟ إن قرار إجابة دعاء إنسان يتطلب قدرا هائلا من العلم بأمور الكون ،** فمثلا إن توسل شاب مريض لأحد الأولياء أن يشفيه من مرض خطير فهذا يتطلب من الولى أن يكون على دراية كاملة بطبيعة نفس هذا الشخص ، وخلقه وميوله وما يحيط به مغريات لأن هناك احتمالا كبيرا لأن يغرق فى بحر الشهوات الحرام إن عادت إليه الصحة ، وسيكون القرار الصائب أن يبقى الشاب مريضا حتى لا يخسر نفسه. وعلى ذلك فمهمة الاستجابة لدعوات الناس لا يمكن أن يوكلها الله لأى من البشر مهما بلغ صلاحهم لأن علم البشر محدود.

وفى كلمة واحدة نقول: إن **القول بأن الأولياء يستجيبون لدعوات الناس هو بمثابة نزع لصفة الألوهية من الله ، وخلعها على من لا يستحقون.**

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

أحاديث حول حساب القبر وعذابه

نصوص السنة النبوية قاطعة فى إثبات وجود حياة البرزخ وحساب القبر وعذاب القبر. وهذه النصوص تميزت بثلاثة عناصر تجعل المرء يطمئن إليها بقدر كبير:

أولا: الأحاديث عددها كبير.

ثانيا: الأحاديث على أعلى درجات الصحة ، فقد وردت فى البخارى ومسلم ، وكثير منها متفق عليه.

ثالثا: رويت الأحاديث عن عدد من الصحابة ، وليس من طريق صحابى واحد ، وهذا يجعلها أكثر مصداقية.

رابعا: الأحاديث لا تتعارض مع القرآن الكريم.

ونورد هنا أهم هذه النصوص لمن أحب أن يراجعها:

- عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " **إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ** " رواه البخارى ومسلم. وهذا الحديث يتطابق مع قول القرآن عن آل فرعون: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ } [غافر: 46].
- روى أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال:" إِنَّ رَجُلًا كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، **أَتَاهُ المَلَكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ، فَقِيلَ لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: مَا أَعْلَمُ**، قِيلَ لَهُ: انْظُرْ، قَالَ: مَا أَعْلَمُ شَيْئًا غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا وَأُجَازِيهِمْ، فَأُنْظِرُ المُوسِرَ، وَأَتَجَاوَزُ عَنِ المُعْسِرِ، فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ " رواه البخارى.
- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «**إِذَا خَرَجَتْ رُوحُ الْمُؤْمِنِ تَلَقَّاهَا مَلَكَانِ يُصْعِدَانِهَا**» – قَالَ حَمَّادٌ: فَذَكَرَ مِنْ طِيبِ رِيحِهَا وَذَكَرَ الْمِسْكَ – قَالَ: " **وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: رُوحٌ طَيِّبَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ، صَلَّى الله عَلَيْكِ وَعَلَى جَسَدٍ كُنْتِ تَعْمُرِينَهُ، فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَقُولُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ**"، **قَالَ:** " **وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ – قَالَ حَمَّادٌ وَذَكَرَ**

مِنْ نَتْنِهَا، وَذَكَرَ لَعْنًا – وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ رُوحٌ: خَبِيثَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ. قَالَ فَيُقَالُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ"، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَرَدَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَيْطَةً كَانَتْ عَلَيْهِ، عَلَى أَنْفِهِ، هَكَذَا. رواه مسلم.

وقَوْلُ أهل السماء فى حق المؤمن: (انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ) وكذلك قولهم نفس الشىء عن روح الكافر يراد به –على ما نُرجح– "انطلقوا به إِلَى انْقِضَاءِ أَجَلِ الدُّنْيَا وقيام الساعة". وقَوْلُهُ (فَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَيْطَةً كَانَتْ عَلَيْهِ عَلَى أَنْفِهِ): الرَّيْطَةُ – بِفَتْحِ الرَّاءِ وَإِسْكَانِ الْيَاءِ– هُوَ ثَوْبٌ رَقِيقٌ وَقِيلَ هِيَ الْمُلَاءَةُ، وكان سبب ردها على الأنف الرائحة الكريهة لرُوحِ الْكَافِرِ[200]

- عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " **{يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ}** [إبراهيم: 27] " قَالَ: " **نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، فَيُقَالُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَفِي الْآخِرَةِ}** [إبراهيم: 27] "رواه مسلم. وساق البخارى الرواية بلفظ مختلف فقال: " إِذَا أُقْعِدَ المُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أُتِيَ، ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ} [إبراهيم: 27]".
- عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ وَجَبَتِ الشَّمْسُ، فَسَمِعَ صَوْتًا فَقَالَ: «**يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا**» رواه البخارى ومسلم.
- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ مِنْ كَبِيرٍ**» ثُمَّ قَالَ: «بَلَى أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ» قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ عُودًا رَطْبًا، فَكَسَرَهُ بِاثْنَتَيْنِ، ثُمَّ غَرَزَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى قَبْرٍ، ثُمَّ قَالَ: «لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا[201]» رواه البخارى.

---

[200]) **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** (17/ 205) للنووى. دار إحياء التراث العربي – بيروت. الطبعة الثانية، 1392 هجرية.

[201]) بخصوص قوله تعالى: «لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا»: قال النووي: قال العلماء: هو محمول على أنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سأل الشفاعة لهما. فأجيب: بالتخفيف عنهما إلى أن ييبسا**.** انظر: **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري** (9/ 43). تأليف: أحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلاني. المطبعة الكبرى الأميرية– مصر- الطبعة السابعة 1323هجرية.

ولكن يبدو لنا أن الرسول عليه السلام لما كسر العود الرطب ، وغرزه فى قبر كل من الرجلين فإنه كان يقوم بعمل رمزى ، فقد كان الرسول يتمنى أن يتوقف العذاب ، لكنه لم يكن يملك ذلك ، فلم يجد أمامه إلا أن يغرس شيئا طريا فى القبر للتعبير عما يجيش به صدره ، فالعود الطرى رمز للرحمة التى يتمناها الرسول ، وهذا يشبه ما تفعله الأم حين يفارق ابنها الحياة أمام عينيها ، فتحتضنه وكأنها تقيه من عدو أو تريده ألا يفارقها ، مع أنها تعرف جيدا أن احتضانها له لن يرد إليه الحياة ، ولن يبقيه معها ، ولكنه تصرف لا شعورى. ونفس هذا التصرف اللاشعورى فعله الرسول عليه السلام أمام هذين القبرين. والله تعالى أعلم.

- وعن أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، تَقُولُ: «قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطِيبًا **فَذَكَرَ فِتْنَةَ القَبْرِ الَّتِي يَفْتَتِنُ فِيهَا المَرْءُ**، فَلَمَّا ذَكَرَ ذَلِكَ ضَجَّ المُسْلِمُونَ ضَجَّةً» رواه البخارى.
- عن عائشة رضى الله عنها " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يدعو الله عز وجل مستعيذا "**مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا، وَفِتْنَةِ المَمَاتِ**"[202]. رواه البخارى.
- وعن عائشة أَنَّ يَهُودِيَّةً جَاءَتْ تَسْأَلُهَا، فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذَكِ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، **فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُعَذَّبُ النَّاسُ فِي قُبُورِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَائِذًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ»**. متفق عليه واللفظ للبخارى ، وفى رواية للبخارى أن رسول الله قال لعائشة فى نفس الموقف لما سألته: «نَعَمْ، عَذَابُ القَبْرِ»، قَالَتْ عَائِشَةُ: "**فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدُ صَلَّى صَلاَةً إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**". وقد أورد البخارى ومسلم نفس الرواية بطريقة مختلفة بعض الشىء: عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: دَخَلَتْ عَلَيَّ عَجُوزَانِ مِنْ عُجُزِ يَهُودِ المَدِينَةِ، فَقَالَتَا لِي: إِنَّ أَهْلَ القُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَكَذَّبْتُهُمَا، وَلَمْ أُنْعِمْ أَنْ أُصَدِّقَهُمَا، فَخَرَجَتَا، وَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ عَجُوزَيْنِ، وَذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: «صَدَقَتَا، **إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ البَهَائِمُ كُلُّهَا» فَمَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ فِي صَلاَةٍ إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**. واللفظ للبخارى. وروى مسلم عن عائشة: قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدِي امْرَأَةٌ مِنَ الْيَهُودِ، وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ شَعَرْتِ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ؟ قَالَتْ: فَارْتَاعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: «إِنَّمَا تُفْتَنُ يَهُودُ» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَبِثْنَا لَيَالِيَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَلْ شَعَرْتِ أَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ؟**» قَالَتْ عَائِشَةُ: «فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعْدُ **يَسْتَعِيذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**».
- وروى البخارى ومسلم[203] أن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلى صلاة طويلة فى يوم خسفت فيه الشمس "فَسَجَدَ وَانْصَرَفَ، فَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ **أَمَرَهُمْ أَنْ يَتَعَوَّذُوا مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**".

---

[202]) الرواية فى البخارى كما يلى: حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخْبَرَتْهُ: " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلاَةِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا، وَفِتْنَةِ المَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ المَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ " فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ المَغْرَمِ، فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ.

- وروى مسلم عن عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ، قال: صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَنَازَةٍ، فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللهُمَّ، اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ **وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ – أَوْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ** –» قَالَ: «حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْمَيِّتَ».
- وروى البخارى أن ابْنَةُ خَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ العَاصِ، **سَمِعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَهُوَ «يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ».**
- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو وَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ» رواه البخارى.
- وروى أن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ يَأْمُرُ بِهَؤُلاَءِ الخَمْسِ: وَيُحَدِّثُهُنَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، **وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**» رواه البخارى.
- وعن عَمْرَو بْنَ مَيْمُونٍ الأَوْدِيَّ، قَالَ: كَانَ سَعْدٌ يُعَلِّمُ بَنِيهِ هَؤُلاَءِ الكَلِمَاتِ كَمَا يُعَلِّمُ المُعَلِّمُ الغِلْمَانَ الكِتَابَةَ وَيَقُولُ: **إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْهُنَّ دُبُرَ الصَّلاَةِ:** «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، **وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**»، فَحَدَّثْتُ بِهِ مُصْعَبًا فَصَدَّقَهُ. ، وراه البخارى.
- وعَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ خَالَتِهِ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَعَوَّذُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ، **وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الغِنَى، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ» رواه البخارى

---

[203]) نص الرواية فى البخارى كما يلى: ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ غَدَاةٍ مَرْكَبًا، فَخَسَفَتِ الشَّمْسُ، فَرَجَعَ ضُحًى، فَمَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ ظَهْرَانَيِ الحُجَرِ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي وَقَامَ النَّاسُ وَرَاءَهُ، فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ القِيَامِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَفَعَ، فَسَجَدَ، ثُمَّ قَامَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ القِيَامِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ، ثُمَّ قَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ القِيَامِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَفَعَ، فَسَجَدَ وَانْصَرَفَ، فَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَتَعَوَّذُوا مِنْ عَذَابِ القَبْرِ (صحيح البخاري 2/ 36)

- وعن عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ» رواه مسلم.
- وعن أَنَس بْنَ مَالِكٍ ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ وَالهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، **وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**» رواه البخارى ومسلم. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " **إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ** مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، **وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ " رواه مسلم. وعن أبى هُرَيْرَةَ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عُوذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ، **عُوذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**، عُوذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، عُوذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ» رواه مسلم. وعن ابن عباس أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هَذَا الدُّعَاءَ كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ** يَقُولُ قُولُوا: «اللهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، **وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ» رواه مسلم. وعَنْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، قَالَ: قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ**» ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**" رواه مسلم[204].وعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**» رواه مسلم.
- عن أبى سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا وُضِعَتِ الجِنَازَةُ، فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي، قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ

---

[204]) نص الرواية كاملا كما يلى: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، جَمِيعًا عَنِ ابْنِ عُلَيَّةَ - قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ - قَالَ: وَأَخْبَرَنَا سَعِيدٌ الْجُرَيْرِيُّ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: وَلَمْ أَشْهَدْهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنْ حَدَّثَنِيهِ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ، عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ مَعَهُ، إِذْ حَادَتْ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ، وَإِذَا أَقْبُرٌ سِتَّةٌ أَوْ خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ - قَالَ: كَذَا كَانَ يَقُولُ الْجُرَيْرِيُّ - فَقَالَ: «مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبُرِ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، قَالَ: فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟ " قَالَ: مَاتُوا فِي الْإِشْرَاكِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ» ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ.

صَالِحَةٍ قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا، أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ لَصَعِقَ". رواه البخارى

الآخرة فى الأديان الكبرى

1-الآخرة فى اليهودية

من السمات اللافتة للنظر فى اليهودية الخفوت الشديد لفكرة الآخرة ، فالعهد القديم (كتاب اليهود) يكاد يخلو من أي إشارة صريحة إلى يوم القيامة ، **مع أنه كتاب ضخم ، مليء بالتفاصيل عن موضوعات تافهة** مثل أطوال الأشياء وأعدادها وأنساب عشرات الشخصيات وأعمارهم وأسماء زوجاتهم وأبنائهم ، **ولذا فإهمال مسألة جوهرية فى العقيدة كالآخرة أمر يدعو حقا للدهشة.** ونحن على يقين من أن الكتب الأصلية التى أنزلها الله تعالى على اليهود تضمنت ذكرا لليوم الآخر بشكل أكثر وضوحا ، لكن الكتبة والأحبار لم يعجبهم هذا الكلام ، فحذفوه لأنهم ماديون ومتعلقون بالدنيا ، ومن الصعب عليهم أن يقتنعوا بانتظار العدالة والثواب والعقاب فى عالم آخر لا يرونه بأعينهم ، فكانت النتيجة أن كتابهم المقدس الذى وصل إلينا اليوم يتضمن إشارات قليلة غامضة لليوم الآخر، لا تكاد تُرى وسط كم هائل من التفاصيل.

نهاية العالم فى العهد القديم

من أكثر المصطلحات التى أثارت انتباهى فى العهد القديم مصطلح "يوم الرب" ، وهو يوم يحل فيه الخراب على الكون كله ، وهو **يناظر يوم القيامة فى الإسلام.** ومن غير الممكن تفسير يوم الرب على أنه يوم يحقق فيه الله لبنى إسرائيل الغلبة على الأمم الأخرى فى الدنيا لأن **يوم الرب – طبقا للعهد القديم– حدث كونى هائل ، يشمل الأرض والسماء ، والدمار الذى يحدث فيه لن يتحقق على يد قائد عسكرى مظفر ، بل سيكون على يد الله ، وبواسطة جنوده القادمين من السماء.** ويؤكد العهد القديم أن يوم الرب قريب ، وهذا يتفق مع حديث القرآن عن اقتراب الساعة كما ذكرنا من قبل. والآن تعالوا معنا نطالع تلك الآيات التى ورد فيها ذكر يوم الرب:

<u>النص الأول:</u>

[أَقِيمُوا رَايَةً عَلَى جَبَل أَقْرَعَ. ارْفَعُوا صَوْتًا إِلَيْهِمْ. أَشِيرُوا بِالْيَدِ لِيَدْخُلُوا أَبْوَابَ الْعُتَاةِ. أَنَا أَوْصَيْتُ مُقَدَّسِيَّ، وَدَعَوْتُ أَبْطَالِي لأَجْلِ غَضَبِي، مُفْتَخِرِي عَظَمَتِي. صَوْتُ جُمْهُورٍ عَلَى الْجِبَالِ شِبْهَ قَوْمٍ

كَثِيرِينَ. صَوْتُ ضَجِيجِ مَمَالِكِ أُمَمٍ مُجْتَمِعَةٍ. **رَبُّ الْجُنُودِ يَعْرُضُ جَيْشَ الْحَرْبِ. يَأْتُونَ مِنْ أَرْضٍ بَعِيدَةٍ، مِنْ أَقْصَى السَّمَاوَاتِ**، الرَّبُّ وَأَدَوَاتُ سَخَطِهِ **لِيُخْرِبَ كُلَّ الأَرْضِ**. وَلْوِلُوا لأَنَّ **يَوْمَ الرَّبِّ قَرِيبٌ**، قَادِمٌ كَخَرَابٍ مِنَ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. لِذلِكَ تَرْتَخِي **كُلُّ الأَيَادِي**، وَيَذُوبُ **كُلُّ قَلْبِ إِنْسَانٍ**. فَيَرْتَاعُونَ. تَأْخُذُهُمْ أَوْجَاعٌ وَمَخَاضٌ. يَتَلَوَّوْنَ كَوَالِدَةٍ. يَبْهَتُونَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ. وُجُوهُهُمْ وُجُوهُ لَهِيبٍ. هُوَذَا **يَوْمُ الرَّبِّ قَادِمٌ**، قَاسِيًا بِسَخَطٍ وَحُمُوِّ غَضَبٍ، **لِيَجْعَلَ الأَرْضَ خَرَابًا** وَيُبِيدَ مِنْهَا خُطَاتَهَا. فَإِنَّ **نُجُومَ السَّمَاوَاتِ** وَجَبَابِرَتَهَا لاَ تُبْرِزُ نُورَهَا. **تُظْلِمُ الشَّمْسُ** عِنْدَ طُلُوعِهَا، **وَالْقَمَرُ لاَ يَلْمَعُ بِضَوْئِهِ. وَأُعَاقِبُ الْمَسْكُونَةَ** عَلَى شَرِّهَا، وَالْمُنَافِقِينَ عَلَى إِثْمِهِمْ، وَأُبَطِّلُ تَعَظُّمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَأَضَعُ تَجَبُّرَ الْعُتَاةِ. وَأَجْعَلُ الرَّجُلَ أَعَزَّ مِنَ الذَّهَبِ الإِبْرِيزِ، وَالإِنْسَانَ أَعَزَّ مِنْ ذَهَبِ أُوفِيرَ. لِذلِكَ **أُزَلْزِلُ السَّمَاوَاتِ وَتَتَزَعْزَعُ الأَرْضُ** مِنْ مَكَانِهَا فِي سَخَطِ رَبِّ الْجُنُودِ وَفِي يَوْمِ حُمُوِّ غَضَبِهِ. وَيَكُونُونَ كَظَبْيٍ طَرِيدٍ، وَكَغَنَمٍ بِلاَ مَنْ يَجْمَعُهَا. يَلْتَفِتُونَ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى شَعْبِهِ، وَيَهْرُبُونَ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى أَرْضِهِ. كُلُّ مَنْ وُجِدَ يُطْعَنُ، وَكُلُّ مَنِ انْحَاشَ يَسْقُطُ بِالسَّيْفِ. وَتُحَطَّمُ أَطْفَالُهُمْ أَمَامَ عُيُونِهِمْ، وَتُنْهَبُ بُيُوتُهُمْ وَتُفْضَحُ نِسَاؤُهُمْ]. [إشعياء 13: 2-16)

ولاحظ فى المقطع السابق أن الدمار سيطول كوكب الأرض كله ، بدليل قوله: (لِيُخْرِبَ كُلَّ الأَرْضِ)، وقوله: (لِيَجْعَلَ الأَرْضَ خَرَابًا) ، و(وَأُعَاقِبُ الْمَسْكُونَةَ) ، و(تَرْتَخِي كُلُّ الأَيَادِي، وَيَذُوبُ كُلُّ قَلْبِ إِنْسَانٍ). كما سيتجاوز الدمار حدود كوكب الأرض ليشمل الكون كله كما فى قوله: (نُجُومَ السَّمَاوَاتِ وَجَبَابِرَتَهَا لاَ تُبْرِزُ نُورَهَا. تُظْلِمُ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا، وَالْقَمَرُ لاَ يَلْمَعُ بِضَوْئِهِ)[205]، وقوله: (أُزَلْزِلُ السَّمَاوَاتِ وَتَتَزَعْزَعُ الأَرْضُ مِنْ مَكَانِهَا). كما سيتم الدمار على يد جنود الله القادمة من السماء ، أى الملائكة: (رَبُّ الْجُنُودِ يَعْرُضُ جَيْشَ الْحَرْبِ. يَأْتُونَ مِنْ أَرْضٍ بَعِيدَةٍ، مِنْ أَقْصَى السَّمَاوَاتِ)

<u>النص الثانى:</u>

[وَكَانَ إِلَيَّ كَلاَمُ الرَّبِّ قَائِلاً: «يَا ابْنَ آدَمَ، تَنَبَّأْ عَلَى أَنْبِيَاءِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ يَتَنَبَّأُونَ، وَقُلْ لِلَّذِينَ هُمْ أَنْبِيَاءُ مِنْ تِلْقَاءِ ذَوَاتِهِمِ: اسْمَعُوا كَلِمَةَ الرَّبِّ. هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: وَيْلٌ لِلأَنْبِيَاءِ الْحَمْقَى الذَّاهِبِينَ وَرَاءَ رُوحِهِمْ وَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا. أَنْبِيَاؤُكَ يَا إِسْرَائِيلُ صَارُوا كَالثَّعَالِبِ فِي

[205]) عبارة (نُجُومَ السَّمَاوَاتِ وَجَبَابِرَتَهَا لاَ تُبْرِزُ نُورَهَا) تترجمها النسخة اليسوعية كما يلى: (لِأَنَّ كَواكبَ السَّماءِ ونجومَها لا تَبعَثُ نورَها) ، وترد فى الترجمة العربية المشتركة كما يلى: (كواكِبُ السَّماءِ ونُجومُها لا تعودُ تُرسِلُ نورَها).

الْخِرَبِ. لَمْ تَصْعَدُوا إِلَى الثُّغَرِ، وَلَمْ تَبْنُوا جِدَارًا لِبَيْتِ إِسْرَائِيلَ لِلْوُقُوفِ فِي الْحَرْبِ **فِي يَوْمِ الرَّبِّ]** (حزقيال 13: 1–5)

وهنا نلاحظ أن الله تعالى يهاجم الأنبياء الكذبة الذين ادعوا أنهم تلقوا وحيا من السماء. ووجه النقد أن هؤلاء الكذبة لم يصعدوا إلى الثغر ، ولم يبنوا جدارا لبيت إسرائيل لحمايتهم وقت الحرب فى يوم الرب ، وهذه كناية عن تراخى الأنبياء الكذبة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهذا سيجعلهم معرضين للهلاك والانتقام فى يوم الرب ، أى يوم القيامة. وهذا الفهم المجازى ضرورى لأن الأنبياء هم آخر من يطلب منهم الدفاع عن اليهود عسكريا لأن السلطة لم تكن بأيديهم.

النص الثالث:

[ادْخُلُوا بِيتُوا بِالْمُسُوحِ يَا خُدَّامَ إِلهِي، لأَنَّهُ قَدِ امْتَنَعَ عَنْ بَيْتِ إِلهِكُمُ التَّقْدِمَةُ وَالسَّكِيبُ. قَدِّسُوا صَوْمًا. نَادُوا بِاعْتِكَافٍ. **اجْمَعُوا الشُّيُوخَ، جَمِيعَ سُكَّانِ الأَرْضِ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ إِلَهِكُمْ** وَاصْرُخُوا إِلَى الرَّبِّ. آهِ عَلَى الْيَوْمِ! **لأَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ قَرِيبٌ. يَأْتِي كَخَرَابٍ** مِنَ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ] (يوئيل 1: 13–15)

هنا نجد مطالبة لليهود بالتضرع والاجتهاد فى عبادة الله لأن يوم الرب (يوم القيامة) قد اقترب.

النص الرابع:

[اِضْرِبُوا بِالْبُوقِ فِي صِهْيَوْنَ. صَوِّتُوا فِي جَبَلِ قُدْسِي! **لِيَرْتَعِدْ جَمِيعُ سُكَّانِ الأَرْضِ لأَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ قَادِمٌ، لأَنَّهُ قَرِيبٌ: يَوْمُ ظَلاَمٍ وَقَتَامٍ، يَوْمُ غَيْمٍ وَضَبَابٍ،** مِثْلَ الْفَجْرِ مُمْتَدًّا عَلَى الْجِبَالِ. شَعْبٌ كَثِيرٌ وَقَوِيٌّ لَمْ يَكُنْ نَظِيرُهُ مُنْذُ الأَزَلِ، وَلاَ يَكُونُ أَيْضًا بَعْدَهُ إِلَى سِنِي دَوْرٍ فَدَوْرٍ. قُدَّامَهُ نَارٌ تَأْكُلُ، وَخَلْفَهُ لَهِيبٌ يَحْرِقُ. الأَرْضُ قُدَّامَهُ كَجَنَّةِ عَدْنٍ وَخَلْفَهُ قَفْرٌ خَرِبٌ، وَلاَ تَكُونُ مِنْهُ نَجَاةٌ. كَمَنْظَرِ الْخَيْلِ مَنْظَرُهُ، وَمِثْلَ الأَفْرَاسِ يَرْكُضُونَ. كَصَرِيفِ الْمَرْكَبَاتِ عَلَى رُؤُوسِ الْجِبَالِ يَثِبُونَ. كَزَفِيرِ لَهِيبِ نَارٍ تَأْكُلُ قَشًّا. كَقَوْمٍ أَقْوِيَاءَ مُصْطَفِّينَ لِلْقِتَالِ. مِنْهُ تَرْتَعِدُ الشُّعُوبُ. كُلُّ الْوُجُوهِ تَجْمَعُ حُمْرَةً. يَجْرُونَ كَأَبْطَالٍ. يَصْعَدُونَ السُّورَ كَرِجَالِ الْحَرْبِ، وَيَمْشُونَ كُلُّ وَاحِدٍ فِي طَرِيقِهِ، وَلاَ يُغَيِّرُونَ سُبُلَهُمْ. وَلاَ يُزَاحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. يَمْشُونَ كُلُّ وَاحِدٍ فِي سَبِيلِهِ، وَبَيْنَ الأَسْلِحَةِ يَقَعُونَ وَلاَ

يَنْكَسِرُونَ. يَتَرَاكَضُونَ فِي الْمَدِينَةِ. يَجْرُونَ عَلَى السُّورِ. يَصْعَدُونَ إِلَى الْبُيُوتِ. يَدْخُلُونَ مِنَ الْكُوَى كَاللِّصِّ. **قُدَّامَهُ تَرْتَعِدُ الأَرْضُ وَتَرْجُفُ السَّمَاءُ. اَلشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُظْلِمَانِ، وَالنُّجُومُ تَحْجُزُ لَمَعَانَهَا. وَالرَّبُّ يُعْطِي صَوْتَهُ أَمَامَ جَيْشِهِ. إِنَّ عَسْكَرَهُ كَثِيرٌ جِدًّا.** فَإِنَّ صَانِعَ قَوْلِهِ قَوِيٌّ، **لأَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ عَظِيمٌ وَمَخُوفٌ جِدًّا، فَمَنْ يُطِيقُهُ؟**] (يوئيل 2: 11)

لاحظ فى هذا النص أن يوم الرب سيكون يوما عالميا (لِيَرْتَعِدْ جَمِيعُ سُكَّانِ الأَرْضِ) ، وسيكون الدمار كونيا ، يشمل الأرض والسماء (يَوْمُ ظَلاَمٍ وَقَتَامٍ، يَوْمُ غَيْمٍ وَضَبَابٍ... قُدَّامَهُ تَرْتَعِدُ الأَرْضُ وَتَرْجُفُ السَّمَاءُ. اَلشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُظْلِمَانِ، وَالنُّجُومُ تَحْجُزُ لَمَعَانَهَا).

ولى هنا ملاحظة مهمة، وهى أن بداية الفقرة ونهايتها تتحدثان عن يوم الرب أو يوم القيامة ، لكن فى الوسط ينصب الحديث على شعب قوى جبار ، يجتاح على ما يبدو مدينة أورشليم ، دون أن تقوم القيامة فى هذه اللحظة (بدليل قوله: "وَلاَ يَكُونُ أَيْضًا بَعْدَهُ إِلَى سِنِي دَوْرٍ فَدَوْرٍ" الذى يدل على أن الحياة ستستمر أجيالا بعد مجيء هذا الشعب).[206] ويبدو والله أعلم أن النص الأصلى الذى أنزله الله كان يتكلم فقط عن يوم القيامة ، فأتى الأحبار بفقرة من مكان آخر (من التوراة أو غيرها) ، وأدخلوها وسط كلام الله ، مما أدى إلى خفوت فكرة الآخرة ، وظهور هذا التناقض[207].

النص الخامس

[«وَيَكُونُ بَعْدَ ذلِكَ أَنِّي أَسْكُبُ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ، فَيَتَنَبَّأُ بَنُوكُمْ وَبَنَاتُكُمْ، وَيَحْلَمُ شُيُوخُكُمْ أَحْلاَمًا، وَيَرَى شَبَابُكُمْ رُؤًى. وَعَلَى الْعَبِيدِ أَيْضًا وَعَلَى الإِمَاءِ أَسْكُبُ رُوحِي فِي تِلْكَ الأَيَّامِ، **وَأُعْطِي عَجَائِبَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، دَمًا وَنَارًا وَأَعْمِدَةَ دُخَانٍ. تَتَحَوَّلُ الشَّمْسُ إِلَى ظُلْمَةٍ، وَالْقَمَرُ إِلَى دَمٍ قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ يَوْمُ الرَّبِّ الْعَظِيمُ الْمَخُوفُ.** وَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَنْجُو] (يوئيل 2: 28–32)

---

206) تترجم عبارة (وَلاَ يَكُونُ أَيْضًا بَعْدَهُ إِلَى سِنِي دَوْرٍ فَدَوْرٍ) فى النسخة اليسوعية كما يلى: (ولَن يَكونَ لَه مِن بَعدُ الى سِني جيلٍ وجيل) ، وفى الترجمة العربية المشتركة: (ولا يكونُ لهُم مِنْ بَعدُ إلى جيلٍ فجيلٍ).

207) لا يمكننى أن أجزم ما إذا كان هذا النص الدخيل وحيا من الله ، كان فى الأصل مذكورا فى إصحاح آخر أم أنه من اختراع كتبة التوراة ، ولكن لدىَّ إحساس غامض بأنه يشبه ما ورد فى مقدمة سورة الإسراء عن الهزيمة الكبرى لبنى إسرائيل على يد شعب ذى بأس شديد: {وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (4) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (5) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (6) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (7) } [الإسراء: 4 - 7].

وواضح هنا أن يوم الرب سيكون مصحوبا بخلل فى نظام الكون فى السماء والأرض ، حيث تظلم الشمس ، ويتحول القمر إلى دم ، ويظهر دم ونار وأعمدة دخان. ونلاحظ هنا أن يوم القيامة سيسبقه ظهور كرامات ومعجزات على كثير من الناس. وقد فسر بطرس –تلميذ المسيح– ذلك فيما بعد (فى الإصحاح الثانى من سفر أعمال الرسل) بأنه نبوءة بحلول الروح القدس على تلاميذ المسيح ، وقدرتهم على صنع المعجزات ، وكانت المعجزة التى وقعت أمام بطرس حينئذ سماع صوت عاصفة ، وهبوط ألسنة نار على الحاضرين ، فصار كل منهم قادرا على التكلم بلغات أجنبية. وتفسير بطرس للفقرة السابقة من سفر يوئيل غير مقبول لأن الشمس لم تظلم ، والقمر لم يتحول إلى دم ، ولم تظهر عجائب فى السماء لتلاميذ المسيح. كما أن يوئيل يقول: (أَسْكُبُ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ) ، وهو ما لم يحدث لأن المعجزات وقعت لبعض الناس دون البعض الآخر فى زمن بطرس. ومن المحتمل أن يكون الكلام عن حدوث المعجزات لبنى إسرائيل قبل يوم الرب نصا دخيلا ، أضافه كتبة التوراة كعادتهم فى إدخال السرور على اليهود وتخديرهم كلما وجدوا نصا ينذرهم بغضب الله وانتقامه[208]

النص السادس

[«لأَنَّهُ هُوَذَا فِي تِلْكَ الأَيَّامِ وَفِي ذلِكَ الْوَقْتِ، عِنْدَمَا أَرُدُّ سَبْيَ يَهُوذَا وَأُورُشَلِيمَ، 2 **أَجْمَعُ كُلَّ الأُمَمِ** وَأُنَزِّلُهُمْ إِلَى وَادِي يَهُوشَافَاطَ، **وَأُحَاكِمُهُمْ هُنَاكَ** عَلَى شَعْبِي وَمِيرَاثِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ بَدَّدُوهُمْ بَيْنَ الأُمَمِ وَقَسَمُوا أَرْضِي، 3 وَأَلْقَوْا قُرْعَةً عَلَى شَعْبِي، وَأَعْطَوْا الصَّبِيَّ بِزَانِيَةٍ، وَبَاعُوا الْبِنْتَ بِخَمْرٍ لِيَشْرَبُوا. 4 «وَمَاذَا أَنْتُنَّ لِي يَا صُورُ وَصَيْدُونُ وَجَمِيعَ دَائِرَةِ فِلِسْطِينَ؟ هَلْ تُكَافِئُونَنِي عَنِ الْعَمَلِ، أَمْ هَلْ تَصْنَعُونَ بِي شَيْئًا؟ سَرِيعًا بِالْعَجَلِ أَرُدُّ عَمَلَكُمْ عَلَى رُؤُوسِكُمْ. .... 11 أَسْرِعُوا **وَهَلُمُّوا يَا جَمِيعَ الأُمَمِ** مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَاجْتَمِعُوا. إِلَى هُنَاكَ **أَنْزِلْ يَا رَبُّ أَبْطَالَكَ**. 12 «تَنْهَضُ وَتَصْعَدُ الأُمَمُ إِلَى وَادِي يَهُوشَافَاطَ، لأَنِّي **هُنَاكَ أَجْلِسُ لأُحَاكِمَ جَمِيعَ الأُمَمِ** مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ. 13 أَرْسِلُوا الْمِنْجَلَ لأَنَّ الْحَصِيدَ قَدْ نَضَجَ. هَلُمُّوا دُوسُوا لأَنَّهُ قَدِ امْتَلأَتِ الْمِعْصَرَةُ. فَاضَتِ الْحِيَاضُ لأَنَّ شَرَّهُمْ كَثِيرٌ». 14 **جَمَاهِيرُ جَمَاهِيرُ فِي وَادِي الْقَضَاءِ**، لأَنَّ **يَوْمَ الرَّبِّ قَرِيبٌ** فِي وَادِي الْقَضَاءِ. **15 اَلشَّمْسُ وَالْقَمَرُ**

[208]) يذكرنا بقوله تعالى: {وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} [البقرة: 78]

يَظْلُمَانِ، وَالنُّجُومُ تَحْجُزُ لَمَعَانَهَا. 16 وَالرَّبُّ مِنْ صِهْيَوْنَ يُزَمْجِرُ، وَمِنْ أُورُشَلِيمَ يُعْطِي صَوْتَهُ، **فَتَرْجُفُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ.** وَلكِنَّ الرَّبَّ مَلْجَأٌ لِشَعْبِهِ، وَحِصْنٌ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ] (يوئيل 3: 1-16)

وهنا نلاحظ أنه فى يوم الرب سيحاكم الله كل الأمم (أجمع كل الأمم- لأحاكم جميع الأمم- هلموا يا جميع الأمم). كما نرى إشارة إلى نزول الملائكة من السماء فى يوم الرب لتدمير الكون (أَنْزِلْ يَا رَبُّ أَبْطَالَكَ). كما نرى مظاهر اختلال نظام الكون (اَلشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يَظْلُمَانِ، وَالنُّجُومُ تَحْجُزُ لَمَعَانَهَا- فَتَرْجُفُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ).

النص السابع

[وَيْلٌ لِلَّذِينَ يَشْتَهُونَ **يَوْمَ الرَّبِّ!** لِمَاذَا لَكُمْ **يَوْمُ الرَّبِّ؟** هُوَ ظَلاَمٌ لاَ نُورٌ. كَمَا إِذَا هَرَبَ إِنْسَانٌ مِنْ أَمَامِ الأَسَدِ فَصَادَفَهُ الدُّبُّ، أَوْ دَخَلَ الْبَيْتَ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى الْحَائِطِ فَلَدَغَتْهُ الْحَيَّةُ! أَلَيْسَ يَوْمُ الرَّبِّ ظَلاَمًا لاَ نُورًا، وَقَتَامًا وَلاَ نُورَ لَهُ؟ «بَغَضْتُ، كَرِهْتُ أَعْيَادَكُمْ، وَلَسْتُ أَلْتَذُّ بِاعْتِكَافَاتِكُمْ. إِنِّي إِذَا قَدَّمْتُمْ لِي مُحْرَقَاتِكُمْ وَتَقْدِمَاتِكُمْ لاَ أَرْتَضِي، وَذَبَائِحَ السَّلاَمَةِ مِنْ مُسَمَّنَاتِكُمْ لاَ أَلْتَفِتُ إِلَيْهَا. أَبْعِدْ عَنِّي ضَجَّةَ أَغَانِيكَ، وَنَغْمَةَ رَبَابِكَ لاَ أَسْمَعُ. وَلْيَجْرِ الْحَقُّ كَالْمِيَاهِ، وَالْبِرُّ كَنَهْرٍ دَائِمٍ] (عاموس 5: 18-23)

وهذا المقطع فى غاية الأهمية لأنه يدل على أن يوم الرب ليس يوما يحقق فيه الله نصرا عسكريا كبيرا لليهود ، ولكنه يوم يحق فيه الله الحق ، ويبطل الباطل ، ويعاقب العصاة ، وذلك لأن الله يحذر بنى إسرائيل من الاطمئنان إلى إيمانهم ، والاعتقاد بأنهم سيكونون من الفائزين فى هذا اليوم (وَيْلٌ لِلَّذِينَ يَشْتَهُونَ يَوْمَ الرَّبِّ! لِمَاذَا لَكُمْ يَوْمُ الرَّبِّ)[209]. بالعكس لقد كرههم الله ، ولم يتقبل منهم شعائرهم وقرابينهم. هذه الآية تثبت أن كثيرا من الآيات الأخرى التى تكلمت عن يوم الرب تعرضت للتحريف ، حيث أضاف إليها الأحبار كلاما من عندهم يجعل يوم الرب يبدو على أنه يوم نصر قومى لليهود ، وليس يوما كونيا يحكم الله فيه بين الناس ، ويدين العصاة حتى لو كانوا من اليهود.

[209]) ترد هذه العبارة فى الترجمة العربية المشتركة كما يلى: (وَيلٌ للمُتمنِّينَ يومَ الرّبِّ. ماذا ينفعُكُم يومُ الرّبِّ).

النص الثامن

[«مِنْ أَجْلِ ظُلْمِكَ لأَخِيكَ يَعْقُوبَ، يَغْشَاكَ الْخِزْيُ وَتَنْقَرِضُ إِلَى الأَبَدِ. يَوْمَ وَقَفْتَ مُقَابِلَهُ يَوْمَ سَبَتِ الأَعَاجِمُ قُدْرَتَهُ، وَدَخَلَتِ الْغُرَبَاءُ أَبْوَابَهُ، وَأَلْقَوْا قُرْعَةً عَلَى أُورُشَلِيمَ، كُنْتَ أَنْتَ أَيْضًا كَوَاحِدٍ مِنْهُمْ. وَيَجِبُ أَنْ لاَ تَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ أَخِيكَ يَوْمَ مُصِيبَتِهِ، وَلاَ تَشْمَتَ بِبَنِي يَهُوذَا يَوْمَ هَلاَكِهِمْ، وَلاَ تَفْغَرَ فَمَكَ يَوْمَ الضِّيقِ، وَلاَ تَدْخُلَ بَابَ شَعْبِي يَوْمَ بَلِيَّتِهِمْ، وَلاَ تَنْظُرَ أَنْتَ أَيْضًا إِلَى مُصِيبَتِهِ يَوْمَ بَلِيَّتِهِ، وَلاَ تَمُدَّ يَدًا إِلَى قُدْرَتِهِ يَوْمَ بَلِيَّتِهِ، وَلاَ تَقِفَ عَلَى الْمَفْرَقِ لِتَقْطَعَ مُنْفَلِتِيهِ، وَلاَ تُسَلِّمَ بَقَايَاهُ يَوْمَ الضِّيقِ. **فَإِنَّهُ قَرِيبٌ يَوْمُ الرَّبِّ عَلَى كُلِّ الأُمَمِ. كَمَا فَعَلْتَ يُفْعَلُ بِكَ. عَمَلُكَ يَرْتَدُّ عَلَى رَأْسِكَ.** لأَنَّهُ كَمَا شَرِبْتُمْ عَلَى جَبَلِ قُدْسِي، يَشْرَبُ جَمِيعُ الأُمَمِ دَائِمًا، يَشْرَبُونَ وَيَجْرَعُونَ وَيَكُونُونَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا] (عُوبَدِيا 1: 10-16).

هنا يتنبأ النبى عبوديا بخراب دولة أدوم ، وأدوم هو اسم آخر لعيسو أخى نبى الله يعقوب ، ودولة أدوم كانت تظهر عداوة كبيرة لبنى إسرائيل مع أنهم أولاد عم ، وقد ساهمت مع الملك نبوخذ نصر البابلى فى تدمير أورشليم وقتل اليهود وأسرهم ، ومن هنا جاءت هذه النبوأة لتنذر أدوم بخراب أبدى شامل. ورغم أن هذا المقطع مخصص لتهديد دولة أدوم إلا أن العبارة التالية تلفت النظر: (فَإِنَّهُ قَرِيبٌ يَوْمُ الرَّبِّ عَلَى كُلِّ الأُمَمِ. كَمَا فَعَلْتَ يُفْعَلُ بِكَ. عَمَلُكَ يَرْتَدُّ عَلَى رَأْسِكَ). إن هذه العبارة الأخيرة تعنى أن **انتقام الله من دولة أدوم سيكون فى إطار انتقام شامل من الطغاة فى العالم كله. وهذا ينطبق فقط على يوم القيامة** الذى يسميه عوبديا "يوم الرب". وفى هذا اليوم يتلقى كل إنسان جزاء عمله.

النص التاسع

[**«نَزْعًا أَنْزَعُ الْكُلَّ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ**، يَقُولُ الرَّبُّ. **أَنْزِعُ الإِنْسَانَ وَالْحَيَوَانَ. أَنْزِعُ طُيُورَ السَّمَاءِ وَسَمَكَ الْبَحْرِ، وَالْمَعَاثِرَ مَعَ الأَشْرَارِ، وَأَقْطَعُ الإِنْسَانَ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ....... «قَرِيبٌ يَوْمُ الرَّبِّ الْعَظِيمِ**. قَرِيبٌ وَسَرِيعٌ جِدًّا. صَوْتُ يَوْمِ الرَّبِّ. يَصْرُخُ حِينَئِذٍ الْجَبَّارُ مُرًّا. ذلِكَ الْيَوْمُ **يَوْمُ سَخَطٍ، يَوْمُ ضِيق وَشِدَّةٍ، يَوْمُ خَرَابٍ وَدَمَارٍ، يَوْمُ ظَلاَمٍ وَقَتَامٍ، يَوْمُ سَحَابٍ وَضَبَابٍ**. يَوْمُ بُوق وَهُتَافٍ عَلَى الْمُدُنِ الْمُحَصَّنَةِ وَعَلَى الشُّرُفِ الرَّفِيعَةِ. وَأُضَايِقُ النَّاسَ فَيَمْشُونَ كَالْعُمْيِ، لأَنَّهُمْ أَخْطَأُوا إِلَى الرَّبِّ، فَيُسْفَحُ دَمُهُمْ كَالتُّرَابِ وَلَحْمُهُمْ كَالْجِلَّةِ. لاَ فِضَّتُهُمْ وَلاَ ذَهَبُهُمْ يَسْتَطِيعُ إِنْقَاذَهُمْ فِي يَوْمِ

غَضَبِ الرَّبِّ، بَلْ **بِنَارِ غَيْرَتِهِ تُؤْكَلُ الأَرْضُ كُلُّهَا**، لأَنَّهُ **يَصْنَعُ فَنَاءً بَاغِتًا لِكُلِّ سُكَّانِ الأَرْضِ**»]
(صَفَنْيَا 1: 2-18)

هذا النص فى غاية الأهمية لأنه يدل على أن **يوم الرب سيكون يوم فناء ليس فقط للكفار** ، **ولكن لكل البشر** (نَزْعًا أَنْزَعُ الْكُلَّ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ- وَأَقْطَعُ الإِنْسَانَ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ- يَصْنَعُ فَنَاءً بَاغِتًا لِكُلِّ سُكَّانِ الأَرْضِ). ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، **فالفناء سيطول الحيوانات وكل المخلوقات** (أَنْزِعُ الإِنْسَانَ وَالْحَيَوَانَ. أَنْزِعُ طُيُورَ السَّمَاءِ وَسَمَكَ الْبَحْرِ). **ولا يقتصر الفناء على الكائنات الحية فقط ، بل يشمل الدمار كوكب الأرض كله** (بِنَارِ غَيْرَتِهِ تُؤْكَلُ الأَرْضُ كُلُّهَا). وكل هذا سيتحقق – كما يقول ألبرت بارنز – فى يوم القيامة.

النص العاشر:

فى سفر ملاخى – آخر أسفار العهد القديم– نقرأ نقدا عنيفا لعصيان بنى إسرائيل لله ، وانصرافهم عن شريعته. ويبلغ اليهود ذروة الوقاحة حين يَشْكون فى الله على أساس أن العصاة فى الدنيا ينجحون ويتنعمون ، أما المتقون فلا يحصدون إلا الفقر. ولأجل هذا جاء رد الله عليهم بالإشارة إلى اقتراب "**يوم الرب**" الذى يتحقق فيه النصر المطلق للخير والهزيمة المطلقة للشر ، أما الدنيا فمن الممكن للشر أحيانا أن يعلو فيها:

«أَقْوَالُكُمُ اشْتَدَّتْ عَلَيَّ، قَالَ الرَّبُّ. وَقُلْتُمْ: مَاذَا قُلْنَا عَلَيْكَ؟ قُلْتُمْ: عِبَادَةُ اللهِ بَاطِلَةٌ، وَمَا الْمَنْفَعَةُ مِنْ أَنَّنَا حَفِظْنَا شَعَائِرَهُ، وَأَنَّنَا سَلَكْنَا بِالْحُزْنِ قُدَّامَ رَبِّ الْجُنُودِ؟ وَالآنَ نَحْنُ مُطَوِّبُونَ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَأَيْضًا فَاعِلُو الشَّرِّ يُبْنَوْنَ. بَلْ جَرَّبُوا اللهَ وَنَجَوْا». حِينَئِذٍ كَلَّمَ مُتَّقُو الرَّبِّ كُلُّ وَاحِدٍ قَرِيبَهُ، وَالرَّبُّ أَصْغَى وَسَمِعَ، وَكُتِبَ أَمَامَهُ سِفْرُ تَذْكَرَةٍ لِلَّذِينَ اتَّقُوا الرَّبَّ وَلِلْمُفَكِّرِينَ فِي اسْمِهِ. «وَيَكُونُونَ لِي، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ، **فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَنَا صَانِعٌ خَاصَّةً**، وَأُشْفِقُ عَلَيْهِمْ كَمَا يُشْفِقُ الإِنْسَانُ عَلَى ابْنِهِ الَّذِي يَخْدِمُهُ. فَتَعُودُونَ وَتُمَيِّزُونَ بَيْنَ الصِّدِّيقِ وَالشِّرِّيرِ، بَيْنَ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَمَنْ لاَ يَعْبُدُهُ. «**فَهُوَذَا يَأْتِي الْيَوْمُ الْمُتَّقِدُ كَالتَّنُّورِ، وَكُلُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَكُلُّ فَاعِلِي الشَّرِّ يَكُونُونَ قَشًّا، وَيُحْرِقُهُمُ الْيَوْمُ الآتِي، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ، فَلاَ يُبْقِي لَهُمْ أَصْلاً وَلاَ فَرْعًا**. «**وَلَكُمْ أَيُّهَا الْمُتَّقُونَ** اسْمِي تُشْرِقُ شَمْسُ الْبِرِّ وَالشِّفَاءُ فِي أَجْنِحَتِهَا، فَتَخْرُجُونَ وَتَنْشَأُونَ كَعُجُولِ الصِّيرَةِ. **وَتَدُوسُونَ الأَشْرَارَ** لأَنَّهُمْ يَكُونُونَ رَمَادًا

تَحْتَ بُطُونِ أَقْدَامِكُمْ يَوْمَ أَفْعَلُ هذَا، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ. «اُذْكُرُوا شَرِيعَةَ مُوسَى عَبْدِي الَّتِي أَمَرْتُهُ بِهَا فِي حُورِيبَ عَلَى كُلِّ إِسْرَائِيلَ. الْفَرَائِضَ وَالأَحْكَامَ. «هأَنَذَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ إِيلِيَّا النَّبِيَّ **قَبْلَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ، الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ،** فَيَرُدُّ قَلْبَ الآبَاءِ عَلَى الأَبْنَاءِ، وَقَلْبَ الأَبْنَاءِ عَلَى آبَائِهِمْ. لِئَلاَّ آتِيَ وَأَضْرِبَ الأَرْضَ بِلَعْنٍ»] (سفر ملاخى 3: 13-18 حتى ملاخى 4: 1-6)

ولاحظ فى هذا النص أن الله تعالى سيهلك "كل" المستكبرين و"كل" فاعلى الشر دون استثناء. وأن الله "لاَ يُبْقِي لَهُمْ أَصْلاً وَلاَ فَرْعًا". وهذه الصياغة تعنى أننا أمام يوم النصر الكامل للخير ، وهذا لا يتحقق إلا يوم القيامة لأن الدنيا لا تخلو أبدا من الشر. إن الفقرة السابقة تؤكد أن **النصر فى يوم الرب لن يكون نصرا عسكريا لبنى إسرائيل على هذه الدولة أو تلك ، بل سيكون نصرا للمتقين على الأشرار بشكل عام**. وكما رأيت فإن ذكر يوم الرب هنا ورد على خلفية ارتياب بنى إسرائيل من جدوى طاعتهم لله ، وهذا يعنى أن **يوم الرب لن يكون للفصل فقط بين اليهود وغير اليهود، بل سيكون يوما للفصل بين اليهود الأخيار واليهود الأشرار** ، ويؤكد هذا تذكير الله لليهود بلحظة نزول الشريعة على موسى ، وضرورة الالتزام بها. ورغم ذلك فالكلام عن يوم القيامة فى هذا المقطع غير صريح ، ومن السهل على القارىء أن يقرأ النص ولا يلتفت إلى مدلوله الحقيقى.

النص الحادى عشر:

[اُدْخُلْ إِلَى الصَّخْرَةِ وَاخْتَبِئْ فِي التُّرَابِ مِنْ أَمَامِ هَيْبَةِ الرَّبِّ وَمِنْ بَهَاءِ عَظَمَتِهِ. تُوضَعُ عَيْنَا تَشَامُخِ الإِنْسَانِ وَتُخْفَضُ رِفْعَةُ النَّاسِ وَيَسْمُو الرَّبُّ وَحْدَهُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ. **فَإِنَّ لِرَبِّ الْجُنُودِ يَوْماً عَلَى كُلِّ مُتَعَظِّمٍ وَعَالٍ وَعَلَى كُلِّ مُرْتَفِعٍ فَيُوضَعُ** وَعَلَى كُلِّ أَرْزِ لُبْنَانَ الْعَالِي الْمُرْتَفِعِ وَعَلَى كُلِّ بَلُّوطِ بَاشَانَ وَعَلَى كُلِّ الْجِبَالِ الْعَالِيَةِ وَعَلَى كُلِّ التِّلاَلِ الْمُرْتَفِعَةِ وَعَلَى كُلِّ بُرْجٍ عَالٍ وَعَلَى كُلِّ سُورٍ مَنِيعٍ وَعَلَى كُلِّ سُفُنِ تَرْشِيشَ وَعَلَى كُلِّ الأَعْلاَمِ الْبَهِجَةِ. فَيُخْفَضُ تَشَامُخُ الإِنْسَانِ وَتُوضَعُ رِفْعَةُ النَّاسِ وَيَسْمُو الرَّبُّ وَحْدَهُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ. وَتَزُولُ الأَوْثَانُ بِتَمَامِهَا. وَيَدْخُلُونَ فِي مَغَايِرِ الصُّخُورِ وَفِي حَفَائِرِ التُّرَابِ مِنْ أَمَامِ هَيْبَةِ الرَّبِّ وَمِنْ بَهَاءِ عَظَمَتِهِ عِنْدَ قِيَامِهِ لِيُرْعِبَ الأَرْضَ. فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يَطْرَحُ الإِنْسَانُ أَوْثَانَهُ الْفِضِّيَّةَ

وَأَوْثَانَهُ الذَّهَبِيَّةَ الَّتِي عَمِلُوهَا لَهُ لِلسُّجُودِ لِلْجُرْذَانِ وَالْخَفَافِيشِ لِيَدْخُلَ فِي نُقَرِ الصُّخُورِ وَفِي شُقُوقِ الْمَعَاقِلِ مِنْ أَمَامِ هَيْبَةِ الرَّبِّ وَمِنْ بَهَاءِ عَظَمَتِهِ عِنْدَ قِيَامِهِ لِيُرْعِبَ الأَرْضَ] (إشعياء 2: 10-21)

وفى المقطع السابق تجد إنذارا بيوم عظيم ، يُظهر فيه الله تعالى قوته على كل الطغاة فى العالم (فَإِنَّ لِرَبِّ الْجُنُودِ يَوْماً عَلَى كُلِّ مُتَعَظِّمٍ وَعَالٍ وَعَلَى كُلِّ مُرْتَفِعٍ فَيُوضَعُ- وَيَسْمُو الرَّبُّ وَحْدَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ- عِنْدَ قِيَامِهِ لِيُرْعِبَ الأَرْضَ).

وهذا النص ينطبق على يوم القيامة لأن كل الطغاة وكل المتكبيرين سيندحرون فى ذلك اليوم. ولاحظ أن عبارة (عند قيامه ليرعب الأرض) ذكرت مرتين ، وهذا دليل على أن الرعب سيكون شاملا ، ولن يقتصر على بلد دون بلد أو دولة دون دولة ، وأنه سيتم بيد الله مباشرة ، وليس بواسطة مسيح منتظر أو قائد عسكرى مظفر. ولاحظ جيدا تكرار كلمة (كل) تسع مرات ، وتكرار عبارة (ويسمو الرب وحده) مرتين ، وهذا يدل على أن الله تعالى سيكون وحده على القمة فى ذلك اليوم دون أن ينازعه أحد. لاحظ أيضا أن الناس فى هذا اليوم سيختفون فى الكهوف خوفا من هيبة الرب ومن بهاء عظمته (وَيَدْخُلُونَ فِي مَغَايِرِ الصُّخُورِ وَفِي حَفَائِرِ التُّرَابِ مِنْ أَمَامِ هَيْبَةِ الرَّبِّ وَمِنْ بَهَاءِ عَظَمَتِهِ) ، وهذا يؤكد أن الله سينصر الحق بنفسه ، وليس من خلال المسيح الذى ينتظره اليهود.

البعث بعد الموت

ورد فى العهد القديم عدة نصوص تتكلم عن وجود حياة أخرى بعد الموت. وسنقوم الآن بعرض ما استطعنا جمعه من تلك النصوص:

النص الأول:

فى رأينا أن أهم موضع يمكن أن يفسَّر على أنه يشير إلى يوم القيامة هو ما ورد فى الإصحاح الثانى عشر من سفر دانيال:

[1«وَفِي ذلِكَ الْوَقْتِ يَقُومُ مِيخَائِيلُ الرَّئِيسُ الْعَظِيمُ الْقَائِمُ لِبَنِي شَعْبِكَ، وَيَكُونُ زَمَانُ ضِيق لَمْ يَكُنْ مُنْذُ كَانَتْ أُمَّةٌ إِلَى ذلِكَ الْوَقْتِ. وَفِي ذلِكَ الْوَقْتِ يُنَجَّى شَعْبُكَ، كُلُّ مَنْ يُوجَدُ مَكْتُوبًا فِي السِّفْرِ. 2 **وَكَثِيرُونَ مِنَ الرَّاقِدِينَ فِي تُرَابِ الأَرْضِ يَسْتَيْقِظُونَ، هؤُلاَءِ إِلَى الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، وَهؤُلاَءِ إِلَى الْعَارِ لِلازْدِرَاءِ الأَبَدِيِّ.** 3 وَالْفَاهِمُونَ يَضِيئُونَ كَضِيَاءِ الْجَلَدِ، وَالَّذِينَ رَدُّوا كَثِيرِينَ إِلَى الْبِرِّ كَالْكَوَاكِبِ إِلَى أَبَدِ الدُّهُورِ»].

وفى رأينا أن عبارة (وَكَثِيرُونَ مِنَ الرَّاقِدِينَ فِي تُرَابِ الأَرْضِ يَسْتَيْقِظُونَ، هؤُلاَءِ إِلَى الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، وَهؤُلاَءِ إِلَى الْعَارِ لِلازْدِرَاءِ الأَبَدِيِّ.) هذه العبارة تشير بوضوح ليوم القيامة ، ولكن من يقرأ السياق الذى ورد فيه هذا المقطع يشعر أنه شاذ عما سبقه ، فقد سبق أن تنبأ سفر دانيال فى الإصحاح السابق للإصحاح الحالى (الإصحاح الحادى عشر) عن مستقبل ملوك الفرس وعن الإسكندر الأكبر وتقسيم مملكته إلى أربع ممالك أهمها مملكة الشمال فى سوريا (مملكة السلوكيين) ومملكة الجنوب (مملكة البطالمة) فى مصر ، ثم تصل النبوءات إلى أنطيوخس إبيفانيوس Antiochus Epiphanes الذى أذاق اليهود الويلات ، واضطهدهم بسبب دينهم ، ودخل أورشليم ، فقتل 8000 من اليهود ، وباع أربعين ألفا منهم كعبيد فى مصر ، وكان يشنق الطفل الذى يختن هو وأبوه وأمه كما يقول أنطونيوس فكرى فى تفسيره.

وفى خضم تنبوء دانيال عن الصراع بين ملك الشمال وملك الجنوب نفاجأ بالفقرة السابقة التى تتكلم عما يفهم منه أنه يوم القيامة مع أن الفقرة بدأت بعبارة (وَفِي ذلِكَ الْوَقْتِ) التى يفترض أنها تكمل الحديث عن الوقائع التاريخية السابقة بين مملكة الشمال والجنوب ، وهذا ما دعا ألبرت بارنز[210] على سبيل المثال إلى إنكار أن تكون الفقرة السابقة متعلقة بيوم القيامة بل تتعلق بشكل خاص باضطهاد أنطيوخس إبيفانيوس لليهود الذى لم يسبق له مثيل ، وفى النهاية سيخلص الله شعبه اليهودى بسبب ثورة المكابيين.

ومن جانبنا فنحن نرى أن الفقرة الأولى من الإصحاح الثانى عشر تتكلم فعلا عن يوم القيامة ، وغياب التناغم مع السياق يرجع فى رأينا إلى أن الفقرة السابقة مباشرة (الفقرة الأخيرة من

210) **"Albert Barnes' Notes on the Bible".** In "e-Sword", version 12.1.0; Copyright © 2000-2019, a registered trademark of Rick Meyers. United States of America. www.e-sword.net

الإصحاح الحادى عشر) لم تكن فى الأصل موجودة فى سفر دانيال ، ولكنها أضيفت فى وقت لاحق بفعل كتبة التوراة ، أو كانت موجودة فى موضع آخر ، وتم تغيير ترتيب الفقرات. وإن حذف المرء هذه الفقرة من سفر دانيال سيشعر بتسلسل منطقى فى الأفكار ، وسيجد تناغما بين الفقرة الأولى من الإصحاح الثانى عشر والفقرة قبل الأخيرة من الإصحاح الحادى عشر التى تنتهى بالحديث عن نهاية العالم قائلة: (وَبَعْضُ الْفَاهِمِينَ يَعْثُرُونَ امْتِحَاناً لَهُمْ لِلتَّطْهِيرِ وَلِلتَّبْيِيضِ إِلَى وَقْتِ النِّهَايَةِ. لأَنَّهُ بَعْدُ إِلَى الْمِيعَادِ). ومعنى هذه العبارة أن بعض الصالحين سيعانون من الاضطهاد والتعذيب فى الدنيا ، وهذا سيكون امتحانا من الله بهدف تطهيرهم من الذنوب ، فالله تعالى قد يصيب الصالحين بالمصائب كى يختبرهم فإن صبروا محا عنهم ذنوبهم ، حتى يأتى يوم القيامة. وقد ترجم كتاب الحياة هذه العبارة كما يلى: (وَيَعْثُرُ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ تَمْحِيصاً لَهُمْ وَتَنْقِيَةً، حَتَّى يَأْزِفَ وَقْتُ النِّهَايَةِ فِي مِيقَاتِ اللهِ الْمُعَيَّنِ).

إذن لدينا ثلاث فقرات:

<u>الفقرة الأولى:</u> تبدأ من آية 32 حتى 35 من إصحاح 11 ، وهى تتكلم عن اضطهاد أنطيوخس إبيفانيوس لليهود ، وتختتم بالتلميح ليوم القيامة.

<u>الفقرة الثانية:</u> تبدأ من آية 36 من إصحاح 11 حتى نهاية الإصحاح. وهى فقرة دخيلة على النص الأصلى ، وتتكلم عن الصراع بين ملك الشمال وملك الجنوب[211].

<u>الفقرة الثالثة:</u> توجد فى بداية الإصحاح 12 ، وهى تتكلم عن يوم القيامة.

وسنستعيد التسلسل المنطقى فى الأفكار إن حذفنا الفقرة الثانية ، ووصلنا الأولى بالثالثة.

ويمكن للقارىء أن يقارن النص الموجود فى سفر دانيال حاليا مع النص بعد حذف الفقرة المذكورة منه ، وقد وضعنا خطاً تحت الفقرة التى يجب حذفها كى يتسق المعنى:

النص الحالى فى دانيال:

[211]) يرى أغلب المفسرين المسيحيين أن هذه الفقرة تتكلم عن "ضد المسيح" وليس عن أنطيوخس إبيفانيوس ، وهذا رأى غريب ومصطنع كعادة النصارى الذين يحاولون إثبات أن كل كلمة فى العهد القديم تقصد المسيح والكنيسة ، وهذا شكل من أشكال الباطنية السخيف. ويعترض ألبرت بارنز على هذا التفسير ، ويؤكد بكل ثقة أن هذه الفقرة تواصل الكلام عن أنطيوخس وكفره وتكبره. انظر تفسير ألبرت بارنز لسفر دانيال.

32وَالْمُتَعَدُّونَ عَلَى الْعَهْدِ يُغْوِيهِمْ بِالتَّمَلُّقَاتِ. أَمَّا الشَّعْبُ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ إِلَهَهُمْ فَيَقْوُونَ وَيَعْمَلُونَ. 33وَالْفَاهِمُونَ مِنَ الشَّعْبِ يُعَلِّمُونَ كَثِيرِينَ. وَيَعْثُرُونَ بِالسَّيْفِ وَبِاللَّهِيبِ وَبِالسَّبْيِ وَبِالنَّهْبِ أَيَّاماً. 34فَإِذَا عَثَرُوا يُعَانُونَ عَوْناً قَلِيلاً وَيَتَّصِلُ بِهِمْ كَثِيرُونَ بِالتَّمَلُّقَاتِ. 35وَبَعْضُ الْفَاهِمِينَ يَعْثُرُونَ امْتِحَاناً لَهُمْ لِلتَّطْهِيرِ وَلِلتَّبْيِيضِ **إِلَى وَقْتِ النِّهَايَةِ. لأَنَّهُ بَعْدُ إِلَى الْمِيعَادِ.** 36وَيَفْعَلُ الْمَلِكُ كَإِرَادَتِهِ وَيَرْتَفِعُ وَيَتَعَظَّمُ عَلَى كُلِّ إِلَهٍ وَيَتَكَلَّمُ بِأُمُورٍ عَجِيبَةٍ عَلَى إِلَهِ الآلِهَةِ وَيَنْجَحُ إِلَى إِتْمَامِ الْغَضَبِ لأَنَّ الْمَقْضِيَّ بِهِ يُجْرَى. 37وَلاَ يُبَالِي بِآلِهَةِ آبَائِهِ وَلاَ بِشَهْوَةِ النِّسَاءِ وَبِكُلِّ إِلَهٍ لاَ يُبَالِي لأَنَّهُ يَتَعَظَّمُ عَلَى الْكُلِّ. 38وَيُكْرِمُ إِلَهَ الْحُصُونِ فِي مَكَانِهِ وَإِلَهاً لَمْ تَعْرِفْهُ آبَاؤُهُ يُكْرِمُهُ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَبِالْحِجَارَةِ الْكَرِيمَةِ وَالنَّفَائِسِ. 39وَيَفْعَلُ فِي الْحُصُونِ الْحَصِينَةِ بِإِلَهٍ غَرِيبٍ. مَنْ يَعْرِفُهُ يَزِيدُهُ مَجْداً وَيُسَلِّطُهُمْ عَلَى كَثِيرِينَ وَيَقْسِمُ الأَرْضَ أُجْرَةً.40«فَفِي وَقْتِ النِّهَايَةِ يُحَارِبُهُ مَلِكُ الْجَنُوبِ فَيَثُورُ عَلَيْهِ مَلِكُ الشِّمَالِ بِمَرْكَبَاتٍ وَفُرْسَانٍ وَسُفُنٍ كَثِيرَةٍ وَيَدْخُلُ الأَرَاضِيَ وَيَجْرُفُ وَيَطْمُو. 41وَيَدْخُلُ إِلَى الأَرْضِ الْبَهِيَّةِ فَيُعْثَرُ كَثِيرُونَ وَهَؤُلاَءِ يُفْلِتُونَ مِنْ يَدِهِ: أَدُومُ وَمُوآبُ وَرُؤَسَاءُ بَنِي عَمُّونَ. 42وَيَمُدُّ يَدَهُ عَلَى الأَرَاضِي وَأَرْضُ مِصْرَ لاَ تَنْجُو. 43وَيَتَسَلَّطُ عَلَى كُنُوزِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَعَلَى كُلِّ نَفَائِسِ مِصْرَ. وَاللُّوبِيُّونَ وَالْكُوشِيُّونَ عِنْدَ خَطَوَاتِهِ. 44وَتُفْزِعُهُ أَخْبَارٌ مِنَ الشَّرْقِ وَمِنَ الشِّمَالِ فَيَخْرُجُ بِغَضَبٍ عَظِيمٍ لِيُخْرِبَ وَلِيُحَرِّمَ كَثِيرِينَ. 45وَيَنْصُبُ فُسْطَاطَهُ بَيْنَ الْبُحُورِ وَجَبَلِ بَهَاءِ الْقُدْسِ وَيَبْلُغُ نِهَايَتَهُ وَلاَ مُعِينَ لَهُ. 1«**وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَقُومُ مِيخَائِيلُ الرَّئِيسُ الْعَظِيمُ الْقَائِمُ لِبَنِي شَعْبِكَ وَيَكُونُ زَمَانُ ضِيقٍ لَمْ يَكُنْ مُنْذُ كَانَتْ أُمَّةٌ إِلَى ذَلِكَ الْوَقْتِ. وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يُنَجَّى شَعْبُكَ كُلُّ مَنْ يُوجَدُ مَكْتُوباً فِي السِّفْرِ. 2وَكَثِيرُونَ مِنَ الرَّاقِدِينَ فِي تُرَابِ الأَرْضِ يَسْتَيْقِظُونَ هَؤُلاَءِ إِلَى الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ وَهَؤُلاَءِ إِلَى الْعَارِ لِلازْدِرَاءِ الأَبَدِيِّ. 3وَالْفَاهِمُونَ يَضِيئُونَ كَضِيَاءِ الْجَلَدِ وَالَّذِينَ رَدُّوا كَثِيرِينَ إِلَى الْبِرِّ كَالْكَوَاكِبِ إِلَى أَبَدِ الدُّهُورِ.»**

والنص بعد حذف الفقرة الدخيلة يصبح كما يلى:

[32 وَالْمُتَعَدُّونَ عَلَى الْعَهْدِ يُغْوِيهِمْ بِالتَّمَلُّقَاتِ. أَمَّا الشَّعْبُ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ إِلَهَهُمْ فَيَقْوُونَ وَيَعْمَلُونَ. 33وَالْفَاهِمُونَ مِنَ الشَّعْبِ يُعَلِّمُونَ كَثِيرِينَ. وَيَعْثُرُونَ بِالسَّيْفِ وَبِاللَّهِيبِ وَبِالسَّبْيِ وَبِالنَّهْبِ أَيَّاماً. 34فَإِذَا عَثَرُوا يُعَانُونَ عَوْناً قَلِيلاً وَيَتَّصِلُ بِهِمْ كَثِيرُونَ بِالتَّمَلُّقَاتِ. 35وَبَعْضُ الْفَاهِمِينَ يَعْثُرُونَ امْتِحَاناً لَهُمْ لِلتَّطْهِيرِ وَلِلتَّبْيِيضِ إِلَى وَقْتِ النِّهَايَةِ. لأَنَّهُ بَعْدُ إِلَى الْمِيعَادِ. 1«وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَقُومُ مِيخَائِيلُ الرَّئِيسُ الْعَظِيمُ الْقَائِمُ لِبَنِي شَعْبِكَ وَيَكُونُ زَمَانُ ضِيقٍ لَمْ يَكُنْ مُنْذُ كَانَتْ أُمَّةٌ إِلَى ذَلِكَ الْوَقْتِ. وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يُنَجَّى شَعْبُكَ كُلُّ مَنْ يُوجَدُ مَكْتُوباً فِي السِّفْرِ. 2وَكَثِيرُونَ مِنَ الرَّاقِدِينَ فِي تُرَابِ الأَرْضِ يَسْتَيْقِظُونَ هَؤُلاَءِ إِلَى الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ وَهَؤُلاَءِ إِلَى الْعَارِ لِلازْدِرَاءِ الأَبَدِيِّ. 3وَالْفَاهِمُونَ يَضِيئُونَ كَضِيَاءِ الْجَلَدِ وَالَّذِينَ رَدُّوا كَثِيرِينَ إِلَى الْبِرِّ كَالْكَوَاكِبِ إِلَى أَبَدِ الدُّهُورِ.»]

النتيجة المؤكدة التى نستخلصها هى أن التوراة تشير هنا إلى يوم القيامة ، لكن هذه الإشارة ليست قوية بما فيه الكفاية ، كما أن تحريف النص الأصلى لسفر دنيال أدى إلى تمزيق الكلام عن الآخرة ، فقل تأثيره على القارىء.

ويعلق الكتاب المقدس لكمبريدج على نبوءة دانيال السابقة قائلا: "إن عقيدة الحياة الآخرة ليست متطورة بشكل كامل فى العهد القديم. إنها ناشئة ، ومراحل نموها لا يمكن تمييزها بسهولة. إن فكرة البعث تظهر لأول مرة ، وإن كانت بمعنى قومى ، وليس بمعنى فردى[212]"

النص الثانى:

فى مواضع أخرى من العهد القديم ترد نصوص غامضة يمكن أن تفهم على أنها تشير إلى يوم القيامة ، ومن هذه النصوص أنشودة يرددها اليهود بعد أن ينصرهم الله على عدوهم:

[زِدْتَ الأُمَّةَ يَا رَبُّ، زِدْتَ الأُمَّةَ. تَمَجَّدْتَ. وَسَّعْتَ كُلَّ أَطْرَافِ الأَرْضِ. يَا رَبُّ فِي الضِّيقِ طَلَبُوكَ. سَكَبُوا مُخَافَتَةً عِنْدَ تَأْدِيبِكَ إِيَّاهُمْ. كَمَا أَنَّ الْحُبْلَى الَّتِي تُقَارِبُ الْوِلاَدَةَ تَتَلَوَّى وَتَصْرُخُ فِي مَخَاضِهَا، هكَذَا كُنَّا قُدَّامَكَ يَا رَبُّ. حَبِلْنَا تَلَوَّيْنَا كَأَنَّنَا وَلَدْنَا رِيحًا. لَمْ نَصْنَعْ خَلاَصًا فِي الأَرْضِ، وَلَمْ يَسْقُطْ سُكَّانُ الْمَسْكُونَةِ. **تَحْيَا أَمْوَاتُكَ، تَقُومُ الْجُثَثُ. اسْتَيْقِظُوا، تَرَنَّمُوا يَا سُكَّانَ التُّرَابِ.** لأَنَّ طَلَّكَ طَلُّ أَعْشَابٍ، وَالأَرْضُ تُسْقِطُ الأَخْيِلَةَ. هَلُمَّ يَا شَعْبِي ادْخُلْ مَخَادِعَكَ، وَأَغْلِقْ أَبْوَابَكَ خَلْفَكَ. اخْتَبِئْ نَحْوَ لُحَيْظَةٍ حَتَّى يَعْبُرَ الْغَضَبُ. لأَنَّهُ هُوَذَا الرَّبُّ يَخْرُجُ مِنْ مَكَانِهِ لِيُعَاقِبَ إِثْمَ سُكَّانِ الأَرْضِ فِيهِمْ، فَتَكْشِفُ الأَرْضُ دِمَاءَهَا وَلاَ تُغَطِّي قَتْلاَهَا فِي مَا بَعْدُ] (إشعياء 26: 15-21)

وهنا نجد أن عبارة (تَحْيَا أَمْوَاتُكَ، تَقُومُ الْجُثَثُ. اسْتَيْقِظُوا، تَرَنَّمُوا يَا سُكَّانَ التُّرَابِ) يمكن أن تفهم بشكل حقيقى على أنها تشير إلى إحياء الموتى يوم القيامة ، لكن مفسرى الكتاب المقدس يفهمونها بشكل مجازى على أنها تعنى انتصار بنى إسرائيل فى الدنيا بعد أن وقعوا فى الأسر ،

---

[212]) "**The Cambridge Bible for Schools and Colleges**". In "e-Sword", version 12.1.0; Copyright © 2000-2019, a registered trademark of Rick Meyers. United States of America. www.e-sword.net

ودمر هيكلهم ، وأُخرجوا من ديارهم ، وتحول أمراؤهم وأحبارهم إلى عبيد فى بابل. وهنا يكون النصر بعد الهزيمة والعودة إلى الوطن من المنفى أشبه بالحياة بعد الموت.

وهذا الفهم المجازى يظل دليلا على الحياة الآخرة لأن تشبيه النصر بعد الهزيمة بالبعث بعد الموت لا يمكن أن يُستخدم إلا إذا كان المشبَّه به (البعث) معروفا بشكل جيد لدى اليهود فى ذلك العصر؛ يقول آدم كلارك تعليقا على هذه الآية: "يبدو من هنا أن عقيدة بعث الموتى كانت فى ذلك الوقت عقيدة ذات شعبية وشيوع ؛ لأنه لكى يتسنى لصورة أن تُضرب كى تعبر عن أى شيء أو تمثله على سبيل الاستعارة أو المجاز – سواء أكان شعريا أو نبويا – فإن عليها أن تكون صورة معروفة بشكل عام ومفهومة ، وإلا فإنها لن تلبى الغرض التى افترضت من أجله[213]"

النص الثالث:

فى سفر أيوب 19: 25-27 نقرأ ما يستشف منه أن الموت ليس النهاية ، وأن الإنسان ستكون له حياة بعد أن يفنى جسده ، وهناك يمكن أن يرى الله:

(أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ وَلِيِّي حَيٌّ، وَالآخِرَ عَلَى الأَرْضِ يَقُومُ، **وَبَعْدَ أَنْ يُفْنَى جِلْدِي هذَا، وَبِدُونِ جَسَدِي أَرَى اللهَ**. الَّذِي أَرَاهُ أَنَا لِنَفْسِي، **وَعَيْنَايَ تَنْظُرَانِ وَلَيْسَ آخَرُ**).

وهذا النص – المأخوذ من ترجمة فاندايك وسميث– غامض ، ونسخ الكتاب المقدس المختلفة تتفاوت فى الترجمة. وبالنسبة لقوله (وَلِيِّي حَيٌّ) فمعناه: (الله حى) ، وبعض النسخ تترجمها (مخلصى حى) أو (شفيعى حى). وعبارة (وَالآخِرَ عَلَى الأَرْضِ يَقُومُ) غامضة جدا ، لكن أغلب النسخ تترجمها على أنها تعنى أن **الله سيقوم على الأرض فى نهاية العالم أو فى اليوم الآخر**. وتقول ترجمة "كتاب الحياة" مثلا: (فَإِنِّي مُوْقِنٌ أَنَّ فَادِيَّ حَيٌّ، وَأَنَّهُ لاَبُدَّ فِي النِّهَايَةِ أَنْ يَقُومَ عَلَى الأَرْضِ). وتقول نسخة الملك جيمس[214]:

---

[213]) **Adam Clarke's Commentary on the Bible**. In "e-Sword", version 12.1.0; Copyright © 2000-2019, a registered trademark of Rick Meyers. United States of America. www.e-sword.net

[214]) فى النسخ الإنجليزية الأخرى:

Revised Version: But I know that my redeemer liveth, and that he shall stand up at the last upon the earth.
Contemporary English Version: I know that my Savior lives, and at the end he will stand on this earth.

For I know *that* my redeemer liveth, and *that* he shall stand at the latter *day* upon the earth.

وإذا نظرنا إلى عبارة (وَبَعْدَ أَنْ يُفْنَى جِلْدِي هذَا، وَبِدُونِ جَسَدِي أَرَى اللهَ) نجد أنها تشير إلى أن **الإنسان بعد أن يتحلل جسده بالموت سيرى الله** بالروح لا بالجسد ، **وهذا إثبات لخلود النفس ، ووجود حياة روحية بعد الموت**. ومع ذلك **فأغلب النسخ تترجم العبارة السابقة بما يفيد أن الإنسان سيرى الله بعد الموت رؤية حقيقية بجسده بعد أن يُبعث ، ويُخلق له جسد جديد** [215] ؛ تقول الترجمة اليسوعية: (وبَعدَ أَن يَكونَ جِلْدي قد تَمَزَّق أُعاينُ اللهَ في جَسَدي. أُعايِنُه أَنا بِنَفْسي وعَينايَ تَرَيانِه لا غَيري). وتقول الترجمة العربية المشتركة: (فتَلبَسُ هذِهِ الأعضاءُ جِلْدي وبِجسَدي أُعاينُ اللهَ. وتَراهُ عينايَ إلى جانِبي).

وفى نسخة الملك جيمس:

And *though* after my skin *worms* destroy this *body,* yet <u>in my flesh</u> shall I see God.

وفى النسخة المنقحة:

And after my skin hath been thus destroyed, yet <u>from my flesh</u> shall I see God.

وأحد تفسيرات هذه الآية كما يقول جون جيل أن أيوب "آمن أنه بالرغم من أنه سيموت ويتحلل فى التراب داخل القبر إلا أنه يجب أن يقوم مرة أخرى ، وأنه فى لحم حقيقى ، وليس فى جسد هوائى سماوى ، بل فى جسد حقيقى ، مكون من لحم ودم وعظام ، وهو ما لا تمتلكه الأرواح ، وفى نفس اللحم أو الجسد الذى كان لديه حينئذ ، لحمه الخاص وجسده الخاص، وليس لحم إنسان آخر أو جسده ؛ نقول إذن أنه سيرى الله بواسطة عينه المادية الجسدية"[216].

ويقول آدم كلارك أن أحد معانى هذا النص: "إننى سأقوم من بين الأموات ، وأمتلك جسدا

Darby Bible: And *as for* me, I know that my Redeemer liveth, and the Last, he shall stand upon the earth.
English standard Version: For I know that my Redeemer lives, and at the last he will stand upon the earth.
American Standard Version: But as for me I know that my Redeemer liveth, And at last he will stand up upon the earth.

[215] من أمثلة النسخ الإنجليزية الأخرى:

Contemporary English Version: My flesh may be destroyed, yet <u>from this body</u> I will see God.
English Standard Version: And after my skin has been thus destroyed, yet <u>in my flesh</u> I shall see God.
Darby Bible: And *if* after my skin this shall be destroyed, yet <u>from out of my flesh</u> shall I see +God.
A Faithful Version: And *though worms* destroy my skin *and body*, yet <u>apart from my flesh</u> shall I see God.
American Standard Version: And after my skin, *even* this *body*, is destroyed, Then <u>without my flesh</u> shall I see God.

[216]) **John Gill's Exposition of the Bible.** In "e-Sword", version 12.1.0; Copyright © 2000-2019, a registered trademark of Rick Meyers. United States of America. www.e-sword.net

جديدا، وأرى الله بعيون من لحم ودم رغم أن ما لدىَّ الآن سيتحلل قريبا فى التراب"[217].

ورغم ذلك فهذا النص غير صريح فى إثبات الآخرة، ولهذا فهمه ألبرت بارنز بشكل مجازى:

"لا يمكن إثبات أن هذا يشير إلى بعث هذا الجسد ، والتفسير الطبيعى حقا ضده. وبالأحرى على الرغم من أنه بلا جسد أو بالرغم من أن جسده سيبلى إلا أنه سيرى الله بوصفه مبرئه. إنه لن يترك دائما غارقا بهذه الطريقة فى المصائب والاتهامات. سيسمح له أن يرى الله قادما باعتباره هدفه والمنتقم له ، ومظهرا نفسه كصديقه. ولذا سيتحمل بهدوء هذه التوبيخات والامتحانات ، ويرى هيكله يتلاشى لأنه لن يكون دائما على هذا النحو– الله سيتولى قضيته ويدافع عنها"[218].

<u>النص الرابع:</u>

فى المزمور السادس عشر 8: 11 ينشد نبى الله داود كلمات يفهم منها أن جسده لن يبقى ميتا فى القبر ، بل سيبعثه الله تعالى ، ليحيا فى نعيمه الأبدى فى الجنة حيث الشبع والسعادة:

[جَعَلْتُ الرَّبَّ أَمَامِي فِي كُلِّ حِينٍ، لأَنَّهُ عَنْ يَمِينِي فَلاَ أَتَزَعْزَعُ. لِذلِكَ فَرِحَ قَلْبِي، وَابْتَهَجَتْ رُوحِي. **جَسَدِي أَيْضًا يَسْكُنُ مُطْمَئِنًّا. لأَنَّكَ لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِي فِي الْهَاوِيَةِ. لَنْ تَدَعَ تَقِيَّكَ يَرَى فَسَادًا.** تُعَرِّفُنِي سَبِيلَ الْحَيَاةِ. **أَمَامَكَ شِبَعُ سُرُورٍ. فِي يَمِينِكَ نِعَمٌ إِلَى الأَبَدِ]**

وكلمة "الهاوية" فى الفقرة السابقة تترجم فى نسخة الملك جيمس بالجحيم Hell ، وأصلها العبرى هو كلمة Sheol ، ومعناها – الذى يتفق عليه شارحو الكتاب المقدس– هو **المكان غير المرئى الذى تسكنه الأرواح بعد الموت.** ويقول ألبرت بارنز: " هذه الكلمة لا تعنى بالضرورة الجحيم بالمعنى الذى يستخدم به هذا المصطلح حاليا بشكل شائع للدلالة على مقر الأشرار فى العالم المستقبلى أو مكان العقاب ، لكنه يعنى **منطقة الموتى أو مقرهم الذى كان ينظر إلى القبر على أنه الباب – أو المدخل – المؤدى إليه ، أى العالم السفلى.** والفكرة هى أن الروح لن تقاسى البقاء فى هذا العالم السفلى ، أى المقر الكئيب المظلم ، لكنها ستنهض ثانية إلى النور والحياة."

---

217) **Adam Clarke's Commentary on the Bible**.

218) **Albert Barnes' Notes on the Bible.**

النص الخامس:

فى المزمور السابع عشر 13: 15 يناجى دواد عليه السلام ربه عاقدا مقارنة بينه وبين عامة الناس من أهل الدنيا الذين يحرصون على متع البطون ، بينما داود ينعم بالنظر لوجه الله الكريم، ويشبع حين يبعث بعد موته بارا صالحا على شاكلة الله.

[قُمْ يَا رَبُّ. تَقَدَّمْهُ. اِصْرَعْهُ. نَجِّ نَفْسِي مِنَ الشِّرِّيرِ بِسَيْفِكَ، مِنَ النَّاسِ بِيَدِكَ يَا رَبُّ، **مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا. نَصِيبُهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ.** بِذَخَائِرِكَ تَمْلأُ بُطُونَهُمْ. يَشْبَعُونَ أَوْلاَدًا وَيَتْرُكُونَ فُضَالَتَهُمْ لأَطْفَالِهِمْ. أَمَّا أَنَا **فَبِالْبِرِّ أَنْظُرُ وَجْهَكَ. أَشْبَعُ إِذَا اسْتَيْقَظْتُ بِشَبَهِكَ].**

ويرى ألبرت بارنز وآخرون أن هذه الفقرة تشير إلى الحياة بعد الموت:

(هذه لغة تستخدم فقط بواسطة شخص آمن ببعث الموتى ، وكان معتادا على التكلم عن الموت باعتباره "نوم" ، أى راحة هادئة أملا فى اليقظة إلى حياة جديدة.... وبناء على ذلك فإننى أنظر لهذه الفقرة على أنها إحدى الأدلة العارضة المتناثرة عبر العهد القديم التى تظهر أن كُتاب الكتاب المقدس فى ظل النظام الدينى آمنوا بعقيدة بعث الموتى. لقد كانت لغتهم فى الغالب تقوم على معرفة هذه العقيدة والإيمان بها حتى وإن لم يؤكدوا عليها بصراحة).

ورغم ذلك فمن المحتمل أن يكون معنى الفقرة الأخيرة أن الناس تشبع بالطعام ، بينما داود يشبع بتوجيه بصره لله ، أى بالتفكير فيه ، ويشعر بالشبع إن أحس حين يستيقظ من نومه فى الصباح أنه ارتقى بخلقه ، وصار خَيّرا مثل الله.

النص السادس

فى المزمور التاسع والأربعين 5: 15 نقرأ كلاما يفيد أن **الموت والرقود فى القبر ليس هو نهاية الحياة، فالله تعالى سيعاقب الأشرار ، ويلقى بهم فى الهاوية (جهنم) ، وسيخلص الصالحين من الموت، ويأخذهم إليه ليحيون فى معيته:**

[لِمَاذَا أَخَافُ فِي أَيَّامِ الشَّرِّ عِنْدَمَا يُحِيطُ بِي إِثْمُ مُتَعَقِّبِيَّ؟ الَّذِينَ يَتَّكِلُونَ عَلَى ثَرْوَتِهِمْ، وَبِكَثْرَةِ غِنَاهُمْ يَفْتَخِرُونَ. الأَخُ لَنْ يَفْدِيَ الإِنْسَانَ فِدَاءً، وَلاَ يُعْطِيَ اللهَ كَفَّارَةً عَنْهُ. وَكَرِيمَةٌ هِيَ فِدْيَةُ نُفُوسِهِمْ، فَغَلِقَتْ إِلَى الدَّهْرِ. حَتَّى يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ فَلاَ يَرَى الْقَبْرَ. بَلْ يَرَاهُ! الْحُكَمَاءُ يَمُوتُونَ. كَذلِكَ الْجَاهِلُ وَالْبَلِيدُ يَهْلِكَانِ، وَيَتْرُكَانِ ثَرْوَتَهُمَا لآخَرِينَ. بَاطِنُهُمْ أَنَّ بُيُوتَهُمْ إِلَى الأَبَدِ، مَسَاكِنَهُمْ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ. يُنَادُونَ بِأَسْمَائِهِمْ فِي الأَرَاضِي. وَالإِنْسَانُ فِي كَرَامَةٍ لاَ يَبِيتُ. يُشْبِهُ الْبَهَائِمَ الَّتِي تُبَادُ. هذَا طَرِيقُهُمُ اعْتِمَادُهُمْ، وَخُلَفَاؤُهُمْ يَرْتَضُونَ بِأَقْوَالِهِمْ. سِلاَهْ. **مِثْلَ الْغَنَمِ لِلْهَاوِيَةِ يُسَاقُونَ. الْمَوْتُ يَرْعَاهُمْ، وَيَسُودُهُمُ الْمُسْتَقِيمُونَ. غَدَاةً وَصُورَتُهُمْ تَبْلَى. الْهَاوِيَةُ مَسْكَنٌ لَهُمْ. إِنَّمَا اللهُ يَفْدِي نَفْسِي مِنْ يَدِ الْهَاوِيَةِ لأَنَّهُ يَأْخُذُنِي.]**

النص السابع:

فى المزمور الثالث والسبعين آية 24 يقول داود لربه: (بِرَأْيِكَ تَهْدِينِي، وَبَعْدُ **إِلَى مَجْدٍ تَأْخُذُنِي)**. والمجد – فى رأى جون جيل وجوزيف بنسون وغيرهما– يعنى مملكة السماء ، أى الحياة فى مع الله والمؤمنين فى الآخرة بعد الموت.

النص الثامن

فى سفر حزقيال 37: 1–10 يرد **نص مهم جدا يثبت بصراحة أن الله تعالى قادر على بعث الموتى ، ورد الأرواح إلى الأجساد البالية ، وهذا يفهم منه ضمنا أن هناك آخرة بعد هذه الحياة الدنيا:**

[كَانَتْ عَلَيَّ يَدُ الرَّبِّ، فَأَخْرَجَنِي بِرُوحِ الرَّبِّ وَأَنْزَلَنِي فِي وَسْطِ الْبُقْعَةِ وَهِيَ مَلآنَةٌ عِظَامًا، وَأَمَرَّنِي عَلَيْهَا مِنْ حَوْلِهَا وَإِذَا هِيَ كَثِيرَةٌ جِدًّا عَلَى وَجْهِ الْبُقْعَةِ، وَإِذَا هِيَ يَابِسَةٌ جِدًّا. فَقَالَ لِي: **«يَا ابْنَ آدَمَ، أَتَحْيَا هذِهِ الْعِظَامُ؟»** فَقُلْتُ: «يَا سَيِّدُ الرَّبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ». فَقَالَ لِي: **«تَنَبَّأْ عَلَى هذِهِ الْعِظَامِ وَقُلْ لَهَا: أَيَّتُهَا الْعِظَامُ الْيَابِسَةُ، اسْمَعِي كَلِمَةَ الرَّبِّ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ لِهذِهِ الْعِظَامِ: هأَنَذَا أُدْخِلُ فِيكُمْ رُوحًا فَتَحْيَوْنَ. وَأَضَعُ عَلَيْكُمْ عَصَبًا وَأَكْسِيكُمْ لَحْمًا وَأَبْسُطُ عَلَيْكُمْ جِلْدًا وَأَجْعَلُ فِيكُمْ رُوحًا، فَتَحْيَوْنَ وَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ».** فَتَنَبَّأْتُ كمَا

أُمِرتُ. وَبَيْنَمَا أَنَا أَتنبَّأُ كَانَ صَوْتٌ، وَإِذَا رَعْشٌ، **فَتَقَارَبَتِ الْعِظَامُ كُلُّ عَظْمٍ إِلَى عَظْمِهِ. ونَظَرْتُ وَإِذَا بِالْعَصَبِ وَاللَّحْمِ كَسَاهَا، وبُسِطَ الْجِلْدُ علَيْهَا مِنْ فَوْقُ**، وَلَيْسَ فِيهَا رُوحٌ. فَقَالَ لِي: «تَنَبَّأْ لِلرُّوحِ، تَنَبَّأْ يَاابْنَ آدَمَ، وَقُلْ لِلرُّوحِ: هكذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: **هَلُمَّ يَا رُوحُ مِنَ الرِّيَاحِ الأَرْبَعِ وَهُبَّ عَلَى هؤُلاَءِ الْقَتْلَى لِيَحْيَوْا**». فَتَنَبَّأْتُ كَمَا أَمَرَني، **فَدَخَلَ فِيهِمِ الرُّوحُ، فَحَيُوا وَقَامُوا عَلَى أَقدامِهِمْ جَيْشٌ عَظيمٌ جِدًّا جِدًّا**].

وهذا النص يذكرنا بقوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} [البقرة: 243]

النص التاسع:

فى سفر صموئيل الأول 28: 3–19 تروى حكاية الملك شاءول الذى ذهب لإحدى العرافات كى تستحضر روح النبى صموئيل بعد موته ليساعده فى حربه على الفلسطينيين ، وهذه القصة تثبت أن الموت ليس هو النهاية ، وأن هناك حياة روحية بعد الوفاة:

[وَمَاتَ صَمُوئِيلُ وَنَدَبَهُ كُلُّ إِسْرَائِيلَ وَدَفَنُوهُ فِي الرَّامَةِ فِي مَدِينَتِهِ. وَكَانَ شَاوُلُ قَدْ نَفَى أَصْحَابَ الْجَانِّ وَالتَّوَابِعِ مِنَ الأَرْضِ. فَاجْتَمَعَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ وَجَاءُوا وَنَزَلُوا فِي شُونَمَ وَجَمَعَ شَاوُلُ جَمِيعَ إِسْرَائِيلَ وَنَزَلَ فِي جِلْبُوعَ. وَلَمَّا رَأَى شَاوُلُ جَيْشَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ خَافَ وَاضْطَرَبَ قَلْبُهُ جِدّاً. فَسَأَلَ شَاوُلُ مِنَ الرَّبِّ ، فَلَمْ يُجِبْهُ الرَّبُّ لاَ بِالأَحْلاَمِ وَلاَ بِالأُورِيمِ وَلاَ بِالأَنْبِيَاءِ. **فَقَالَ شَاوُلُ لِعَبِيدِهِ: «فَتِّشُوا لِي عَلَى امْرَأَةٍ صَاحِبَةِ جَانٍّ فَأَذْهَبَ إِلَيْهَا وَأَسْأَلَهَا»**. فَقَالَ لَهُ عَبِيدُهُ: «هُوَذَا امْرَأَةٌ صَاحِبَةُ جَانٍّ فِي عَيْنِ دُورٍ». فَتَنَكَّرَ شَاوُلُ وَلَبِسَ ثِيَاباً أُخْرَى، وَذَهَبَ هُوَ وَرَجُلاَنِ مَعَهُ وَجَاءُوا إِلَى الْمَرْأَةِ لَيْلاً. وَقَالَ: «**اعْرِفِي لِي بِالْجَانِّ وَأَصْعِدِي لِي مَنْ أَقُولُ لَكِ**». فَقَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: «هُوَذَا أَنْتَ تَعْلَمُ مَا فَعَلَ شَاوُلُ ، كَيْفَ قَطَعَ أَصْحَابَ الْجَانِّ وَالتَّوَابِعِ مِنَ الأَرْضِ. فَلِمَاذَا تَضَعُ شَرَكاً لِنَفْسِي لِتُمِيتَهَا؟» فَحَلَفَ لَهَا شَاوُلُ بِالرَّبِّ: «حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ ، إِنَّهُ لاَ يَلْحَقُكِ إِثْمٌ فِي هَذَا الأَمْرِ». **فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: «مَنْ أُصْعِدُ لَكَ؟» فَقَالَ: «أَصْعِدِي لِي صَمُوئِيلَ». فَلَمَّا رَأَتِ الْمَرْأَةُ صَمُوئِيلَ** صَرَخَتْ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ ، وَقَالَتِ لِشَاوُلَ: «لِمَاذَا خَدَعْتَنِي وَأَنْتَ شَاوُلُ؟» فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ: «لاَ تَخَافِي. فَمَاذَا رَأَيْتِ؟» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِشَاوُلَ: «رَأَيْتُ آلِهَةً يَصْعَدُونَ مِنَ الأَرْضِ». فَقَالَ لَهَا: «مَا

هِيَ صُورَتُهُ؟» فَقَالَتْ: «رَجُلٌ شَيْخٌ صَاعِدٌ وَهُوَ مُغَطًّى بِجُبَّةٍ». فَعَلِمَ شَاوُلُ أَنَّهُ صَمُوئِيلُ ، فَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ وَسَجَدَ. **فَقَالَ صَمُوئِيلُ لِشَاوُلَ: «لِمَاذَا أَقْلَقْتَنِي بِإِصْعَادِكَ إِيَّايَ؟»** فَقَالَ شَاوُلُ: «قَدْ ضَاقَ بِي الأَمْرُ جِدّاً. الْفِلِسْطِينِيُّونَ يُحَارِبُونَنِي ، وَالرَّبُّ فَارَقَنِي وَلَمْ يَعُدْ يُجِيبُنِي لاَ بِالأَنْبِيَاءِ وَلاَ بِالأَحْلاَمِ. فَدَعَوْتُكَ لِتُعْلِمَنِي مَاذَا أَصْنَعُ». فَقَالَ صَمُوئِيلُ: «وَلِمَاذَا تَسْأَلُنِي وَالرَّبُّ قَدْ فَارَقَكَ وَصَارَ عَدُوَّكَ؟ وَقَدْ فَعَلَ الرَّبُّ لِنَفْسِهِ كَمَا تَكَلَّمَ عَنْ يَدِي ، وَقَدْ شَقَّ الرَّبُّ الْمَمْلَكَةَ مِنْ يَدِكَ وَأَعْطَاهَا لِقَرِيبِكَ دَاوُدَ. لأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ لِصَوْتِ الرَّبِّ وَلَمْ تَفْعَلْ حُمُوَّ غَضَبِهِ فِي عَمَالِيقَ ، لِذَلِكَ قَدْ فَعَلَ الرَّبُّ بِكَ هَذَا الأَمْرَ الْيَوْمَ. وَيَدْفَعُ الرَّبُّ إِسْرَائِيلَ أَيْضاً مَعَكَ لِيَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ. **وَغَداً أَنْتَ وَبَنُوكَ تَكُونُونَ مَعِي** ، وَيَدْفَعُ الرَّبُّ جَيْشَ إِسْرَائِيلَ أَيْضاً لِيَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ»].

ولاحظ فى هذه الفقرة الأخيرة عبارة (وغدا أنت وبنوك تكونون معى) التى تعنى أن شاءول وأولاده سيموتون فى المستقبل ، وسينتقلون لعالم الأرواح ليعيشون مع النبى صموئيل.

ويبدو أن ظاهرة العرافين الذين يستحضرون الأرواح كانت منتشرة فى بنى إسرائيل منذ القدم ، وهذا مدلول عبارة (ولا من يستشير الموتى) التى وردت فى الفقرة التالية من سفر التثنية 18: 9-12 : [«مَتَى دَخَلتَ الأَرْضَ التِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ لا تَتَعَلمْ أَنْ تَفْعَل مِثْل رِجْسِ أُولئِكَ الأُمَمِ. لا يُوجَدْ فِيكَ مَنْ يُجِيزُ ابْنَهُ أَوِ ابْنَتَهُ فِي النَّارِ وَلا مَنْ يَعْرُفُ عِرَافَةً وَلا عَائِفٌ وَلا مُتَفَائِلٌ وَلا سَاحِرٌ وَلا مَنْ يَرْقِي رُقْيَةً وَلا مَنْ يَسْأَلُ جَانّاً أَوْ تَابِعَةً **وَلا مَنْ يَسْتَشِيرُ المَوْتَى**. لأَنَّ كُل مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مَكْرُوهٌ عِنْدَ الرَّبِّ].

اقتراب القيامة

رأينا فى النصوص السابقة كيف أكد العهد القديم أن يوم القيامة قد اقترب ، كما فى قوله: (وَلْوِلُوا لأَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ قَرِيبٌ) [إشعياء 13: 6]، وقوله : (لأَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ قَرِيبٌ. يَأْتِي كَخَرَابٍ مِنَ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. [يوئيل 1: 15] ، وقوله: (لِيَرْتَعِدْ جَمِيعُ سُكَّانِ الأَرْضِ لأَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ قَادِمٌ، لأَنَّهُ قَرِيبٌ) [يوئيل 2: 1].

وهنا يتفق العهد القديم مع القرآن فى إثبات قرب يوم القيامة ، لكن **بما أن العهد القديم قد طاله قدر كبير من التحريف فلذلك نجده قد وقع فى خطأ فادح** لأن عمر الإنسان على الأرض وعمر الكون كله طبقا للعهد القديم يساوى ستة آلاف عام فقط ، وعلى ذلك فأسفار الأنبياء التى تكلمت

عن اقتراب يوم القيامة كتبت تقريبا بعد منتصف عمر الكون بقليل طبقا للرؤية اليهودية ، فنحن الآن فى عام 2021 ميلادية ، وسفر إشعياء مثلا كتب بين عام 740 و 686 قبل الميلاد ، وسفر يوئيل كتب عقب سقوط أورشليم عام 586 قبل الميلاد[219،220]. معنى ذلك أن العهد القديم أنذر الناس بقرب مجيء يوم القيامة ، بينما كان فى وقت يزيد قليلا عن منتصف عمر الكون ، وهذا خطأ لأنه لا أحد يتكلم عن قرب انتهاء رحلة ، وهو لا يزال فى منتصفها أو تجاوز المنتصف بقليل. أما القرآن فلم يحدد متى كانت بداية الكون ولا متى نشأت الحياة على الأرض، ولذا خلا من التناقض ، فالحمد لله على نعمة الإسلام.

نظرة عامة على العهد القديم

ها قد رأينا وجود إشارات عديدة فى العهد القديم لوجود حياة بعد الموت ، **إلا أنها صيغت بعبارات عامة ، واتسم كثير منها بالغموض ، فصار من الصعب على القارىء أن يُكون فى ذهنه فكرة واضحة عن يوم القيامة**. وبالنسبة لى فقد قرأت العهد القديم مرات عديدة منذ سنوات طويلة ، فلم أنتبه إلى وجود فكرة يوم القيامة إلا بعد أن شمرت عن ساعدى ، وقررت التنقيب عنها.

ويضاف إلى ذلك أن عدد الإشارت المتعلقة بيوم القيامة فى العهد القديم قليل جدا مقارنة بحجم الكتاب الضخم ، ولهذا **تاه الكلام عن الآخرة داخل بحر من التفاصيل والأحداث** ، كما تختفى الإبرة داخل كوم من القش.

وحتى إن عثر اليهود على الآيات التى تتكلم عن الآخرة **فلن ينتفع بها أغلبهم** ، **وذلك لأن فهمها على الوجه الصحيح يتطلب وجود قدر مسبق من الإيمان بالله وبعدله المطلق** ، وأنه لا يمكن أن يخلق الإنسان ويتركه دون ثواب أو عقاب. ومن لديه حساسية دينية وشفافية روحية فسيقرأ هذه النصوص بشكل عميق ، ويفهم مغزاها الحقيقى ، أما أهل الدنيا فسيمرون عليها مرور الكرام ، أو يستغلوا غموض ألفاظها كى يؤولوها بما يريحهم من العبء الأخلاقى الذى يفرضه اليوم الآخر. وبسبب غموض موقف العهد القديم من اليوم الآخر اختلفت آراء علماء

---

219) يرى علماء آخرون -كما تقول الموسوعة البريطانية - أن سفر يوئيل كتب فى الحقبة الفارسية بين عام 539 وعام 331 قبل الميلاد.

220) **Biblical literature**. By H. Grady Davis, Seymour Cain and Others Encyclopædia Britannica. Published: August 20, 2020. https://www.britannica.com/topic/biblical-literature; access date: January 09, 2021

اليهود حوله ، ومن المشهور أن طائفة الصدوقيين أنكرت قديما وجود الآخرة ، بينما آمنت بها طائفة الفريسيين.

وقد دفع غموض موقف التوراة بعض العلماء إلى القول بأن فكرة اليوم الآخر لدى اليهود لم تتبلور إلا بشكل تدريجى بعد النفى لبابل فى القرن السادس قبل الميلاد. **بيد أننا كمسلمين نجزم بأن فكرة الآخرة أنزلها الله تعالى فى التوراة.** وليس لدىَّ شك فى أن العهد القديم بوضعه الحالى لا يزال يحتوى على إشارات فى غاية الوضوح تثبت وجود الآخرة ، **وأشعر حين أقرأ هذه النصوص وكأن الله تعالى يكلم البشر بنفسه ، وتأخذنى رهبة غريبة كلما قرأت آخر مقطع من العهد القديم** (سفر ملاخى) ، وهو يتكلم عن اعتزام الله إرسال نبى قبل اقتراب يوم القيامة كى يرد قلب الآباء عى الأبناء وقلب الأبناء على الآباء ، ولا أشك للحظة واحدة أن هذه إشارة لمحمد عليه الصلاة والسلام ، وأن الأحبار غيروا اسم محمد الذى ورد فى هذا المقطع ، وأدخلوا اسم إيليا بدلا منه.

[«فَهُوَذَا يَأْتِي الْيَوْمُ الْمُتَّقِدُ كَالتَّنُّورِ، وَكُلُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَكُلُّ فَاعِلِي الشَّرِّ يَكُونُونَ قَشًّا، وَيُحْرِقُهُمُ الْيَوْمُ الآتِي، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ، فَلاَ يُبْقِي لَهُمْ أَصْلاً وَلاَ فَرْعًا. «وَلَكُمْ أَيُّهَا الْمُتَّقُونَ اسْمِي تُشْرِقُ شَمْسُ الْبِرِّ وَالشِّفَاءُ فِي أَجْنِحَتِهَا، فَتَخْرُجُونَ وَتَنْشَأُونَ كَعُجُولِ الصِّيرَةِ. وَتَدُوسُونَ الأَشْرَارَ لأَنَّهُمْ يَكُونُونَ رَمَادًا تَحْتَ بُطُونِ أَقْدَامِكُمْ يَوْمَ أَفْعَلُ هذَا، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ. «اُذْكُرُوا شَرِيعَةَ مُوسَى عَبْدِي الَّتِي أَمَرْتُهُ بِهَا فِي حُورِيبَ عَلَى كُلِّ إِسْرَائِيلَ. الْفَرَائِضَ وَالأَحْكَامَ. «هأَنَذَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ إِيلِيَّا النَّبِيَّ قَبْلَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ، الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ، فَيَرُدُّ قَلْبَ الآبَاءِ عَلَى الأَبْنَاءِ، وَقَلْبَ الأَبْنَاءِ عَلَى آبَائِهِمْ. لِئَلاَّ آتِيَ وَأَضْرِبَ الأَرْضَ بِلَعْنٍ»].

إن فكرة الآخرة – على ما يبدو– لم تَرُقْ لرجال الدين ، ولا لعامة الشعب اليهودى الذين لم يكن لديهم من اليقين والإيمان بالله ما يجعلهم يضحون بالدنيا انتظارا لجزاء الآخرة. لقد كانوا يريدون الجزاء السريع "هنا" فى هذه الدنيا التى يشاهدونها بأعينهم ، وليس فى الآخرة التى لا يرونها ، ولا يثقون كثيرا فى أنها ستأتى يوما ما. ولهذا تدخل رجال الدين ، فحذفوا من كتابهم المقدس بعض ما ورد عن الآخرة لاعتقادهم بأنه كلام غير مفيد ، واستبدلوه بكلام كثير جدا عن

الثواب والعقاب فى الدنيا ، الذى يمكن اختزاله فى نصر قومى مجيد للشعب اليهودى على أعدائه.

الآخرة فى التلمود

فى التلمود[221] ورد مصطلح "**العالم القادم**" أو "العالم المزمع أن يأتى" The World to Come أو Olam Haba. ولكن الغموض يحيط بهذا المصطلح ، فهو يستخدم أحيانا للدلالة على الحياة التى تعقب موت كل إنسان مباشرة (حياة البرزخ بمصطلح الإسلام) ، وأحيانا للدلالة على الحياة التى تعقب نهاية العالم كله فى آخر الزمان (اليوم الآخر). وعلى سبيل المثال يرد المصطلح فى الفقرة التالية بمعنى أقرب إلى حياة البرزخ التى تعقب الموت مباشرة:

(سترشدك شريعتى فى طريقك فى هذا العالم ، وستراقبك فى نومك فى ساعة الاحتضار ، وحين تستيقظ ستحادثك فى العالم الآتى)

ولكن فى موضع آخر من التلمود يستخدم مصطلح "العالم القادم" بمعنى "اليوم الآخر" الذى يعقب نهاية الزمان:

[لن يكون العالم القادم مثل هذا العالم. فى هذه العالم يجد المرء صعوبة فى جمع العنب وعصره ، أما فى العالم المزمع أن يأتى سيحضر المرء حبة عنب واحدة فى عربة أو مركب ، ويخزنها فى زاوية منزله ، ويأخذ منها من الخمر ما يكفى لملء إبريق كبير.... لن يكون هناك حبة عنب لا تعطى ثلاثين مقدارا من الخمر].

أما بالنسبة لموسى بن ميمون – أشهر علماء اليهود فى العصور الوسطى ، والمتأثر بالفكر الأرسطى– **فقد أعلن بصراحة أنه لا سبيل لفهم "العالم القادم" أو معرفته.** وقد أثرت آراء موسى بن ميمون على الفكر اليهودى ، فيقول موريس لام على سبيل المثال: "برغم اعتقاد اليهود فى

---

221) ما سيرد فى هذا الكتاب عن فكرة الآخرة فى التلمود ، وعن آراء العلماء اليهود فيها قد استعنا فيه بالمرجع التالى:
Do Jews Believe in The Afterlife?" By Simcha Paull Raphael, Ph.D. Chapter 2 of JEWISH VIEWS OF THE AFTERLIFE. DA'AT INSTITUTE. http://www.daatinstitute.net/wp-content/uploads/2017/02/Do-Jews-Believe-in-the-Afterlife-S.-Raphael.pdf

الخلود إلا أنه لا توجد تفاصيل متاحة عن الحياة بعد الموت. لماذا؟ لأن الإنسان المكون من لحم ودم لا يمكنه أن يحمل أى تصور عن النعيم النقى الروحى فيما وراء العالم الحالى."

وهذا الرأى الأخير هو الرأى الصائب فى التعبير عن موقف اليهودية من الآخرة ، فنصوص اليهودية المقدسة لا تسمح إلا بأقل القليل من التفاصيل عن الآخرة ، وأى عالم دين يهودى يتكلم باستفاضة عما سيجرى فى الآخرة فهو يتكلم بلا شك من أعماق خياله. ومن قبيل هذا الفكر الخيالى كتاب ألفه عالم يهودى إيطالى فى القرن الثالث عشر ، اسمه إيمانويل هارومى Immanuel Ha-Romi – وكان معاصرا لدانتى– عن رحلاته الخيالية فى الدار الآخرة معتمدا على النصوص القديمة للربانيين. وفى إيطاليا أُلف كتاب آخر عام 1626م بواسطة عالم يهودى اسمه الربى هارون بيراشيا بن موسى Rabbi Aaron Berachia ben Moses عنوانه "عبور نهر يابوك"[222] ، وهو ملىء بكثير من التفاصيل عن الخبرات التى تقابلها الأرواح وقت الموت وفيما يعقبه من حياة ، وبسبب كثرة التفاصيل التى يتضمنها هذا الكتاب يمكن وصفه بحق بأنه "كتاب الموتى اليهودى" ، وقد حظى هذا الكتاب بشهرة واسعة لقرنين من الزمان. ولكن بمرور الزمن بدأ اليهود يذوبون فى الحضارة الحديثة ، فتقلص بشكل كبير اهتمامهم بالآخرة.

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

---

222) *Maavor Yabok* (Crossing the River Yabok).

2-الآخرة فى المسيحية

المسيح يخبر بنهاية العالم

أخبر المسيح تلاميذه أن الدنيا ستنتهى بيوم عظيم ، يُلحق الدمار بكل ما فى الكون. وسينزل المسيح يومئذ من السماء كملك مظفر مع ملائكته:

[«وَأَمَّا فِي تِلْكَ الأَيَّامِ بَعْدَ ذلِكَ الضِّيقِ، فَالشَّمْسُ تُظْلِمُ، وَالْقَمَرُ لاَ يُعْطِي ضَوْءَهُ، وَنُجُومُ السَّمَاءِ تَتَسَاقَطُ، وَالْقُوَّاتُ الَّتِي فِي السَّمَاوَاتِ تَتَزَعْزَعُ. وَحِينَئِذٍ **يُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ آتِيًا فِي سَحَابٍ بِقُوَّةٍ كَثِيرَةٍ وَمَجْدٍ، فَيُرْسِلُ حِينَئِذٍ مَلاَئِكَتَهُ** وَيَجْمَعُ مُخْتَارِيهِ مِنَ الأَرْبَعِ الرِّيَاحِ، مِنْ أَقْصَاءِ الأَرْضِ إِلَى أَقْصَاءِ السَّمَاءِ. فَمِنْ شَجَرَةِ التِّينِ تَعَلَّمُوا الْمَثَلَ: مَتَى صَارَ غُصْنُهَا رَخْصًا وَأَخْرَجَتْ أَوْرَاقًا، تَعْلَمُونَ أَنَّ الصَّيْفَ قَرِيبٌ. هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا، مَتَى رَأَيْتُمْ هذِهِ الأَشْيَاءَ صَائِرَةً، فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَرِيبٌ عَلَى الأَبْوَابِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: **لاَ يَمْضِي هذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ هذَا كُلُّهُ**. اَلسَّمَاءُ وَالأَرْضُ تَزُولاَنِ، وَلكِنَّ كَلاَمِي لاَ يَزُولُ. «**وَأَمَّا ذلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلاَ الابْنُ، إِلاَّ الآبُ**. أُنْظُرُوا! اِسْهَرُوا وَصَلُّوا، لأَنَّكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ مَتَى يَكُونُ الْوَقْتُ. كَأَنَّمَا إِنْسَانٌ مُسَافِرٌ تَرَكَ بَيْتَهُ، وَأَعْطَى عَبِيدَهُ السُّلْطَانَ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ عَمَلَهُ، وَأَوْصَى الْبَوَّابَ أَنْ يَسْهَرَ. اِسْهَرُوا إِذًا، لأَنَّكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ مَتَى يَأْتِي رَبُّ الْبَيْتِ، أَمَسَاءً، أَمْ نِصْفَ اللَّيْلِ، أَمْ صِيَاحَ الدِّيكِ، أَمْ صَبَاحًا. لِئَلاَّ يَأْتِيَ بَغْتَةً فَيَجِدَكُمْ نِيَامًا! وَمَا أَقُولُهُ لَكُمْ أَقُولُهُ لِلْجَمِيعِ: اسْهَرُوا»]. (مرقص 13: 24-37)

ولا بد أن نقر بروعة موعظة المسيح هنا ، فهو يدعو تلاميذه إلى العمل الدءوب واليقظة تحسبا ليوم القيامة الذى يمكن أن يأتى فى أى لحظة ، ويشعر المرء وهو يقرأ كلمات المسيح هنا بأنه يقرأ كلاما أنزله الله فعلا ، وهو من قبيل الحق الذى جاء القرآن مصدقا له. ولو خلا الإنجيل من التحريف لكان له شأن آخر لأنه كان فى الأصل كتابا أنزله الله مثل القرآن.

ومن هذا النص[223] نلاحظ أن **المسيحية تتفق مع الإسلام فى التبشير بيوم القيامة** الذى يضع نهاية للكون. كما **يتفق النص السابق مع الإسلام فى أنه لا أحد غير الله – ولا حتى المسيح– يعلم متى تقوم الساعة**. ولكن هناك اختلافا ، فالنص السابق يخبرنا أن المسيح سينزل يوم

[223]) وردت هذه الواقعة بلفظ مختلف بعض الشيء فى متى (24: 29-51) ولوقا (21: 25-36)

القيامة من السماء مع الملائكة ، وهذه الفكرة مذكورة فى موضع آخر حيث يقول المسيح: [لأَنَّ مَنِ اسْتَحَى بِي وَبِكَلاَمِي فِي هذَا الْجِيلِ الْفَاسِقِ الْخَاطِئِ، فَإِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَسْتَحِي بِهِ مَتَى جَاءَ بِمَجْدِ أَبِيهِ مَعَ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ»] (مرقص 8: 38). **ونزول المسيح مع الملائكة يوم القيامة أمر لا وجود له فى القرآن ولا السنة** ، فما المسيح إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، والقرآن يذكر فقط نزول الله: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} [البقرة: 210].

ملكوت السماوات

من أكثر المصطلحات انتشارا فى العهد الجديد مصطلح "ملكوت السماوات" الذى يشير إلى الحياة الآخرة. **فى بعض المواضع نقرأ أن ملكوت السماوات قد اقترب:** [وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ جَاءَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ يَكْرِزُ فِي بَرِّيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ قَائِلاً: «تُوبُوا، لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّماوَاتِ.] (متى 3: 1-2).

ويخبرنا المسيح أن ملكوت السماوات يفرض على الإنسان أن يتمتع ببصيرة نافذة كى يفرق بين الجيد والردىء والفانى والباقى ، ومن ثم يقدم التضحيات ، ويتنازل عما فى الدنيا من نعيم مقابل النعيم الأكبر فى يوم العدل الأعظم الذى يفرق بين الأخيار والأشرار:

[«أَيْضًا يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ كَنْزًا مُخْفىً فِي حَقْل، وَجَدَهُ إِنْسَانٌ فَأَخْفَاهُ. وَمِنْ فَرَحِهِ مَضَى وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ وَاشْتَرَى ذلِكَ الْحَقْلَ. أَيْضًا يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ إِنْسَانًا تَاجِرًا يَطْلُبُ لآلِئَ حَسَنَةً، فَلَمَّا وَجَدَ لُؤْلُؤَةً وَاحِدَةً كَثِيرَةَ الثَّمَنِ، مَضَى وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ وَاشْتَرَاهَا. أَيْضًا يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ شَبَكَةً مَطْرُوحَةً فِي الْبَحْرِ، وَجَامِعَةً مِنْ كُلِّ نَوْعٍ. فَلَمَّا امْتَلأَتْ أَصْعَدُوهَا عَلَى الشَّاطِئِ، وَجَلَسُوا وَجَمَعُوا الْجِيَادَ إِلَى أَوْعِيَةٍ، وَأَمَّا الأَرْدِيَاءُ فَطَرَحُوهَا خَارِجًا. هكَذَا يَكُونُ فِي انْقِضَاءِ الْعَالَمِ: يَخْرُجُ الْمَلاَئِكَةُ وَيُفْرِزُونَ الأَشْرَارَ مِنْ بَيْنِ الأَبْرَارِ، وَيَطْرَحُونَهُمْ فِي أَتُونِ النَّارِ»] (متى 13: 44-50)

[«يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ حَبَّةَ خَرْدَل أَخَذَهَا إِنْسَانٌ وَزَرَعَهَا فِي حَقْلِهِ، وَهِيَ أَصْغَرُ جَمِيعِ الْبُزُورِ. وَلكِنْ مَتَى نَمَتْ فَهِيَ أَكْبَرُ الْبُقُولِ، وَتَصِيرُ شَجَرَةً، حَتَّى إِنَّ طُيُورَ السَّمَاءِ تَأْتِي وَتَتَآوَى فِي

أَغْصَانِهَا». قَالَ لَهُمْ مَثَلاً آخَرَ: «يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ خَمِيرَةً أَخَذَتْهَا امْرَأَةٌ وَخَبَّأَتْهَا فِي ثَلاَثَةِ أَكْيَالِ دَقِيق حَتَّى اخْتَمَرَ الْجَمِيعُ»] (متى 13: 31-33).

ويخبرنا الإنجيل أيضا أن ملكوت السماوات سيكون حياة أبدية لا تنتهى:

[أَمَّا يَسُوعُ فَقَالَ: «دَعُوا الأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ لأَنَّ لِمِثْلِ هؤُلاَءِ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ». فَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ، وَمَضَى مِنْ هُنَاكَ. وَإِذَا وَاحِدٌ تَقَدَّمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، أَيَّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ **لِتَكُونَ لِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ؟»**] (متى 19: 14-16)

[«الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يَعْسُرُ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ!.... وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ بُيُوتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَدًا أَوْ حُقُولاً مِنْ أَجْلِ اسْمِي، يَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ **وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ**] (متى 19: 23-29)

وضرب المسيح مثلا يُظهر لماذا لا يتدخل الله تعالى فى الكون ليعاقب المذنبين ، ويقتلعهم من الوجود على الفور. والسبب هو أن العصاة يستحقون عقابا هائلا ، ولو أنزل الله عليهم مثل هذا العقاب فى الدنيا لهلك كل الناس ، صالِحهم وفاسدهم:

[«يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ إِنْسَانًا زَرَعَ زَرْعًا جَيِّدًا فِي حَقْلِهِ. وَفِيمَا النَّاسُ نِيَامٌ جَاءَ عَدُوُّهُ وَزَرَعَ زَوَانًا فِي وَسْطِ الْحِنْطَةِ وَمَضَى. فَلَمَّا طَلَعَ النَّبَاتُ وَصَنَعَ ثَمَرًا، حِينَئِذٍ ظَهَرَ الزَّوَانُ أَيْضًا. فَجَاءَ عَبِيدُ رَبِّ الْبَيْتِ وَقَالُوا لَهُ: يَا سَيِّدُ، أَلَيْسَ زَرْعًا جَيِّدًا زَرَعْتَ فِي حَقْلِكَ؟ فَمِنْ أَيْنَ لَهُ زَوَانٌ؟ فَقَالَ لَهُمْ: إِنْسَانٌ عَدُوٌّ فَعَلَ هذَا. فَقَالَ لَهُ الْعَبِيدُ: أَتُرِيدُ أَنْ نَذْهَبَ وَنَجْمَعَهُ؟ فَقَالَ: لاَ! لِئَلاَّ تَقْلَعُوا الْحِنْطَةَ مَعَ الزَّوَانِ وَأَنْتُمْ تَجْمَعُونَهُ. دَعُوهُمَا يَنْمِيَانِ كِلاَهُمَا مَعًا إِلَى الْحَصَادِ، وَفِي وَقْتِ الْحَصَادِ أَقُولُ لِلْحَصَّادِينَ: اجْمَعُوا أَوَّلاً الزَّوَانَ وَاحْزِمُوهُ حُزَمًا لِيُحْرَقَ، وَأَمَّا الْحِنْطَةَ فَاجْمَعُوهَا إِلَى مَخْزَنِي».... فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ تَلاَمِيذُهُ قَائِلِينَ: «فَسِّرْ لَنَا مَثَلَ زَوَانِ الْحَقْلِ». فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «اَلزَّارِعُ الزَّرْعَ الْجَيِّدَ هُوَ ابْنُ الإِنْسَانِ. وَالْحَقْلُ هُوَ الْعَالَمُ. وَالزَّرْعُ الْجَيِّدُ هُوَ بَنُو الْمَلَكُوتِ. وَالزَّوَانُ هُوَ بَنُو الشِّرِّيرِ. وَالْعَدُوُّ الَّذِي زَرَعَهُ هُوَ إِبْلِيسُ. **وَالْحَصَادُ هُوَ انْقِضَاءُ الْعَالَمِ**. وَالْحَصَّادُونَ هُمُ الْمَلاَئِكَةُ. فَكَمَا يُجْمَعُ الزَّوَانُ وَيُحْرَقُ بِالنَّارِ، هكَذَا يَكُونُ فِي انْقِضَاءِ هذَا الْعَالَمِ: يُرْسِلُ ابْنُ الإِنْسَانِ مَلاَئِكَتَهُ فَيَجْمَعُونَ مِنْ مَلَكُوتِهِ جَمِيعَ الْمَعَاثِرِ وَفَاعِلِي الإِثْمِ، وَيَطْرَحُونَهُمْ فِي أَتُونِ النَّارِ.] (متى 13: 24-42)

وقريب من هذا المعنى قول الله تعالى: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} [النحل: 61]

ومن خلال الإنجيل نعرف أن كلا من العذاب والنعيم فى ملكوت السماوات سيكون ماديا حسيا، وليس فقط ذا طابع روحى:

[«طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. طُوبَى لِلْحَزَانَى، لأَنَّهُمْ يَتَعَزَّوْنَ. طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ، لأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ. طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ إِلَى الْبِرِّ، لأَنَّهُمْ يُشْبَعُونَ. طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ، لأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ.] (متى 5: 3-7)

وفى هذه الآية الأخيرة نجد فى مملكة السماء شبعا بعد جوع ، وارتواء بعد عطش. ونجد كذلك رحمة. والرحمة هى النجاة من العذاب والألم. وكل هذه ألوان من الجزاء المادى تضاف إلى الجزاء الروحى.

وفى آية أخرى نلاحظ أن **الثواب فى ملكوت السماء سيكون من جنس ما زهد فيه المؤمن فى الدنيا ، والفرق بينهما فى المقدار** ، فما يوجد فى ملكوت السماء يبلغ مائة ضعف ما كان فى الدنيا:

[فَقَالَ يَسُوعُ لِتَلاَمِيذِهِ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يَعْسُرُ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ... وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ بُيُوتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَدًا أَوْ حُقُولاً مِنْ أَجْلِ اسْمِي، يَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ.] (متى 19: 23-29).

وفى إحدى الآيات يطلب المسيح من أحد الأغنياء أن يبيع أملاكه ، ويتصدق بها على الفقراء كى يكون له كنز فى الحياة الآخرة. وواضح من اللفظ والسياق أن الكنز هو ثروة أعظم ونعيم أكبر فى الجنة مقارنة بكل ما فى الدنيا:

[أَمَّا يَسُوعُ فَقَالَ: «دَعُوا الأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ لأَنَّ لِمِثْلِ هؤُلاَءِ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ».... وَإِذَا وَاحِدٌ تَقَدَّمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، أَيَّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ **لِتَكُونَ لِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ؟»** .... قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً فَاذْهَبْ وَبعْ أَمْلاَكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، **فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ».**] (متى 19: 14-21)

وفى آية أخرى يذكر المسيح أن ملكوت السماوات سيتضمن ظلاما مخيفا وبكاء وصريرا للأسنان كعقاب لبنى الملكوت (أى اليهود الذين كفروا بعيسى). وصرير الأسنان هو قيام المرء بالضغط على أسنانه من الغضب.

[وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِب وَيَتَّكِئُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، وَأَمَّا بَنُو الْمَلَكُوتِ **فَيُطْرَحُونَ إِلَى الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ».**] (متى 8: 11-12)

ويأتى ذكر البكاء وصرير الأسنان فى موضع آخر ، ولكن يضاف هذه المرة أن المجرم سترتبط يديه ورجليه قبل أن يطرح فى الظلمة:

[«يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ إِنْسَانًا مَلِكًا صَنَعَ عُرْسًا لابْنِهِ، وَأَرْسَلَ عَبِيدَهُ لِيَدْعُوا الْمَدْعُوِّينَ إِلَى الْعُرْسِ، فَلَمْ يُرِيدُوا أَنْ يَأْتُوا.... فَامْتَلأَ الْعُرْسُ مِنَ الْمُتَّكِئِينَ. فَلَمَّا دَخَلَ الْمَلِكُ لِيَنْظُرَ الْمُتَّكِئِينَ، رَأَى هُنَاكَ إِنْسَانًا لَمْ يَكُنْ لاَبِسًا لِبَاسَ الْعُرْسِ. فَقَالَ لَهُ: يَا صَاحِبُ، كَيْفَ دَخَلْتَ إِلَى هُنَا وَلَيْسَ عَلَيْكَ لِبَاسُ الْعُرْسِ؟ فَسَكَتَ. حِينَئِذٍ قَالَ الْمَلِكُ لِلْخُدَّامِ: **ارْبُطُوا رِجْلَيْهِ وَيَدَيْهِ، وَخُذُوهُ وَاطْرَحُوهُ فِي الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ.**] (متى 22: 2-13)

وفى موضع آخر يُذكر بصراحة أن ملكوت السماء سيحتوى على نار يعذَّب فيها المجرمون والآثمون بواسطة الملائكة ، وفى هذه النار سيُسمع البكاء وصرير الأسنان:

[«يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ إِنْسَانًا زَرَعَ زَرْعًا جَيِّدًا فِي حَقْلِهِ....هكَذَا يَكُونُ فِي انْقِضَاءِ هذَا الْعَالَمِ: يُرْسِلُ ابْنُ الإِنْسَانِ مَلاَئِكَتَهُ فَيَجْمَعُونَ مِنْ مَلَكُوتِهِ جَمِيعَ الْمَعَاثِرِ وَفَاعِلِي الإِثْمِ، وَيَطْرَحُونَهُمْ فِي أَتُونِ النَّارِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ] (متى 13: 24-42)

وفى موضع آخر يقوم المسيح بصراحة بالتحذير من نار جهنم الأبدية التى يُلقى فيها العصاة:

[فِي تِلْكَ السَّاعَةِ تَقَدَّمَ التَّلاَمِيذُ إِلَى يَسُوعَ قَائِلِينَ: «فَمَنْ هُوَ أَعْظَمُ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ؟».....فَإِنْ أَعْثَرَتْكَ يَدُكَ أَوْ رِجْلُكَ فَاقْطَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَعْرَجَ أَوْ أَقْطَعَ **مِنْ أَنْ تُلْقَى فِي النَّارِ الأَبَدِيَّةِ** وَلَكَ يَدَانِ أَوْ رِجْلاَنِ. وَإِنْ أَعْثَرَتْكَ عَيْنُكَ فَاقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَعْوَرَ مِنْ أَنْ **تُلْقَى فِي جَهَنَّمِ النَّارِ** وَلَكَ عَيْنَانِ.] (متى 18: 1-9).

وفى الإنجيل يوجد إضافة إلى الجزاء المادى جزاء روحى ؛ ففى إحدى الآيات نجد وعدا للحزانى بالعزاء ، ووعدا لصانعى السلام بالفوز بلقب "أبناء الله" ، كما أن الأنقياء القلب سيشاهدون الله. كما نجد وعدا للمطرودين وللمساكين ولمن تعرضوا للسخرية والمعايرة والاتهام بأن يعوضوا ويفرحوا ويفوزوا فى ملكوت السماوات:

[«**طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ**، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. **طُوبَى لِلْحَزَانَى، لأَنَّهُمْ يَتَعَزَّوْنَ.** طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ، لأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ. طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ إِلَى الْبِرِّ، لأَنَّهُمْ يُشْبَعُونَ. طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ، لأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ. **طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ. طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ، لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللهِ يُدْعَوْنَ.** طُوبَى لِلْمَطْرُودِينَ مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. **طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شِرِّيرَةٍ**، مِنْ أَجْلِي، كَاذِبِينَ. اِفْرَحُوا وَتَهَلَّلُوا، لأَنَّ أَجْرَكُمْ عَظِيمٌ فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُمْ هكَذَا طَرَدُوا الأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ.] (متى 5: 3-12)

وفى موضع آخر يذكر المسيح لتلاميذه الثواب الروحى الذى سيحصلون عليه فى ملكوت السماء نظير تضحياتهم فى الدنيا ، فهم سيكونون رؤساء وقضاة على بنى إسرائيل فى يوم القيامة ، كما يذكر أنه فى ملكوت السماوات ستنقلب الأحوال ، ويصبح المؤمنون الصغار كبارا ، بينما يصير العصاة الكبار صغارا:

[فَقَالَ يَسُوعُ لِتَلاَمِيذِهِ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يَعْسُرُ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ!.... فَأَجَابَ بُطْرُسُ حِينَئِذٍ وَقَالَ لَهُ: «هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ. فَمَاذَا يَكُونُ لَنَا؟» فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الَّذِينَ تَبِعْتُمُونِي، فِي التَّجْدِيدِ، مَتَى جَلَسَ ابْنُ الإِنْسَانِ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ، تَجْلِسُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ كُرْسِيًّا تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الاثْنَيْ عَشَرَ..... وَلكِنْ كَثِيرُونَ أَوَّلُونَ يَكُونُونَ آخِرِينَ، وَآخِرُونَ أَوَّلِينَ.] (متى 19: 23-30).

ومن مظاهر السعادة الروحة فى ملكوت السماوات أن الصالحين سيكونون فى صحبة الأنبياء مثل إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، أما المجرمون فيطردون إلى الظلام:

[وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ وَيَتَّكِئُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، وَأَمَّا بَنُو الْمَلَكُوتِ فَيُطْرَحُونَ إِلَى الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ».] (متى 8: 11-12)

وقوله (بنو الملكوت) فى الآية السابقة يقصد به اليهود الذين كانوا فى الدنيا يظنون أنهم أبناء ملكوت الله، وأن غيرهم من الأمم هم الخاسرون.

وملكوت السماوات وقته مجهول ، فلا أحد يعرف متى يأتى إلا الله وحده:

[«حِينَئِذٍ يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ عَشْرَ عَذَارَى، أَخَذْنَ مَصَابِيحَهُنَّ وَخَرَجْنَ لِلِقَاءِ الْعَرِيسِ.... فَاسْهَرُوا إِذًا لأَنَّكُمْ لاَ تَعْرِفُونَ الْيَوْمَ وَلاَ السَّاعَةَ الَّتِي يَأْتِي فِيهَا ابْنُ الإِنْسَانِ] (متى 25: 1-13)

وملكوت السماء سيفوز به الناس بعملهم الصالح ، وليس بمناصبهم الدينية أو شهرتهم:

[فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هذِهِ الْوَصَايَا الصُّغْرَى وَعَلَّمَ النَّاسَ هكَذَا، يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ، فَهذَا يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ إِنْ لَمْ يَزِدْ بِرُّكُمْ عَلَى الْكَتَبَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ لَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّماوَاتِ] (متى 5: 19-20)

[«لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَارَبُّ، يَارَبُّ! يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. كَثِيرُونَ سَيَقُولُونَ لِي فِي ذلِكَ الْيَوْمِ: يَارَبُّ، يَارَبُّ! أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنَبَّأْنَا، وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ، وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟ فَحِينَئِذٍ أُصَرِّحُ لَهُمْ: إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الإِثْمِ!] (متى 7: 21-23)

ملكوت الله

فى العهد الجديد مصطلح آخر هو "ملكوت الله" ، وهو يشير أيضا إلى الآخرة ، فالآخرة هى مملكة الله. وإذا كانت الدنيا تنقسم إلى ممالك ، كل منها يحكمه ملك ، فإن لله مملكة عظمى أكبر من كل ما عند ملوك الدنيا ، لا يشاركه فى حكمها أحد ، وهى تسمى "مملكة الله". وعلى ذلك فمصطلح "ملكوت السماوات" يرادف مصطلح "ملكوت الله". وقد ورد مصطلح "ملكوت الله" فى العهد الجديد 41 مرة ، ومن أمثلة ذلك:

- **[فَلاَ تَهْتَمُّوا قَائِلِينَ: مَاذَا نَأْكُلُ؟ أَوْ مَاذَا نَشْرَبُ؟** أَوْ مَاذَا نَلْبَسُ؟ فَإِنَّ هذِهِ كُلَّهَا تَطْلُبُهَا الأُمَمُ. لأَنَّ أَبَاكُمُ السَّمَاوِيَّ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هذِهِ كُلِّهَا. **لكِنِ اطْلُبُوا أَوَّلاً مَلَكُوتَ اللهِ وَبِرَّهُ، وَهذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ].** (متى 6: 31-33)

- [وَأَقُولُ لَكُمْ أَيْضًا: إِنَّ مُرُورَ جَمَل مِنْ ثَقْب إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ **يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ!»]** (متى 19: 24)
- [وَإِنْ أَعْثَرَتْكَ عَيْنُكَ فَاقْلَعْهَا. خَيْرٌ لَكَ أَنْ **تَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ** أَعْوَرَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ عَيْنَانِ **وَتُطْرَحَ فِي جَهَنَّمَ النَّارِ**] (مرقص 9: 47)
- [وَقَالَ: «**هكَذَا مَلَكُوتُ اللهِ:** كَأَنَّ إِنْسَانًا يُلْقِي الْبِذَارَ عَلَى الأَرْضِ، وَيَنَامُ وَيَقُومُ لَيْلاً وَنَهَارًا، وَالْبِذَارُ يَطْلُعُ وَيَنْمُو، وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ كَيْفَ.... «**بِمَاذَا نُشَبِّهُ مَلَكُوتَ اللهِ؟** أَوْ بِأَيِّ مَثَل نُمَثِّلُهُ؟ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَل، مَتَى زُرِعَتْ فِي الأَرْضِ فَهِيَ أَصْغَرُ جَمِيعِ الْبُزُورِ الَّتِي عَلَى الأَرْضِ. وَلكِنْ مَتَى زُرِعَتْ تَطْلُعُ وَتَصِيرُ أَكْبَرَ جَمِيعِ الْبُقُولِ، وَتَصْنَعُ أَغْصَانًا كَبِيرَةً»] (مرقص 4: 26-32)

يوم الرب

تكرر مصطلح "يوم الرب" فى عدة مواضع من العهد الجديد ، وهو يعنى يوم القيامة. والفرق بين يوم الرب و"ملكوت السماوات" هو أن يوم الرب يعتبر البداية التى يعقبها ملكوت السماوات. يوم الرب هو يوم خراب العالم الذى تتلوه الحياة الآخرة بما فيها من نعيم وجحيم؟ وعلى ذلك فيوم الرب يناظر مصطلح "الساعة" فى القرآن ، بينما يناظر مصطلح "ملكوت السماوات" مصطلح "الآخرة". ومصطلح يوم الرب ليس جديدا ، فقد سبق أن قابلناه فى العهد القديم. ولا اختلاف بين مدلول المصطلح فى العهد القديم والجديد إلا أن بولس يسميه فى موضعين[224] "يوم الرب يسوع"، وذلك لأن بولس كما نعرف سرق لقب "الرب" من الله ، ومنحه ليسوع ، فأصبح هناك إله فى السماء اسمه الله ، ورب اسمه يسوع ابن الله.

وفى سفر أعمال الرسل استخدم بطرس مصطلح يوم الرب لما شاهد نزول الروح القدس على جمهور المسيحيين ، واكتسابهم للقدرة على التكلم بلغات أجنبية ، ففهم من ذلك أن هذا هو تفسير ما ورد فى سفر يوئيل:

[وَامْتَلأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَابْتَدَأُوا يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ أُخْرَى كَمَا أَعْطَاهُمُ الرُّوحُ أَنْ يَنْطِقُوا.....لأَنَّ هؤُلاَءِ لَيْسُوا سُكَارَى كَمَا أَنْتُمْ تَظُنُّونَ، لأَنَّهَا السَّاعَةُ الثَّالِثَةُ مِنَ النَّهَارِ. بَلْ هذَا مَا قِيلَ بِيُوئِيلَ النَّبِيِّ. يَقُولُ اللهُ: وَيَكُونُ فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ أَنِّي أَسْكُبُ مِنْ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ،

[224] رسَالَةُ بُولُسَ الأُولَى إِلَى أَهْلِ كُورِنْثُوس 5:5 ، و رسَالَةُ بُولُسَ الثَّانِيةُ إِلَى أَهْلِ كُورِنْثُوس 1: 14

فَيَتَنَبَّأُ بَنُوكُمْ وَبَنَاتُكُمْ، وَيَرَى شَبَابُكُمْ رُؤًى وَيَحْلُمُ شُيُوخُكُمْ أَحْلاَمًا. وَعَلَى عَبِيدِي أَيْضًا وَإِمَائِي أَسْكُبُ مِنْ رُوحِي فِي تِلْكَ الأَيَّامِ فَيَتَنَبَّأُونَ. وَأُعْطِي عَجَائِبَ فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَآيَاتٍ عَلَى الأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ: دَمًا وَنَارًا وَبُخَارَ دُخَانٍ. تَتَحَوَّلُ الشَّمْسُ إِلَى ظُلْمَةٍ وَالْقَمَرُ إِلَى دَمٍ، قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ يَوْمُ الرَّبِّ الْعَظِيمُ الشَّهِيرُ]. (أعمال الرسل: 2: 4– 20)

وفى موضع آخر تكلم بولس عن يوم الرب ، فقال أنه سيأتى فجأة كما يقتحم اللص البيت فى غفلة من أهله. وفى الوقت الذى سيظن فيه الناس أنهم فى سلام وأمان سيأتى يوم الرب ، فيهلكهم جميعا:

[وَأَمَّا الأَزْمِنَةُ وَالأَوْقَاتُ فَلاَ حَاجَةَ لَكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكُمْ عَنْهَا، لأَنَّكُمْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بِالتَّحْقِيقِ أَنَّ **يَوْمَ الرَّبِّ كَلِصٍّ فِي اللَّيْلِ** هكَذَا يَجِيءُ. لأَنَّهُ **حِينَمَا يَقُولُونَ: «سَلاَمٌ وَأَمَانٌ»، حِينَئِذٍ يُفَاجِئُهُمْ هَلاَكٌ بَغْتَةً**، كَالْمَخَاضِ لِلْحُبْلَى، فَلاَ يَنْجُونَ] (رِسَالَةُ بُولُسَ الأُولَى إِلَى أَهْلِ تَسَالُونِيكِي 5: 1–3)

وفى إحدى رسائل بطرس نجده يشير إلى أن بعض الناس يظنون أن يوم الرب قد تأخر ، ولكن الحقيقة أن الزمن عند الله ليس كالزمن عند الناس ، وأن الله تعالى يصبر على الناس لعلهم يتوبون، وحتما سيأتى يوم الرب بشكل مفاجىء ، فيقع فى الكون دمار شامل:

[أَنَّ يَوْمًا وَاحِدًا عِنْدَ الرَّبِّ كَأَلْفِ سَنَةٍ، وَأَلْفَ سَنَةٍ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ. **لاَ يَتَبَاطَأُ الرَّبُّ عَنْ وَعْدِهِ كَمَا يَحْسِبُ قَوْمٌ التَّبَاطُؤَ، لكِنَّهُ يَتَأَنَّى عَلَيْنَا**، وَهُوَ لاَ يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ، بَلْ أَنْ يُقْبِلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ. وَلكِنْ سَيَأْتِي كَلِصٍّ فِي اللَّيْلِ، **يَوْمُ الرَّبِّ**، الَّذِي فِيهِ **تَزُولُ السَّمَاوَاتُ بِضَجِيجٍ، وَتَنْحَلُّ الْعَنَاصِرُ مُحْتَرِقَةً، وَتَحْتَرِقُ الأَرْضُ وَالْمَصْنُوعَاتُ الَّتِي فِيهَا**..... فَبِمَا أَنَّ هذِهِ كُلَّهَا تَنْحَلُّ، أَيَّ أُنَاسٍ يَجِبُ أَنْ تَكُونُوا أَنْتُمْ فِي سِيرَةٍ مُقَدَّسَةٍ وَتَقْوَى؟ مُنْتَظِرِينَ وَطَالِبِينَ سُرْعَةَ **مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ**، الَّذِي بِهِ **تَنْحَلُّ السَّمَاوَاتُ مُلْتَهِبَةً، وَالْعَنَاصِرُ مُحْتَرِقَةً تَذُوبُ**. وَلكِنَّنَا بِحَسَبِ وَعْدِهِ **نَنْتَظِرُ سَمَاوَاتٍ جَدِيدَةً، وَأَرْضًا جَدِيدَةً، يَسْكُنُ فِيهَا الْبِرُّ**]. (رسالة بطرس الثانية 3: 8–13)

وفى مقدمة سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى ورد مصطلح يوم الرب الذى ذكر يوحنا أنه عاين أحداثه بطريقة روحية ، أى بحلول الروح القدس عليه. وقد قال فى بداية سفره:

[أَنَا يُوحَنَّا أَخُوكُمْ وَشَرِيكُكُمْ فِي الضِّيقَةِ وَفِي مَلَكُوتِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَصَبْرِهِ. كُنْتُ فِي الْجَزِيرَةِ الَّتِي تُدْعَى بَطْمُسَ مِنْ أَجْلِ كَلِمَةِ اللهِ ، وَمِنْ أَجْلِ شَهَادَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. كُنْتُ **فِي الرُّوحِ فِي يَوْمِ الرَّبِّ** ، وَسَمِعْتُ وَرَائِي صَوْتًا عَظِيمًا كَصَوْتِ بُوقٍ...] (رؤيا يوحنا اللاهوتى 1: 9-10)

اقتراب الساعة

يتفق العهد الجديد مع القرآن فى التأكيد على اقتراب يوم القيامة ؛ يقول يسوع: «تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ» [متى 17:4 ، ومتى 3: 2]. وقال لتلاميذه: (اكْرِزُوا قَائِلِينَ: إِنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ) [متى 10-7]. وبالمثل قال تعالى فى القرآن الكريم: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ} [الأنبياء: 1]. وقد سمى القرآن القيامة ب "الآزفة" ، وهو وصف بمعنى القريبة.

ومع ذلك فقد وقع الإنجيل فى خطأ فادح ، إذ أكد المسيح أن القيامة ستقوم قبل أن يمضى الجيل الذى يضم تلاميذه الذين كان يتكلم معهم فى تلك اللحظة: [لاَ يَمْضِي هذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ هذَا كُلُّهُ] (متى 24: 34) ، **ولكن مات كل التلاميذ دون أن تقوم القيامة** ، وهذا يدل أن هذه العبارة دخيلة على الإنجيل ، وهى من قبيل التحريف.

وقد تكرر نفس الوعد الكاذب بصيغة قاطعة فى موضع آخر ، حيث قال يسوع: [«اُنْظُرُوا إِلَى شَجَرَةِ التِّينِ وَكُلِّ الأَشْجَارِ. مَتَى أَفْرَخَتْ تَنْظُرُونَ وَتَعْلَمُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَنَّ الصَّيْفَ قَدْ قَرُبَ. هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا، مَتَى رَأَيْتُمْ هذِهِ الأَشْيَاءَ صَائِرَةً، فَاعْلَمُوا أَنَّ **مَلَكُوتَ اللهِ قَرِيبٌ**. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: **إِنَّهُ لاَ يَمْضِي هذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ**. اَلسَّمَاءُ وَالأَرْضُ تَزُولاَنِ، وَلكِنَّ كَلاَمِي لاَيَزُولُ.**]** (لوقا 21: 29-33).

وفى موضع ثالث نسمع نفس التأكيد الكاذب ، حيث يقول المسيح أن بعض الحاضرين معه سيحضرون قيام الساعة: [«الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: **إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ ههُنَا قَوْمًا لاَ يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوْا مَلَكُوتَ اللهِ قَدْ أَتَى بِقُوَّةٍ**»] (مرقص 9: 1). فالحمد لله على نعمة القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

سفر الرؤيا

سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى هو أهم جزءِ فى الإنجيل يتكلم عن نهاية العالم. فى بداية السفر يقول يوحنا أنه سيروى الأحداث التى ستقع يوم القيامة ، وكان المرءِ يتوقع أن يكون محور الكلام كله عن يوم القيامة ، لكننا نجد بدلا من ذلك سردا مضطربا للأحداث ، **ففى البداية نقرأ عن حدوث كوارث كونية عظمى ، فنظن أنها القيامة ، لكننا نفاجأ بحدوث صراعات طاحنة بين قوى الخير وقوى الشر ، وتستغرق هذه الأحداث أكثر من ألف سنة. وفى نهاية السِّفر يأتى ذكر يوم القيامة الحقيقى بشكل موجز.**

يقول يوحنا فى البداية أنه سمع هاتفا يخبره أنه سيحدثه عن وقائع المستقبل ، وفى هذه اللحظة حل عليه الروح القدس ، فرأى ما سيكون فى نهاية العالم. وكلام يوحنا أشبه برؤيا تكثر فيها الرموز التى يتعذر كثيرا معرفة ما يناظرها فى الواقع.

تشمل أحداث نهاية العالم كما يخبرنا سفر الرؤيا حدوث الزلازل ، وذهاب نور الشمس ، وتحول القمر للون الأحمر ، وتساقط النجوم على الأرض ، وانشقاق الشمس ، وتزحزح الجبال ، وفرار الناس للاختباء من غضب الله والمسيح:

[وَنَظَرْتُ لَمَّا فَتَحَ الْخَتْمَ السَّادِسَ، وَإِذَا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَدَثَتْ، وَالشَّمْسُ صَارَتْ سَوْدَاءَ كَمِسْحٍ مِنْ شَعْرٍ، وَالْقَمَرُ صَارَ كَالدَّمِ، وَنُجُومُ السَّمَاءِ سَقَطَتْ إِلَى الأَرْضِ كَمَا تَطْرَحُ شَجَرَةُ التِّينِ سُقَاطَهَا إِذَا هَزَّتْهَا رِيحٌ عَظِيمَةٌ. وَالسَّمَاءُ انْفَلَقَتْ كَدَرْجٍ مُلْتَفّ، وَكُلُّ جَبَل وَجَزِيرَةٍ تَزَحْزَحَا مِنْ مَوْضِعِهِمَا. وَمُلُوكُ الأَرْضِ وَالْعُظَمَاءُ وَالأَغْنِيَاءُ وَالأُمَرَاءُ وَالأَقْوِيَاءُ وَكُلُّ عَبْدٍ وَكُلُّ حُرّ، أَخْفَوْا أَنْفُسَهُمْ فِي الْمَغَايِرِ وَفِي صُخُورِ الْجِبَالِ، وَهُمْ يَقُولُونَ لِلْجِبَالِ وَالصُّخُورِ: «اسْقُطِي عَلَيْنَا وَأَخْفِينَا عَنْ وَجْهِ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَعَنْ غَضَبِ الْخَرُوفِ، لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ يَوْمُ غَضَبِهِ الْعَظِيمُ. وَمَنْ يَسْتَطِيعُ الْوُقُوفَ؟»] (رؤيا 6: 12–17).

و(الخروف) فى هذه الآية يقصد به المسيح ، أما (الجالس على العرش) فهو الله.

وترد بعد ذلك بقليل أشكال أخرى من الكوارث التى تضرب الكون ، وهى تشمل رعود ، وبروق ، وبرد ، وحرائق ضخمة تبيد الأشجار والأعشاب ، وسقوط جبل محترق على البحر ، فيتحول البحر إلى دم ، وتغرق السفن ، وتموت الكائنات البحرية. ويسقط أيضا كوكب عظيم على

البحر، فيصير الماء مرا ، ويموت الناس بسبب الشرب منه. كما تُضرب الشمس والقمر والنجوم، ويحل الظلام:

[ثُمَّ أَخَذَ الْمَلاَكُ الْمِبْخَرَةَ وَمَلأَهَا مِنْ نَارِ الْمَذْبَحِ وَأَلْقَاهَا إِلَى الأَرْضِ، فَحَدَثَتْ أَصْوَاتٌ وَرُعُودٌ وَبُرُوقٌ وَزَلْزَلَةٌ. ثُمَّ إِنَّ السَّبْعَةَ الْمَلاَئِكَةَ الَّذِينَ مَعَهُمُ السَّبْعَةُ الأَبْوَاقُ تَهَيَّأُوا لِكَيْ يُبَوِّقُوا. فَبَوَّقَ الْمَلاَكُ الأَوَّلُ، فَحَدَثَ بَرَدٌ وَنَارٌ مَخْلُوطَانِ بِدَمٍ، وَأُلْقِيَا إِلَى الأَرْضِ، فَاحْتَرَقَ ثُلْثُ الأَشْجَارِ، وَاحْتَرَقَ كُلُّ عُشْبٍ أَخْضَرَ. ثُمَّ بَوَّقَ الْمَلاَكُ الثَّانِي، فَكَأَنَّ جَبَلاً عَظِيمًا مُتَّقِدًا بِالنَّارِ أُلْقِيَ إِلَى الْبَحْرِ، فَصَارَ ثُلْثُ الْبَحْرِ دَمًا. وَمَاتَ ثُلْثُ الْخَلاَئِقِ الَّتِي فِي الْبَحْرِ الَّتِي لَهَا حَيَاةٌ، وَأُهْلِكَ ثُلْثُ السُّفُنِ. ثُمَّ بَوَّقَ الْمَلاَكُ الثَّالِثُ، فَسَقَطَ مِنَ السَّمَاءِ كَوْكَبٌ عَظِيمٌ مُتَّقِدٌ كَمِصْبَاحٍ، وَوَقَعَ عَلَى ثُلْثِ الأَنْهَارِ وَعَلَى يَنَابِيعِ الْمِيَاهِ. وَاسْمُ الْكَوْكَبِ يُدْعَى «الأَفْسَنْتِينُ». فَصَارَ ثُلْثُ الْمِيَاهِ أَفْسَنْتِينًا، وَمَاتَ كَثِيرُونَ مِنَ النَّاسِ مِنَ الْمِيَاهِ لأَنَّهَا صَارَتْ مُرَّةً. ثُمَّ بَوَّقَ الْمَلاَكُ الرَّابِعُ، فَضُرِبَ ثُلْثُ الشَّمْسِ وَثُلْثُ الْقَمَرِ وَثُلْثُ النُّجُومِ، حَتَّى يُظْلِمَ ثُلْثُهُنَّ، وَالنَّهَارُ لاَ يُضِيءُ ثُلْثُهُ، وَاللَّيْلُ كَذلِكَ»] (رؤيا 8: 5– 12).

وفى خضم أحداث دمار العالم ستقوم الملائكة بالتمهل ، وتنتظر حتى يتم وضع علامات على جباه اليهود المؤمنين بالمسيح حتى لا يلحق بهم الهلاك:

[وَبَعْدَ هذَا رَأَيْتُ أَرْبَعَةَ مَلاَئِكَةٍ وَاقِفِينَ عَلَى أَرْبَعِ زَوَايَا الأَرْضِ، مُمْسِكِينَ أَرْبَعَ رِيَاحِ الأَرْضِ لِكَيْ لاَ تَهُبَّ رِيحٌ عَلَى الأَرْضِ، وَلاَ عَلَى الْبَحْرِ، وَلاَ عَلَى شَجَرَةٍ مَا. وَرَأَيْتُ مَلاَكًا آخَرَ طَالِعًا مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ مَعَهُ خَتْمُ اللهِ الْحَيِّ، فَنَادَى بِصَوْتٍ عَظِيمٍ إِلَى الْمَلاَئِكَةِ الأَرْبَعَةِ، الَّذِينَ أُعْطُوا أَنْ يَضُرُّوا الأَرْضَ وَالْبَحْرَ، قَائِلاً: **«لاَ تَضُرُّوا الأَرْضَ وَلاَ الْبَحْرَ وَلاَ الأَشْجَارَ، حَتَّى نَخْتِمَ عَبِيدَ إِلهِنَا عَلَى جِبَاهِهِمْ»**. وَسَمِعْتُ عَدَدَ الْمَخْتُومِينَ مِئَةً وَأَرْبَعَةً وَأَرْبَعِينَ أَلْفًا، مَخْتُومِينَ مِنْ كُلِّ سِبْطٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ] (رؤيا 7: 1–4).

ولن يكون أهل الحق فى الآخرة من اليهود وحدهم ، بل سيكون معهم كثير من المؤمنين من كل الشعوب ممن آمنوا بالمسيح:

[بَعْدَ هذَا نَظَرْتُ وَإِذَا جَمْعٌ كَثِيرٌ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَعُدَّهُ، **مِنْ كُلِّ الأُمَمِ وَالْقَبَائِلِ وَالشُّعُوبِ وَالأَلْسِنَةِ**، وَاقِفُونَ أَمَامَ الْعَرْشِ وَأَمَامَ الْخَرُوفِ، مُتَسَرْبِلِينَ بِثِيَابٍ بِيضٍ وَفِي أَيْدِيهِمْ سَعَفُ النَّخْلِ

10 وَهُمْ يَصْرُخُونَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلِينَ: «الْخَلاَصُ لإِلهِنَا الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَلِلْخَرُوفِ»] (رؤيا 7: 9- 10)

والمؤمنون من هذه الشعوب سيجدون عند الله الخير ، فلن يجوعوا ، ولن يعطشوا ، ولن يصيبهم حر الشمس ، وسيمسح الله عنهم دموعهم ويواسيهم:

[«هؤُلاَءِ هُمُ الَّذِينَ أَتَوْا مِنَ الضِّيقَةِ الْعَظِيمَةِ، وَقَدْ غَسَّلُوا ثِيَابَهُمْ وَبَيَّضُوا ثِيَابَهُمْ فِي دَمِ الْخَرُوفِ مِنْ أَجْلِ ذلِكَ هُمْ أَمَامَ عَرْشِ اللهِ، وَيَخْدِمُونَهُ نَهَارًا وَلَيْلاً فِي هَيْكَلِهِ، وَالْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ يَحِلُّ فَوْقَهُمْ. لَنْ يَجُوعُوا بَعْدُ، وَلَنْ يَعْطَشُوا بَعْدُ، وَلاَ تَقَعُ عَلَيْهِمِ الشَّمْسُ وَلاَ شَيْءٌ مِنَ الْحَرِّ، لأَنَّ الْخَرُوفَ الَّذِي فِي وَسَطِ الْعَرْشِ يَرْعَاهُمْ، وَيَقْتَادُهُمْ إِلَى يَنَابِيعِ مَاءٍ حَيَّةٍ، وَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ»] (رؤيا 7: 14-17).

ويواصل سفر الرؤيا رواية أحداث النهاية ، فيقول:

[ثُمَّ بَوَّقَ الْمَلاَكُ الْخَامِسُ، **فَرَأَيْتُ كَوْكَبًا قَدْ سَقَطَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ**، وَأُعْطِيَ مِفْتَاحَ بِئْرِ الْهَاوِيَةِ. فَفَتَحَ بِئْرَ الْهَاوِيَةِ، **فَصَعِدَ دُخَانٌ مِنَ الْبِئْرِ** كَدُخَانِ أَتُونٍ عَظِيمٍ، **فَأَظْلَمَتِ الشَّمْسُ** وَالْجَوُّ مِنْ دُخَانِ الْبِئْرِ. **وَمِنَ الدُّخَانِ خَرَجَ جَرَادٌ عَلَى الأَرْضِ**، فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا كَمَا لِعَقَارِبِ الأَرْضِ سُلْطَانٌ. وَقِيلَ لَهُ أَنْ لاَ يَضُرَّ عُشْبَ الأَرْضِ، وَلاَ شَيْئًا أَخْضَرَ وَلاَ شَجَرَةً مَا، **إِلاَّ النَّاسَ فَقَطِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ خَتْمُ اللهِ عَلَى جِبَاهِهِمْ**. وَأُعْطِيَ أَنْ لاَ يَقْتُلَهُمْ بَلْ أَنْ **يَتَعَذَّبُوا خَمْسَةَ أَشْهُرٍ. وَعَذَابُهُ كَعَذَابِ عَقْرَبٍ** إِذَا لَدَغَ إِنْسَانًا. وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ سَيَطْلُبُ النَّاسُ الْمَوْتَ وَلاَ يَجِدُونَهُ، وَيَرْغَبُونَ أَنْ يَمُوتُوا فَيَهْرُبُ الْمَوْتُ مِنْهُمْ.... ثُمَّ بَوَّقَ الْمَلاَكُ السَّادِسُ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا وَاحِدًا مِنْ أَرْبَعَةِ قُرُونِ مَذْبَحِ الذَّهَبِ الَّذِي أَمَامَ اللهِ، قَائِلاً لِلْمَلاَكِ السَّادِسِ الَّذِي مَعَهُ الْبُوقُ: «فُكَّ الأَرْبَعَةَ الْمَلاَئِكَةَ الْمُقَيَّدِينَ عِنْدَ النَّهْرِ الْعَظِيمِ الْفُرَاتِ». فَانْفَكَّ الأَرْبَعَةُ الْمَلاَئِكَةُ الْمُعَدُّونَ لِلسَّاعَةِ وَالْيَوْمِ وَالشَّهْرِ وَالسَّنَةِ، **لِكَيْ يَقْتُلُوا ثُلْثَ النَّاسِ.... وَأَمَّا بَقِيَّةُ النَّاسِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا بِهذِهِ الضَّرَبَاتِ، فَلَمْ يَتُوبُوا عَنْ أَعْمَالِ أَيْدِيهِمْ**، حَتَّى لاَ يَسْجُدُوا لِلشَّيَاطِينِ وَأَصْنَامِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنُّحَاسِ وَالْحَجَرِ وَالْخَشَبِ الَّتِي لاَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُبْصِرَ وَلاَ تَسْمَعَ وَلاَ تَمْشِيَ، وَلاَ تَابُوا عَنْ قَتْلِهِمْ وَلاَ عَنْ سِحْرِهِمْ وَلاَ عَنْ زِنَاهُمْ وَلاَ عَنْ سَرِقَتِهِمْ] (رؤيا 9: 1-21).

وبدلا من أن يكمل سفر الرؤيا الكلام عن يوم القيامة نجده ينحرف عن مساره ليحدثنا عن صراعات شرسة تمتد لسنوات طويلة جدا بين أهل الحق وأهل الباطل على الأرض ، ومن قبيل

ذلك سيطرة الأمم الكافرة على مدينة أورشليم المقدسة لمدة 42 شهرا (ثلاث سنوات ونصف). وسيمنح الله تعالى النبوة والقوة والمعجزات لاثنين من الصالحين اللذين يصارعان الشيطان وأتباعه. ويستمر هذان النبيان فى القيام بالمعجزات والأذى للأشرار كمنع المطر وتحويل الماء لدم لعدة سنوات (1260 يوما) ، ثم يموتان بعدها ، وتلقى جثتيهما فى الشوارع لمدة ثلاثة أيام ، ثم يُحييهما الله ، ويُصعدهما إلى السماء (رؤيا 11: 3-14).

وسينزل الشيطان (الذى يرمز له بالتنين أو الحية القديمة) إلى الأرض بعد أن أخفق ميكائيل والملائكة فى التغلب عليه. وهذا التنين سيضل الناس من خلال **تأييد كائن قادم من البحر يسمى "الوحش"** الذى يكتسب من التنين (الشيطان) قوات عظيمة ومعجزات ، فيسجد كل سكان الأرض للتنين والوحش اللذين ينشران الكفر فى العالم. وتستمر سيادة الوحش على الأرض لمدة 42 شهرا حيث يمتد سلطانه إلى كل الأمم والشعوب بعد أن يصنع حروبا ضد المؤمنين ويغلبهم. ثم يقوم وحش ثان –يسمى "**النبى الكاذب**"– لتأييد الوحش الأول ودعوة الناس لعبادته ، وهذا الوحش الثانى يصنع هو الآخر معجزات[225].

ويقوم التنين والوحش والنبى الكاذب بجمع كل ملوك العالم لحرب المؤمنين فى معركة هرمجدون، فتنهزم قوى الشر ، وتسقط مدن الأمم الكافرة، ثم تسقط بابل مدينة الشر. وفى النهاية **يُقبض على الوحش والنبى الكذاب** (المتحالفين مع ملوك الأرض) ، ويُلقى الاثنان فى بحيرة النار والكبريت ، كما **يتم القبض على الشيطان** (التنين) ، **ويسجن لمدة ألف عام سعيدة** ، يملك فيها المسيح والمؤمنون به (بما فيهم من استشهدوا من أجله) العالم ، **وهذه هى القيامة الأولى** ، وهى لن تكون شاملة لأن كثيرا من الناس سيموتون قبلها ، ولن يكونوا مع المسيح فى هذه الألفية

225) يرى بعض مفسرى الكتاب المقدس مثل ألبرت بارنز أن الوحش يقصد به الإمبراطورية الرومانية القديمة فى شكلها العلمانى ، وأن الوحش الثانى أو النبى الكاذب هو رمز للسلطة البابوية لكنيسة روما التى تحالفت مع الامبراطورية الرومانية وأنقذتها وحالت دون سقوطها لما تعرضت حدودها للغزو من القوط والوندال (وسفر الرؤيا يرمز للتهديد الذى حاق بالامبراطورية الرومانية بموت أحد رءوس الوحش السبعة). وطبعا البروتستانت يتبنون هذا التفسير بسبب عدائهم المعروف للبابوية. وخلافا لذلك يرى جون جيل أن الامبراطورية الرومانية الوثنية التى اضطهدت المسيحيين ليست هى المقصودة بالوحش رغم ما بينهما من تشابه لأسباب منها أن اضطهاد النصارى سبقت الإشارة إليه على يد التنين الأحمر فى فقرة سابقة ، كما أن الامبراطورية الرومانية كانت موجودة قبل كتابة سفر الرؤيا الذى يتكلم عن وحش سيظهر فى المستقبل خارجا من البحر. يضاف إلى ذلك أن الوحش يستمد قوته من التنين (الشيطان) ، وهذا لا ينطبق على الامبراطورية الرومانية الوثنية التى استمدت قوتها من الله الذى طلب من المؤمنين فى الكتاب المقدس دائما أن يطيعوها. والأمر لا ينطبق بدرجة أكبر على الامبراطورية الرومانية بعد اعتناقها للمسيحية. أيا كانت الآراء فلا شك أن هناك غموضا كبيرا ، يصعب فك شفراته ، وسببه فى رأينا هو أن كثيرا مما ورد فى سفر الرؤيا ليس من وحى الله ، ولهذا كذبت نبوءاته أحيانا.

السعيدة. ومن يملكون مع المسيح فى هذه الألفية سينجون من الموت الثانى (نار جهنم) فى يوم القيامة الثانية أو الكبرى. ويقول سفر الرؤيا عن القيامة الأولى:

[وَرَأَيْتُ مَلاَكًا نَازِلاً مِنَ السَّمَاءِ مَعَهُ مِفْتَاحُ الْهَاوِيَةِ، وَسِلْسِلَةٌ عَظِيمَةٌ عَلَى يَدِهِ. فَقَبَضَ عَلَى التِّنِّينِ، الْحَيَّةِ الْقَدِيمَةِ، الَّذِي **هُوَ إِبْلِيسُ وَالشَّيْطَانُ، وَقَيَّدَهُ أَلْفَ سَنَةٍ، وَطَرَحَهُ فِي الْهَاوِيَةِ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ، وَخَتَمَ عَلَيْهِ لِكَيْ لاَ يُضِلَّ الأُمَمَ فِي مَا بَعْدُ، حَتَّى تَتِمَّ الأَلْفُ السَّنَةِ. وَبَعْدَ ذلِكَ لاَبُدَّ أَنْ يُحَلَّ زَمَانًا يَسِيرًا.** وَرَأَيْتُ عُرُوشًا فَجَلَسُوا عَلَيْهَا، وَأُعْطُوا حُكْمًا. وَرَأَيْتُ **نُفُوسَ الَّذِينَ قُتِلُوا** مِنْ أَجْلِ شَهَادَةِ يَسُوعَ وَمِنْ أَجْلِ كَلِمَةِ اللهِ، وَالَّذِينَ لَمْ يَسْجُدُوا لِلْوَحْشِ وَلاَ لِصُورَتِهِ، وَلَمْ يَقْبَلُوا السِّمَةَ عَلَى جِبَاهِهِمْ وَعَلَى أَيْدِيهِمْ، **فَعَاشُوا وَمَلَكُوا مَعَ الْمَسِيحِ أَلْفَ سَنَةٍ. وَأَمَّا بَقِيَّةُ الأَمْوَاتِ فَلَمْ تَعِشْ حَتَّى تَتِمَّ الأَلْفُ السَّنَةِ. هذِهِ هِيَ الْقِيَامَةُ الأُولَى.** مُبَارَكٌ وَمُقَدَّسٌ مَنْ لَهُ نَصِيبٌ فِي الْقِيَامَةِ الأُولَى. هؤُلاَءِ لَيْسَ **لِلْمَوْتِ الثَّانِي** سُلْطَانٌ عَلَيْهِمْ، بَلْ سَيَكُونُونَ كَهَنَةً للهِ وَالْمَسِيحِ، **وَسَيَمْلِكُونَ مَعَهُ أَلْفَ سَنَةٍ**] (رؤيا 20: 1-6).

وبعد انتهاء الألفية السعيدة سيخرج الشيطان من سجنه ، ويضل الأمم الكافرة ، ويأتى بيأجوج ومأجوج لحرب المؤمنين وحصار المدينة المقدسة أورشليم ، فتنزل نار من السماء لتأكلهم جميعا، ويُطرح إبليس مع الوحش والنبى الكذاب فى بحيرة النار والكبريت ليذوق العذاب الأبدى. وهذا هو **ما يمكن أن نسميه بالقيامة الكبرى** ، حيث يحيى الله كل الموتى ، ويقفون جميعا أمام ربهم ليحاسبهم على أعمالهم ، **فينجو كل من وجد اسمه مكتوبا فى "سفر الحياة"** ، أما العصاة والمذنبون فسيكون مصيرهم الموت ، الذى يسمى حينئذ "**الموت الثانى" ، وهو العذاب الأبدى فى بحيرة النار والكبريت (نار جهنم):**

[**ثُمَّ مَتَى تَمَّتِ الأَلْفُ السَّنَةِ يُحَلُّ الشَّيْطَانُ مِنْ سِجْنِهِ، وَيَخْرُجُ لِيُضِلَّ الأُمَمَ** الَّذِينَ فِي أَرْبَعِ زَوَايَا الأَرْضِ: **جُوجَ وَمَاجُوجَ، لِيَجْمَعَهُمْ لِلْحَرْبِ،** الَّذِينَ عَدَدُهُمْ مِثْلُ رَمْلِ الْبَحْرِ. فَصَعِدُوا عَلَى عَرْضِ الأَرْضِ، وَأَحَاطُوا بِمُعَسْكَرِ الْقِدِّيسِينَ **وَبِالْمَدِينَةِ الْمَحْبُوبَةِ،** فَنَزَلَتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ السَّمَاءِ وَأَكَلَتْهُمْ. وَإِبْلِيسُ الَّذِي كَانَ يُضِلُّهُمْ طُرِحَ فِي **بُحَيْرَةِ النَّارِ وَالْكِبْرِيتِ،** حَيْثُ الْوَحْشُ وَالنَّبِيُّ الْكَذَّابُ. **وَسَيُعَذَّبُونَ نَهَارًا وَلَيْلاً إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ.** ثُمَّ رَأَيْتُ عَرْشًا عَظِيمًا أَبْيَضَ، وَالْجَالِسَ عَلَيْهِ، الَّذِي مِنْ وَجْهِهِ هَرَبَتِ الأَرْضُ وَالسَّمَاءُ، وَلَمْ يُوجَدْ لَهُمَا مَوْضِعٌ! **وَرَأَيْتُ الأَمْوَاتَ صِغَارًا وَكِبَارًا وَاقِفِينَ أَمَامَ اللهِ، وَانْفَتَحَتْ أَسْفَارٌ، وَانْفَتَحَ سِفْرٌ آخَرُ هُوَ سِفْرُ الْحَيَاةِ، وَدِينَ الأَمْوَاتُ مِمَّا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي**

الأَسْفَارِ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ. وَسَلَّمَ الْبَحْرُ الأَمْوَاتَ الَّذِينَ فِيهِ، وَسَلَّمَ الْمَوْتُ وَالْهَاوِيَةُ الأَمْوَاتَ الَّذِينَ فِيهِمَا. وَدِينُوا كُلُّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِ. وَطُرِحَ الْمَوْتُ وَالْهَاوِيَةُ فِي **بُحَيْرَةِ النَّارِ. هذَا هُوَ الْمَوْتُ الثَّانِي.** وَكُلُّ مَنْ لَمْ يُوجَدْ مَكْتُوبًا فِي سِفْرِ الْحَيَاةِ **طُرِحَ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ.** (رؤيا 20: 7-15).

وستكون أحداث النهاية على أرض جديدة ، وتحت سماء جديدة ، وسيسكن الله إلى الأبد مع الصالحين فى مدينة أورشليم بعد أن تزينت ، ولن يكون هناك أى حزن ولا وجع ولا صراخ ، **أما الكفرة والسحرة والزناة والمجرمون فسيكون مصيرهم "الموت الثانى" ، أى العذاب فى بحيرة النار والكبريت (نار جهنم):**

[ثُمَّ رَأَيْتُ سَمَاءً جَدِيدَةً وَأَرْضًا جَدِيدَةً، لأَنَّ السَّمَاءَ الأُولَى وَالأَرْضَ الأُولَى مَضَتَا، وَالْبَحْرُ لاَ يُوجَدُ فِي مَا بَعْدُ. وَأَنَا يُوحَنَّا رَأَيْتُ الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ أُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُهَيَّأَةً كَعَرُوسٍ مُزَيَّنَةٍ لِرَجُلِهَا. وَسَمِعْتُ صَوْتًا عَظِيمًا مِنَ السَّمَاءِ قَائِلاً: «**هُوَذَا مَسْكَنُ اللهِ مَعَ النَّاسِ**، وَهُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْبًا، **وَاللهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِلهًا لَهُمْ. وَسَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ**، لأَنَّ الأُمُورَ الأُولَى قَدْ مَضَتْ».....وَأَمَّا الْخَائِفُونَ وَغَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالرَّجِسُونَ وَالْقَاتِلُونَ وَالزُّنَاةُ وَالسَّحَرَةُ وَعَبَدَةُ الأَوْثَانِ وَجَمِيعُ الْكَذَبَةِ، **فَنَصِيبُهُمْ فِي الْبُحَيْرَةِ الْمُتَّقِدَةِ بِنَارٍ وَكِبْرِيتٍ، الَّذِي هُوَ الْمَوْتُ الثَّانِي»]** (رؤيا: 21: 1-8).

وفى النهاية يشرق الله تعالى بنوره على المؤمنين الذين سيعيشون ملوكا إلى الأبد:

[وَأَرَانِي نَهْرًا صَافِيًا مِنْ مَاءِ حَيَاةٍ لاَمِعًا كَبَلُّورٍ، خَارِجًا مِنْ عَرْشِ اللهِ وَالْخَرُوفِ. فِي وَسَطِ سُوقِهَا وَعَلَى النَّهْرِ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَاكَ، **شَجَرَةُ حَيَاةٍ** تَصْنَعُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ ثَمَرَةً، وَتُعْطِي كُلَّ شَهْرٍ ثَمَرَهَا، **وَوَرَقُ الشَّجَرَةِ لِشِفَاءِ الأُمَمِ. وَلاَ تَكُونُ لَعْنَةٌ مَا فِي مَا بَعْدُ.** وَعَرْشُ اللهِ وَالْخَرُوفِ يَكُونُ فِيهَا، وَعَبِيدُهُ يَخْدِمُونَهُ. وَهُمْ سَيَنْظُرُونَ وَجْهَهُ، وَاسْمُهُ عَلَى جِبَاهِهِمْ. **وَلاَ يَكُونُ لَيْلٌ هُنَاكَ، وَلاَ يَحْتَاجُونَ إِلَى سِرَاجٍ أَوْ نُورِ شَمْسٍ، لأَنَّ الرَّبَّ الإِلهَ يُنِيرُ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ سَيَمْلِكُونَ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ]** (رؤيا 22: 1-5).

ويمكننا تلخيص أحداث نهاية العالم فى سفر الرؤيا كما يلى:

- وقوع كوارث كونية كبرى ودمار للأرض والنجوم والجبال.
- قيام صراع يمتد لسنوات طويلة جدا بين أهل الحق وأهل الباطل ، وتبلغ ذروته فى موقعة هرمجدون التى يصطف فيها التنين (الشيطان) والوحش والنبى الكاذب مع ملوك العالم الأشرار.
- تنهزم قوى الشر فى هرمجدون ، ويُلقى بالوحش والنبى الكاذب فى بحيرة النار والكبريت ، ويُسجن الشيطان، ويكون النصر للمسيح الذى يملك الأرض هو والمؤمنون به لمدة ألف عام.
- يخرج الشيطان من سجنه ، ويغرى يأجوج ومأجوج بالهجوم على المؤمنين فى أورشليم ، لكنه ينهزم وأتباعه ، وهنا تقوم القيامة الكبرى.
- فى القيامة الكبرى تكتب النجاة للمؤمنين الذين دونت أسماؤهم فى سفر الحياة ، بينما يذوق الموت الثانى العصاة والمجرمون الذين يعذبون فى بحيرة النار والكبريت (نار جهنم). كما تبدل الأرض والسماوات ، ويحيا الله وسط المؤمنين فى مدينة أورشليم فى سعادة غامرة إلى الأبد.

وفى رأينا أن **سفر الرؤيا تعرض للتلاعب والتحريف ، وأن الجزء الذى يتناول الصراع مع التنين والوحش والنبى الكاذب ثم الألفية السعيدة هو من تأليف بعض رجال الدين** الذين لا يطيقون – أو لا يطيق أتباعهم– صبرا على انتظار العدالة المطلقة يوم القيامة ، ويتوقون للحسم العاجل للصراع مع الشر على هذه الأرض. ولو حذف المرء الجزء المتعلق بهذا الصراع الدنيوى لصار السفر أكثر اتساقا لأنه بدأ بذكر كوارث ضخمة تشبه علامات الساعة الكبرى، واختتم بذكر يوم القيامة الحقيقى وما يعقبه من نعيم خالد وعذاب خالد. ولا يصح القول بأن الاضطراب الموجود فى سفر الرؤيا شىء متوقع بالنسبة للرؤى والأحلام التى تتضمن أخلاطا غير متجانسة من الأحداث. هذا لا يجوز لأن سفر الرؤيا يزعم أنه يقدم لنا تسلسلا زمنيا ، وترتيبا للأحداث واحدا وراء الآخر ، وأحيانا يذكر عدد السنوات والأيام بالضبط.

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

3- الآخرة فى البوذية

تنكر البوذية وجود آخرة بالشكل المعروف فى الإسلام والمسيحية. ترى البوذية أن **هذا الكون المادى لن تكون له نهاية ، ولن تعقبه حياة أخرى خالدة ، ولا جنة ولا نار بالمعنى التقليدى.** الكون المادى فى نظر البوذية خالد ، وإذا مات الإنسان فإنه يولد فى جسد آخر فى واحد من مستويات الوجود الكثيرة (كمستوى الإنسان والحيوان والآلهة والشياطين) ، ثم يموت، ثم يولد مرة ثالثة ، ورابعة ، وهكذا دواليك[226]. **وعلى الإنسان أن يفعل الخير لا لكى يحيا خالدا فى الجنة، ولا ليتقى عذاب النار الأبدى ، بل لينعم بالسعادة فى حياته الحالية ، وفى الحياة الجديدة التى سيولد فيها المرة القادمة.** ومن لا يحب أن يولد فى المرة القادمة فقيرا أو قبيحا أو مشلولا أو حيوانا أو شيطانا فعليه أن يفعل الخير فى حياته الحالية. **ومع ذلك فالهدف الأعظم للبوذية ليس مجرد الولادة فى عالم سعيد ، ولكنه الإيقاف الكامل لدورة الولادة المتكررة** ، وذلك من خلال الوصول لحالة الاستنارة الروحية (النيرفانا) ، لأن كل حياة – مهما كانت سعيدة– فهى تتضمن قدرا من الألم والمعاناة ، كما أنها ذات طبيعة مؤقتة ، ولا بد لها يوما من زوال [227].هذا باختصار هو موقف البوذية من الآخرة. ولكن هناك تفاصيل نراها فى غاية الأهمية للرد على مزاعم البوذية التى تقدم نفسها – ويقدمها العلمانيون فى بلادنا – على أنها واحدة من أرقى الأديان المعاصرة:

تخبرنا البوذية أن هناك 31 مستوى Planes أو مجالا أو شكلا من أشكال الوجود يمكن أن تولد فيها المخلوقات[228]. ويمكن تصنيف هذه المستويات كما يلى[229،230]:

1– مستويات الشقاء Duggati ، وهى تشمل 4 مستويات.

---

226) **What Buddhists Believe**. By K Sri Dhammananda. Page 145-153. Expanded 4th Edition. BUDDHIST MISSIONARY SOCIETY MALAYSIA. 2002.

227) **Fundamentals of Buddhism**. By Dr/ Peter D. Santina. Page 80. Buhdda Dharma Association Inc. Singapore. 1984. www.buddhanet.net.

228) يؤكد بوذا أن هذه المجالات التى يبغ عددها 31 لا توجد فقط فى عالمنا ، بل توجد فى ملايين أخرى من العوالم أو الأنساق التى لا نعرفها ، والتى يذكر البعض أن عددها مليون مليون عالم. انظر كتاب:

The thirty-one planes of existence. Ven. Suvanno Mahathera. Page 23. Buddha Dharma Education Association Inc. Printed in Conjunction with Kathina 2001. Malaysia. ISBN 983-9439-57-X. www.buddhanet.net

229) **The thirty-one planes of existence**. Page 21-52.

230) **Fundamentals of Buddhism**. By Dr/ Peter D. Santina. Page 94-100. Buhdda Dharma Association Inc. Singapore. 1984. www.buddhanet.net.

2- مستويات السعادة Sugati ، وهى تشمل 27 مستوى.

وقد أخبرنا بوذا أن من يفعل الخير فسيكافأ بالولادة فى واحد من المستويات السبعة والعشرين السعيدة ، أما من يفعل الشر فسيولد فى واحد من المستويات الأربع التعيسة المليئة بالويلات. ولكن حتى فى المجالات السعيدة فإن الناس يختلفون ، فبعضهم يضحك وبعضهم يبكى ، بعضهم غنى وبعضهم فقير ، وكل ذلك تبعا لأفعال الإنسان فى حياته السابقة.

كما يمكن تقسيم هذه المستويات ال 31 بطريقة أخرى إلى 1- العالم الحسى 2- العالم المادى اللطيف 3- العالم اللامادى:

أولا: العالم الحسى (Kama-loka):

وهو يتكون من 11 مستوى ، كما يلى:

- مستويات الشقاء الأربعة السفلية ، وهى تتضمن ألوانا من العذاب الحسى الذى **يشبه جهنم** المعروفة فى الإسلام.
- المستوى الخامس هو عالم البشر الذى نعيش فيه.
- ستة مستويات سماوية سعيدة يسكنها الآلهة ، وتوجد فوق مستوى البشر. ويقول البوذيون أنها **تناظر الجنة** التى تتكلم عنها الأديان الأخرى كالإسلام.

أ- **مستويات الشقاء الأربعة:**

1- **مستوى النار (جهنم):** يوجد فى البوذية من الجحيم ثمانية أنواع حارة ، وثمانية أنواع باردة. ويقال أن ثلاثمائة طعنة يتلقاها الإنسان بحربة فى جسده فى يوم واحد أقل من جزء صغير من العذاب الذى يلاقيه فى الجحيم. وسبب دخول مجال الجحيم يشمل قتل أحد الأبوين أو قتل شخص متنور أو إصابة البوذا أو خلق انقسام داخل جماعة الرهبان أو كثرة الشجار أو مضايقة الآخرين. ويستمر المرء فى الجحيم إلى أن يوفى جزاء كل أعماله الشريرة السابقة ، وحينئذ يولد مرة أخرى فى عالم أفضل نسبيا ، ففى البوذية لا يستمر العذاب إلى الأبد ، وينكر البوذيون بشكل قاطع أن يكون جحيمهم خالدا مثل جحيم الإسلام والمسيحية. ويقول

بوذا أن الإنسان حين يعلم قبيل وفاته أن المستوى الذى سيولد فيه المرة القادمة هو أحد المستويات الشقية فإنه يسارع إلى التوبة أملا فى تفادى المصير البائس ، لكن هيهات.

2- **مستوى الحيوان:** إن ولد المرء كحيوان فإنه سيقاسى الألم نتيجة تعرضه الدائم للهجوم والافتراس من الحيوانات الأخرى ، وتعرضه كذلك للصيد من الإنسان بغية أكله أو الانتفاع بجلده أو أسنانه. وحتى الحيوانات الأليفة تجبَر على خدمة الإنسان الذى يركبها أو يستخدمها فى حرث الأرض ورى الزرع. **وسبب الولادة كحيوان هو الاتصاف بالجهل** فى الحياة السابقة ، وذلك بأن يكون المرء قد أطلق العنان لشهوة الأكل والنوم والجنس ، متجاهلا تنمية عقله وعمل الفضائل.

3- **مستوى الأرواح الجائعة:** ومن يولد فى هذا المجال كروح جائع سيعانى من **الجوع والعطش والحر والبرد** ، وسيكون محروما من كل ما يرغب فيه. ويقال أن المخلوقات فى مستوى الأرواح الجائعة لها معدة كبيرة جدا وأفواه صغيرة جدا ، ولذا تراهم باستمرار فى حالة جوع. وحين يرى الروح الجائع جبلا من الأرز ويقترب منه يجده مجرد كومة من الحصى. وإن رأى نهرا من الماء العذب تقدم نحوه ليشرب ، فوجده مجرد شريط من صخر الإردواز. وسيكون طعامهم هناك -كما يذكر البعض[231]- من البول والبراز والصديد والدم. ويقال أيضا أنه فى الصيف سيكون حتى القمر حارا بالنسبة لهم، وفى الشتاء ستكون الشمس باردة! **وسبب الولادة فى هذا العالم اتصاف الإنسان بالطمع والجشع والسرقة** فى حياته السابقة. وبعد أن يكمل المرء تلقى العذاب كروح جائع ، سيولد مرة أخرى فى مستوى آخر أفضل.

4- **مستوى الأشورا (Asuras):** الأشورا هى أنصاف الآلهة أو الآلهة الشريرة. وأنصاف الآلة أكثر قوة وذكاء من الإنسان ، لكنهم يعانون من الغيرة ، وينخرطون فى صراعات لا تنتهى مع بعضهم البعض. ويقال أن كلا من "أنصاف الآلهة" و"الآلهة" يشتركون فى نفس الشجرة السماوية ، لكن الآلهة يتمتعون بثمار الشجرة ، أما أنصاف الآلهة فيقومون فقط برعاية جذورها. ولهذا تجد أنصاف الآلة يحقدون على الآلهة ، ويحاولون باستمرار اقتناص ثمار الشجرة منهم ، وينتهى الصراع دائما بهزيمة أنصاف الآلهة ، فيترتب على ذلك شعورهم

[231]) **Buddhism as Philosophy: An Introduction**. By Mark Siderits. Page 8. Ashgate Publishing Limited, UK. 2007

بالهزيمة والغيرة والحسد ، مما يسبب لهم الألم. وكما نرى فهذا المستوى من الوجود يتضمن كلا من السعادة والشقاء. **وسبب الولادة فى هذا المجال الاتصاف بصفة طيبة هى الكرم ، والاتصاف من ناحية أخرى بصفة الغضب والحسد.**

ب- <u>**مستوى البشر.**</u>

ج- <u>**مستويات الجنة**</u> **(Deva loka)**: وتشمل المستويات الستة (من السادس حتى الحادى عشر) التى تعلو مستوى البشر داخل نطاق العالم الحسى ، وهى تشبه الجنة المعروفة فى الإسلام. وهذه المستويات تسكنها الآلهة من الذكور Devas والآلهة من الإناث Devis. وهناك يولد المرء بالغا ، وليس طفلا رضيعا. هناك أيضا يظل الإله شابا فى عمر العشرين دون أن تصيبه الشيخوخة ، أما الآلهة الإناث فتبقى فى عمر 16 عاما. فى هذه الجنة توجد بيوت جميلة من الذهب ، حولها حدائق ومتنزهات وبحيرات بها ماء عذب صاف ، والملائكة تعزف ألحانا عذبة. وفى هذه الجنات البوذية تأكل الآلهة طعاما سماويا ، لا يؤدى لخروج فضلات من البطن. والمتع الحسية التى تتمتع بها الآلهة ليس لها مثيل على الأرض ، وهى تتجاوز أقصى ما يمكن للإنسان أن يحلم به. وبسبب الانغماس فى اللذات المادية فى هذه الجنان تنسى الآلهة الموجودات بها ممارسة التأمل وعمل الصالحات ، فلا يعود لها ذخيرة من أعمال الخير ، ولذا **فبعد انتهاء فترة النعيم فى الجنة تهبط هذه الكائنات إلى واحد من مستويات التعاسة الأربعة.** وعلى ذلك فالولادة فى هذه الجنات البوذية أمر لا يدعو للفرح والطمأنينة لأن نهايتها حزينة ، حتى أن البعض شبهها بالفخ.

ثانيا: العالم المادى اللطيف Rupa-loka

فوق الأحد عشر مستوى السابقة يوجد عالم حسى ناعم أو لطيف يتضمن 16 مستوى ، تسكنها الآلة (ديفا). ومن يولد فى أحد هذه المجالات فسيولد كذكر ، ولا يوجد أى إناث. وهناك **لا أثر لغريزة الجنس ، ولا توجد متع حسية** على الإطلاق ، والحياة روحية خالصة. وسبب دخول هذه المجالات أن الإنسان كان فى حياته السابقة يفضل العزلة والتأمل والهدوء والبعد عن ضجيج المدن أو كان من الرهبان الزاهدين. وهذه الآلهة ليس لها من الألوهية إلا اللقب ، فهى لا تحكم السماء ولا الأرض ، ولا تملك قدرة على التأثير على حياة البشر ، وليس على البشر أن يعبدوها أو يطيعوها. إن هذه الآلهة مجرد شخصيات لم تتمكن بعد من الوصول لحالة الاستنارة أو النيرفانا ، وهى تتصف بالغرور والتكبر ويحب الواحد منها أن يجمع حوله الحاشية كعادة

الملوك. **وأى إنسان يتمكن من الوصول إلى النيرفانا هو أفضل بكثير من هذه الآلهة.** وأجساد هذه الآلهة مادية لطيفة ، ويمكنها الانتقال إلى أى مكان تفكر فيه فى لمح البصر ، ولا حاجة هناك للإضاءة لأن أجساد الآلهة يشع منها النور. والإنسان الذى يبغى أن يولد كإله فى أحد هذه المجالات عليه أن يداوم على التأمل ، ويتجنب الكراهية وإرادة الشر فى حياته الدنيا.

ثالثا: العالم اللامادى Arupa-loka

يتكون هذا العالم من أربع مستويات ، تسكنها الآلهة (ديفا). والآلهة فى هذه المستويات لا تمتلك جسدا ماديا ، وهى تتكون من عقل خالص. والحياة هناك سعيدة للغاية ، وطويلة جدا. ولكى يتمكن الإنسان من دخول أحد هذه المستويات فعليه أن يمارس فى حياته الدنيا رياضات التأمل العميقة. لكن **يجب ألا تكون الولادة فى هذا العالم السعيد هى هدف البوذى ، بل يجب أن يكون هدفه الأساسى هو الوصول لحالة النيرفانا والتحرر من دورة الولادة.**

****

ومن تنتهى حياته فى أحد المستويات العليا (العالم المادى اللطيف أو العالم اللامادى) فلا يمكنه أن يسقط مباشرة إلى مجالات الشقاء الأربعة ، بل لا بد أن يمر أولا على مجال البشر أو على واحد من المجالات الستة السعيد للآلهة (الجنات الحسية) ، وبعد ذلك يمكن لأعماله الشريرة أن تقوده للولادة فى واحد من مجالات الشقاء.

وبنظرة عامة نقول أن الآلهة توجد فى كل من العوالم الثلاثة (المادى-المادى اللطيف-اللامادى). ومن يولد كإله سيكون هو الأكثر سعادة. وسبب الولادة فى مستوى الآلهة كما قلنا هو ممارسة التأمل ، والقيام بأعمال صالحة فى الحياة السابقة. وينعم سكان هذه المستويات بالمتع الحسية أو الروحية حسب المستوى الذى يوجدون فيه. ومع ذلك فالحياة فى مستويات الآلهة يجب ألا تكون مرغوبة لأنها ليست خالدة ، وذلك أن الإله بعد أن ينال ثواب عمله الصالح يموت ، ويترك مستوى الآلهة ، ليولد فى مستوى آخر أقل حظوة. ويقال أن المرء حين يوشك أن يفارق عالم الآلهة فإنه يشعر بألم نفسى يتجاوز الألم البدنى الذى يعانى منه سكان المستويات الأخرى. وسبب وجود الألم فى عالم الآلهة هو اتصاف المرء بصفة التكبر فى الحياة السابقة. ونؤكد مرة أخرى أنه رغم اعتراف البوذية بوجود آلهة فى السماء إلا أنها تنكر وجود إله

خالق كامل أزلى خالد ذو قدرة مطلقة مستحق للعبادة ، وما الآلهة المذكورة إلا مخلوقات ناقصة تموت مهما طال عمرها ، وتولد مرة أخرى فى عالم أدنى[232].

وهكذا **فالولادة فى أى من هذه المستويات تؤدى إلى الألم** ، فالعذاب فى المستويات الأربعة الأولى (الجحيم– الحيوان– الأرواح الجائعة– أنصاف الآلهة) واضح. ورغم أن من يولد فى مستوى الآلهة ومستوى أنصاف الآلهة يتمتع بقدر من السعادة إلا أنه يعانى فى نفس الوقت من قدر غير قليل من التعاسة. وفضلا عن ذلك فالانشغال بالنعيم يصرف المرء عن التفكير فى محاولة التحرر النهائى من دورات الولادة ، فكل ولادة تتضمن ألما. ولهذا تعتبر البوذية أن **أفضل المستويات وأكثرها حظوة هو مستوى الإنسان**. الإنسان لديه الفرصة لممارسة التأمل ، وتحقيق التنوير ، وذلك لأنه يتألم ويتنعم ، لكن ألمه أقل من آلام سكان المستويات الموجودة تحته ، ومتعته أقل من متع المستويات الموجودة فوقه ، ولذا فالإنسان لا يعميه النعيم ، ولا يشغله الألم كما يحدث للآخرين. وما يؤهل المرء للولادة كإنسان هو حسن الخلق فى الحياة السابقة. ومن الواجب على كل إنسان أن يحاول التحرر من دورة الولادة المتكررة لأنه لا يعلم على وجه اليقين إلى أى مجال سيؤدى به عمله المرة القادمة.

ويرى البوذيون أن إعادة الولادة Rebirth أمر حتمى لأن حياة الإنسان على الأرض أقصر من أن تلبى رغباته وطموحاته وتحقق له كل ما يرنو إليه ، وهذا فى نظرهم دليل على حتمية تكرار الولادة ، **فعدم القدرة على إشباع الرغبات الحسية فى الحياة الحالية هو سبب الولادة مرة أخرى**. ولقد علَّم بوذا تلاميذه أن الجهل بالطبيعة الحقيقية للوجود يُنشىء الرغبات ، والرغبات هى سبب إعادة الولادة. **وحين يتم إخماد كل الرغبات فإن إعادة الولادة تتوقف**. وحين يتحطم الجهل سيدرك المرء أن حياته يجب أن تخلو من الرغبة فى تكرار الولادة.

ولا أدرى ما علاقة رغبة الإنسان فى الحياة بحدوث الحياة مرة أخرى بعد الموت؟ هل الإنسان هو الذى يخلق جسده الجديد؟ اسأل نفسك أيها البوذى: هل أنت حقا بهذه القوة؟ هل تستطيع أن تجعل الطبيعة تستجيب لك؟ وهل تمتلك الطبيعة الجامدة الصماء آذانا أو حواسا أو مشاعر تعرف بها رغباتك وحالاتك الروحية ، فتجعلك تولد مرة أخرى فى هيئة مناسبة لك؟ هب أننى

---

[232]) **Buddhism as Philosophy: An Introduction**. By Mark Siderits. Page 7-8.

أريد أن أحيا بعد موتى مرة أخرى ، فكيف يؤدى هذا بالحيوان المنوى لدى رجل آخر أن يلتقى ببويضة امرأة أخرى ، فيندمجان ، ويكونان جسدا جديدا كى أولد فيه مرة أخرى؟ إن الإنسان لا يقدر على أن يتحكم فى حيواناته المنوية أو بويضاته التى يمتلكها ، فكيف يتحكم فيما يمتلكه الآخرون؟ إننا عاجزون عن التحكم فى الأشياء الأخرى ونحن أحياء ، فكيف نتحكم فيها بعد مماتنا؟ بل كيف يتسبب المرء فى خلق نفسه ، وهو لا يعلم من الأصل الهيئة التى سيولد عليها، وهل سيظل إنسانا كما هو أم سيصبح قردا أم زرافة أم إلها أم روحا جائعا؟

وعلى ذلك فمن العبث القول بأن مجرد الرغبة فى الحياة تتسبب فى إعادة الولادة ، فهل يا ترى هناك سبب آخر؟ لعله "الله" أو "النفس"؟

هذا غير وارد لأن البوذية تنكر وجود إله للكون ، كما تنكر وجود النفس ، وهذا يدمر تماما عقيدتها فى إعادة الولادة. **لو كانت البوذية تؤمن بوجود نفس تسكن الجسد فربما جاز لها أن تقول بأن النفس تفارق الجسد بعد الموت ، وتحل فى جسد آخر – بقدراتها الذاتية أو بقدرة الله– فى عالم آخر ، بيد أن البوذية تنكر وجود النفس ، وتنكر وجود الله. وهب أن إنسانا عمل الشر فى حياته فاستحق أن يولد –كما يقول البوذيون– على شكل خنزير فى عالم آخر، فما علاقة الإنسان بالخنزير؟** إن جسد الإنسان مات ، وتحول إلى كومة رماد داخل قبر ، بينما نشأ الخنزير من اتحاد بويضة وحيوان منوى لأبوين فى قارة أخرى أو عالم آخر ، فأى شىء يربط بين الإنسان الميت والخنزير المولود؟ أى شىء يجمعهما طالما أن جسد هذا يختلف كلية عن جسد ذاك؟ أى شىء يجمعهما طالما أنه لا توجد نفس مشتركة بينهما؟ ثم كيف يتألم الخنزير ويُضرب ويأكل القمامة بسبب ذنوب فعلها إنسان غيره يختلف عنه روحا وجسدا فى حياة لا يعلم عنها شيئا؟ إن إعادة الولادة تتطلب وجود إله ووجود نفس ، أو على الأقل وجود أحدهما ، وبما أن البوذية تنكر وجود الاثنين فهذا يجعل اعتقادها فى إعادة الولادة نظرية سخيفة.

وجدير بالذكر أن البوذية تختلف عن الهندوسية فيما يتعلق بإعادة الولادة ، فالهندوسية تؤمن بوجود نفس ، تبقى خالدة بعد الموت ، وتهاجر من جسد لجسد آخر ، وهو ما يعرف بتناسخ الأرواح Transmigration of the soul أو إعادة التجسد Reincarnation. أما البوذية فلا

تؤمن بوجود نفس تسكن فى جسد الإنسان ، ومع ذلك تعتقد باستمرار الإنسان فى الحياة بعد الموت ، وهذه فضيحة فكرية.

والأسوأ أن **البوذيين ينكرون وجود النفس بألسنتهم ، لكنهم يثبتون وجودها بشكل ضمنى.** لقد كتب أحدهم منكرا وجود النفس ، فقال:

[إن عقيدة إعادة الولادة يجب أن تُفرق عن تعاليم تناسخ الأرواح وإعادة التجسد فى الأديان الأخرى. إن **البوذية – خلافا للهندوسية– لا تقول بوجود نفس خالدة** ، خلقها الله ، **أو وجود كيان غير متغير يهاجر من حياة لأخرى**][233]

وبعد ذلك بقليل كتب نفس الرجل مبرهنا على إعادة الولادة ، فأطلق الرصاص على نفسه ، وهو لا يشعر:

[نحن فى المعتاد نعنى بالموت توقف الوظائف الحيوية للجسد. وحين يفقد الجسد المادى حيويته لا يمكنه أن يدعم **تيار الوعى الحالى ، أى الجانب العقلى** من العملية. لكن طالما أن هناك تشبثا بالحياة ورغبة فى الاستمرار فى الوجود فإن **تيار الوعى لا يتوقف بفقد الجسد للحياة.** وبدلا من ذلك فإن الموت حين يحدث ، ويموت الجسد فإن **التيار العقلى** – مسوقا بالتعطش لمزيد من الوجود– **سيقفز مرة أخرى** بدعم من جسد مادى جديد ينشأ من تلاقى حيوان منوى وبويضة][234].

تأمل الفقرة السابقة تجد أن هذا الكاتب البوذى **بعد أن تكلم بكل قوة عن إنكار البوذية لوجود النفس** ذكر لنا أن **الإنسان لديه " تيار وعى" أو "تيار عقلي" ، لا يتوقف بالموت ، بل يستمر، ويعاود الظهور مدفوعا بالتعطش للاستمرار فى الوجود.** وبالله عليكم ما معنى هذا؟ أليس معناه أن الإنسان يمتلك نفسا أو روحا؟ **ما معنى وجود شىء داخل الإنسان يختلف عن الجسد المادى اسمه التيار العقلى؟ وما معنى استمرار هذا التيار العقلى فى الوجود رغم فناء الجسد المادى؟ هذا إقرار ضمنى بوجود النفس. وهل النفس إلا كيان مختلف عن الجسد ومستقل عنه ويبقى بعد وفاته؟** ويقول نفس الكاتب فى موضع آخر:

---

233) **What Buddhists Believe**. By K Sri Dhammananda. Page 147

234) **What Buddhists Believe**. By K Sri Dhammananda. Page 147

[طبقا للبوذية فإن **الحياة هى مركب من العقل** (Nama) **والمادة** (Rupa). ويتكون العقل من ارتباط الإحساسات والإدراكات والأنشطة الإرادية. وتتكون المادة من ارتباط العناصر الأربعة للصلابة والسيولة والحركة والحرارة. **والحياة هى تعايش العقل والمادة معا.** والتحلل هو نقص التنسيق بين العقل والمادة. **والموت هو انفصال العقل والمادة. وإعادة الولادة هى إعادة ارتباط العقل والمادة. وبعد رحيل الجسد المادى تقوم القوى العقلية (العقل) بإعادة الارتباط ، وتتخذ ارتباطا جديدا فى شكل مادى جديد**، وتقوم بتكييف وجود جديد. إن علاقة العقل بالمادة تشبه علاقة البطارية بمحرك السيارة: تساعد البطارية المحرك على أن يبدأ العمل ، ويساعد المحرك على شحن البطارية. ويساعد الارتباط على تحريك السيارة. وبنفس الطريقة تساعد المادة العقل على العمل ، ويساعد العقل على تحريك المادة. إن تعاليم البوذية تقضى بأن **الحياة ليست خاصية للمادة وحدها** ، وأن عملية الحياة تستمر أو تتدفق نتيجة السبب والمسبب. إن العناصر العقلية والمادية التى تكون الكائنات المدركة من الأميبا حتى الفيل وكذلك الإنسان تواجدت من قبل فى أشكال أخرى][235].

وكما ترى فى هذا النص فإن الكاتب **يتحدث عن شىء اسمه "العقل" يختلف كلية عن "المادة"، ويبقى مستمرا بعد انفصاله عنها. نحن أمام شىء غير مادى ، لا يختلف عما يسمى فى الإسلام بالنفس.** إن **البوذيين ينكرون الاسم ، ويثبتون المُسمَى** ، فهم أشبه برجل يقول: (أنا لست لصا. أنا فقط أدخل البيوت فى غياب أصحابها ، وآخذ ما بها من أموال**!)**

إن التناقضات تضرب فى قلب البوذية بشكل يستحيل علاجه ، بيد أن الغريق حين يوشك على الموت فى وسط البحر يظل يصرخ ويضرب بيديه بشكل عبثى يائس ، وكأن صرخاته وحركاته ستقوده للنجاة. وهذا ما فعلته البوذية حين عَزَت إعادة الولادة إلى "الكارما" Karma.[236]

وحين نسألهم: ما الكارما؟[237] فإنهم يقولون أنها تعنى لغويا "الفعل" أو "العمل"، وتراهم يُعرفونها بطريقة مخادعة ، قائلين أنه قانون طبيعى يعمل وفق أعمالنا ، يسمى قانون "السبب والمسبب"،

235) **What Buddhists Believe**. Page. 111

236) **What Buddhists Believe**. By K Sri Dhammananda. Page 129-144.

237) تكتب كلمة "كارما" ك Karma أو Kamma

أو قانون "السببية الخلقية". والكارما هى شكل من أشكال الطاقة ، ومن الخطأ فى نظرهم التساؤل: من أين بدأت الطاقة؟ وقانون الكارما يعمل بذاته بدون إله يطبقه. **يقول قانون الكارما أن عمل الإنسان الصالح يجر عليه الخير ، وعمله السىء يجر عليه الشر.** من يزرع خيرا يحصد خيرا ، ومن يزرع شرا يحصد شرا. من عمل خيرا فى حياته الحالية سيحيا سعيدا حين يولد فى الحياة القادمة وأثناء حياته الحالية. ومن عمل شرا فى حياته الحالية سيحيا تعيسا حين يولد فى الحياة القادمة وأثناء حياته الحالية[238].

وبوضوح أكبر نقول أن عمل الإنسان إن كان سيئا بدرجة كبيرة فإنه يولد فى مستوى أو عالم أدنى وأكثر ألما ، أما إن كان عمله السىء قليلا بما لا يكفى للولادة فى مستوى مختلف فإنه يقاسى من التعاسة والآلام فقط فى هذا العالم الذى يعيش فيه الآن ، كأن يموت مبكرا ، أو يفقد أحبابه. على سبيل المثال يؤدى الاعتياد على السرقة إلى الولادة فى مستوى الأرواح الجائعة ، لكن إن كانت السرقة قليلة بما لا يكفى للولادة فى هذا المستوى فإن اللص يعانى فى حياته الحالية من الفقر والتسول. وبالمثل يمكن أن يؤدى الزنا إلى ابتلاء الزانى فى حياته الحالية بالمشاكل الزوجية.[239] وليس للمرء أن يُلقى باللائمة على الآخرين فيما يواجهه من ألم وشقاء ، فالمسئولية كلها تقع عليه لأنه لم يعمل فى حياته السابقة خيرا يرتد إليه فى حياته الحالية[240].

وفى نفس الوقت ليس الإنسان أسيرا للكارما ولما فعله فى حياته السابقة ، فهو قادر على أن يُحسن من خلقه لينعم بالهناء فى المستقبل. ورغم ذلك يقع البوذيون فى فخ حين يقولون أن الكارما ليست هى سبب كل شىء يحدث فى حياتنا ، فهناك خمسة قوانين طبيعية تتحكم فى الكون ، وما الكارما إلا واحد منها ، وهذه القوانين هى: القوانين الموسمية (كالرياح والأمطار) ، والقوانين البيولوجية ، وقانون الكارما ، والظواهر الطبيعية (مثل الكهرباء والمد) ، والقوانين النفسية.[241]

---

238) **What Buddhists Believe**. By K Sri Dhammananda. Page 130

239) **Fundamentals of Buddhism.** Page 84-85.

240) **Fundamentals of Buddhism: Four lectures**. By Nyanatiloka Mahåthera. Page 12. The Wheel Publication No. 394/396. ISBN 955-24-0120-8. Buddhist Publication Society. Kandy, Sri Lanka;1994

241) **What Buddhists Believe**. By K Sri Dhammananda. Page 132-136.

واعتراف البوذيين بأن الكارما مجرد قانون واحد بين خمسة قوانين كبرى تحكم الكون يولد الانطباع بضآلة أثر الكارما على الحياة ، فمن الممكن مثلا لإنسان شرير أن ينجو من صاعقة، بينما يموت بسببها إنسان بار. ومن الممكن لطفرة جينية أن تحدث فى بويضية أُم صالحة ، فتلد طفلا مشوها يحول حياتها لجحيم. ولو أراد البوذيون الصدق مع النفس لقالوا أن الإنسان فى أغلب الأحيان يعانى من الشقاء بسبب عوامل أخرى غير عمله السيء الذى فعله فى السابق ، وأن أغلب القوى التى تسود العالم هى قوى عمياء ، لا تعترف بالأخلاق. **والإسلام لا يقع فى هذه المشكلة** لأنه يؤكد أن الله تعالى يهيمن على الأسباب المادية ، ويتحكم فى كل الظواهر الطبيعية: {وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ} [الرعد: 13] . ولهذا فكل خير وكل شر يصيب الإنسان مصدره هو الله. ومن ابتُلى بمصيبة دون سابق شر عمله فالسبب هو أن الله تعالى يختبر درجة إيمانه وصبره ، أو لأنه عز وجل يعلم أن المصيبة ستعود عليه بخير أكبر فى المستقبل ، فمثلا لما أصبت بكسر فى ذراعى أثناء لعب الكرة فى المدرسة الإعدادية ، امتنعت عن اللعب لعدة شهور ، واضطررت للمكوث فى البيت ، فلم أجد أمامى شيئا أفعله إلا المذاكرة والقراءة ، فتفوقت على أقرانى. ولولا هذا الحادث لألهانى حبى الشديد للكرة عما ينفع.

وحين يتأمل المرء فى قانون الكارما يجد مهزلة فكرية: من أين أتى هذا القانون؟ من الذى أوجده، وغرسه فى العالم؟ إنهم يقولون أن الكارما قانون طبيعى ، فكيف عرفت الطبيعة الخير والشر والثواب والعقاب؟ إن الطبيعة ليست إلا عددا هائلا من الذرات والإلكترونات والبروتونات وغيرها من الجسيمات المادية والمجالات وغيرها ، فهل يعرف الإلكترون معنى الخير؟ وهل يفهم البروتون معنى الشر؟ وهل يحرص النيوترون على عقاب اللصوص؟ وهل تعمل أشعة جاما من أجل التضييق على القتلة؟ البوذيون لا يدَّعون ذلك. ثم بفرض أن كل واحد من الجسيمات الأولية لديه نزعة خلقية ، فكيف نسقت كل الجسيمات سلوكها معا بحيث تؤدى لأثر ملموس فى العالم؟ إن حركة بروتون واحد فى صخرة لا تكفى لسقوطها على رأس قاتل ، بل لا بد أن تتحرك كل البروتونات والإلكترونات والنيوترونات فى الصخرة فى نفس الوقت نحو نفس الهدف ، وهذا لا يحدث عشوائيا.

إذن بفرض أن هناك قانونا اسمه الكارما يثاب الناس بمقتضاه ويعاقبون ، فلن يكون هذا قانونا طبيعيا ، بل قانونا من تدبير شخص عاقل. وفضلا عن ذلك **فلا بد أن يكون هذا الشخص ذو علم شامل** كى يحيط بكل صغيرة وكبيرة فعلها كل إنسان فى حياته كى يثيبه أو يعاقبه بدقة ، ويخلقه بالهيئة العادلة المناسبة له فى الحياة التالية ، وهذا أيضا ممتنع على الجسيمات المادية الجامدة الصغيرة.

كما يجب أن يكون الشخص القائم على تنفيذ قانون الكارما متمتعا بقدرة كاملة حتى يخلق الأجساد المناسبة لأعمال الناس ، فمثلا هب أنه فى أحد العوالم يموت كل عام عشرة ملايين شخص على درجة معينة من الشر ، وكانت أعمالهم الشريرة تجعلهم يستحقون أن يولدوا فى الحياة التالية على شكل قرود ، لكن أعداد القرود التى تولد كل عام تبلغ مليون قرد فقط ، فلا بد أن يتدخل الإله لزيادة أعداد القرود كى يتمكن من معاقبة هؤلاء الأشرار.

ويمعن البوذيون فى تضليلنا قائلين أن الكارما هى شكل من أشكال الطاقة:

[إن على هؤلاء الذين لا يؤمنون **بوجود طاقة تعرف بالكارما** أن يفهموا أن **طاقة الكارما** هذه ليست نتاجا ثانويا لدين بعينه رغم أن الهندوسية والبوذية والجينية **تعترف بطبيعة هذه الطاقة وتفسرها.** هذا قانون شامل بلا لافتة دينية..... وإن **فهمنا الكارما على أنها قوة أو شكل من أشكال الطاقة** فلن نكون قادرين على تمييز بداية لها].[242]

ويقول بوذى آخر:

[طبقا للبوذية هناك عوامل ثلاثة ضرورية لإعادة ولادة كائن بشرى ، أى تكوين جنين فى رحم الأم ، ألا وهى: بويضة الأم ، والحيوان المنوى للأب ، **وطاقة الكارما** ، والتى تسمى بشكل مجازى فى السوتا بالروح أو النفس. **وطاقة الكارما** هذه تبث بواسطة شخص محتضر فى لحظة وفاته. ويقوم الأب والأم فقط بتقديم المادة لتكوين جسم الجنين....إن الشخص المحتضر بكل كيانه الذى يتشبث بالحياة بشكل متشنج يقوم فى نفس لحظة وفاته بإرسال طاقات الكارما التى تقوم – كومضة برق– بضرب رحم جديد

[242]) **What Buddhists Believe**. By K Sri Dhammananda. Page 138-139

لأم مستعد للحمل. وعلى ذلك فمن خلال **حلول طاقات الكارما** على البويضة والحيوان المنوى يظهر راسب يسمى الخلية الأولية.... وبطريقة مشابهة فإن **طاقات الكارما** – التى تُبث بواسطة الإنسان المحتضر – تقوم بإنتاج الجنين الجديد من المادة التى جاءت من الأبوين ، لكن **لا تحدث هجرة لكائن حقيقى أو لنفس فى هذه اللحظة ، وإنما ببساطة نقل لطاقة الكارما**)[243]

وهذا الكلام المتعلق بطاقة الكارما قد يصدقه الأطفال الذين يشاهدون مسلسلات الكرتون التى تتحدث عن الطاقة ، لكنه بلا قيمة من وجهة نظر العلم الذى لم يرصد أى شىء يعرف بطاقة الكارما. **وبفرض أن هناك طاقة اسمها الكارما ، فستكون من قبيل الغيبيات ، ولن تكون طاقة طبيعية** لأن الطاقة الموجودة فى العالم الطبيعى تتصرف وفق قوانين معروفة ليس من بينها تأييد الخير ومحاربة الشر، فمثلا الطاقة الحرارية تنتقل من الجسم الأسخن للجسم الأبرد ، والطاقة الحركية تتحول إلى طاقة حرارية بالاحتكاك ، وطاقة الوضع تتحول إلى طاقة حركة أثناء السقوط ، والطاقة تتحول إلى مادة (والعكس) وفق قانون آينشتين الشهير. **ولا يوجد فى كتب الفيزياء ذكر لنوع من الطاقة قادر على مشاهد أفعال الناس ، وسماع كلامهم ، والدخول لمكنونات قلوبهم ، واتخاذ رد الفعل المناسب** باختيار حياة مستقبلية تتناسب بشكل محكم مع مجمل أفعال كل منهم. **إن طاقة بهذا الشكل أشبه بمهندس حكيم بارع عالم بكل شىء ، أما الطاقة الطبيعية التى يعرفها علماء الفيزياء فهى عمياء غبية حمقاء ، لا تعرف الخير والشر**. إننا لا ننكر وجود قوى غيبية فى الكون يجهلها علماء الفيزياء ، لكن على البوذيين أن يكون صرحاء معنا ، فيخبرونا بوضوح أن الكارما كيان غيبى بدلا من الحديث عنها كما لو كانت حقيقة من حقائق العلم الحديث. وإذا كانت الكارما من قبيل الغيبيات ، فلماذا لا يريحوننا ، ويسمونها "الله"؟ لماذا يصرون على إنكار وجود الله ؟

يمكننا أن نقول بكل ثقة أن **النظرية الأخلاقية للبوذية تجبرنا على الإيمان بوجود الله** ، لكن البوذيين يصرون على مواصلة العناد ، ويؤكدون أن من يجازى الإنسان على عمله ليس الله ، بل طاقة طبيعية اسمها الكارما. **وهذا فى رأيى تلاعب بالألفاظ ، فهم يبقون على الدور الذى**

---

[243]) **Fundamentals of Buddhism: Four lectures**. By Nyanatiloka Mahâthera. Page 12-13.

يقوم به الله فى الكون دون أن يستخدموا اسم الله ، تماما مثلما فعلوا مع النفس التى أنكروا وجودها ، ثم أسموها التيار العقلى أو تيار الوعى. إن قول البوذيين بوجود طاقة طبيعية اسمها الكارما ، تلعب نفس الدور الذى ينسب عادة للإله هو **تأليه للطبيعة ، بل هو أسوأ أشكال تأليه الطبيعة لأنه يتضمن تأليها لبلايين الكيانات الفردية المسماة بطاقات الكارما** التى تبث من كل إنسان عند وفاته. إنه نوع من أنواع تعدد الآلهة.

وبصراحة **أنا لا أكف عن الدهشة من إصرار البوذيين على إنكار وجود الله ووجود النفس ، مع أنهم يؤمنون بوجود غيبيات أخرى كثيرة مثل الأرواح الجائعة والآلهة وأنصاف الآلهة.** وفضلا عن ذلك فالبوذيون لا يقدمون دليلا علميا أو عقليا على وجود هذه الموجودات الغيبية التى يقولون أنها لم تخلق الكون ولا تدبره ، ولا يحاولون حتى التماس مثل هذا الدليل ، فى حين أن وجود إله أعظم خالق للكون أمر تحتمه آلاف الأدلة ، ووجود نفس مغايرة للجسد تحتمه أيضا كثير من الظواهر النفسية.

والبوذيين يخدعوننا بحديثهم عن قانون السببية الذى يتحكم فى كل شىء فى الكون ، ويقولون أن إعادة الولادة تحدث ليس لأن النفس خالدة بل لأن قانون السببية يقضى بأن عمل الشر سبب للتعاسة ، وعمل الخير سبب للسعادة. وهذا الكلام يبدو جميلا ومنطقيا ، لكنه ينطوى على **مغالطة فى غاية الخبث.** كيف؟

إن البوذيين يخلطون بدهاء –أو غباء– بين نوعين من السببية هما "العلة الفاعلة" و"العلة المُبرِّرة".

هناك **سبب يعتبر أداة أو آلية يترتب على وجودها** حدوث نتيجة ما ، وهذه هى العلة الفاعلة. ومن ناحية أخرى هناك **سبب يعتبر بمثابة مبرر دفع العلة الفاعلة لإحداث هذه النتيجة.** إن من الممكن القول بأن لصا دخل السجن بسبب ضابط الشرطة الذى قبض عليه متلبسا. وهنا يكون الضابط سببا فاعلا أو علة فاعلة ، لكن ليس هذا هو المعنى الوحيد للسببية ، فمن الممكن بنفس الدرجة من الصحة أن نقول أن اللص دخل السجن بسبب سرقته لأحد المتاجر ، وهنا نجد

أن السرقة كانت سببا للسجن. والسببية بالمعنى الأخير تعنى أن السرقة قدمت مبررا للضابط كى يقبض على اللص ويودعه فى السجن ، فالسبب فى الحالة الأخير علة مبررة.

إذن **هناك السببية بمعنى الآلية والوسيلة ، ولدينا أيضا السببية بمعنى المسوغ والدافع والمبرر.** وكلا **من نوعى السببية لا يقوم مقام الآخر ، ولا يحل محله ، ولا يغنى عنه** ؛ فمثلا احترقت شركة رجل أعمال ، فتساءل الرجل فى جنون: "ما الذى أحرق شركتى؟" فرد عليه مدير الشركة: "إنه الحقد على نجاحك يا سيدى". فرد رجل الأعمال فى غضب: " أيها الأحمق أنا لا اسأل عن الدافع للإحراق ، بل أسال عن الشىء الذى أشعل الحريق، وهل هو ماس كهربائى أم لص أم صاعقة؟" وطبعا رجل الأعمال معه حق **لأن مجرد وجود الدافع للفعل لا يعنى أن يقع الفعل من تلقاء نفسه ، بل لا بد من وجود علة فاعلة** أو أداة ، تنتج هذا الفعل وتحققه. وكذلك إن قيل لك أن أحد أصحاب النفوذ قد مات ، فتساءلت: "ما الذى أماته؟" فكان الجواب: " مات بسبب ظلمه للناس وأكله لحقوق الضعفاء". إن سمعت هذا الجواب فلن تشعر أنه جواب شاف لأنك تريد أن تعرف السبب المباشر الفاعل للموت ، وهل هو حادث سيارة أم جلطة فى المخ أم طلقة رصاص؟

إذن حين يقول لك البوذى أنك ستولد مرة أخرى فى حياة ملؤها الألم لأن عمل الشر "سبب" للمعاناة طبقا لقانون الكارما ، فقل له أنت تتلاعب بالألفاظ ، وتخلط بين معنيين مختلفين للسببية ، نعم قد يصح لك أن تقول أن قبائح الأعمال تتسبب فى الولادة فى حياة جديدة أليمة بمعنى أنها تمثل مبررا ومسوغا ، **لكن وجود الدافع والمبرر لا يكفى لوقوع الفعل ، بل لا بد من علة فاعلة أو آلية أو أداة تحقق إعادة الولادة.** والعلة الفاعلة التى يقدمها البوذيون هى كيان غامض اسمه طاقة الكارما (أو التيار العقلى) التى تنطبق عليها أوصاف النفس التى ينكرون وجودها ، فالبوذيون يبالغون فى إبراز العلة المبررة بطريقة مصطنعة كى يواروا سخافة علتهم الفاعلة ، مع أن العلة الفاعلة يفترض أن تكون دوما هى الأساس والأصل[244].

---

[244]) يقول البوذيون إمعانا فى الخلط بين نوعى السببية المذكورين أن الإنسان منا ليس له نفس ، ولكنه يتكون من سلسلة من الأسباب والمسببات ، فالطفل الذى يبلغ عمره خمس سنوات هو سبب لوجود مراهق عمره 15 سنة ، والأخير سبب لرجل عمره 50 عاما. جسد الإنسان فى لحظة ما سبب للجسد فى اللحظة التالية ، والذاكرة هى التى تخدعنا فتجعلنا نتوهم أن الإنسان كيان واحد. وبنفس الطريقة – طبقا لمنطق البوذيين- فإن الإنسان فى حياته الحالية يرتبط بنفس العلاقة السببية بالإنسان الذى سيولد فى حياة قادمة من أب وأم مختلفين. لا توجد نفس ثابتة خالدة ، بل يوجد تتابع لا يتوقف للسبب والمسبب. وهنا يخلط البوذيون بين نوعى السببية المذكورين -أى السببية بمعنى الآلية والوسيلة والسببية بمعنى المسوغ والمبرر- وذلك لأن الطفل ذى الخمسة أعوام سبب للفتى ذى الخمسة عشر عاما ، فبدون الأول لا توجد آلية لوجود الثانى ، بينما الحياة الحالية تعد سببا للحياة القادمة بمعنى

ومن أعجب العجب أن يرتدى البوذيون عباءة العلم والمنطق ، فيتغنون بقانون السببية ، ويسمون قانون الكارما بقانون السببية الخلقية ، **ويقولون أن لكل مسبب سبب ، ولكنهم لا يتكلمون أبدا عن السبب الأكبر للكون كله،** وكأنهم أصيبوا بالعمى. إنهم **لا يسألون أنفسهم من الذى خلق الكون؟** ومن الذى رسم قوانينه؟ وما تلك القوة الخيرة التى وضعت فيه قانون الكارما؟

نلخص ما سبق ، فنقول أن البوذية تنكر وجود آخرة خالدة بالشكل الموجود فى الإسلام والمسيحية ، وتنادى بدلا من ذلك بأن على الإنسان أن يفعل الخير لا ليخلد فى الجنة، بل ليحيا سعيدا فى حياته الحالية وفى المرات القادمة التى سيولد فيها. ورغم ذلك فكل حياة لا بد فيها من ألم ، ودورة الولادة مصحوبة دائما بالمعانة ، والحل الجذرى هو أن **يحاول الإنسان الوصول إلى حالة "الاستنارة" ، فيتحرر من كل أشكال الولادة ، بحيث إذا مات فى حياته الحالية تجنب الولادة مرة أخرى ، وهذه هى حالة النيرفانا** التى تعنى حرفيا "الانطفاء".[245]

والنيرفانا هى الهدف النهائى للبوذية. **النيرفانا هى السعادة العظمى الخالدة.** النيرفانا لا تُكتسب بواسطة الحواس ، بل بتثبيط الحواس. النيرفانا لا توجد فى مكان معين. النيرفانا ليست هى الجنة. **النيرفانا عصية على التعريف ، ويمكن فقط معرفتها من خلال نقيضها** ، فنقيض النيرفانا هو المعاناة ، **والنيرفانا هى اختفاء كل أشكال المعاناة.** وكما يسود الظلام حيثما يختفى النور ، فكذلك تسود النيرفانا حيثما اختفت المعاناة والتغير والدنس. و**ليس من الممكن للمرء أن يعرف ما النيرفانا إلا بعد أن يجربها. لكن من الممكن لكل منا أن يعرف كيف يصل إلى النيرفانا:** اتبع نصائح بوذا ، طبق تعاليمه ، تخلص من كل الرذائل ، طهر نفسك من كل الرغبات ، وحقق حالة اللانفس المطلقة. عش حياتك بخلق قويم ، ومارس التأمل باستمرار ، وحرر نفسك من كل الأنانية والوهم. حينئذ يمكنك اكتساب النيرفانا وتجربتها. يجب عليك أن تتعلم الانفصال عن كل الأشياء الدنيوية. وإن وُجد لديك أى كره لأى شخص أو أى شىء فإنك لن تتمكن أبدا من الحصول على النيرفانا ، فالنيرفانا تتجاوز كلا من الحب والكره. **والنيرفانا ليست هى العدم كما قد يظن البعض** ، فجهلنا بطبيعتها لا يعنى أنها غير موجودة ، تماما مثلما

المبرر والمسوغ فقط (لأن الأخلاق فى الحياة الحالية يترتب عليها شكل الولادة الجديدة) ، وليس بمعنى الآلية لأن الإنسان الأول مات ، وفنى جسده ، والمولود الجديد سيكون له جسد جديد تماما ، فأى شىء يربطه بالشخص السابق إن كان لكل منهما جسده الخاص ومخه الخاص ولا يوجد بينهما نفس مشتركة؟

[245] النيرفانا – كما تقول الموسوعة البريطانية- كلمة معناها فى الأصل "الانطفاء" أو إخماد النيران ، فالحياة تشبه النار ، والنيرفانا تعنى انطفاء الرغبة والكراهية والجهل والوهم ، وفى النهاية انتهاء المعاناة والولادة.

لا يحق للأعمى أن ينكر وجود الضوء لأنه لا يراه[246]. وتؤكد الموسوعة البريطانية أن **النيرفانا لا تعنى العدم أو الفناء كما يظن البعض** ، بدليل أن بوذا نفسه أعلن صراحة عن رفضه للرغبة فى الفناء. والبوذيون فى الحقيقة يبحثون عن الخلاص، وليس عن اللاوجود. وقد ترك بوذا عدة أسئلة بلا إجابة فيما يتعلق بمصير الأشخاص الذين وصلوا لحالة النيرفانا. **وقد رفض حتى أن يتكهن ما إذا كان الرهبان الذين تطهروا بشكل كامل سيستمرون فى البقاء أم سيتوقفون عن البقاء بعد الموت.** لقد ادعى بوذا أن مثل هذه الأسئلة ليست مهمة لممارسة طريق الخلاص ، ولا يمكن الإجابة عنها داخل نطاق الوجود البشري المعتاد ، وأن **أى نقاش لطبيعة النيرفانا سيؤدى فقط لتشويهها وإساءة تفسيرها**[247].

والنيرفانا قد يكتسبها الإنسان أثناء حياته على الأرض ، أو عند موته[248]. على سبيل المثال اكتسب "بوذا" – مؤسس البوذية– هذه الحالة عندما كان جالسا تحت شجرة فى إحدى الليالى ، وكان عمره وقتها 35 عاما ، وعاش بعدها 45 عاما أخرى ، ليموت دون أن يولد مرة أخرى. وقد تؤدى الاستنارة إلى أن يتصرف المرء بشكل غريب ، كأن يتكلم بطريقة غير معهودة. والإنسان المستنير الذى اكتسب النيرفانا سيموت كما يموت غيره من الناس، لكنه لن يولد مرة أخرى ، وسيتجنب بالتالى الألم والمعاناة إلى الأبد.[249،250،251]

وعلى ذلك فالبوذية تحتقر الحياة الحسية ، وتحتقر الجنات الحسية الموجودة فى العالم الحسى ، والجنات الروحية الموجودة فى العالم غير المادى والعالم المادى اللطيف ، وأتت للناس ببديل شبحى للجنة ، اسمه النيرفانا ، وهذا شىء غريب حقا ، فالمفروض أنك لكى تحفز الإنسان على بذل قصارى جهده لعمل شىء ما (كأن يرتقى بخلقه) أن تعرفه مقدما بالجائزة

---

[246]) **What Buddhists Believe**. By K Sri Dhammananda. Page 153-157.

[247]) **Buddhism: Nirvanna.** By Donald S. Lopez. Encyclopedia Brittanica. https://www.britannica.com/topic/Buddhism; accessed November 21, 2020.

[248]) يسمى النوع الأول: Sopadisesa Nirvana ، بينما يسمى النوع الثانى: Pari Nirvana. وتسمى الموسوعة البريطانية النوع الأول: Nirvana with remainder، أما النوع الثانى فيسمى: Nirvana without remainder.

[249]) **The Four Noble Truths: The Essence of Buddhism.** Written by Master Hsing Yun. Translated by Amy Lam. Page 28. Buddha's Light Publishing. U.S.A. 2011

[250]) **What Buddhists Believe**. By K Sri Dhammananda. Page 156.

[251]) **Nirvana**. By Donald S. Lopez. Encyclopedia Britannica. https://www.britannica.com/topic/nirvana-religion; Published March 31, 2014; Accessed Novemeber 21, 2020.

التى سيربحها ، أما أن تقول له فقط: "ستكون جائزتك لا مثيل لها" فلن ينتصت إليك ، إذ ربما لا تعجبه الجائزة.

هذه هى البوذية: دين يرفع راية العقل والعلم والحداثة ، لكنه غارق فى التناقضات الفجة.

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

4- الآخرة فى الهندوسية

تقع نظرية تناسخ الأرواح فى القلب من الهندوسية. إن أغلب الأديان تنظر إلى الإنسان على أنه جسد له روح ، أما الهندوسية فتؤكد أن الإنسان روح لها جسد. وهذه الروح أو النفس (أتمان Atman) تنتقل وتهاجر من الجسد بعد وفاته ، لتحل فى جسد آخر لإنسان أو حتى حيوان. وحين يموت هذا الجسد الجديد تنتقل الروح إلى جسد ثالث ، ثم جسد رابع ، وخامس ، إلى الأبد[252] ، إلى أن تنجح النفس الفردية فى تحقيق **الهدف الأسمى ألا وهو الاتحاد مع النفس الكلية المتعالية**[253]، **وإن تحققت هذه الوحدة توقفت إعادة الولادة مرة أخرى بعد الوفاة إلى الأبد.** والنفس الكلية هى والإله الأعظم "براهمان" شىء واحد. وبراهمان[254] هو الوجود كله ما ظهر منه وما بطن ، فالهندوسية تؤمن بوحدة الوجود.

ويقول الهندوس أن الجسد الذى يولد فيه الإنسان تحدده مجمل أعماله التى عملها فى حياته السابقة (الكارما Karma)، فمن عمل فى حياته الراهنة شرا ولد المرة القادمة فى حياة ملؤها الألم والتعاسة والشقاء، وربما ولد على هيئة بعوضة حقيرة! أما من عمل خيرا فسيولد المرة القادمة سعيدا ، كأن يكون فى أسرة ثرية ، ويتمتع بالصحة والحكمة والجمال.[255،256]

وللنقاد بعض مآخذ على الهندوسية منها أنها ديانة تهتم بالخرافات ، وتهبط فى مستواها نظرا لأنها تتأثر بالسحر ، ولا تهتم بتحسين اقتصاد معتنقيها لأن العمل عند بعض طبقاتها كالبراهمة والكاشتريا لا يليق بهم. وبدلا من العمل فإن الهندوسى يدرب نفسه على تحمل المشاق فى الصوم الطويل ، أو القيام بالأعمال المضنية للجسم ، أو قيامه بالاستعطاء ، أو أنه يقوم بغرز

---

252) تسمى دورة الولادة والموت وإعادة الولادة فى كل من الهندوسية والبوذية ب"السمسارا" *Samsara*

253) النفس (أتمان) فى الهندوسية لها معنيان: النفس الفردية *Jivatman* والنفس الكلية المتعالية *Paramatman*.

254) هناك فرق بين الإله "براهمان" Brahman والإله الخالق "براهما" Brahma. ومع ذلك فكلمة "براهمان" تنطق فى الغالب "براهما" ، مع ملاحظة أن كلمة "براهما" التى تشير إلى الإله الخالق تتطلب مدا فى صوت حرف الألف فى نهاية الكلمة. وكلمة براهمان وردت فى الفيدا بمعان متعددة أهمها الصلاة أو الدعاء Prayer ، ومن هذا المعنى جاءت كلمة براهمين Brahmin التى تعنى الشخص الذى يصلى ، أى الكاهن. انظر:

Encyclopedia of Hinduism. By Constance A. Jones and James D. Ryan. Page 91; Facts On File, Inc. United States of America; 2007.

255) **Why I am a Hindu. By** Shashi Tharoor. Page 81-85. Scribe Publications, Australia. 2018

256) **Encyclopedia of Hinduism**. Page 51 and 91.

مسامير فى جسده. وقد يتعرى ما بقى من عمره ، أو لا ينام لفترة ، أو لا يحرك جسده ، ويقوم الناس بإطعامه الغذاء[257].

والهندوسة تشبه البوذية كثيرا فيما يتعلق بمصير الخلائق ، فكل منهما يقول بدورة الولادة المتكررة، وكل منهما يحاول الانعتاق من الولادة فى المستقبل من خلال العمل الصالح. لكن بين الديانتين فرقا مهما ، وهو أن البوذية – خلافا للهندوسية– تنكر وجود النفس والله. كما أن الهدف النهائى للإنسان فى البوذية هو الوصول إلى حالة النيرفانا ، بينما الهدف النهائى فى الهندوسية هو اتحاد النفس مع براهمان ، وهذه الحالة الأسمى تسمى "موكشا" Moksha، وإن كانت تسمى أحيانا بالنيرفانا كما فى البوذية[258]. ويجب أن نؤكد أن البوذية تعتبر أن النفس (أتمان) هى والإله الأعظم (براهمان) شىء واحد. ويقولون أن انشغال الإنسان بالعالم المادى والشهوات يجعله ينسى حقيقة النفس (الأتمان) الموجودة بداخله ، وحقيقة وحدتها مع الإله براهمان الذى هو مجموع حقيقة الوجود كله ظاهره وباطنه. ولكى يدرك الإنسان هذا التوحد فعليه أولا أن يحرر عقله من تأثير الحواس والرغبات والشهوات ، وأن يمارس التأمل والزهد والتقشف.

والحقيقة أن الهندوسية ديانة غير متجانسة أو بالأحرى خليط من الديانات التى اعتنقها الشعب الهندى عبر التاريخ. ويمكن **تمييز ثلاث رؤى للحياة بعد الموت** طبقا للأدبيات الهندوسية[259]،[260]:

الرؤية الأولى: فى النصوص المبكرة للفيدا[261] نجد أن الناس بعد الموت يذهبون إلى مجال أو عالم اسمه ياماراجا Yamaraja فى العوالم السفلية حيث الخلاص الوحيد لهم يتمثل فى الطعام والشراب الذى يقدمه لهم أولادهم وأحفادهم عبر الأجيال. ويوجد احتفال يمارسه أغلب الهندوس حتى اليوم اسمه بيندا Pinda ، يتضمن تقديم طبق من الأرز للأبوين اللذين سبق أن ماتا.

[257]) **موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة**. دكتور سعدون محمود الساموك. الجزء الأول: العقائد. صفحة 104. دار المناهج للنشر والتوزيع. عمان- الأردن. الطبعة الأولى 2002م- 1422 هجرية.

[258]) مصطلح النيرفانا لم يكن من اختراع البوذا ، بل كان معروفا من قبل فى الهندوسية ، لكن المصطلح فيما بعد ارتبط بالبوذية بدرجة أكبر.

[259]) **Essential Hinduism**. By Steven J. Rosen. Page 177-181. Praeger publishers. London. 2006.

[260]) **Encyclopedia of Hinduism**. Page xx.

[261]) الفيدا Veda هى أقدم النصوص الهندية وأكثرها قداسة. ويعتبر الهندوس أن الفيدا نص موحى به من الله إلى الحكماء الهندوس. وقد كانت الفيدا تنتقل من جيل إلى جيل شفهيا بالتلاوة والحفظ ، ولم تدون إلا فى القرن الخامس عشر الميلادى. والفيدا تنقسم إلى ريج فيدا Rig vida وياجور فيدا Yajur vida وسما فيدا Sama vida وأثارفا فيدا Atharva Veda

وتبقى الروح فى حالة شبحية لمدة تتراوح بين 12 ساعة و12 شهرا بعد الموت ، ثم تقوم بالمرور عبر مختلف العناصر المادية (الأرض والهواء والماء والأثير) ، ثم تمر عبر سلسلة الغذاء ، ثم تولد كواحد من مئات الآلاف من الكائنات الحية.

الرؤية الثانية: تقول نصوص البورانا المقدسة Purana أن هناك أنواعا من الجنة والنار يذهب إليها الميت ليثاب أو يعاقب ، إلى أن يولد مرة أخرى فى جسد آخر ، ويكمل مشواره نحو تحقيق الذات.

الرؤية الثالثة: هذه هى الرؤية الأحدث والأكثر نضوجا ، والتى وردت بوضوح فى نصوص الأوبانيشاد ، وهى تمثل الموقف الرسمى للهندوسية حاليا. وطبقا لهذه الرؤية فإن الروح تولد **عقب الموت مباشرة** فى جسد آخر فى عالمنا المادى ، وتظل تنتقل من جسد لجسد فى دورة تعرف بالسمسارا Samsara ، إلى أن تتحرر من دنس الرغبات المادية ، وحينئذ تعود هذه الروح الطاهرة إلى النفس الكلية التى انبثقت منها كل الأرواح، وتنعم بالاتحاد معها ، مع العلم أن النفس الكلية هى الله (براهمان) عند الهندوس.

وكما نرى فالهندوسية تتناقض مع نفسها قبل أن تتناقض مع العقل ، فهى لا تقدم لنا نظرية واحدة ، بل نظريات عدة تطورت مع الزمن. ومن المضحك أن يعتقد الهندوس أن النفوس كلها فى الحقيقة نفس واحدة ، وأن هذه النفس الواحدة هى الإله ، وأن كل ما فى الكون كائن واحد ، وهذا يعنى أن آينشتين والحمار شىء واحد ، والعصفور والخنزير شىء واحد ، وهتلر وضحاياه شىء واحد. حاشا لله. الحمد لله على نعمة الإسلام.

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

5-الآخرة فى البابية والبهائية

فكرة عامة

كثير من القراء يسمعون عن البهائية. إنه ذلك الدين السرى الذى يتردد اسمه من حين لآخر فى وسائل الإعلام العلمانية باعتباره دينا مضطهدا ، وتضغط الولايات المتحدة على الدول الإسلامية كى تمنح أتباعه الحرية الكاملة. هذا عن البهائية ، لكن ما البابية؟

البابية هى البذرة التى نبتت منها البهائية. نشأت البابية فى إيران الشيعية فى القرن التاسع عشر الميلادى على يد شاب اسمه على محمد الشيرازى المولود عام 1819م ، والذى لقب نفسه بالباب. والباب لقب يعنى الباب الموصل إلى المهدى المنتظر[262]. ومن المعروف أن الشيعة كانوا دوما ينتظرون ظهور المهدى ، وهو محمد بن الحسن العسكرى ، الإمام الثانى عشر عندهم ، الذى يقولون أنه اختفى فى سرداب داخل مدينة سامراء منذ ألف سنة، وسيظهر قبل نهاية العالم.

وفى القرن الثامن عشر والتاسع عشر كانت إيران فى حالة مزرية من التدهور الحضارى ، فتعلقت آمال الجماهير بظهور المهدى كى ينتشلهم من الضياع. وقد تزعم الشيخ أحمد الإحسائى ومن بعده السيد كاظم الرشتى حركة تبشر بقرب ظهور المهدى ، وسميت دعوتهم باسم "الشيخية" نسبة إلى الشيخ الإحسائى[263]. وفى عام 1844م أعلن الشيرازى أنه الباب الموصل للإمام الغائب عند الشيعة ، فاتبعه كبار تلاميذ الرشتى وعامة الشيخية إلا قليلا منهم. وأتى الباب للناس بكتاب سخيف زعم أنه من وحى السماء ، وسماه "البيان" ، وهو ما يعنى أنه ادعى النبوة عمليا. المهم أن حركة البابيين نمت ، وحمل أتباعها السلاح ضد الحكومة الإيرانية وضد

---

[262]) يقول أبو الفضل فى معنى لقب "الباب": "تفنن المفسرون لاسم الباب... فبعضهم فسره بباب العلم ، وبعضهم بباب السماء ، وبعضهم بباب الحقيقة ، ولكن المستفاد من كتبه أنه هو القائم المبشر بقرب نزول المنقذ المجيد ودخول العالم فى دور جديد" . نقلا عن كتاب: **البهائية والنظام العالمى الجديد: وحدة الأديان والحكومة العالمية**. تأليف أحمد وليد سراج الدين. الجزء الأول. صفحة 381. مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث- دبى. دمشق 1994م- مطبعة الداودى.

[263]) يقول مؤرخ البهائية عبد الحسين آواره: " إن الاعتقاد بقرب ظهور المهدى والإمام الموعود قد انتشر فى إيران بصورة أنه لم يقم أحد من النوم إلا وقد قال أنه رأى الإمام الليلة ، ورد عليه الآخرون أنهم رأوه جهارا وهم مستيقظون. وقال واحد أنه رآه فى الصحراء ، وزاعم أنه نجاه من الغرق ، ومن مفتر أنه رآه فى مدينة "جابلسا" (مدينة الإمام المجهولة عند القوم) ، ومؤتفك أنه ضل طريقه إلى "جابلقاء" ورأى هناك أبناءه الهاشم والقاسم والطاهر يرأسون المسلمين ويدبرون أمورهم ويديرون حكومتهم ، وشاهد شاهده عيانا يناديه باسمه". نقلا عن كتاب: **البابية عرض ونقد**. تأليف إحسان إلهى ظهير. صفحة 53. إدارة ترجمان السنة. لاهور- باكستان. الطبعة الثانية. 1984م.

المدنيين بدعم من روسيا ، كما جاهروا بالاختلاط والفجور، فدخل الباب السجن. وأثناء سجنه اجتمع أتباعه فى مؤتمر "بدشت" حيث قرروا نسخ الشريعة الإسلامية ، واعتبار البابية دينا جديدا، وأبلغوا قرارهم للباب ، فوافق عليه. وانتهى الصراع بتنفيذ حكم القتل على الباب وعمره 31 عاما[264].

وتزعم الحركة البابية بعد الشيرازى تلميذه المسمى يحيى صبح أزل الذى هرب من إيران إلى بغداد ، وهناك التقى بأخيه من أبيه المسمى حسين على المازندرانى الذى لُقب ببهاء الله ، كما انتقل إلى بغداد عدد كبير من البابيين. ووقع تنافس طاحن –وصل إلى حد الاغتيال– بين أتباع صبح أزل الذين سموا بالأزليين وأتباع بهاء الله الذين سموا بالبهائيين. وانتهى الصراع بانتصار البهائية ، وانتشارها فى كثير من بلاد العالم ، واختفى الأزليون[265] ، كما تضاءل عمليا الاهتمام بالبابية ، واعتُبِر الباب مجرد مبشر بظهور بهاء الله الذى هو أعظم منه ، مثلما كان يوحنا المعمدان (يحيى عليه السلام) مبشرا بمجىء يسوع المسيح الأعظم منه ، وإن كان البهائيون يقولون بألسنتهم –لا بقلوبهم– أن كلا من الباب وبهاء الله شخص إلهى واحد ، أو هو الله متجسدا فى مظهر مختلف[266].

ومن الملاحظ أن **أدبيات البابية والبهائية ونصوصهما المقدسة تتسم بالغموض والتخبط ، وتنأى عن الصراحة فى أهم أمور العقيدة** عملا بمبدأ التقية الذى تربى عليه الشيعة ، ولهذا تجد مثلا أن الباب ظل حوالى أربع سنوات يقول أنه الباب الموصل إلى المهدى ، لكنه بعد ذلك ادعى أنه هو المهدى[267]، **ثم بلغ ذروة الفجور حين ادعى الألوهية** ، قائلا فى كتابه البيان: "**كنت فى يوم نوح نوحا ، وفى يوم إبراهيم إبراهيم ، وفى يوم موسى موسى ، وفى يوم عيسى**

---

264) **البابية عرض ونقد**. تأليف إحسان إلهى ظهير. صفحة 97 وما بعدها.

265) **البهائية والنظام العالمى الجديد**. الجزء الثانى. صفحة 30 وما بعدها

266) انظر كتاب: **بهاء الله والعصر الجديد**. تأليف جون.إى. إسلُمنت صفحة 28. ترجم بإذن المحفل الروحانى المركزى للبهائيين بالقطر المصرى بمعرفة لجنة النشر والترجمة البهائية.

وقد تغيرت عبارة الكتاب فى طبعته المنقحة لتؤكد بشكل أوضح على تساوى كل من الباب وبهاء الله فى الألوهية: "قارن البعض الباب بيوحنا المعمدان فى حين أن مقام الباب ليس مجرد كونه مبشرا بظهور بهاء الله ، بل إن الباب فى ذاته كان مظهرا من المظاهر الإلهية ، ومؤسسا لدين مستقل ، ولو أنه كان دينا محدودا فى مدته ، ومقتصرا على فترة قصيرة من السنوات" (انظر الطبعة المنقحة بعنوان: **منتخبات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد (مقدمة لدراسة الدين البهائى)**. صفحة 31. الطبعة الأولى. طبعت هذه الترجمة بمعرفة المحفل الروحانى المركزى للبهائيين فى شمالى شرقى إفريقيا- أديس أبابا- الحبشة. وهى مترجمة عن الطبعة الإنجليزية الثالثة المنقحة الصادرة عن مؤسسة النشر البهائية فى ويلمت ، إلينوى سنة 1979م.

267) **البهائية والنظام العالمى الجديد**. الجزء الأول. صفحة 457. ويقول الداعية البهائى جون إسلمنت: "إن العداء الذى أثير بسبب دعوة البابية قد تضاعف عندما أعلن الشاب المصلح العظيم أنه هو المهدى الذى تنبأ بمجيئه محمد صلى الله عليه وسلم". نقلا عن كتاب: **منتخبات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد**. صفحة 26.

عيسى ، وفى يوم محمد محمدا ، وفى يوم على عليا ، ولأكونن فى يوم من يظهره الله من يظهره الله ، وفى يوم مَن يظهره بعده ، مَن يظهره الله ، إلى آخر الذى لا آخر له ، قبل الأول الذى لا أول له. كنت فى كل ظهور حجة على العالمين".[268،269]

وهذا النص الأخير لا غنى عنه لفهم البابية والبهائية اللذين جاءا بنفس العقيدة: نزل الله من سمائه ، وتجسد فى صورة بشرية على شكل عدد من الأنبياء ، من أول آدم حتى محمد عليهما السلام ، ثم تجسد الله بعد ذلك فى شخصية الباب ، ثم شخصية بهاء الله ، لعنة الله عليهما. ولهذا قالوا أن على محمد الشيرازى هو الباب الموصل إلى المهدى ، وهو المهدى نفسه ، وهو بهاء الله ، وهو رسول من الله ، وهو الله نفسه. وبالمثل بهاء الله هو الباب وهو المهدى وهو رسول الله وهو الله[270].

باختصار: عقيدتهم تؤكد أن الأنبياء ليسوا كثيرين ، فما يوجد فى الحقيقة هو نبى واحد فقط ، وهذا النبى الواحد هو الله الواحد ، أى بهاء الله. إنه شكل آخر من أشكال فلسفة الحلول الصوفية الحقيرة. وسنتكلم الآن عن الآخرة فى تعاليم كل من الباب وبهاء الله. وسنلاحظ أنهما يتفقان فى نفس المخطط العام مع اختلاف فى الصياغة.

---

268) **البابية عرض ونقد** لإحسان إلهى ظهير. صفحة 203.

269) **وتكلم بهاء الله عن الباب فوصفه بالرب الأعلى: "**ولقد أصدر حضرة الباب الرّبّ الأعلى، روح ما سواه فداه**..."** (كتاب الإيقان. صفحة 194**)**.
ووصف الداعية البهائي جون أسلمنت بهاء الله بأنه رسول وإله فى نفس الفقرة التى يتكلم فيها عن التقدم العلمى الحديث: "يعتقد البهائيون أنها ترجع إلى نفثات **الروح القدس** الفائضة من **الرسول بهاء الله** الذى ولد فى إيران سنة 1817 وصعد فى الأرض المقدسة سنة 1892. ولقد علم بهاء الله أن **الرسول أو المظهر الإلهى** هو الذى يجلب النور من العالم الروحانى.... فكذلك شمس الحقيقة تضىء من خلال **المظهر الإلهى** على عالم القلوب والأرواح....فكذلك **نفثات الروح القدس الفائضة من المظهر الإلهى** تؤثر على حياة الجميع وتلهم العقول المستعدة" (**منتخبات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد**. صفحة 11-12). ولاحظ هنا قول المؤلف أن الروح القدس يفيض من الرسول ليؤثر على قلوب الناس وعقولهم ، وهو نفس اعتقاد النصارى بأن الروح القدس ينبثق من الله ، فينعم على البشر بالهداية والخير والمعجزات.
ويقول أبو الفضل الكلبايكانى وهو من كبار دعاة البهائية فى كتابه "الفرائد": "**إن دعوى المرزه على محمد الشيرازى (الباب) والمرزه حسين على (بهاء الله) ليس بدعوى المهدوية والنبوة ، بل دعواهم غير ذلك ، وهو الألوهية والربوبية"** . ويقول أبو الفضل فى مقدمة الكتاب: "**نحن لا نعتقد فى المرزه على محمد الباب إلا أنه رب وإله"** (نقلا عن كتاب: **البهائية والنظام العالمى الجديد**. الجزء الأول. صفحة 461 و 464).

270) **ويقول الباب فى البيان الفارسى أنه هو نفس شخصية آدم ونفس شخصية محمد عليهما السلام وأنه موجود عند الله بلا بداية ولا نهاية:** "إن نقطة البيان (أى الباب نفسه) هو الآدم نفسه ، بديع الفطرة الأولى ، والخاتم الذى فى يده هو نفس الخاتم الذى حفظه الله من ذلك اليوم إلى هذا اليوم" و "هو نفس محمد صلى الله عليه وسلم الذى كان نقطة العرفان" و "هو لم يزل ولا يزال فى الماضى والمستقبل عند الله وليس له بداية ولا نهاية". والفرق "أن ظهوره فى هذا العصر فى إيران أقوى وأكمل وأعلى وأشرف من ظهوره فى العرب قبل ثلاثة عشر قرنا (بصورة محمد صلى الله عليه وسلم) وقبل اثنى عشر ألف سنة بصورة آدم". وصرح الباب عن نفسه فى البيان الفارسى: "أنا قيوم الأسماء ، مضى من ظهورى ما مضى ، وصبرت حتى يمحص الكل **ولا يبقى إلا وجهى** ، واعلم بأنه لست أنا بل أنا مرآة فإنه **لا يرى فىّ إلا الله"**. ويقول الباب فى البيان الفارسى ما يفهم منه أن **من رأى الباب ـالذى هو مَظهر اللهـ فقد رأى الله نفسه ، فالله لا يمكن رؤيته إلا فى هيئة بشرية**: "إن الله مدرك كل شىء وهو خارج عن حيز الإدراك ، ولا يعرفه أحد غيره ، **والمراد من معرفة الله معرفة مَظهره ، والمراد من لقاء الله لقائه** لأن العرض لا يتصور بالذات الإلهى الأقدس ، ولقائه لا يتصور ، والذى ورد ذكر اللقاء وغيره فى الكتب السماوية **فالمقصود منه لقاء الظاهر بمظهره"**.
نقلا عن كتاب: **البابية عرض ونقد**. تأليف إحسان إلهى ظهير. صفحة 201-204.

تعاليم الباب

لا تؤمن البابية بوجود الجنة والنار. الجنة عندهم هى معرفة الباب والإيمان به ، والنار هى الجهل بالباب والكفر به. يقول جون اسلمنت: " إن جزءا مهما من تعاليم الباب خاص بتفسير عبارات القيامة ويوم الجزاء والجنة والنار. فقد قال أن معنى القيامة هو ظهور مظهر جديد لشمس الحقيقة ، وأن **معنى قيام الأموات هو اليقظة الروحانية لمن هم نيام فى قبور الجهالة والغفلة والشهوات** ، وأن **يوم الجزاء يعنى يوم الظهور الجديد** الذى فيه يحصل الفصل بين أغنام الله الذين يقبلون ظهوره وبين الذين لا يقبلونه لأن الأغنام تعرف صوت الراعى الصالح فتتبعه ، وأن **الجنة هى السرور بمعرفة الله كما أنزل لك مظهره** ، وبه يصل المرء إلى أسمى الكمال الذى يستطيع الوصول إليه ، وبه يدخل بعد الموت إلى ملكوت الله والحياة الأبدية ، وأما **النار فهى الحرمان من عرفان الله** ، وينتج عنها عدم الوصول إلى الكمال الإلهى وضياع السعادة الأبدية. وقد صرح تصريحا أكيدا أن عبارات القيامة لم يكن لها معنى بغير هذا ، وأن **الأفكار السائدة بين الأمم الخاصة بقيام أجساد الموتى وبالجنة والنار المادية وأمثالها إنما هى من اختراع الخيال.**[271]"

وفى موضع آخر يتكلم أسلمنت عن الرسول أو المَظْهر الإلهى ، فيؤكد أن ظهوره للناس هو المعنى الحقيقى ليوم القيامة: "فمجىء المظهر هو كمجىء الربيع ، **وهو يوم القيامة الذى يقوم فيه أموات الروح** إلى حياة جديدة ، وتتجدد فيه ، بل وتتأسس من جديد حقائق الأديان الإلهية ، وفيه **تظهر سماء جديدة وأرض جديدة**"[272].

ويقول الباب فى البيان الفارسى: "**إن الجنة عبارة عن الإثبات أى التصديق والإيمان بنقطة الظهور (يعنى نفسه) ، والنار عبارة عن النفى ، يعنى عدم الإيمان بنقطة الظهور وإنكاره هو**". ويقول: "إن كل من ذهب فى النفى فهو فى نار الله إلى يوم من يظهره الله ، وكل من استقر فى ظل الإثبات فهو فى جنة الله إلى يوم من يظهره الله". ويقول أيضا: "**أتحسبون أن الحساب والميزان فى غير هذا العالم ، قل سبحان الله عما يظنون**"[273]

---

[271]) **منتخبات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد (مقدمة لدراسة الدين البهائى).** تأليف الدكتور جون أسلَمُنت. صفحة 32- 33.

[272]) **منتخبات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد**. صفحة 12

[273]) **البهائية والنظام العالمى الجديد**. الجزء الأول- صفحة 467- 468

ويؤول الباب حساب الآخرة قائلا: "إن الحساب يقصد به محاسبة الله الناس بمَظْهره بالإيمان به والإنكار له ، فكل من أنكر مظهره يحاسب بالعدل ويدخل فى نار النفى ، ومن آمن به يحاسَب بالفضل ، ويدخل فى نور الإثبات ، فليس الحساب إلا الإثبات والنفى"[274].

ويقول الباب فى البيان الفارسى أن **قيامة كل دين تحدُث عند ظهور الدين الذى بعده ، والقيامة التى تكلم عنها الإسلام معناها ظهور الباب:** "كل الأديان لا تقوم قيامتها إلا بعد وصولها درجة الكمال ، فلما بلغ دين موسى هذه الغاية قامت قيامته ببعثة عيسى ، وشريعة عيسى عند وصولها الغاية والعروج الحقيقى قامت قيامتها ببعثة رسول الإسلام وبعد 1270 سنة على وصول الإسلام غاية الكمال قامت قيامته بشجرة الحقيقة وشجرة البيان فى سنة 1280 هـ لأن الشىء ما لم يبلغ كماله ومنتهاه لا تقوم قيامته ، وقيامة البيان تقوم يوم ظهور من يظهره الله بعد وصوله غايته القصوى وحده الأعلى"[275]

تعاليم بهاء الله

1-الحياة بعد الموت

فى عقيدة البهائية أن **الإنسان مكون من جسد وروح ، وأن الموت ليس هو نهاية الوجود للإنسان ، وإنما تعقبه حياة روحية جديدة خالدة**. يقول اسلمنت:

[يخبرنا بهاء الله أن **حياة الجسد هى أول مرحلة لحياتنا** ، وهى كالجنين بالنسبة لنا. **والخلاص من البدن هو كالولادة الجديدة التى منها تدخل الروح الإنسانية فى حياة أعلى دائمية**. وقد كتب: "**اعلم أن الروح بعد خروجها من الجسد تصعد إلى حضرة بارئها فى صورة دائمة** بدوام ملكوت الله وسلطنته وقوته واقتداره. ومنها تظهر آثار الله وصفاته وعنايته وألطافه. وبعد عطاء الله **تدخل الروح إلى مقام لا يوصف بالعبارة** ، ولا يعرف بكل ما خلق فى الوجود"][276]

---

274) **البهائية والنظام العالمى الجديد**. الجزء الأول. صفحة 468.

275) **البهائية والنظام العالمى الجديد**. الجزء الأول: صفحة 468-469

276) **بهاء الله والعصر الجديد**. تأليف ج.إ. إسلمنت صفحة 184.

ليست البهائية إذن دينا ينكر وجود الروح ، ولكنها تؤمن بوجود عالمين: عالمنا المادى الدنيوى ، وعالم آخر روحى يسكنه الأموات. وبين العالمين صلات قوية ووشائج متينة. يقول إسلمنت:

[إن الوحدة التى ينشدها بهاء الله لا يقصد تطبيقها على الموجودين فى العالم الأرضى فقط ، بل يشمل أيضا الذين فارقوه إلى العوالم الروحانية ، فجميعهم يربطهم نظام واحد. **وهذا النوعان من العوالم الأرضية والروحية مرتبطان ببعضهما** ارتباطا كليا. ولا يظن أن ارتباط واتصال هذين العالمين ببعضهما أمر غير طبيعى أو مستحيل ، بل إنه دائم مستمر دواما أبديا ، فالذين لم تتسع دائرة قواهم الروحانية لا يشعرون بهذا الاتصال الحى ، ولكن إذا كملت فيهم هذه القوى فإنهم يدركون كيفية الاتصال بينهم وبين الذين هم خلف الحجاب بالتدريج ، **أما عند الأنبياء والأولياء فإن الاتصال الروحانى واضح مشهود كالتحدث والتسامر العادى مع الناس.** ويقول عبد البهاء: "إن رؤيا الأنبياء ليست أحلاما ، بل هى اكتشافات روحانية ، ولها حقيقة ، فلو يقول الرسول مثلا أتى شخص بصورة معينة أو تكلم بكلام معين أو أجابنى بكذا وكذا فهذه الرؤيا هى من عالم اليقظة وليست مناما ، وهى اكتشافات روحانية... ويوجد بين الروحانين إدراكات روحانية واكتشافات وجدانية مقدسة عن الوهم والقياس واتحاد وتآلف منزه عن الزمان والمكان".... وكذلك يقول: "إن الذين صعدوا إلى الله لهم أوصاف تخالف صفات الذين لم يلحقوا ، ولكن لا يوجد فرق حقيقى بين الفريقين ، ففى الصلاة يحصل الاتصال بهم اتصالا حقيقيا ، فصلوا لأجلهم كما يصلون لأجلكم".... ويقول بهاء الله: "إن الذين استقاموا على الأمر يصلين عليهم الملأ الأعلى وأهل الجنة العليا وسكان قباب العظمة بأمر الله العزيز الحميد"][277].

2-قيام الساعة

تؤكد البهائية أن يوم القيامة بالشكل الذى يؤمن به عامة المسلمين مجرد وهم ، وأن **القيامة التى وردت فى القرآن لا تعنى وجود حياة أخرى تعقب الموت ولا تعنى وجود جنة أو نار ، فكل هذه**

[277]) **بهاء الله والعصر الجديد**. صفحة 187- 189

مجرد رموز من الخطأ فهمها بشكل حرفى. يقول الداعية البهائى أبو الفضل الكلبايكانى: "**الرجعة والقيامة بالمعنى الذى تعتقده وتنتظره الأمم أمر غير معقول إذ هو مخالف للنواميس الطبيعية ومباين للسنن الإلهية**"[278]. وأغلب الأمم عجزت بصائرها –كما يقول أبو الفضل– عن إدراك المعنى الحقيقى للقيامة كما جاءت به البهائية ، "فجهلوا معانيها **حتى ظنوا أن القيامة غير يوم قيام روح الله (يقصد بهاء الله) والساعة غير ساعة مجىء مَظْهَر أمر الله ، فخلقت أوهامهم وظنونهم فى معنى هذا اليوم العظيم أمورا مستحيلة مجهولة وحوادث عجيبة غير معقولة**[279]".

ولا أدرى أين الاستحالة وأين اللاعقلانية فى الاعتقاد بيوم ينهار فيه نظام الكون؟ ليس هناك استحالة منطقية ولا علمية. إنهم يرددون كلمات جوفاء بلا أى وزن.

ويقول بهاء الله: "**إن كثيرا من الناس يعيشون على أمل مجىء يوم ينتهى فيه العالم ، وتزول فيه السماوات ، ويحاسب فيه الناس أمام الله ، ولكن هذا محض وهم ، فالقيامة قد قامت بالفعل** ، وأحداثها التى وردت فى القرآن وقعت فى الحقيقة ، فقد "**ارتفعت الصيحة ، وأتت الساعة ، وظهرت القارعة ، ولكن القوم فى حجاب غليظ**"[280].

يرى البهائيون أن المسلمين جميعا يتلون الآيات البينات دون أن يفهموا أن **الساعة فى القرآن هى القيامة الكبرى بظهور بهاء الله الذى بمجيئه تنتهى الأمة المحمدية.** وهذه القيامة هى البعث والمعاد واليوم الآخر ويوم التلاق ويوم الحسرة للمجرمين المكذبين بحضرة بهاء الله. وليست الساعة فى القرآن هى القيامة الصغرى التى هى موت الإنسان ، وانتهاء أمر هذا البدن ، وانحلاله إلى عناصره الأولية. **ومن الخطأ انتظار وقت آخر يموت فيه العالم بصيحة واحدة. ويقوم الناس بصيحة أخرى للحشر ووضع الصراط والميزان ، إلى غير ذلك من الأمور الوهمية** التى لا حقيقة لها[281].

---

278) **البهائية والنظام العالمى الجديد**. الجزء الثانى. صفحة 250.

279) **البهائية والنظام العالمى الجديد**. الجزء الثانى. صفحة 251

280) **البهائية والنظام العالمى الجديد**. الجزء الثانى. صفحة 249.

281) منقول بتصرف عن كتاب (الرائد والدليل لمعرفة مشارق الوحى ومهابط التنزيل). والنص الأصلى وارد فى كتاب: **"قراءة فى وثائق البهائية"** تأليف دكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء). صفحة 304. الطبعة الأولى. مركز الأهرام للترجمة والنشر. القاهرة. 1406 هجرية - 1986م. وقد اضطررنا لتغيير الأسلوب بعض الشىء لأن هذا النص وكثير من النصوص البهائية عموما تتسم باضطراب العبارة.

يرى البهائيون أن "الآيات الإلهية التى وردت فى القرآن والكتب القديمة عن القيامة والساعة أكثرها مؤولة ولا يعلم تأويله إلا الله"[282]. **ويؤول بهاء الله على سبيل المثال قول القرآن (إذا السماء انفطرت) بأن معناه الحقيقى ليس انشقاق السماء يوم القيامة كما يظن المسلمون ، ولكن أن الدين الجديد يبطل الدين القديم وينسخه ، وهذا الانشقاق المعنوى فى نظره أعظم من الانشقاق الحقيقى للسماء**. وبهاء الله طبعا يعتبر أن دينه هو الدين الذى أتى ليمزق ويشق كل ما سبقه من الأديان وخاصة الإسلام. يقول بهاء الله فى تأويل الآية السابقة:

"المقصود به سماء الأديان التى ترتفع فى كل ظهور ، ثم تنشق وتنفطر فى الظهور الذى يأتى بعده ، أى أنها تصير باطلة ومنسوخة. قسمًا بالله لو تلاحظ ملاحظةً صحيحة لترى أنّ تفطّر هذه السّماء أعظم من تفطّر السّماء الظّاهرة. تأمّل قليلاً، كيف أنّ الدّين الّذي ارتفع سنينًا، ونشأ ونما في ظلِّه الجميع، وتربّوا بأحكامه المشرقة في تلك الأزمنة، ولم يسمعوا من آبائهم وأجدادهم إلاّ ذكره، بدرجة لم تدرك العيون أمرًا غير نفوذ أمره، ولم تسمع الآذان إلا أحكامه (يقصد دين الإسلام) ، **ثمَّ تظهر بعد ذلك نفسٌ تفرّق وتمزّق كلّ هذا بقوَّة وقدرة إلهيّة**، بل قد تنفيه كلّه وتنسخه. فكِّر بربِّك أيُّهما أعظم؟ أهذا أم ذاك الّذي تصوّره هؤلاء الهمج الرّعاع من تفطُّر السّماء؟"[283]

ويواصل بهاء الله تأويلاته الغريبة ، كما فى قوله تعالى عن يوم القيامة:**{يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ}** [إبراهيم: 48] الذى يؤوله على أنه يشير إلى تغير أراضى القلوب بالعلم اللدنى الذى يأتى الإنسان من الله مباشرة دون جهد يبذله فى الدراسة والتحصيل:

[كذلك **اعرَف معنى تبديل الأرض، الّذي هو عبارة عن تبديل أراضي القلوب**، بما نزل عليها من أمطار المكرمة الهاطلة من غمام الرّحمة من تلك السّماء، إذ **تبدّلت أراضيها بأرض المعرفة والحكمة**. فكم نبت في رياض قلوبهم من رياحين التوحيد، وكم تفتّح في صدورهم المنيرة من شقائق حقائق العلم والحكمة. وإذا لم تكن أراضي قلوبهم قد تبدّلت،

---

282) **البهائية والنظام العالمى الجديد**. الجزء الثانى- صفحة 248.

283) **كتاب الإيقان**. تأليف بهاء الله. صفحة 41. الطبعة الرابعة. معربة عن الفارسية. من منشورات دار النشر البهائية بالبرازيل. 1997م.

فكيف يقدر رجال ما تعلّموا حرفًا، وما رأوا معلِّمًا، وما دخلوا أيَّة مدرسةٍ، أن يتكلّموا بكلمات ومعارف لا يستطيع أحدٌ أن يدركها، بل كأنّهم قد خلقوا من تراب العلم السّرمديّ، وعُجنوا من ماء الحكمة اللّدنّيّة. ولهذا قيل "العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء"][284]

ومن الآيات الأخرى التى يفهمها بهاء الله بطريقة شاذة قوله تعالى: **{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}** [الزمر: 67]. إن بهاء الله ينكر أن يكون فى هذه الآية إشارة إلى يوم القيامة ، ويؤكد بدلا من ذلك أن:

"**المقصود من الأرض هو أرض المعرفة والعلم، ومن السّموات هو سماوات الأديان.** فانظر الآن كيف أنّ أرض العلم والمعرفة الّتي كانت مبسوطة من قبل، قد قبضها بقبضة القدرة والاقتدار، وبسط أرضًا منيعة جديدة في قلوب العباد، وأنبت رياحين جديدة، وورودًا بديعة، وأشجارًا منيعة في الصّدور المنيرة. وكذلك فانظر **كيف قد طويت بيمين القدرة سماوات الأديان المرتفعة من قبل، وارتفعت سماء البيان بأمر الله،** وتزيّنت بالشّمس والقمر والنّجوم من أوامره البديعة الجديدة."[285].

وبهاء الله يقصد بهذه الكلمات أن دين الباب الذى كان يدافع عنه وقت تأليفه كتاب "الإيقان" قد نسخ وأبطل الأديان السابقة ، وهذا هو معنى قبض الله للأرض وطيه عز وجل للسماوات.

ومن الأمور التى تحدث يوم القيامة تشقق السماء بالغماء:{وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا} [الفرقان: 25]. **وقد فهم بهاء الله أن الغمام ليس السحاب الذى نراه فى السماء ، ولكن يقصد به الأمور المخالفة لأهواء الناس وميولهم** ، وبالتحديد ما أسخط المسلمين من إعلان الباب بأن دينه نسخ الإسلام وأبطل شرائعه ، فهذه الأمور حجبت الحقيقة عن الناس كما يفعل الغمام (السحاب) حين يحجب الشمس. **ويقصد بالغمام أيضا – كما يقول بهاء الله– الطبيعة البشرية التى يتجلى بها الرسول أو الإله أمام الناس كحاجته للطعام والشراب والنوم التى تجعل الناس يشكون فيه ويكفرون به.** يقول بهاء الله فى ذلك:

---

284) **كتاب الإيقان**. صفحة 42.

285) **كتاب الإيقان. تأليف بهاء الله**. صفحة 43-44.

[أمّا قوله: إنّه يأتي على السّحاب والغمامِ، **فالمراد من الغمام هنا – هو تلك الأمور المخالفة لأهواء النّاس وميولهم،** كما ورد في الآية {أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ}. وذلك من قبيل تغيير الأحكام وتبديل الشّرائع وارتفاع القواعد والرّسوم العاديّة وتقدُّم المؤمنين من العوام على المعرضين من العلماء. **وكذلك يقصد به ظهور ذلك الجمال الأزليّ** (يقصد جمال الباب باعتباره الإله) **خاضعًا للحدودات البشريّة** (أى على شكل بشر)، **مثل الأكل والشرب، والفقر والغنى، والعزّة والذّلّة، والنّوم واليقظة، وأمثال ذلك، ممّا يثير الشّبهة عند النّاس ويحجبهم.** فكلّ هذه الحجبات قد عبّر عنها بالغمام. وهذا هو الغمام الّذي به تتشقّق سماوات العلم والعرفان لكلّ من على الأرض. كما قال تعالى: {يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ} **وكما أنّ الغمام يمنع أبصار النّاس عن مشاهدة الشّمس الظّاهرة، كذلك هذه الشّؤونات المذكورة تمنع العباد عن إدراك شمس الحقيقة.** يشهد بذلك ما جاء في الكتاب عن لسان الكفّار. {وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا} حيث قد لوحظ على الأنبياء فقر وابتلاء ظاهريّ، كما لوحظ أيضًا فيهم مستلزمات الجسد العنصريّة من قبيل الجوع والأمراض والحوادث الإمكانيّة. ولمّا كانت تظهر هذه الشّؤون من تلك الهياكل القدسيّة كان النّاس يتيهون في فيافي الشّكّ والرّيب، ويهيمون في بوادي الوهم والحيرة مستغربين: كيف أنّ نفسًا تأتي من جانب الله وتدّعي إظهار الغلبة على كلّ من على الأرض، وتنسب إلى نفسها أنّها علّة خلق الموجودات كما قال (لَوْلاكَ لَمَا خَلَقْتُ الأَفْلاكَ)، ومع ذلك تكون مبتلية بهذه الأمور الجزئيّة بتلك الكيفيّة..... ومن المعلوم أنّ التّغييرات والتّبديلات الّتي تقع في كلّ ظهور (أى ظهور دين سماوى جديد) هي عبارة عن ذاك **الغمام المظلم الّذي يحول بين بصر عرفان العباد ومعرفتهم تلك الشّمس الإلهيّة** الّتي أشرقت من مشرق الهويّة، وذلك لأنّ العباد باقون على تقليد آبائهم وأجدادهم هذه السّنين الطّويلة، ومتربّون على الآداب والطّرائق الّتي كانت مقرَّرة في الشّريعة القديمة. ثمَّ دفعة واحدة يسمعون أو يرون شخصًا مماثلاً لهم في جميع الحدودات البشريّة، يقوم من بينهم وينسخ تلك الحدودات الشّرعيّة الّتي تربوا عليها قرونًا متواترة، وكانوا يعدّون المخالف والمنكر لها، كافرًا وفاسقًا وفاجرًا.

فلا بدَّ أنّ هذه الأمور تكون **حجابًا وغمامًا** للّذين لم تذق قلوبهم سلسبيل الانقطاع، ولم تشرب من كوثر المعرفة. **ويحتجبون عن عرفان تلك الشّمس** بمجرّد استماعهم لهذه الأمور. وبدون سؤال ولا جواب يحكمون بكفره، ويفتون بقتله][286].

وبنفس الطريقة ينظر بهاء الله لقوله تعالى: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ} [البقرة: 210] ، فيرى أن "بعض علماء أهل الظاهر جعلوا هذه الآية من علامة القيامة الموهومة الّتي يتصورونها"[287]. " أما سمعوا الرّواية المشهورة الّتي تقول: "**إذا قام القائم قامت القيامة". وكذلك فسّر أئمة الهدى والأنوار الّتي لا تطفى الآية الكريمة: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ} بأنَّها تشير إلى حضرة القائم وظهوره** ... فيا أيّها الأخ أدرك إذًا معنى القيامة واعرفه، وطهِّر السّمع عن كلمات هؤلاء المردودين. فإنّك لو تسير قليلاً في عوالم الانقطاع لتشهد بأنَّه **لا يُتصوّر يومٌ أعظم من هذا اليوم، ولا قيامة أكبر من هذه القيامة**.... وحيث أنَّ هؤلاء الهمجَ الرعاعَ ما أدركوا وما عَرَفوا معنى القيامة ولا لقاء الله ، لهذا غدوا محجوبين عن فيضه بالمرّة"[288].

وحين تعرض بهاء الله للدخان الذى هو أحد علامات الساعة نجده يؤوله بأنه العذاب النفسى والغيظ الذى يصيب أولئك الذين كفروا بالبابية وهم يرون هذا الدين الجديد يعلو وينتصر ويكثر أتباعه يوما بعد يوم فى كل بقاع الأرض. يقول بهاء الله:

[وكذلك قوله: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الدخان: 10، 11] يريد بها أنّ ربَّ العزَّة قد جعل الأمورات المضادّة للأنفس الخبيثة ، والمخالفة لأهواء النّاس محكًّا وميزانًا لامتحان عباده، وتمييزًا للسّعيد من الشّقي، والمعرض من المقبل، كما قد ذُكر. وقد عبّر بالدُّخان في هذه الآية المذكورة عن الاختلافات في الرّسوم العاديّة، وعن نسخها وهدمها وانعدام أعلامها المحدودة. **فأيّ دخان أعظم من هذا الدّخان الّذي غشى كلّ النّاس، وأصبح عذابًا لهم، لا يستطيعون منه خلاصًا** مهما حاولوا بل إنّهم في كلّ حين **يعذّبون بعذاب جديد من نار أنفسهم**. إذ

[286]) **كتاب الإيقان**. صفحة 62-64

[287]) **كتاب الإيقان**: صفحة 65-66

[288]) **كتاب الإيقان**. صفحة 121

أنّهم كلّما يسمعون بأنّ هذا الأمر البديع الإلهيّ (يقصد البابية) ، والحكم المنيع الصّمدانيّ قد **أصبح ظاهرًا في أطراف الأرض. وهو كلّ يوم في علوٍّ وازدياد تشتعل في قلوبهم نار جديدة،** وكلّما يلاحظون من قدرة أصحابه وانقطاعهم وثبوتهم الّذي يزداد كلّ يوم بفضل العناية الإلهيّة استحكامًا ورسوخًا يظهر **على نفوس المعرضين اضطراب جديد.** والحمد لله، قد بلغت السّطوة الإلهيّة في هذه الأيام شأنًا لا يجرؤون معه على الكلام. وإذا ما لقوا أحدًا من أصحاب الحقّ من الّذين لو كان لهم مائة ألف روح لأنفقوها في سبيل المحبوب بكلّ روح وريحان، يظهرون أمامه الإيمان من الخوف. **وإذا ما خلوا لأنفسهم يشتغلون بالسَّبِّ واللّعن** كما قال تعالى: {وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [آل عمران: 119]. وعمّا قليل سوف ترى أعلام القدرة الإلهيّة مرتفعة في كلّ البلاد، وتشاهد آثار غلبته وسلطنته ظاهرة في جميع الدّيار][289].

وتأتى معاول التأويل البهائى على آية أخرى تتكلم عن يوم القيامة: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (55) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [الروم: 55، 56]

يرى البهائيون أن **(الساعة) فى هذه الآية لا تعنى موت الناس بصيحة واحدة ، وقيامهم من قبورهم بصيحة أخرى ، ولكنها تعنى القيامة الكبرى ، أى ظهور بهاء الله للناس.** و(المجرمون) فى الآية هم أولئك الذين لا يؤمنون بالرسالة التالية لرسالتهم ، كالمسلمين الذين لا يؤمنون ببهاء الله . و(الذين أوتوا العلم) هم أصحاب العلم فى دين بهاء الله والمؤمنون به. وقوله (لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ) موجه إلى الأمة المحمدية ، أى لبثتم فى إقامة كتاب الله وهو القرآن الكريم والعمل بشريعته إلى **يوم البعث ، أى بعث رسول آخر وبعث النفوس من مراقد غفلتها** إلى الإيمان به. فهذا هو يوم البعث الذى وعدتم به فى القرآن المجيد ، وفيه تنتهى مدتكم المقررة. وقوله: (ولكنكم كنتم لا تعلمون) معناه ولكنكم كنتم لا تعلمون ما هو المراد من البعث ، بل تنتظرون أمورا وهمية ، حتى قامت القيامة ، وجاءت الساعة ، وأنتم عنها غافلون لانصراف

---

[289]) **كتاب الإيقان**: صفحة 66-67

أذهانكم عن الحقيقة وترقب أمور لا وجود لها. **فالذين أوتوا العلم والإيمان من أمة بهاء الله يعلمون الأمة المحمدية الحقيقة –وغيرها من الأمم– ليزيلوا عنهم ما كانوا فيه من وهم. فثبت أن القيامة المشهورة بين الناس ليست هى الواردة فى القرآن ، وأن الساعة تقوم والناس لا يعلمون بقيامها ، وأن الذين أوتوا العلم الذين آمنوا بالبعث هم الذين يخبرون الناس ويعلمونهم أنه إرسال رسول بتشريع جديد وبعث الناس من موت الجهل والغفلة إلى الحياة والهداية وهى الإيمان بحضرة بهاء الله** ، والاهتداء بهديه ، وأن الأمة المحمدية قد أقامت كتاب الله إلى يوم البعث الذى هو نهاية مدتها. وقد تم ذلك وتحول الأمر إلى أمة أخرى التى هى صاحبة الوقت الحاضر ، أمة بهاء الله له الثناء[290].

ويعقب بهاء الله على تأويله الشنيع لآيات القيامة بالهجوم على المسلمين واتهامهم بالافتقار للبصيرة: "وخلاصة الكلام أنّه لمّا لم يدرك أكثر العلماء هذه الآيات ولم يقفوا على المقصود من القيامة فسّروها بقيامة موهومة من حيث لا يشعرون. والله الأحد شهيد بأنّه لو كان لديهم شيء من البصيرة، لأدركوا من تلويح هاتين الآيتين جميع المطالب الّتي هي عين المقصود"[291].

بل إن بهاء الله يتطاول بشكل متكرر على المسلمين ، واصفا إياهم بالهمج والرعاع لأنهم يقرأون القرآن ويفهمونه بطريقة تخالف طريقته الشاذة الغريبة: " الخلاصة قد انقضى ألف سنة ومايتان وثمانون من السنين من ظهور نقطة الفرقان (يقصد النبى محمد)، وجميع هؤلاء الهمج الرعاع (يقصد المسلمين) يتلون الفرقان (يقصد القرآن) فى كل صباح ، وما فازوا للآن بحرف من المقصود منه ، وهم يقرأون ويكرّرون بعض الآيات الصّريحة في الدّلالة على المطالب القدسيّة، وعلى مظاهر العزّ الصّمدانيّة. ومع ذلك لم يدركوا شيئًا منها" [292]

3–الجنة والنار فى البهائية

يقول إسلمنت: [إن بهاء الله وعبد البهاء يعتبران **الأخبار الواردة عن الجنة والنار فى الكتب المقدسة حقائق مرموزة** كحكاية آدم والخليقة المعلومة **والتى لم تقع حرفيا.** فعندهما **الجنة** هى

---

[290]) منقول بتصرف قليل عن كتاب (الرائد والدليل لمعرفة مشارق الوحى ومهابط التنزيل). والنص الأصلى وارد فى كتاب: **"قراءة فى وثائق البهائية"** تأليف دكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء). صفحة 305-306.

[291]) **كتاب الإيقان**. صفحة 67

[292]) **كتاب الإيقان**. صفحة 145

حالة الكمال والنار حالة النقص. والجنة هى الانقياد لإرادة الله والوفاق مع الناس. والنار هى عكس ذلك. فالجنة هى الحياة الروحانية والنار هى الموت الروحانى. والإنسان إما أن يكون فى الجنة أو النار قبل مفارقة البدن ، فسرور الجنة ونعيمها روحانى ، وآلام الجحيم عبارة عن الحرمان من هذا النعيم ، فيقول عبد البهاء: "وأما المكافأة الأخروية فهى الكمالات والنعم التى يحصل عليها فى **العوالم الروحانية بعد العروج من هذا العالم.** وهذه المكافأة الأخروية هى **نعم وألطاف روحانية** كالنعم الروحانية فى الملكوت الإلهى والحصول على مرغوب القلب والروح ولقاء الرحمن فى العالم الأبدى. وكذلك المجازاة الأخروية ، يعنى **العذاب الأخروى ، هو عبارة عن الحرمان من العنايات الإلهية الخاصة والمواهب الرحمانية** والسقوط فى أسفل الدركات الوجودية. وكل من يكون محروما من هذه الألطاف الإلهية ينطبق عليه حكم الأموات عند أهل الحقيقة ولو كان باقيا بعد الموت. **والغنى التام فى ذلك العالم هو التقرب إلى الحق** وإذ ذاك يكون من اليقين أن المقربين فى العتبة الإلهية تصح شفاعتهم وتكون تلك الشفاعة مقبولة لدى الحق[293]"].

****

بعد هذا العرض لآراء البابية والبهائية بخصوص الآخرة نقول أن هذا التأويل المضحك للقيامة ليس جديدا ، فهو تكرار لنفس مقولات المذهب الباطنى الشيعى التى نقلها إلينا حجة الإسلام أبو حامد الغزالى فى كتابه "فضائح الباطنية". لقد أكد الباطنية أن الكون خالد ، ولن يكون له نهاية ، وأن القيامة معناها قيام الإمام ، أى ظهوره ، كما أنكروا حدوث المعاد والبعث والجنة والنار. يقول الغزالى عن مذهب الباطنية[294]:

[**وَقد اتَّفقُوا عَن آخِرهم على إنْكَار الْقِيَامَة** وان هَذَا النظام الْمشَاهد فِي الدُّنْيَا من تعاقب اللَّيْل وَالنَّهَار وَحُصُول الانسان من نُطْفَة والنطفة من انسان وتولد النَّبَات وتولد الْحَيَوَانَات لَا يتصرم أبدا الدَّهْر **وأن السَّمَوَات وَالْأَرْض لَا يتَصَوَّر انعدام أجسامهما وَأولُوا الْقِيَامَة وَقَالُوا إِنَّهَا رمز إِلَى خُرُوج الإِمَام وَقيام قَائِم الزَّمَان** وَهُوَ السَّابِع النَّاسِخ للشَّرْع المغير

293) **بهاء الله والعصر الجديد**. صفحة 185-186

)294 **فضائح الباطنية**. تأليف أبو حامد الغزالى. حققه وقدم له دكتور عبد الرحمن بدوى. صفحة 44-46. مؤسسة دار الكتب الثقافية. الكويت. 1964م.

لِلْأَمْرِ وَرُبمَا قَالَ بَعضهم أن للفلك أدوارا كُلية تتبدل أحوال الْعَالم تبدلا كليا بطوفان عَام اَوْ سَبَب من الْأَسْبَاب فَمَعْنَى الْقِيَامَة انْقِضَاء دُورنَا الَّذِي نَحن فِيهِ وأما **الْمعَاد فأنكروا مَا ورد بِهِ الْأَنْبِيَاء وَلم يثبتوا الْحَشْر والنشر للاجساد وَلَا الْجنَّة وَالنَّار** وَلَكِن قَالُوا **معنى الْمعَاد عود كل شئ الى أَصله** والانسان متركب من الْعَالم الروحاني الجسماني أما الجسماني مِنْهُ وَهُوَ جسده فمتركب من الأخلاط الأربعة الصَّفْرَاء والسوداء والبلغم وَالدَّم فينحل الْجَسَد وَيعود كل خلط الى الطبيعة الْعَالِيَة أما الصَّفْرَاء فَتَصِير نَارا وَتصير السَّوْدَاء تُرَابا وَيصير الدَّم هَوَاء وَيصير البلغم مَاء **وَذَلِكَ هُوَ معاد الْجَسَد** وَأما **الروحاني وَهُوَ النَّفس المدركة الْعَاقِلَة** من الانسان فإنها إن صفيت بالمواظبة على الْعِبَادَات وزكيت بمجانبة الْهوى والشهوات وغذيت بغذاء الْعُلُوم والمعارف المتلقاة من الْأَئِمَّة الهداة **اتّحدت عِنْد مُفَارقَة الْجِسْم بالعالم الروحاني الَّذِي مِنْهُ انفصالها وتسعد بِالْعودِ الى وطنها الْأَصْلِيّ وَلذَلِك سمي رُجُوعا** فَقيل {ارجعي إِلَى رَبك راضية مرضية} **وَهِي الْجنَّة ..... فَأَما النُّفُوس المنكوسة المغمورة فِي عَالم الطبيعة المعرضة عَن رشدها من الْأَئِمَّة المعصومين فإنها تبقى أبد الدَّهْر فِي النَّار على معنى أنها تبقى فِي الْعَالم الجسماني تتناسخها الْأَبدَان فَلَا تزَال تتعرض فِيهَا للألم والاسقام فَلَا تفارق جسدا إِلَّا ويتلقاها آخر** وَلذَلِك قَالَ تَعَالَى {كلما نَضِجَتْ جُلُودهمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيرهَا ليذوقوا الْعَذَاب}]

ويشم المرء بقوة من آراء الباطنية رائحة نظرية تناسخ الأرواح الهندوسية التى سبق أن تكلمنا عنها. ولهذا فالبهائية ضلال ، نبت من ضلال ، نبت من ضلال.

****

وبعد ، لا يحتاج المرء إلى جهد كبير كى يفند فكر البهائية (والبابية). يكفى أن نقول أن **البهائية دين بلا دليل** ، فبهاء الله لم يتَحد الناس بمعجزة مادية كمعجزات موسى ، ولا بمعجزة معنوية كالقرآن ، فأى مجنون يأخذ كلامه على محمل الجد؟ والحقيقة أن **البهائية أسوأ حتى من المسيحية** ، وذلك لأن النصارى اعتبروا المسيح إلها لأنه أتى بالمعجزات ، بينما اعتبر البهائيون بهاء الله إلها مع أنه لم يقدم أى معجزة.

وأخطر ما فى البابية والبهائية هو القول بتجسد الله واتخاذه هيئة بشرية على الأرض ، وهذا شىء لا يليق بمقام الألوهية ، فالله تعالى أعظم من أن يظهر فى هيئة بشرية محدودة حقيرة ، فضلا عن أن هذا أمر لا داعى له لأن الرسول البشرى المؤيد من الله يمكن أن يضطلع بمهمة هداية الناس على أكمل وجه. إن من الوقاحة مجرد التفكير فى اعتبار بهلوان كالباب أو بهاء الله إلها ؛ الإله لا يتكلم بكلام غير مترابط ، ينم عن خلل فى القوى العقلية ؛ الإله لا يهرب ، ولا يخشى الموت، ولا يتراجع عن رأيه خوفا من السلطات ، ولا يتجنب الاشتراك فى حرب لنصر قضيته ركونا إلى شجاعة أتباعه.

وقد حكمت البهائية على نفسها منذ أول لحظة بالإعدام حين زعمت أنها نابعة من الإسلام ، فمن المستحيل على من له علم بالقرآن والسنة أن يصدق أن رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام كان يدعو إلى نفس ما دعا إليه بهاء الله ؛ هذا دين ، وذاك دين آخر تماما. من حق بهاء الله أن يصدق نفسه ، ويؤكد أنه جاء ليكمل مسيرة الإسلام ، لكن هذا لا يثبت أنه صادق ، فما أسهل أن يقسم اللص على براءته!

لقد انتهجت البهائية منهجا شديد الخطورة فى الاستدلال ، ألا وهو التأويل الجنونى. لقد فهم بهاء الله – ومن قبله الباب – القرآن بطريقة غريبة تبعث على الضحك. حقا بعض الآيات فى القرآن غامضة المعنى – وهى الآيات المتشابهات– لكن **البهائية أولت الآيات المحكمات ذات المدلولات الواضحة التى لا يختلف عليها اثنان** كالقيامة والبعث والجنة والنار والدخان وانشقاق السماء وختم النبوة. **وتأويل ما هو شديد الوضوح يدخل فى باب الجرائم الفكرية الشنيعة التى لا يرتكبها إلا مغرض أو مجنون.** هب أنك ألقيت التحية على رجل قائلا: "صباح الخير" ، فقال لك غاضبا: "كيف تقول لى صباح الخير؟ أنت لا تتمنى الخير لى فى الصباح ، بل تقصد أن صباحك أنت سيكون خيرا بعد أن أموت وتتخلص منى". هذا الشخص إما أنه مجنون أو سىء الظن لأقصى حد. وهذا بالضبط ما فعله البهائيون الذى فهموا نصوص القرآن الواضحة المحكمة عن القيامة بطريقة تدخل فى باب التخلف العقلى.

إن البهائية تصوَّر للإنسان المعاصر على شكل بناء شامخ جذاب ، لكنه مع الأسف بناء أقيم على الماء ، فتعسا لمن سكن بيتا أوهن من بيت العنكبوت!

تفوق الإسلام على الأديان الأخرى

تقع الآخرة فى قلب العقيدة الإسلامية. من يقرأ القرآن فلا بد أن يتنفس عبير الآخرة ، ويشعر بروحها تسرى فى كل مكان. واهتمام القرآن بالآخرة لا بد أن ينعكس على سلوك المؤمنين ، فيزداد عملهم للخير ، ويقل عملهم للشر.

وإذا نظرت إلى **معدل تكرار الكلمات التى تتعلق بالآخرة فى القرآن** لأدركت الوضع المميز لها فى الإسلام. إن تكرار كلمة ما فى القرآن –أو فى غيره– يعنى أن تلك الكلمة على جانب كبير من الأهمية ، ويكفى أن تلاحظ أن اسم موسى عليه السلام تكرر أكثر من اسم إلياس واليسع وذا الكفل ، وذلك لأن قصة موسى وفرعون قدمت نموذجا صارخا للكفر والظلم ، كما أنها حدثت فى الواقع آلاف المرات ، فأغلب ملوك الدنيا هم صور مصغرة لفرعون فى ظلمهم وكفرهم. والآن تعال معنا للكلمات المتعلقة بالقيامة فى القرآن:

- كلمة (الآخرة) ذكرت 88 مرة.
- كلمة (القيامة) ذكرت 70 مرة.
- كلمة (الساعة) ذكرت 37 مرة.
- ذُكر يوم القيامة فى القرآن بألفاظ أخرى مثل "يوم الفصل" ، و"يوم الدين" ، و"يوم الجمع" ، و"يوم التناد" ، و"الآزفة" ، و"الغاشية" ، و"الواقعة" ، و"الطامة الكبرى" ، و"الحاقة".
- كلمة (البعث) ومشتقاتها (مثل بعث– يبعث– يبعثون...إلخ)[295] ذكرت 38 مرة.
- فعل (أحيا) ومشتقاته (مثل يحييكم– يحيى– نحيى...إلخ) ذُكر 33 مرة[296].
- كلمة (جنات) ذكرت 60 مرة.
- كلمة (الجنة) ذكرت 54 مرة.

---

295) مشتقات فعل بعث فى القرآن كما يلى: (البعث): 3 مرات ، (يبعث): 4 مرات ، (بعثنا): مرة واحدة ، (بعثناكم): 3 مرات ، (بعثه): مرة واحدة ، (يبعثك): مرة واحدة ، (يبعثهم): 3 مرات ، (أبعث): مرة واحدة ، (لتبعثن): مرة واحدة ، (تبعثون): مرة واحدة ، (يبعثوا): مرة واحدة ، (يبعثون): 8 مرات ، (مبعوثون): 7 مرات ، (مبعوثين): مرتان ، (بعثكم): مرة واحدة

296) ذكرت كلمة (أحياكم(: مرتان ، و(محيى): مرة ، و(أحييتنا): مرة ، و(يحيى): مرة ، و(تحيى): مرة ، و(نحيى): 3 مرات ، و(يحيى): 18 مرة ، و(يحييكم): 4 مرات ، و(يُحين): مرة ، و(يحييها) :مرة.

- كلمة (النار) ذكرت 99 مرة.
- كلمة (جهنم) ذكرت 72 مرة.

وإضافة لما سبق ، فقد شغلت الآخرة مساحات شاسعة للغاية من القرآن من خلال ذكر أوصافها وأحداثها دون ذكر أسمائها. وانظر على وجه الخصوص إلى الجزء التاسع والعشرين والثلاثين تلاحظ أن الآخرة هى الفكرة الأهم فيهما:

- سورة الملك تتحدث عن الآخرة من آية 5 حتى 12 ومن آية 25 حتى 28.
- سورة القلم تتحدث عن الآخرة من آية 33 حتى 45.
- سورة الحاقة تتحدث كلها تقريبا عن الآخرة.
- سورة المعارج تتحدث كلها تقريبا عن الآخرة.
- سورة الجن تتحدث عن الآخرة من آية 22 حتى 28.
- سورة المزمل تتحدث عن الآخرة من آية 10 حتى 19
- سورة المدثر تتحدث عن الآخرة من آية 17 حتى 56.
- سورة القيامة تتحدث كلها تقريبا عن الآخرة.
- سورة الإنسان تتحدث كلها تقريبا عن الآخرة.
- سورة المرسلات تتحدث كلها عن الآخرة.
- سورة النبأ تتحدث كلها تقريبا عن الآخرة.
- سورة النازعات تتحدث كلها عن الآخرة. وقصة موسى التى وردت فيها تهدف للبرهنة على وقوع الآخرة ، فكما أهلك الله تعالى فرعون بجبروته سيهلك الظالمين جميعا يوم القيامة.
- سورة عبس تتحدث عن الآخرة من آية 33 حتى 42
- سورة التكوير تتحدث عن الآخرة من آية 1 حتى 14.
- سورة الانفطار تتحدث كلها عن الآخرة.
- سورة المطففين تتحدث كلها تقريبا عن الآخرة.
- سورة الانشقاق تتحدث كلها عن الآخرة.
- سورة البروج تتحدث عن الآخرة من آية 10 حتى 22.

- سورة الطارق تتحدث كلها عن الآخرة.
- سورة الأعلى تتحدث عن الآخرة من آية 11 حتى 19.
- سورة الغاشية تتحدث كلها عن الآخرة.
- سورة الفجر تتحدث عن الآخرة من آية 21 حتى 30.
- سورة البلد تتحدث عن الآخرة من آية 18 حتى 20.
- سورة الليل تتحدث كلها تقريبا عن الآخرة.
- سورة الضحى تتحدث عن الآخرة فى آية 3 و4.
- سورة التين تتحدث عن الآخرة فى آية 5 و6.
- سورة العلق تتحدث عن الآخرة فى آية 8 ثم من آية 15 حتى 19.
- سورة البينة تتحدث عن الآخرة من آية 6 حتى 8.
- سورة الزلزلة تتحدث كلها عن الآخرة.
- سورة العاديات تتحدث عن الآخرة من آية 9 حتى 11.
- سورة القارعة تتحدث كلها عن الآخرة.
- سورة التكاثر تتحدث كلها عن الآخرة.
- تتحدث بقية السور الصغيرة عن الآخرة بدرجات متفاوتة.

وإضافة إلى السورة الصغيرة تنتشر فكرة الآخرة فى غيرها من السور المتوسطة والكبيرة ، فمثلا يرد ذكر الآخرة بشكل متواصل فى سورة الصافات من آية 16 حتى آية 74. وفى سورة ص يأتى ذكر الآخرة من آية 47 حتى 68 ثم من آية 84 حتى 88. وفى سورة الزمر ورد ذكر الآخرة من آية 7 حتى آية 20 ومن 42 حتى 47 ومن 54 حتى 75 ، إضافة إلى وجودها المتفرق فى آيات أخرى عديدة. وفى سورة الواقعة ذكرت الآخرة من آية 1 حتى 56. وفى سورة الرحمن ذكرت الآخرة من آية 37 حتى 78.

ومن الصعوبة بمكان أن يواصل المرء حصر الآيات التى ورد فيها ذكر الآخرة فى القرآن كله لأن الآخرة تتخلل كل أركان القرآن كالهواء الذى لا بد أن يتنفسه الإنسان أينما حل على وجه الأرض. وعلى سبيل المثال أغلب الأوامر والنواهى والتعاليم يعقبها ذكر الآخرة للحث على

الالتزام بها. وقد لاحظ كثير من دارسى القرآن ومن المستشرقين أن **شريعة القرآن ليست أوامر وبنود جامدة خالية من الروح ، بل تكون فى الغالب مصحوبة بتذكرة المؤمنين بتقوى الله ،** وتقوى الله تعنى تجنب عقابه ، وعقاب الله الأساسى طبعا فى الآخرة ، وهذا دافع قوى للالتزام بالقوانين ، وبدون هذا الدافع الداخلى سيجد الإنسان ألف طريقة للتحايل على القوانين. وإليك أمثلة على ذلك:

- {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [البقرة: 232]
- {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [البقرة: 223]
- {فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [الطلاق: 2]
- {وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [البقرة: 203]
- {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [البقرة: 178]
- {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} [النساء: 9]
- {فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا} [البقرة: 282]
- {وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ} [البقرة: 283]

خلاصة القول أن الآخرة فكرة مركزية فى الإسلام. وإذا قارنت الإسلام بالأديان الأخرى لأمكنك بسهولة أن تلحظ تفوقا كاسحا له على تلك الديانات التى تلمح فيها الآخرة بشكل باهت ، يقل كثيرا عن وضوحها فى القرآن. وسنقوم الآن بعقد مقارنة سريعة بين الإسلام والديانات الأخرى فيما يتعلق بالآخرة.

أ- تفوق الإسلام على اليهودية

يتفوق الإسلام على اليهودية بشكل كاسح ، فقد رأينا كيف أن فكرة الآخرة تكاد تكون معدومة فى كتاب اليهود المقدس ، ويتطلب الأمر بحثا مضنيا ، وتدقيقا فى قراء النصوص كى يكتشف المرء أن الله تعالى كلم بنى إسرائيل عن الآخرة. ولهذا تجد الطوائف اليهودية قد اختلفت حول الآخرة ، فمنهم من أنكرها ، ومنهم من آمن بها.

وقد خسر اليهود الكثير بسبب غياب فكرة الآخرة فى كتبهم ، وربما لو كانت الفكرة أكثر وضوحا لديهم لتحسنت أخلاقهم بدرجة ملحوظة ، فهم يعيشون فى الدنيا من أجل الدنيا ، بلا اعتبار لثواب أو عقاب يأتى بعدها. وفى بعض الأحيان أشفق عليهم من كتابهم البائس ، ولكن أراجع نفسى ، فأقول أن اليهود رفضوا الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء الذين أتوا لهم بفكرة الآخرة ، وحذروهم من عقاب الله. ومثل هؤلاء المجرمين لا يعجبهم إلا كتاب يخلو من ذكر الآخرة وما بها من عقاب. إنهم يبحثون دائما عن الباطل كى يتبعوه ، وهؤلاء ليسوا أهلا للشفقة.

ب- تفوق الإسلام على المسيحية

يتفوق الإسلام على المسيحية بشكل واضح فى فكرة الآخرة ، وذلك للأسباب التالية:

1- **فكرة الآخرة فكرة مركزية فى الإسلام ، لكنها أكثر هامشية فى المسيحية.** وقد ذكرنا منذ قليل أن كلمة (القيامة) ذكرت فى القرآن 70 مرة ، وكلمة (الآخرة) ذكرت 88 مرة ، وكلمة (جنات) ذكرت 60 مرة ، وكلمة (الجنة) ذكرت 54 مرة، وكلمة (النار) 99 مرة، وكلمة (جهنم) 72 مرة. أما فى العهد الجديد فمصطلح (ملكوت السماوات) ورد 21 مرة ، و(ملكوت الله) ذكر 41 مرة ، و(يوم الرب) ذكر 7 مرات . وتفوق القرآن واضح كما نرى. أما ما ذكر فى سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى فعلى الرغم من طوله إلا أن ما يتعلق منه بيوم القيامة الحقيقى قليل جدا ، والقسم الأكبر من السفر يروى صراعات دنيوية ستقع قبل القيامة

الحقيقية بقرون. ونحن لا ننكر أن العهد الجديد أقل حجما من القرآن ، ولكن النتيجة فى النهاية واحدة ، وهى أن المسلم لديه فرصة أكبر لتذكر الآخرة مقارنة بالنصرانى.

2- **فكرة الآخرة حاضرة بشكل شبه دائم ، وموزعة بشكل شبه منتظم عبر القرآن كله** ، وهى تمتزج بتعاليم القرآن ونصائحه وشرائعه ، وتكاد لا تخلو منها صفحة من صفحاته. وهذا التوزيع المنتظم أقدر على التأثير على القارىء وسلوكه مقارنة بالعهد الجديد الذى تتركز فيه الآخرة أساسا فى سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى. وبالنسبة لبقية أسفار العهد الجديد سنجد أن فكرة الآخرة أقل انتشارا مقارنة بالقرآن، فمن يتصفح العهد الجديد سيلاحظ أن عليه أن ينتظر فترة أطول كى تتكرر على مسامعه كلمة لها علاقة بالآخرة ، أما من يقرأ القرآن فتلاحقه فكرة الآخرة كطلقات متتابعة من مدفع آلى.

3- **يتكلم الإسلام بوضوح أكبر ويقدم تفاصيل أكثر عن النهاية الكارثية للكون وعن يوم الحساب والجنة والنار ، وما بهما من ألوان النعيم والجحيم.** أما العهد الجديد فلا يقدم لنا إلا فكرة عامة باهتة عن نهاية العالم ، وما يعقبها من ثواب وعقاب. والمذنب الذى يقرأ القرآن سيشعر بالخوف أكثر مما لو قرأ الإنجيل ، فالقرآن يذكر الحميم والنار والمهل واليحموم والزقوم وغيرها من صنوف العذاب. وبالمثل سنجد أن الجنة فى الإسلام أكثر إغراء للإنسان ، ففيها الماء واللبن والعسل والفواكه والنساء والحلى والأثاث والحدائق والظلال وغيرها. وهذا أحد الأسباب التى تجعل المسلمين بشكل عام أكثر تمسكا بدينهم مقارنة بالنصارى.

4- **فى المسيحية يلعب المسيح دورا مركزيا فى يوم القيامة** ، فهو سينزل من السماء يوم القيامة وسط السحاب وبصحبته الملائكة ، وسيقف الناس أمامه يوم القيامة[297] ، وسيكون عرشه مع الله فى مدينة أورشليم وسط المؤمنين. أما فى الإسلام فلا يحتل المسيح وضعا خاصا ، فهو نبى مثل بقية الرسل ، وسيكون شاهدا على أمته فقط. وبشكل عام فالمسيح يقع فى قلب الديانة المسيحية كلها ، وليس فقط فى قلب عقيدتها عن الآخرة ، أم دور الله فيتراجع إلى الهوامش والأطراف ، وقد عبر القرآن عن ذلك فى قوله تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ

[297]) قال يسوع: [اِسْهَرُوا إِذًا وَتَضَرَّعُوا فِي كُلِّ حِينٍ، لِكَيْ تُحْسَبُوا أَهْلاً لِلنَّجَاةِ مِنْ جَمِيعِ هذَا الْمُزْمِعِ أَنْ يَكُونَ، وَتَقِفُوا قُدَّامَ ابْنِ الإِنْسَانِ».] (لوقا 21: 36)

وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ} [التوبة: 31] ، أى اتخذ النصارى المسيح ربا من دون الله مثلما اتخذوا رهبانهم أربابا ، ومثلما اتخذ اليهود أحبارهم أربابا.

والآن علينا أن نقارن بين شخصية المسيح (الشخصية الأهم فى يوم القيامة المسيحى) وشخصية الله عز وجل (الشخصية الأهم فى يوم القيامة الإسلامى): إن المسيح فى الفكر المسيحى شخص صفته الأساسية الرحمة والحب والحنان والتسامح. وصور المسيح التى تنتشر اليوم بين النصارى تظهره بشكل فى غاية الوداعة والرفق. وهذه الصورة تزيد النصارى طمعا فى المغفرة ، وتجعلهم أقل هيبة للآخرة وأكثر ثقة فى الفوز بملكوت السماء ، وهذا يجعلهم أقل حرصا على طاعة الله. وبالله عليكم ماذا تتوقع من المسيحى الذى كلما دخل إلى الفيسبوك قرأ عبارة (يسوع يحبك)؟ إن الآخرة تتحول بالنسبة له إلى نزهة أو جولة مضمونة. والآن انظر إلى الله عز وجل الذى يقع فى قلب مشهد الآخرة فى القرآن: إن الله تعالى إله كامل ، وهذا الكمال يجعله يجمع أحيانا بين الصفات المتضادة ، فهو عز وجل رحيم لكنه فى نفس الوقت شديد العقاب ، فالرحمة وحدها نقص. وفى أغلب الأحيان يشعر قارىء القرآن بالخوف والرهبة من الله حين يتعلق الأمر بيوم القيامة ، ومن قبيل ذلك قوله تعالى: {وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا} [طه: 108] ، وقوله: {وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا} [طه: 111] ، وقوله: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن: 26، 27] ، وقوله: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ} [السجدة: 12]. ويوم القيامة ستكون الكلمة الأولى والأخيرة لله ، ولن يكون هناك دور للشفعاء إلا بعد أن يأذن الله تعالى لهم بالشفاعة: {يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا} [طه: 109] ، {وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى} [النجم: 26] ، {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [البقرة: 255] ، {وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [سبأ: 23].

وعلى ذلك فالمسلم يخاف من يوم القيامة أكثر من خوف المسيحى منها ، وهذا يساهم فى زيادة حرص المسلمين على الخير وبعدهم عن الشر مقارنة بالمسيحيين. فالحمد لله على كمال الإسلام.

5- **فى المسيحية قيامتان:** القيامة الأولى تنتهى بانتصار المسيح وتربعه على عرش العالم لمدة ألف عام هو والمؤمنون به بعد موقعة هرمجدون التى ينهزم فيها الشيطان والوحش والنبى الكاذب. أما القيامة الثانية فتأتى بعد إطلاق سراح الشيطان ومعاودته الهجوم على المؤمنين بالتحالف مع يأجوج ومأجوج. أما فى الإسلام فلا توجد إلا قيامة واحدة فقط. **والنصارى يهتمون بشدة بالقيامة الأولى.** ويكفى أن تعلم أن معركة هرمجدون ينتظرها قطاع عريض من المسيحيين الإنجليين الذين يؤيدون بقوة عودة اليهود إلى فلسطين وقيام دولة إسرائيل لأن هذا شرط لنزول المسيح فى نهاية العالم[298] كى تتحقق نبوءة سفر الرؤيا الذى ذكر أن التنين والوحش والنبى الكاذب سيجمعون كل ملوك العالم لمحاربة المسيح وقديسيه. وقد أظهر استطلاع للرأى أجرته جامعة أكرون عام 1996م أن 31% من المسيحيين يؤيدون الاعتقاد بأن العالم سيجد نهايته فى معركة هرمجدون. ويؤكد هذا التيار الأصولى المسيحى أن هذه المعركة قد اقتربت ، وأنها ستكون المعركة الأكثر دموية فى التاريخ ، وستستخدم فيها القنابل النووية التكتيكية ، وسيدمر المسيح الملايين. وتعلق جريس هالسل على هذه العقيدة قائلة: (إن المسيحيين لم يُولوا من الاهتمام قولاً وعملاً لأى مكان عدا الجنة وجهنم ما أولوه لفكرة هرمجدون)[299]

6- **الآخرة فى المسيحية ذات طبيعة حسية وروحية.** وقد أخطأ البعض حين ظن أن الآخرة فى المسيحية ذا طابع روحى محض ، واعتبروا ذلك سببا لتفوق المسيحية على الإسلام الذى يغلب علي آخرته الطابع الحسى. وقد أوردنا من قبل بعض النصوص التى تثبت أن الثواب والعقاب فى الآخرة المسيحية لهما طابع حسى غفل عنه الكثيرون. والحقيقة أن أدق وصف

---

[298]) تقول الصحفية غريس هالسل: "هؤلاء الذين يبشرون بعقيدة هرمجيدون هم لا ساميون. فجيرى فولويل وغيره من القدريين يبدون حبا جامحا لإسرائيل. لا أحد ولا حتى الإسرائيليين يعلنون بصراحة أكثر عن تأييدهم للدولة اليهودية بلا قيد أو شرط. غير أن دعمهم لإسرائيل لا ينطلق من شعور بالذنب بسبب اضطهاد سابق ارتكبوه أو حتى من تعاطف مع اليهود الذين عانوا خلال المحرقة – الهولوكوست- إنما ينطلق دعمهم من قاعدة أخرى وهى أنهم يريدون أن تقوم إسرائيل فى "مكان ما" ليكون هذا المكان محطة نزول المسيح فى مجيئه الثانى. وفى الوقت نفسه فإن فولويل وغيره من القدريين يتحدثون باحتقار عن اليهود كيهود". انظر كتاب: **يد الله: لماذا تضحى الولايات المتحدة بمصالحها من أجل إسرائيل؟** تأليف غريس هالسل. ترجمة محمد السماك. صفحة 109. دار الشروق- مصر

[299]) **يد الله: لماذا تضحى الولايات المتحدة بمصالحها من أجل إسرائيل؟** صفحة 28-30.

للآخرة فى المسيحية هو أن كلا من الطابع الحسى والروحى غير بارزين فيها. وقد أثبتنا بشكل قاطع عبر صفحات هذا الكتاب أن الإسلام يتفوق على المسيحية فى إبراز كل من الطابع الحسى والروحى للآخرة.

إن من حقنا أن ننظر إلى تهمة الطابع الحسى للجنة والنار فى الإسلام من زاوية أخرى على أنها براعة فى وصف النعيم والجحيم. لقد أجاد الإسلام الوصف والعرض والإغراء ، وتفوقت بلاغته على بلاغة الأناجيل ، فهل يستحق هذا المدح أم القدح؟ وانظر حتى إلى الجانب الروحى للجزاء فى الآخرة –الذى ينسبونه زورا للإنجيل وحده– تجد القرآن مثلا يعبر عن الحالة النفسية للظالم بقوله: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27) يَاوَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (28) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا} [الفرقان: 27 – 29]. أما الإنجيل فعبر عن غضب الإنسان وغيظه بعد أن ذاق عذاب جهنم بقوله: "وَيَطْرَحُونَهُمْ فِي أَتُونِ النَّارِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ" (متَّى 13: 50). وقارن عبارة (يعض الظالم على يديه) بعبارة (صرير الأسنان)؟ أيهما أكثر بلاغة وتأثيرا فى القارىء؟ عبارة القرآن بلا شك لأن العض على اليد أدل على الندم مقارنة بالضغط على الأسنان.

ج- تفوق الإسلام على الهندوسية

1. **تتناقض الهندوسية مع نفسها فى مسألة الآخرة** كما تتناقض فى غيرها من المسائل ، فبعض النصوص تقول أن هناك حياة للبرزخ تعقب الموت ، ويوجد بها جنة أو نار أو جوع. وفى نصوص أخرى نجد أن الولادة تتكرر بعد الموت مباشرة. وتضارب الأفكار الأساسية فى الهندوسية بهذا الشكل يسقطها على الفور ، كما أنه يزعزع إيمان الهندوسى بها ، وهذا ينعكس على سلوكه فى الدنيا لأنه غير مطمئن لما يؤمن به.

2. **يتفوق الإسلام على الهندوسية – وعلى كل الأديان– فى التركيز الشديد على الجانب الحسى للجنة والنار** ، فإبراز هذا الجانب أقدر على تقويم سلوك البشر. وقد سبق أن تكلمنا

عن ذلك بالتفصيل ، وبينا كيف أبدع القرآن فى وصف الجنة ونعيمها ووصف النار وعذابها بشكل لا نجد له مثيلا فى الهندوسية.

3. **السعادة الحسية التى يعد بها الإسلام الناس فى الآخرة أعظم بكثير من السعادة الحسية التى تعدهم بها الهندوسية** فى الدنيا: فى جنة الإسلام ما لا عين رأت ، ولا أُذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر. أما السعادة الحسية فى الهندوسية فهى من نوع ما نراه فى الدنيا الآن من مال وجمال وزينة.

4. **السعادة الأسمى فى كل من الهندوسية والإسلام هى سعادة روحية.** السعادة العظمى فى الهندوسية تتمثل فى الاتحاد بين النفس (أتمان) والإله (براهمان). والسعادة العظمى فى الإسلام تتمثل فى نيل رضوان الله: {وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: 72]. وهنا نضع أيدينا على **فرق خطير بين الإسلام والهندوسية ، فالله تعالى يثيب المسلمين بسعادة روحية بجانب السعادة الحسية (الجنة)** كما تخبرنا الآية الأخيرة ، أما فى الهندوسية فإن وصل المرء إلى السعادة الروحية العظمى (الموكشا) توقفت روحه عن التنقل بين الأجساد ، وفقد القدرة على التمتع بما فى الدنيا من لذات حسية كالأكل والشرب والجماع وغيرها. لقد جمع الإسلام بين الحسنيين: المادة والروح ، أما الهندوسية فكأنها أرادت أن تغرى الناس ، فثبطتهم من حيث لا تدرى. إن أغلب الناس لا تغريهم السعادة الروحية الموعودة فى الهندوسية ، ولن يبذلوا من أجلها التضحيات، ولن ينتشر بسببها الخير على الأرض. ومن روعة القرآن أنه رغم اعترافه بأن السعادة الروحية أعظم من السعادة الحسية فى الآخرة إلا أنه ركز بشدة على السعادة الحسية لأنها أقدر على إغراء أغلب الناس ، وهذا يجعل الخير أكثر شيوعا ، وليس مقتصرا فقط على مجموعة من الرهبان والزهاد الذين لا يؤثرون فى العالم. ولا شك أن المدرس الحكيم هو الذى يبذل قصارى جهده كى ينجح كل طلبة فصله ، وليس لكى ينجح الأذكياء منهم فقط.

5. **يَعِد كل من الإسلام والهندوسية الإنسان بالسعادة الحسية فى الحياة الدنيا** ، فالله تعالى يكافىء المسلمين الصالحين بالبركة والتيسير والثراء فى الدنيا. وبالمثل تَعِد الهندوسية

أتباعها بالولادة فى حياة سعيدة إن هم عملوا الخير فى الدنيا. ولكن بقليل من التفكير يكتشف المرء أن **السعادة الحسية التى تعدنا بها الهندوسية فى الدنيا هى محض سراب** لأن الإنسان الذى يريد أن يولد غنيا قويا ذكيا فى الحياة القادمة فسيكون عليه أن يتقشف فى الحالية الحالية ، فإن تم له ما أراد ، وولد سعيدا فى المرة التالية ، فسيكون عليه أن يتقشف، ويترك النعم التى أعطيت له حتى يحتفظ بالسعادة فى الحياة الثالثة. وهكذا سيجد الإنسان أنه يسعى من أجل ثمرة كلما مد يده ليقطفها اكتشف أنها مسمومة ، فتركها ، ليعمل مرة أخرى من أجل نفس الثمرة المسمومة ، ولن يقدر يوما على التمتع بالملذات.

6. **السعادة الحسية فى جنة الإسلام خالدة ، أما السعادة الحسية فى الهندوسية فهى غير خالدة** لأن الإنسان يثاب لفترة محدودة فى حياته ، ثم يموت ليولد مرة أخرى فى حياة قد لا تكون سعيدة.

7. **العذاب الحسى الذى يتوعد به الإسلام العصاة فى الآخرة أشد بكثير من العذاب الذى تتوعدهم به الهندوسية فى الدنيا. كما أن الإسلام يتوعد المجرمين بعذاب خالد ، بينما العذاب فى الهندوسية مؤقت** لأنه ينتهى بموت الإنسان وولادته فى حياة جديدة ، قد تكون أكثر سعادة. ولهذا فالمسلم أشد خوفا من عقاب الإله مقارنة بالهندوسى ، وهذا ينعكس بشكل أفضل على السلوك.

د- تفوق الإسلام على البوذية

1. تحقر البوذية بشكل واضح من الثواب الحسى الدنيوى ، وتدعو البوذيين إلى تجاهله ، وتحثهم فى المقابل على السعى إلى الثواب الروحى الأعظم المتمثل فى الوصول إلى حالة النيرفانا. أما الإسلام فينتهج بشكل واضح سياسة إغراء الناس بما فى الجنة من متع حسية ، وفى نفس الوقت يعترف بأن الثواب الأعظم هناك ذو طابع روحى ، يتمثل فى نيل رضوان الله: {وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [التوبة: 72].

وموقف البوذية ينم عن تجاهل شديد لطبائع البشر ، فالإنسان لديه غرائز تحتاج إلى إشباع حسى. وإذا كان من الضرورى أن نقيد من غرائز الناس وشهواتهم فى الدنيا حتى لا تتحول الحياة إلى فوضى ، فإن من الضرورى أيضا أن نعدهم بحياة فى الآخرة تتضمن كل هذه الشهوات التى حرموا منها ، وتعوضهم عن كل ما لاقوه فى الدنيا من عنت ، ومن الحماقة أن تكافىء المجتهد بطريقتك لا بطريقته هو. إن الإسلام هو الشريعة الوحيدة التى سلمت من التحريف ، ولهذا جاء كلامه عن جزاء الآخرة متناغما مع الطبيعة البشرية.

2. **فى الإسلام يمثل الثواب الحسى فى الآخرة النهاية السعيدة الخالدة** لرحلة شاقة من الكفاح خاضها الإنسان فى الدنيا ، **أما فى البوذية فتمثل الجنة الحسية مجرد نزهة مؤقتة.** لقد رأينا كيف أن الجنة الحسية فى البوذية (المستويات الستة العليا فى العالم الحسى) مليئة باللذات الحسية ، لكن الحياة فيها لا تدوم ، وهذا يغض كثيرا من قدرها ، فالإنسان لا بد أن يشعر بالغم حين يعلم أن النعيم سيزول يوما. وكم سمعنا عن ممثلات أصبن بالاكتئاب لما شعرن باقتراب سن الشيخوخة. وفى شهر رمضان نشعر بالحزن كلما اقتربت نهايته. وكل عام نشعر بالحزن بسبب اقتراب الإجازة السنوية من نهايتها. ولذا ففكرة الجنة فى البوذية بها خلل خطير ، وهى أقل قدرة على إغراء الناس ، وحضهم على نشر الخير على الأرض.

3. **ولا تكمن المشكلة فقط فى أن جنة البوذية الحسية فانية ، فالأدهى من ذلك أنها تنتهى دائما بنهاية مأساوية** ، فمن تنتهى فترة إقامته بها لا بد أن يعاد خلقه فى واحد من مستويات الشقاء الأربعة المليئة بصنوف العذاب والألم ، والتى تعد نار جهنم واحدا منها. لقد كنت فى صغرى أكره سماع تلك الأفلام العربية التى تنتهى بنهايته حزينة ، فالأسوأ من المصيبة هو وقوع المصيبة بعد سعادة لأن الغم فى هذه الحالة يكون مضاعفا. ولا بد أنك سمعت عن غنى ضاعت ثروته ، فانتحر لأنه لم يطق العيش فى فقر ، مع أنه لا يزال أفضل حالا من كثير من الفقراء رغم ضياع ثروته. إن التحول من النقيض للنقيض يمزق القلب ، وهذا ينطبق على الخروج من جنة البوذية الحسية. أما جنة الإسلام فلا خروج منها، ولذا فهو تمثل نهاية سعيدة: {لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ } [الحجر: 48]. ثم إن المرء يتساءل: ولماذا يخرج البوذى من الجنة الحسية كى يسقط فى مجال من مجالات الشقاء والويلات؟ إنه لم يفعل شرا فى الجنة التى كان يقيم فيها. وحتى إن كان يعيش هناك غارقا فى الملذات التى أعمته عن ممارسة التأمل والوصول لحالة النيرفانا ، فهل يكون

الجزاء كل هذا الويل؟ هل يستوى هو ومن سرق أو غش أو قتل؟ وبفرض أن هذا جزاء عادل فهذا يعنى أن الجنة مجرد خدعة كبرى لأن على ساكنها أن يكف عن الاستمتاع بها إن أراد النجاة مما يتبعها من عقاب. إننا أمام جنة ليس لها من الجنة إلا الاسم.

4. **العقاب فى الإسلام كثيرا ما يكون خالدا ، ولهذا فهو أكثر قدرة على الردع مقارنة بالعقاب فى البوذية.** الإسلام يهدد المجرم بالخلود فى النار إن كفر بالله أو ارتكب كبائر الذنوب كالقتل العمد (وما أكثر من قتلوا ظلما!)، أما فى البوذية فكل عذاب مهما طال فيها فلا بد له من نهاية. ولا شك أن الإنسان سيعمل للعذاب ألف حساب إن علم أن أمامه فرصة وحيدة، إن خسرها خسر كل شىء ، أما من يعلم أن العذاب سينتهى فى يوم من الأيام فسيكون فى نفسه حتما شىء من الاستهتار ، وسيكون أكثر تهاونا فى الأمور الأخلاقية. ولهذا تتفوق فكرة جهنم فى الإسلام على مثيلتها فى البوذية.

5. **أجاد الإسلام فى وصف جهنم** ، وأبدع فى ذلك أيما إبداع ، وبشكل عام سنجد أن فكرة جهنم فى القرآن أكثر قدرة على ردع المجرمين مقارنة بفكرة جهنم الموجودة فى البوذية.

6. **كثير من المسلمين سينالون السعادة الأبدية فى الآخرة** طبقا لقوله تعالى: {لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (38) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (39) وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ} [الواقعة: 38 – 40] ، أى أن أصحاب اليمن (أهل الجنة) كثيرون ، سواء ممن عاشوا فى العصور القديمة أو الحديثة. **أما فى البوذية فالسعادة الأبدية من نصيب قلة قليلة من الناس** ، هم أولئك الذين يستطيعون من خلال تأملهم وزهدهم أن يصلوا إلى حالة النيرفانا. وموقف الإسلام ولا شك أقرب للمنطق والعدل لأنه مبنى على إدراك لقدرات البشر وطبائعهم.

7. **تنظر البوذية للألم على أنه فقط نوع من العقاب** على العمل السىء ، بينما ينظر الإسلام للألم – إضافة إلى كونه شكلا من أشكال العقاب– على أنه **قد يكون اختبارا من الله للعبد. كما تأتى المصيبة أحيانا لحماية المؤمن من شر أكبر ، كأن يموت للرجل ابن ، لو عاش لعق أبويه.** ولهذا كثيرا ما نرى الكافر غارقا فى اللذات ، بينما المؤمن فقير أو مريض. إن أكثر الناس ابتلاء هم الأنبياء. يعقوب ابتلى بفقد ولده ، ومريم اتهمت فى شرفها، وإبراهيم حاول قومه حرقه ، كما اغترب عن ولده وزوجه ، وعيسى كُذب وكاد يُقتل ، وموسى اضطُهد وطُرد من مصر لسنوات طويلة. ولا شك أن نظرة الإسلام أكثر عدلا وواقعية ، فمن

المقبول تماما من الناحية الأخلاقية وضع الناس فى اختبار للتفرقة بينهم فى المواهب والملكات والعزائم ، كما يحدث فى الامتحانات الدراسية التى لولاها لحصل كل الناس على الدكتوراة ، ولحصل كل العلماء على جائزة نوبل. وبدقة أكبر نؤكد أن الاختبارات ليست فقط مقبولة ، بل إنها ضرورية ، وبدونها يسود الظلم ، ويتساوى الجميع فى الدنيا دون وجه حق.

هـ- تفوق الإسلام على البابية والبهائية

من الظلم للإسلام أن نقارنه بالبابية والبهائية ، ومع ذلك نقول ما يلى:

أولا: ليس فى البابية ولا البهائية نهاية للكون ولا حساب ولا جنة ولا نار. كل هذه الأفكار أولها البهائيون ، ودمروها تماما سيرا على خطى أسلافهم من الباطنية. ولهذا فقد حرَم البهائيون أتباعهم من أهم دوافع الاستقامة وحسن الخلق ، وفتحوا الباب أمامهم للانحلال والإباحية والظلم. لم يعد من الممكن للمظلوم أن يصرخ فى وجه الظالم شاهرا سلاح القيامة ، فقد أعلن بهاء الله أن ظهوره فى الدنيا هو القيامة ، وأن انشاق السماء ومجىء الدخان وتبدل الأرض والسماوات مجرد أوهام صدقها الرعاع من المسلمين. بالله عليكم ما شعور برىء أجلسه جلادوه على خازوق – دخل من دبره ، ليخرج من كتفه – حين يسمع من البهائيين أنه لا عقاب للظالمين فى الآخرة؟ وما شعور امرأة شريفة اغتصبت على أيدى عصابة من اللصوص – فروا دون أن تتمكن الشرطة منهم– وهى تسمع من البهائيين أن مغتصبيها لن يعذبوا فى الآخرة؟ أما القرآن فيوجه كلامه إلى كل مظلوم وكل ظالم قائلا: {الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (17) وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (18) يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (19) وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [غافر: 17 – 20]

ثانيا: بعد أن أنكر البهائيون وجود النعيم الحسى والجحيم الحسى بعد الموت أخفقوا حتى فى إغراء الناس بالنعيم الروحى وتخويفهم من العذاب الروحى بشكل يساهم فى حثهم على عمل الخير وتجنب الشر. وانظر فى المقابل إلى القرآن وهو يبدع فى تصوير النعيم النفسى والشقاء النفسى كما رأينا فى فصل سابق. خذ مثلا قول القرآن عن حسرة الظالم: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27) يَاوَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (28) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا} [الفرقان: 27 – 29]. هل

فى البهائية شىء من هذا؟ وانظر كذلك إلى المقارنة البديعة التى عرضها القرآن بين سخرية الكفار من المؤمنين فى الدنيا ، وانقلاب الحال يوم القيامة: {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (29) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (30) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (31) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (32) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (33) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (34) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (35) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (36)} [المطففين: 29 – 36]. وبشكل عام فالمرء لا يلمح فى أدبيات البهائية ذلك الإبداع الإلهى الذى يختلف عن كل ما جادت به قرائح البشر ، ويا بُعد ما بين كلام السماء وكلام الأرض!

إن أغلب الناس لا يخيفهم ولا يغريهم إلا ما هو مادى ، ولهذا فالقول بأن الثواب والعقاب أمور روحية خالصة يعد جريمة مكتملة الأركان فى حق الخلق والفضيلة ، وسم زعاف ، ما فتأ الشيطان يبثه من خلال تلاميذه عبر العصور ليضل الناس عن سبيل الله. وقد لاحظ أبو حامد الغزالى ذلك الأمر ، فقال عن الباطنية الذين كانوا أساتذة للبهائيين: "وغرضهم بِهَذِهِ التأويلات انتزاع المعتقدات الظَّاهِرَة عَن نفوس الْخلق **حَتَّى تبطل بِهِ الرَّغْبَة والرهبة** ثمَّ مَا أوهموه وهذوا بِهِ لَا يفهم فِي نَفسه **وَلَا يُؤثر فِي ترغيب وترهيب**"[300]

وهكذا تفوق الإسلام على كل الأديان فيما يتعلق الآخرة. تفوّقَ الإسلام لأنه الدين الوحيد الذى بقى خالصا من كل شوائب التحريف. الإسلام هو القمة التى لا شىء بعدها أعلى منها. إن دين الله هو الكمال، وكل من حاول أن يضيف إليه أو يحذف منه فمآله النقص والخسران.

---

300) **فضائح الباطنية**. صفحة 46

كلمة ختام

يعلم الله عز وجل كم تعبت فى إعداد هذا الكتاب مع إدراكى أن من المحتمل جدا ألا يحظى بإعجاب القراء ، وألا يكتب له البقاء ، وأن يتوه وسط زحام الكتب الرهيب. لا تهمنى الشهرة ، فما بقى من العمر أقل مما مضى ، كما أن الشهرة تفسد الإنسان ، وتخرجه من الدنيا صفر اليدين ، ودخول إنسان واحد الجنة بسبب هذا الكتاب أهم عندى من الدنيا وما فيها. اللهم افتح القلوب والعقول لكتابات كل مؤمن مخلص. اللهم اهدنا واهد بنا. اللهم نجنا من أنفسنا، واغفر اللهم تقصيرنا ، واصرف عنا عذاب جهنم ، إن عذابها كان غراما.

تم الكتاب بحمد الله

والحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

دكتور/ محمد سعيد محمد المكاوى

المراجع

المراجع العربية

1. **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**. تأليف: محمد بن حِبان. ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي. حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت. الطبعة الأولى، 1408 هـ - 1988 م

2. **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**. تأليف: أحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلاني. المطبعة الكبرى الأميرية– مصر – الطبعة السابعة 1323هجرية.

3. **أكذوبة الملحد الطيب: إثبات فساد الأخلاق فى غياب الدين**. تأليف دكتور محمد سعيد المكاوى. نشر على موقع أمازون كيندل للكتب الرقمية ، عام 2020م ، وبرقم ASIN: B087FB4QD7

4. **الآيات البينات في عدم سماع الأموات على مذهب الحنفية السادات**. تأليف: نعمان بن محمود الألوسي (المتوفى: 1317هـ). المكتب الإسلامي – بيروت. الطبعة الرابعة. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.

5. **البابية عرض ونقد**. تأليف إحسان إلهى ظهير. إدارة ترجمان السنة. لاهور– باكستان. الطبعة الثانية. 1984م.

6. **البعث والنشور للبيهقي**. حققه وضبطه وعلق عليه: أبو عاصم الشوامي الأثري. مكتبة دار الحجاز للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى، 1436 هـ

7. **البهائية والنظام العالمى الجديد: وحدة الأديان والحكومة العالمية**. تأليف أحمد وليد سراج الدين. مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث– دبى. دمشق 1994م– مطبعة الداودى.

8. **الروح والجسد**. تأليف دكتور مصطفى محمود. الطبعة السابعة. دار المعارف. القاهرة. 1998م.

9. **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية**. تأليف أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي. دار إحياء التراث العربي، بيروت. الطبعة الأولى، 1412 هـ

10. **السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة (قراءة جديدة)**. تأليف أبو عمر، محمد بن حمد الصوياني. مكتبة العبيكان. الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2004 م

11. **السيرة النبوية لابن هشام**. تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي. الناشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. الطبعة الثانية. 1375هـ - 1955 م

12. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**. تأليف أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين – بيروت. الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م

13. **الفصل فى الملل والأهواء والنحل**. تأليف ابن حزم الظاهرى الأندلسى. (وبهامشه: الملل والنحل للشهرستانى). الجزء الرابع. مكتبة السلام العالمية. قام بشرح معضلات ألفاظه وتبيين كلامه الشيخ عبد الرحمن خليفة. وقام بطبعه السيد محمد على صبيح. 1348 هجرية. مصر.

14. **الكتاب المقدس:** ترجمة فاندايك وسميث– دار الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط – 1995م.
15. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.** تأليف أبو محمد عبد الحق بن عطية. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة الأولى – 1422 هـ
16. **المطَالبُ العَاليَةُ بِزَوَائِدِ المسَانيد الثَّمَانِيَةِ** لابن حجر العسقلاني. دار العاصمة للنشر والتوزيع – دار الغيث للنشر والتوزيع– الطبعة الأولى 1998م–2000م
17. **المفردات في غريب القرآن.** تأليف الراغب الأصفهانى. تحقيق صفوان عدنان الداودي. دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت. الطبعة الأولى – 1412 هـ
18. **المنقذ من الضلال والموصل إلى ذى العزة والجلال.** تأليف أبو حامد الغزالى. حققه وقدم له الدكتور جميل صليبا والدكتور كامل عياد. الطبعة السابعة. دار الأندلس للطباعة والنشر. بيروت– لبنان– 1967م.
19. **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج.** تأليف محيى الدين يحيى بن شرف النووى. دار إحياء التراث العربي – بيروت. الطبعة الثانية، 1392 هجرية.
20. **بهاء الله والعصر الجديد.** تأليف جون.إى. إسلُمُنت. ترجم بإذن المحفل الروحانى المركزى للبهائيين بالقطر المصرى بمعرفة لجنة النشر والترجمة البهائية. وهناك طبعة حديثة منقحة من هذا الكتاب بعنوان: **منتخبات من كتاب بهاء الله والعصر الجديد (مقدمة لدراسة الدين البهائى)**– الطبعة الأولى. طبعت هذه الترجمة بمعرفة المحفل الروحانى المركزى للبهائيين فى شمالى شرقى إفريقيا– أديس أبابا– الحبشة. وهى مترجمة عن الطبعة الإنجليزية الثالثة المنقحة الصادرة عن مؤسسة النشر البهائية فى ويلمت ، إلينوى سنة 1979م.
21. **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام.** تاليف شمس الدين الذهبي. تحقيق الدكتور بشار عوّاد معروف. دار الغرب الإسلامي. الطبعة الأولى، 2003 م.
22. **تاريخ موجز للزمان.** تأليف ستيفن هوكنج. ترجمة مصطفى إبراهيم فهمى. مكتبة الأسرة– الهيئة المصرية العامة للكتاب. 2001م.
23. **تدريب الراوي في شرح تقريب النووي.** تأليف عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. دراسة وتحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف. دار الكتب الحديثة. الطبعة الثانية– 1385هـ/1966م
24. **تفسير التحرير والتنوير** أو «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد». تأليف: محمد الطاهر بن عاشور التونسي. الدار التونسية للنشر – تونس.1984 هـ.
25. **تفسير الزمخشرى ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل.** دار الكتاب العربى– بيروت. الطبعة الثالثة 1407 هجرية.
26. **تفسير الشعراوي.** تأليف محمد متولي الشعراوي. الناشر: أخبار اليوم. 1997 م
27. **تفسير الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن.** تأليف أبو جعفر الطبري. تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة. دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان. الطبعة: الأولى، 1422 هـ – 2001 م
28. **تفسير القرآن العظيم لابن كثير.** تحقيق: محمد حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت. الطبعة الأولى – 1419 هـ

29. **تفسير القرطبى (الجامع لأحكام القرآن والمبَين لما تضمنه من السنة وآى الفرقان).** تأليف أبى عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي. تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. دار الكتب المصرية – القاهرة. الطبعة الثانية، 1384هـ – 1964 م.
30. **تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.** تأليف شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي. تحقيق علي عبد الباري عطية. دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، 1415 هـ
31. **تفسير مفاتيح الغيب.** تأليف فخر الدين الرازي. دار إحياء التراث العربي– بيروت. الطبعة: الثالثة – 1420 هـ.
32. **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها.** تأليف محمد ناصر الدين الألبانى. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع– الرياض. الطبعة الأولى 1995م.
33. **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة.** تأليف: محمد ناصر الدين الألباني. دار المعارف، الرياض – المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى، 1412 هـ / 1992 م
34. **سير أعلام النبلاء.** تأليف شمس الدين الذهبي. تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة. الطبعة الثالثة – 1405 هـ / 1985 م
35. **صحيح البخاري.** تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة. الطبعة الأولى، 1422هـ. شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا
36. **ضعيف سنن الترمذي.** تأليف: محمد ناصر الدين الألباني. أشرف على طباعته والتعليق عليه: زهير الشاويش بتكليف: من مكتب التربية العربي لدول الخليج – الرياض. توزيع:المكتب الاسلامي – بيروت. الطبعة: الأولى، 1411 هـ – 1991 م
37. **فتح البارى شرح صحيح البخارى** لابن رجب الحنبلى. تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون. الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية. الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة. الطبعة الأولى، 1417 هـ – 1996 م.
38. **فتح الباري شرح صحيح البخارى.** تأليف ابن حجر العسقلانى. رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي. قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب– دار المعرفة – بيروت، 1379 هجرية
39. **قراءة فى وثائق البهائية.** تأليف دكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء). الطبعة الأولى. مركز الأهرام للترجمة والنشر. القاهرة. 1406 هجرية – 1986م.
40. **قصة الحضارة.** تأليف ويل ديورانت. تقديم الدكتور محيي الدّين صَابر. ترجمة الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين. دار الجيل، بيروت – لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس. 1408 هـ – 1988 م
41. **كتاب الإيقان.** تأليف بهاء الله. الطبعة الرابعة. معربة عن الفارسية. من منشورات دار النشر البهائية بالبرازيل. 1997م.
42. **لسان العرب.** تأليف ابن منظور الأنصاري. دار صادر – بيروت. الطبعة الثالثة – 1414 هـ

43. **لسان الميزان.** تأليف ابن حجر العسقلاني. تحقيق عبد الفتاح أبو غدة. دار البشائر الإسلامية. الطبعة الأولى، 2002 م.

44. **مختصر الشمائل المحمدية** للترمذى. المكتبة الإسلامية – عمان – الأردن. اختصره وحققه محمد ناصر الدين الألباني

45. **مشكاة المصابيح.** تأليف محمد بن عبد الله ولي الدين، التبريزي. تحقيق محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي – بيروت. الطبعة الثالثة، 1985م.

46. **مطالع الأنوار على صحاح الآثار.** تأليف أبو إسحاق ابن قرقول. تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث. الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – دولة قطر. الطبعة الأولى، 1433 هـ – 2012 م

47. **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين.** تأليف أبو الحسن الأشعري. عنى بتصحيحه: هلموت ريتر. دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا). الطبعة الثالثة، 1400 هـ – 1980 م.

48. **موسوعة الألباني في العقيدة.** تأليف محمد ناصر الدين الألباني «موسوعة تحتوي على أكثر من (50) عملاً ودراسة حول العلامة الألباني وتراثه الخالد». صَنَعَهُ: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان. مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء – اليمن. الطبعة الأولى، 1431 هـ – 2010 م

49. **هل معجزات الأنبياء مستحيلة؟** تأليف دكتور محمد سعيد المكاوى. نشر هذا الكتاب على منصة أمازون كيندل للكتب الرقمية بتاريخ 22 أبريل 2020 ورقم: ASIN: B087G1BFB9

50. **يد الله: لماذا تضحى الولايات المتحدة بمصالحها من أجل إسرائيل؟** تأليف غريس هالسل. ترجمة محمد السماك. دار الشروق– مصر

المراجع الانجليزية

1. “e-Sword”, version 12.1.0; Copyright © 2000-2019, a registered trademark of Rick Meyers. United States of America. www.e-sword.net هذا برنامج إلكترونى مجانى رائع يتضمن ترجمات كثيرة وتفاسير كثيرة للكتاب المقدس
2. **The Cambridge Bible for Schools and Colleges**. In “e-Sword”, version 12.1.0; Copyright © 2000-2019, a registered trademark of Rick Meyers. United States of America. www.e-sword.net
3. **A Brief Introduction to the Ekpyrotic Universe**. By Paul J. Steinhard . available at: https://wwwphy.princeton.edu/~steinh/npr/ . accessed October11, 2020.
4. **A Cyclic Model of the Universe**. By Paul J. Steinhardt and Neil Turok. *Science;* 24 May 2002:Vol. 296, Issue 5572, pp. 1436-1439. DOI: 10.1126/science.1070462
5. **A quintessential introduction to dark energy**. By Paul J. Steinhardt. *Phil. Trans. R. Soc. Lond.* A (2003) 361, 2497- 2513
6. **A quintessential introduction to dark energy**. By Paul J. Steinhardt. *Phil. Trans. R. Soc. Lond.* A (2003) 361, 2497-2513. http://doi.org/10.1098/rsta.2003.1290
7. **Adam Clarke’s Commentary on the Bible**. In “e-Sword”, version 12.1.0; Copyright © 2000-2019, a registered trademark of Rick Meyers. United States of America. www.e-sword.net
8. **Albert Barnes’ Notes on the Bible.** In “e-Sword”, version 12.1.0; Copyright © 2000-2019, a registered trademark of Rick Meyers. United States of America. www.e-sword.net
9. **Before the big bang**. By Michael D. Lemonick. DISCOVER FEBRUARY 2 0 0 4
10. **Biblical literature**. By H. Grady Davis, Seymour Cain and Others Encyclopædia Britannica. Published: August 20, 2020. https://www.britannica.com/topic/biblical-literature; access date: January 09, 2021
11. **Bohm’s Alternative to Quantum Mechanics**. By David Z Albert. Scientific American. May, 1994;https://www.scientificamerican.com/index.cfm/_api/render/file/?method=inline&fileID=E4E5A621-B144-4118-B081CC1548143F34
12. **Bosnia's Srebrenica massacre 25 years on - in pictures.** BBC NEWS. Published 10 July 2020. https://www.bbc.com/news/world-europe-53346759
13. **Buddhism as Philosophy: An Introduction**. By Mark Siderits. Ashgate Publishing Limited, UK. 2007
14. **Buddhism: Nirvanna.** By Donald S. Lopez. Encyclopedia Brittanica. https://www.britannica.com/topic/Buddhism; accessed November 21, 2020.
15. **Can a negative-mass cosmology explain dark matter and dark energy**? By H. Socas-Navarro. Astronomy & Astrophysics; April 2020; arXiv:1902.08287v2

16. **Can a negative-mass cosmology explain dark matter and dark energy**? By H. Socas-Navarro. Astronomy & Astrophysics; April 2020; arXiv:1902.08287v2
17. **Canton J, Scott KM, Glue P**. Optimal treatment of social phobia: systematic review and meta-analysis. Neuropsychiatr Dis Treat. 2012;8:203-215.
18. **Cassol H, Martial C, Annen J, Martens G, Charland-Verville V, Majerus S, Laureys S.** A systematic analysis of distressing near-death experience accounts. Memory. 2019 Sep;27(8):1122-1129.
19. **Coull JT, Morgan H, Cambridge VC, et al.** Ketamine perturbs perception of the flow of time in healthy volunteers. Psychopharmacology (Berl). 2011;218(3):543-56.
20. **Dark Matter is Negative Mass**. By Hyoyoung Choi. *viXra*. 2018
21. **Dark worlds**. By Jonathan Feng and Mark Trodden. Scientific American. November, 2010.
22. **Do black holes die?** By Paul Sutter October 03, 2016; space.com. https://www.space.com/34281-do-black-holes-die.html ; accessed on 5 March 2019.
23. **Do Jews Believe in The Afterlife**?" By Simcha Paull Raphael, Ph.D. Chapter 2 of JEWISH VIEWS OF THE AFTERLIFE. DA'AT INSTITUTE. http://www.daatinstitute.net/wp-content/uploads/2017/02/Do-Jews-Believe-in-the-Afterlife-S.-Raphael.pdf
24. **Encyclopedia of Hinduism**. By Constance A. Jones and James D. Ryan; Facts On File, Inc. United States of America; 2007.
25. **Essential Hinduism**. By Steven J. Rosen. Praeger publishers. London. 2006.
26. **Ferreira VF, Paiva GP, Prando N, Graça CR, Kouyoumdjian JA**. Time perception and age. Arq Neuropsiquiatr. 2016;74(4):299-302.
27. **Fournier JC, DeRubeis RJ, Hollon SD, et al**. Antidepressant drug effects and depression severity: a patient-level meta-analysis. JAMA. 2010;303(1):47-53.
28. **Fundamentals of Buddhism**. By Dr/ Peter D. Santina. Buhdda Dharma Association Inc. Singapore. 1984. www.buddhanet.net.
29. **Fundamentals of Buddhism**. By Dr/ Peter D. Santina. Buhdda Dharma Association Inc. Singapore. 1984. www.buddhanet.net.
30. **Fundamentals of Buddhism: Four lectures**. By Nyanatiloka Mahåthera. The Wheel Publication No. 394/396. ISBN 955-24-0120-8. Buddhist Publication Society. Kandy, Sri Lanka;1994
31. **Gravitational-wave finding causes 'spring cleaning' in physics.** By Ron Cowen. NATURE /NEWS. 21 March 2014; ***HTTPS://WWW.NATURE.COM/NEWS/GRAVITATIONAL-WAVE-FINDING-CAUSES-SPRING-CLEANING-IN-PHYSICS-1.14910***
32. **Guyton and Hall Textbook of Medical Physiology.** By John E. Hall and Arthur C. Guyton. SAUNDERS Elsevier. 12th edition. Philadelphia. USA. 2011
33. **Harmful use of Alcohol: The solution**. World Health Organization, 2009. https://www.who.int/nmh/publications/fact_sheet_alcohol_en.pdf; accessed December 25, 2020.

34. **Heroes and hero worship.** By Thomas Carlyle. Philadelphia, Henry Altemus;1899
35. **Homo sapiens.** By Ian Tattersall. Encyclopædia Britannica. Published: November 12, 2020. https://www.britannica.com/topic/Homo-sapiens; Access date: January 09, 2021.
36. **How big is the sun?** https://www.space.com/17001-how-big-is-the-sun-size-of-the-sun.html
37. **How fast is the earth moving?** By Rhett Herman. Scientific American. October 26, 1998. https://www.scientificamerican.com/article/how-fast-is-the-earth-mov/; accessed January 13, 2021.
38. **How Many People Died in Hiroshima and Nagasaki?** By Seren Morris. NEWS WEEK. On 3 August, 2020. HTTPS://WWW.NEWSWEEK.COM/HOW-MANY-PEOPLE-DIED-HIROSHIMA-NAGASAKI-JAPAN-SECOND-WORLD-WAR-1522276 ; accessed January 13, 2021.
39. **Intelligent Design: Humans, Cockroaches, and the Laws of Physics**. By Victor J. Stenger. Preprint of a paper submitted to Creation/Evolution. 1997. http://www.talkorigins.org/faqs/cosmo.html
40. **J.S. Farnes. 2018**. **A unifying theory of dark energy and dark matter: Negative masses and matter creation within a modified ΛCDM framework**. *A&A* 620, A92; doi: 10.1051/0004-6361/201832898
41. **Jembrek MJ, Vlainic J.** GABA Receptors: Pharmacological Potential and Pitfalls. Curr Pharm Des. 2015;21(34):4943-59.
42. **John Gill's Exposition of the Bible.** In "e-Sword", version 12.1.0; Copyright © 2000-2019, a registered trademark of Rick Meyers. United States of America. www.e-sword.net
43. **Katzman MA, Bleau P, Blier P, et al**. Canadian clinical practice guidelines for the management of anxiety, posttraumatic stress and obsessive-compulsive disorders. BMC Psychiatry. 2014;14 Suppl 1(Suppl 1):S1.
44. **Magalhães F, Rocha K, Marinho V, et al.** Neurochemical changes in basal ganglia affect time perception in parkinsonians. J Biomed Sci. 2018;25(1):26.
45. **Martial C, Cassol H, Charland-Verville V, Pallavicini C, Sanz C, Zamberlan F, Vivot RM, Erowid F, Erowid E, Laureys S, Greyson B, Tagliazucchi E.** Neurochemical models of near-death experiences: A large-scale study based on the semantic similarity of written reports. Conscious Cogn. 2019 Mar;69:52-69.
46. **Martial C, Cassol H, Charland-Verville V, Pallavicini C, Sanz C, Zamberlan F, Vivot RM, Erowid F, Erowid E, Laureys S, Greyson B, Tagliazucchi E.** Neurochemical models of near-death experiences: A large-scale study based on the semantic similarity of written reports. Conscious Cogn. 2019 Mar;69:52-69.
47. **Mitchell JM, Weinstein D, Vega T, Kayser AS**. Dopamine, time perception, and future time perspective. Psychopharmacology (Berl). 2018;235(10):2783-2793.
48. **New evidence for cyclic universe claimed by Roger Penrose and colleagues**. Physics world.com; 21 Aug 2018, https://physicsworld.com/a/new-evidence-for-cyclic-universe-claimed-by-roger-penrose-and-colleagues/ ; accessed October 6, 2020

49. **Nirvana**. By Donald S. Lopez. Encyclopedia Britannica. https://www.britannica.com/topic/nirvana-religion; Published March 31, 2014; Accessed Novemeber 21, 2020.
50. **Parallel worlds: a journey through creation, higher dimensions, and the future of the cosmos**. By Michio Kako. 1st edition, 2005. Published by Doubleday: New York, London, Toronto, Sydney, Auckland.
51. **Passani MB, Panula P, Lin JS**. Histamine in the brain. Front Syst Neurosci. 2014;8:64.
52. **Peng S, Zhang Y, Zhang J, Wang H, Ren B**. Glutamate receptors and signal transduction in learning and memory. Mol Biol Rep. 2011 Jan;38(1):453-60.
53. **Physicists create 'negative mass'** by Eric Sorensen, Washington State University, April 17, 2017, https://phys.org/news/2017-04-physicists-negative-mass.html, accessed March 21, 2021.
54. **Physics of the impossible**. By Michio Kaku. Published in the United States by Doubleday 2008.
55. **Pope Francis assures atheists: You don't have to believe in God to go to heaven**. By Michael Day. https://www.independent.co.uk/news/world/europe/pope-francis-assures-atheists-you-don-t-have-believe-god-go-heaven-8810062.html
56. **Quantum bounce could make black holes explode.** By Ron Cowen. Nature.com. 17 July 2014. https://www.nature.com/news/quantum-bounce-could-make-black-holes-explode-1.15573 ; accessed on 3 March 2019.
57. **Quantum physics: illusion or reality**. By Alastair I. M. Rae. Second edition. Cambridge University Press. New York, USA. 2004.
58. **Rangel-Barajas C, Coronel I, Florán B.** Dopamine Receptors and Neurodegeneration. Aging Dis. 2015;6(5):349-368.
59. **Red dwarf star**. By Erik Gregersen. Encyclopedia Brittanica. https://www.britannica.com/science/red-dwarf-star ; accessed October 6, 2020
60. **Ressler KJ, Nemeroff CB**. Role of norepinephrine in the pathophysiology of neuropsychiatric disorders. CNS Spectr. 2001; 6(8):663-6, 670.
61. **Roy F. Baumeister, Kathleen R.Catanese, and Kathleen D. Vohs.** Is there a gender difference in strength of sex drive? Theoretical views, conceptual distinctions, and a review of relevant evidence. *Personality and Social Psycheology Review*. 2001; 5 (3): 242-273.
62. **Rwanda Marks 25 Years Since the Genocide. The Country Is Still Grappling With Its Legacy**. By Alan Cowell. The New York Times. April 6, 2019. https://www.nytimes.com/2019/04/06/world/africa/rwanda-genocide-25-years.html ; accessed January 13, 2021.
63. **Satrs**. *NASA science*. https://science.nasa.gov/astrophysics/focus-areas/how-do-stars-form-and-evolve ; accessed September 16, 2020.

64. **Sewell RA, Schnakenberg A, Elander J, et al.** Acute effects of THC on time perception in frequent and infrequent cannabis users. Psychopharmacology (Berl). 2013;226(2):401-13.
65. **Sewell RA, Schnakenberg A, Elander J, et al.** Acute effects of THC on time perception in frequent and infrequent cannabis users. Psychopharmacology (Berl). 2013;226(2):401-13.
66. **Solving the negative mass paradox**. By Jean-Pierre Petit & Gilles d'Agostini. 2014. https://www.researchgate.net/publication/263659720_Solving_the_negative_mass_paradox
67. **Somatic Cell Nuclear Transfer**. By David Stocum. Encyclopaedia Britannica. https://www.britannica.com/science/somatic-cell-nuclear-transfer
68. **Sun.** By Kenneth Lang. *Encyclopedia Brittanica*. https://www.britannica.com/place/Sun/Evolution**;** accessed September 16, 2020.
69. **The Ekpyrotic Universe: Colliding Branes and the Origin of the Hot Big Bang.** By Justin Khoury, Burt A. Ovrut, Paul J. Steinhardt, Neil Turok. Phys.Rev.D64:123522, 2001. arXiv:hep-th/0103239v3; DOI: 10.1103/PhysRevD.64.123522
70. **The emperor's new mind**. By Roger Penrose. The inexorable increase of entropy. ISBN 0099771705
71. **The End of Cosmology**. By Lawrence M. Krauss and Robert J. Scherrer. *Scientific American*. March 2008.
72. **The Four Noble Truths: The Essence of Buddhism**. Written by Master Hsing Yun. Translated by Amy Lam. Buddha's Light Publishing. U.S.A. 2011
73. **The Grand Design**. By Stephen Hawking and Leonard Malodinow. Bantam Books. New York. 2010.
74. **The inflation debate**. By Paul Steinhardt. *Scientific American*. April 2011
75. **The myth of the beginning of time**. By Gabriele Veneziano. Scientific American. Special edition. Summer, 2018.
76. **The power of negative matter.** By ROBERT FORWARD. 17 March, 1990. https://www.newscientist.com/article/mg12517084-200-the-power-of-negative-matter/, accessed on June 20, 2019.
77. **The Self-Reproducing Inflationary Universe**. By Andrei Linde. Scientific American. November 1994.
78. **The thirty-one planes of existence**. Ven. Suvanno Mahathera. Buddha Dharma Education Association Inc. Printed in Conjunction with Kathina 2001. Malaysia. ISBN 983-9439-57-X. www.buddhanet.net
79. **Timmermann C, Roseman L, Williams L, Erritzoe D, Martial C, Cassol H, Laureys S, Nutt D and Carhart-Harris R**. DMT Models the Near-Death Experience. Front. Psychol. 2018; 9:1424. doi: 10.3389/fpsyg.2018.01424
80. **Tsunami**. By The Editors of Encyclopaedia Britannica. Date published: October 29, 2020. https://www.britannica.com/science/tsunami; accessed January 13, 2021
81. **Wang J, Sun P & Liang P**. Neuropsychopharmacological effects of midazolam on the human brain. Brain Inf. 7, 15 (2020).

82. **What Buddhists Believe**. By K Sri Dhammananda. Expanded 4th Edition. BUDDHIST MISSIONARY SOCIETY MALAYSIA. 2002.
83. **What Pope Francis really said about atheists?** By Stephen Kokx. Catholic vote. **http://www.catholicvote.org/what-pope-francis-really-said-about-atheists/**
84. **When Will the Sun Die**? By JoAnna Wendel. *Space.com*. August 07, 2019. https://www.space.com/14732-sun-burns-star-death.html ; accessed September 16, 2020.
85. **Why I am a Hindu.** By Shashi Tharoor. Scribe Publications, Australia. 2018
86. **World War I**. By John Graham Royde-Smith and Dennis E. Showalter. Encyclopædia Britannica. Date published: November 02, 2020. https://www.britannica.com/event/World-War-I; access date: January 13, 2021
87. **World War II**. By John Graham Royde-Smith and Thomas A. Hughes. Encyclopædia Britannica. Date published: September 10, 2020. https://www.britannica.com/event/World-War-II. Access date: January 13, 2021

المؤلف



دكتور/ محمد سعيد المكاوى ، باحث فى قضايا الفكر الإسلامى. ولد عام 1976م بمحافظة المنوفية فى مصر. تخرج من كلية الطب عام 2000م. حصل على الدكتوراة فى طب الأطفال عام 2011م ، ويشغل حاليا منصب أستاذ مساعد طب الأطفال بكلية طب المنوفية. نشرت للمؤلف عدة أبحاث فى المجلات الطبية العالمية ، وعدد من الكتب فى الفكر الإسلامى. يؤمن المؤلف أن ظهور الإسلام هو أعظم حدث شهدته البشرية قاطبة ، ورغم مرور أكثر من 1400 سنة على مجيء هذا الدين العظيم إلا أن ما نعرفه عن الإسلام أقل كثيرا مما نجهله ، ولا يزال هذا الدين يحمل فى جعبته ما لا يحصى من الكنوز والأسرار والبراهين التى ادخرها الله عز وجل للبشرية فى آخر الزمان توازيا مع الصعود المضطرد لمنحنى الضلال الذى يقترب بالإنسانية من النهاية المحتومة.

هذا الكتاب

يتناول هذا الكتاب موضوعا يقع فى القلب من المعركة الفكرية المحتدمة حاليا فى أوساط الشباب حول مسائل الإيمان والإلحاد. يبرهن الكتاب علميا وفلسفيا على أن الآخرة ممكنة ، وأن وجود نهاية للكون أمر يقبله العلم ، وأن إحياء الجسد بعد مماته شيء غير عسير بالنظر إلى التطورات العلمية الهائلة التى شهدها العالم فى السنوات الأخيرة. كما يقدم الكتاب براهين مبتكرة على وجود النفس وعلاقتها بالجسد. يتناول الكتاب أيضا الجنة التى وعد بها الإسلام أتباعه ، ويعيد تقييم شبهة الحسية التى شاعت حولها، فيدافع عن هذا الطابع الحسى ، كما يثبت وجود جوانب روحية رائعة غفل عنها منتقدو الإسلام. يتعرض الكتاب أيضا لحياة البرزخ ، ويحدد طبيعة القبر وعذابه ونعيمه بين المؤيدين والمنكرين. يقارن الكتاب أخيرا بين فكرة الآخرة فى منظور الإسلام وغيره من الأديان الكبرى كالبوذية والمسيحية واليهودية. لا شك أن موضوع القيامة قديم ، لكن الجديد هو محتوى الكتاب. والله ولى التوفيق ، وصاحب الفضل.

كتب أخرى للمؤلف

- هل أهان الإسلام الرقيق؟ نظرات جديدة فى قضية قديمة
- هل معجزات الأنبياء مستحيلة؟
- أكذوبة الملحد الطيب: إثبات فساد الأخلاق فى غياب الدين
- ما بعد الحداثة تجتاح ديار الإسلام

-409-